13 et 14

C.V.1 (t 13 cf 14)

Bulo- RES-8 - 186

الجزء الثالث عشر من قصة فارس الطراد
من زلزل جميع الاوهاد وأذل
من فى الحصون والاوتاد وحير
العقول وفتت الاكباد
وأذل كل بطل من
الامجاد ابو
الفوارس
عنتر بن
شداد

ECOLE SPE L. L.O. VIVANTES 1/78

٨

C.V.1 (t 13 et 14)

Biulo - RES - 8 - 186

الجزء الثالث عشر من قصة فارس الطراد
من زلزل جميع الاوهاد وأذل
من فى الحصون والاوتاد وحير
العقول وفتت الاكباد
وأذل كل بطل من
الامجاد أبو
الفوارس
عنتر بن
شداد

ECOLE DES L. L. O. VIVANTES
1178

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قال الراوى) وهو مع زوجته فى الكلام والغبار قد علا وزاد
حتى ارتجت من حوله الاقطار فقد معدى كرب عينيه فرأى عساكر
الاعادى قد قلت وعزماتهم انحلت فسر بذلك وبشر النساء وقال
كسر والله عمرو جيش الاعداء بحملاته وفرقهم بصرخاته وشلت
يمين من يمنع عنه شيئا من النوق والجمال والمواشى والاغنام
ولو أكل الكل فى عام ولما علم النسوان بذلك ارتفع منهم الصياح
وتباشرن بالافراح وكان عمرو قد وصل الى صاحب العلم وطعنه فى فاه
أخرج الرمح من نقرة قفاه وزعق بعده فى مواكب الاعداء فرقها
وأدرك الملك الاشعث وقد عول على الهرب فضربه بقوة ساعده
طير رأسه عن جسده ولما أبصرت العرب المجتمعة أنه قد قتل أميرها

طلبت كل قبيلة منها ديارها الان أكثرها كان سائرا معه بغير اختيارها وما أمسى المساء وقد بقى حول بنى زبيد أحد من تلك الخلائق وعاد رجال الحلة حول عمرو وهم يشكرونه ويثنون عليه وقد اشتغلوا به عن نهب الاموال وعجبوا منه كيف نقله الله من حال الى حال وابصر عمرو اجتماع القبيلة حواليه وثناءهم عليه فقال يابنى عمى لو أتى اليكم من يطالبكم بخراج أو بعداد ألحقته بقوم عاد وانا أقنع منكم كل يوم بناقه وأى عدو قصدكم التقوه بى ولا تحوجونى الى زاد فقال بنو زبيد يا عمرو ما بقينا نريد حامية سواك ولا يكون علينا مقدم الا أنت ثم عادوا وكان فى حال عودته قد كشف جنانه وسمح بالشعر خاطره ونطق به لسانه وأضاء قلبه باذن الله سبحانه فذكر الواقعة التى جرت فسار وهو ينشد ويقول

يابنى عمى عجلوا الى بزادى ✻ والتقوا بى وقع السيوف الحدادى
لاتعيبوا على ما كنت فيه ✻ من خلاص فقد محاه رشادى
كان السر بى خفيا فلما ✻ نفذ الامر أصبح السر بادى
فدعينى يا أم أكسب مجدا ✻ وعلا ما دامت احدى قيادى
ما افتخار الفتى بخز وبز ✻ ولباس الحرير والابرادى
وطعان لقا اذا ما نادت ✻ لى باسم الآباء والاجدادى
فابشروا يا بنى زبيد بليث ✻ حاميا للحريم والاولادى
يوم غير أمسه ثم أضحى ✻ بعدما كان ناقصا فى ازديادى
فوحق المقام والبيت والحج ✻ يؤتى اليه من كل فج ووادى
لأجولن طالبا فلاك المجد ✻ ببيض الظبا وسمر الصعادى
وأرد العدا بكل غلام ✻ ساهر لا يذوق طعم الرقادى
واذا ما أقبلت خلفت ذكرى ✻ مثلا لا يزول بين العبادى

(قال الراوى) ولما وصل الى الخيام تلقته النسوان بالفرح والاستبشار وهنوا أمه وأخوته بما قد ظهر فيه من الشجاعة وبات كل من فى الحى يتعجبون فى حديثه وفعاله وفصاحته ومقاله ونزل فى قلب أبيه معدى كرب المنزلة العظيمه حتى قدمه على أخيه عبد الله الذى كان قد أوصى له بالتقدم من بعده وكان عمرو قد أخذ درع الاشعث سيد بنى كنده وجواده وسلبه وعدته وكان أشياء تساوى أموالا كثيرة لانه كان ملكا جليلا ومن جملة عدته صمصامة ما اقتنت مثلها الملوك ويقال انها عتيقة ماضيه أنفذ من أسباب المنايا القاضيه (قال الراوى) وتفرس عمرو من ذلك العام وواظب الغارات والغزوات وهانت عنده البليات واستفرد بنفسه للنائبات واستنصر على صيد الاسود من الغابات وجز فى الحروب نواصى السادات وشاع ذكره فى سائر الجنبات وأتته الهدايا والتحف من ملوك البلاد وحملت القبائل له الغفارة والعداد وكثرت أمواله وهابت أفعاله السادات ومات أبوه وشرب كأس حمامه واتفق هو وأخوه عبد الله على الاعداء ورسم له ميدانا وجعل حوله خيام المسافرين والضيفان وقصدته الفرسان من كل ناحية ومكان وبارز الابطال والشجعان وقهر فرسان القبائل وكل بطل حلاحل وقرت له بالغلبة حماة القبائل ووهب وتكرم وكثرت عبيده والخدم وتحدثت البنات بحسنه وجماله وشجاعته وملاحته وفصاحته (قال الراوى) وفى بعض الاعوام حج الى بيت الله الحرام وزار الكعبة واجتمع بسادات العرب والزوار وملوك الاقطار فزاد فخاره فخارا وما بقى من الملوك أحد الا أحضره وأكرمه وخلع عليه وخدمه لاجل شجاعته ومروءته ونظر والى عظم خلقته وعذوبة

منطقه

منطقه (قال الراوى) وكان فى أرض حضرموت ملك يقال له
زياد بن أكال الا كباد والمرائر وكان ملكا شديد العزمة والصولة
قوى الهيبة عظيم النخوه مستقيم الدولة كثير الاموال والرجال
والجيوش والابطال وكان معدودا من جلة الملوك المتوجه أصحاب
الا كاليل والتيجان والاقاليم والبلدان وكان له بنت يقال لها غفران
وقد أعطيت من الجمال والاحسان مالا يقدر ان يصفه انسان
وكانت الملوك يخطبونها والفرسان يطلبونها وهو يقول أنا ما أزوج
ابنتى غفران ولا أسمح بها لاحد من ملوك الزمان ولا أملكها الا
لرجل قد كمل بالحسن والجمال والشجاعة عند ملتقى الرجال
ودعه يكون فقيرا بلا مال ولا نوق ولا جمال لان فى الخلق من
يكون كثير الاموال خاليا من الشجاعة والجمال وفيهم من
يعطى هذه الصفة ويكون حظه الفقر والاقلال وأريد لابنتى من
يسر قلبها اذا صاحبها وضاجعها فى المنام ويحميها من بعدى اذا انا
شربت كاس الحمام ومازال كذلك يرد الخطاب ويمنع الطلاب حتى
قال وزيره أيها السيد هذا الذى تريده لا يقدر أحد عليه ان تفعل
ما أقول لك عليه فقال وما هو لانى ما أخالفك فيما تقول فقال الوزير
أنت تعلم ان فى كل عام تجتمع قبائل العرب وفرسانها فى البيت
الحرام والصواب انك ترسل بعض حجابك بخلعة سنيه وصفحة هنديه
وفرس عربيه الى الكعبة البهيه وتأمره أن ينادى فى الحرم اذا
وصل اليه فتجتمع من حوله القبائل وفرسانها ومن شهدت له
الفرسان انه قد استكمل هذه الصفات فتأمره اذا رآه أن يأتى به اليك
وتحكمه فى نعمتك وتزوجه ابنتك وتقضى شهوتك وتبلغ ارادتك
فلما سمع الملك هذا الكلام والمقال من الوزير صغى اليه وأنفذ بعض

حجابه وكان جليل القدر حسن السياسة وأوصاه بالاجتهاد فأجاب
بالسمع والطاعة وسار يطلب البيت الحرام من تلك الساعة قال
وكان وصوله في العام الذي حج فيه عمرو بن معدى كرب الزبيدى
لان الله سبحانه وتعالى اذا أراد سعادة الرجل سبب له أسبابا
لا يهتدى اليها أولوا الالباب ثم ان الحاجب لما وصل الى الكعبة وأبصر
ما حولها من الامم فعل كما أمره صاحبه وكان قد حج في تلك السنه
جماعة من فرسان العرب منهم يزيد بن عبد المدان ومروة ابن
مسيكة والاصهل بن شرحبيل وجعفر بن عقيل وغيرهم من
الابطال الذين تضرب بهم الامثال فلما سمع في الحرم النداء جميع
القبائل تبادروا اليه من كل جانب واجتمعوا حول الحاجب وعرفوا
القصة على جليتها فتقدم يزيد بن عبد المدان ليلبس الخلقة ويركب
الجواد فقال بعض سادات بني قحطان يا يزيد كيف تتقدم على
عمرو بن معدى كرب وقد حضرت ميدانه وصرت من بعض أعوانه
وشهدت لنفسك بالعجز عن ضربه وطعانه فاستحى يزيد ابن عبد
المدان وتأخر وتقدم من بعده مروة ابن مسيكة العنبرى فقيل له مثل
ذلك وما زالت الفرسان تسمع النداء وتتقدم وتتأخر حتى بلغت
النوبة الى عمرو ولقد علمت بالهيكل والقدر الذي وصفناه به فضجت
السادات لقدومه وهنوه بما قد وصل اليه من الشكر والثناء
ووصفوه عند الحاجب بالشجاعة والملاحة والكرم وقالوا له هذا
الرجل أحق منا بهذه القضيه فتبسم عمرو وتقدم ولبس الخلقة
وركب الجواد الأدهم وتقلد بالسيف وكان محلى بالجوهر المثمن فقال له
الحاجب الذي أتى بالخلعة ان صاحبي قد أمرني أن لا أسلم هذه
الخلعة الا الى أشجع العرب وأحسنها وأنت ما الذي بلغ من حسنك

وجمالك

وجمالك وشجاعتك وقتالك فقال عمر وأما الذى بلغ من جمالى فانه مانظرتنى قط امرأة من سادات العرب أصحاب النسب الاحرار الا سألتنى وطلبتنى وتقول لى أنا أخلى زوجى واختارك عليه وأعطيك من المال ماتصل يدى اليه وأما البنات فانهن افتتن بى فى سائر الجنبات وصرن يهذين باسمى فى الخلوات ومافيهن الامن تمنت نظرى وسألت عن خبرى حتى رملة ابنت الملك الحارث باحت باسمى الى أترابها البيت بعلى كعمرو بن معدى كرب ولما بلغنى هذا المقال علمت أنى قد بلغت رتبة الجمال فقال الحاجب لمن اجتمع حوله من الابطال ياسادات العرب صدق عمرو فى المقال فقالوا وحق من أرسى الجبال وقدر الآجال فقال الحاجب وما الذى بلغ من شجاعتك وغارتك وجسارتك فقال عمرو فالذى بلغ من شجاعتى اننى مازلت أطرق أحياء العرب فى الليل والنهار حتى هجعتها فى القفار وصار الرجل منهم اذا خطب ابنته أحد غريب يمتنع ولا يزوجها الا لاهل عشيرته خوفا ان ألقاها فى الطريق فآخذها سبية وسمعت ان منازل بن النهال سار الى بنى جلهمة وخطب ابنت حسان وبذل لها من المهر مايعجز عن وصفه كل انسان فقال له حسان يامنازل ما أنت الا كفؤ كريم وسيد عظيم ولكن ياوجه العرب ما أقدر أخرج ابنتى من عشيرتى ولا أظهرها من قبيلتى مادام عمرو ابن معدى كرب يركب الخيل ويعسف الليل وقال فى ذلك هذه الابيات

منازل ما أعرضت عنك ملالة
ولكننى أخشى على البنت من عمرى
فتى أينما سرنا وسارت ركابنا ✱ رأينا خيالا منه قدامنا يسرى

فلا الليل يثني عزمه عن ملمة ❊ ولا نائبات الدهر تفنيه عن عمرى
فى كل أرض قد سبا بنت سيد ❊ وأفنى ليوث الحرب بالبيض والسمر

(قال الراوى) فعند ذلك قال الحاجب ماتة ولون ياسادات العرب فيما يقول عمرو فقالوا صدق فيما قال فقال الحاجب يا عمرو فما الذى بلغ من جسارتك وهجومك فى الليالى المظلمات فقال عمرو والذى بلغ من جسارتى انى ركبت فى بعض الايام اطلب الغزو الى بعض أحياء العرب حتى وصلت الى بنى هوازن واردت أن أدخل اليهم فى الليل واذا بصوت من فؤاد مجروح يقول هل هاهنا من يوصل خبرى الى بنى زبيد ليدركنا فارسنا المنتخب عمرو بن معدى كرب لعله يبادر الى خلاصنا قبل الهلاك والعطب فلما سمعت الصوت لهبت النار فى فؤادى فترجلت عن ظهر جوادى وقلت لاصحابى لا تزولوا من مكانكم الى الصباح فان عدت اليكم والا ارجعوا الى قومى وانعونى الى أخى فان صوت هذا المنادى قد أشجى فؤادى وأريد أخاطر فى خلاصه بروحى حتى أبلغ مرادى ثم سللت حسامى وطلبت الخيام تحت ستور الظلام ووصلت الى الاسارى لانى كنت أسمع كلامهم وشكواهم فدنوت منهم وقطعت كتافاتهم وقلت لهم اتبعونى فانى عمرو بن معدى كرب فتبعه القوم ولا يصدقوا بالنجاة الا انى ما فارقت قومى حتى نادى من خلفى الفرسان وتبعتنى الخيل من كل مكان فركبت جوادى وقاتلتها الى وقت السحر فأهلكت منها الابطال واتسع على المجال فصحت فى وجوههم يا ويلكم اسمعوا نصيحتى وعودوا الى ورائكم فأنا أبو ثور عمرو بن معدى كرب فارس بنى زبيد فارس الاقطار والبيدا فلما سمعوا ذلك رجعوا من قدامى وقد أرويت من دمائهم حسامى ورجعت مسرورا بخلاص بنى عمى

وكان القوم سبع أنفار ثم رجعت اطلب قومي وأتذكر ماجرى
وأنشدوا أقول

ألم تراني كمي البيدا والفقر * بليل أخوض فيه بالبر والبحر
سمعت المنادى في الدجا فعرفته * فغاب رشادى من نداء يا عمرى
فقلت لصحبي ارفقوا بي فانني * أعود اليكم قبل اضاءت الفجر
وأشهرت سيفي ثم بادرت نحوهم * بعزم يفتت جامد الصخر
يزيد وسفيان و وهب ومالك * وسعد وعلوان وصابعهم جبرى
ولما أتقى الخيل فرقت جمعهم * بطعن كشخص الموت في قلبه شرى
ونجيت أسرى مذحج من هوازن * ولا مسني خوف ولا خانني صبرى

(قال الراوى) ثم قال الحاجب سمعتم أنتم يا سادات العرب بهذه الصفه فقالوا وحق من رفع السما ثم تقدم منهم رجل شيخ من مشايخ العرب وقال لحاجب الملك يا وجه العرب لا تطول العبارة ما أخذ الخلعة الا مستحقها ومن هو أولى بها من كل أحد وما بقى عليك كلام ولا ملام ثم أشار اليه يقول

أيها المرسل الفلاة الى البيت * بسيف وخلعة وجواد
أخبراني وأنت غير ملوم * لصلاح أتيت أم لفساد
أعط عمرا وما يلومك في الناس * ودع قول معشر الحساد
ليس قيس ومروة بن مسيك * واني ضيان من قبيل مراد
فلعمرو وقائع لو حضرها * غيره ما رأى من الموت فادى

(قال الراوى) ثم تفرقت العرب وأخذ الحاجب عمرا الى جانبه وأحضر له الطعام والمدام وأكرمه غاية الاكرام وقال له يا عمرو أبشر بما قد نلته من السعادة بما ترى عند صاحبي من الكرامة لان له سنين يسأل عن من كمل بالفصاحة والملاحة حتى يتخذه نديما

ويساويه بماهو فيه من النعم حدينا وقديما وما بقي غير المسير معي حتى يرتفع عند صاحبي قدرك وأنا أعلم انه اذا رأى شجاعتك وحسنك والجمال والاحسان ويشهد بما قد شهدت به الفرسان يزوجك بابنته غفران ويساويك بملوك الزمان لان هذه الجارية ما يوجد مثلها عند كسرى صاحب الايوان ولا ولدت مثلها حرائر النسوان فقال عمرو وقد فرح الفرح الزائد الشديد وعلم ان سعادته في مزيد اعلم أيها السيد ان الذي قد جرى بسعادتي وعلو قدري ولكن يمنعني عن المسير معك أمر وأريد منك ان تبسط لي العذر وتصبر على حتى أرد أهلي والنساء الى الاحياء سالمين وأخبر قومي بما قد جرى وبعد ذلك ألحقك عند صاحبك وقال له كم تكون المهلة بيننا فاذكرها حتى اذا رجعت الى الملك أعلمته بأخبارك فقال عمرو أكثر ما يكون أربعين يوما وان كنت سالما من نكبات الدهر وحوادث الايام فأجابه الى ذلك وافترقا من يومهم على ذلك وعاد عمرو بأهله الى الديار والدنيا لم تسعه من الفرح بعلو مجده وفي عودته نزل على بني مراد وكانت الجارية لميس بنت همام الغطفاني الذي شكى عروة حبها العنتر قد أتت مع أمها وأبيها الى القوم زوارا كما قد ذكرنا وأبصرتها كبشة اخت عمرو في مدة مقامهم ووصفت لاخيها ما فيها من الحسن والجمال وأشارت عليه أن يخطبها وقالت له يا عمروان فاتتك هذه الجارية لا تجد مثلها في الدنيا وكان قصدها أن تعوقه بالزواج حتى لا يقيم عند الملك الذي قد بعث خلفه ولربما يتخلف عن دياره وأوطانه وينساهن كيف وقد تعودن منه الجمال والستر الآن عمر لما سمع بذكر لميس اشتغل قلبه بها لكثرة رغبته في النساء ومابرح حتى أبصر الجارية فسلبت فؤاده وقال

لولا انني رهنت لساني عن صاحب الملك وعاهدته اني أسير اليه
والا ما كنت تبعته أبدا الا انني ما أعلم هل يطيب لي المقام أم لا وهل
يزوجني بابنته أم لا والرأى اني لا أترك هذه الجاريه تفوتني بل أجعل
هذه السفرة برسم مهرها وأعود آخذها ثم أتى الى أبيها وخطبها منه
ورغبه في المال فزوجه بها وأعطاه يده بعد ما شاور بني عمه
فأشاروا عليه بذلك ووصفوا ما في عمرو من الفروسية ففرح همام
بذلك وعاد الى بني غطفان وعمل شغل ابنته وقد وصل الخبر الى أهله
وخاف أن يفوته الاجل الذى قد أجله فتجهز من ساعته وسار من بني
زبيد في خمسة فوارس الذين كان يعتمد عليهم الا انه جد في قطع
أراضي حضرموت وقد أخذ معه عشر جنائب مسومة مجللة
بجلالات الابريسم وعشر سيوف قواطع محليات بالذهب الوهاج
وجماعة من العبيد الاجواد وعشر مولدات هدية للملك الذى توجه
اليه وما زال يطوى المراحل حتى أشرف على القوم في اليوم الحادى
والاربعين الا انه لما وصل أبصر براوا واسعا وعيونا نابعة ومروجا
يانعه وخلقا كثيرا وخيام ومضارب فتعجب من ذلك ثم انه لم يزل
طالب السواد الاعظم والخيام الابريسم واذا بالملك قد ركب
في موكب عظيم وهو بينهم وعليه هيبة ووقار وكان ركوبه في ذلك
اليوم لاجل عمرو وملتقاه لان حاجبه لما عاد اليه أخبره بما جرى له
في البيت الحرام ووصف له عمرو بن معدى كرب وكيف أعطاه
الخلعة المقدم ذكرها وذكر له ما فيه من الحسن والجمال والخير
والاحسان وما شهدت له به الفرسان وقدومه على الاهوال وذكر
أنه في اليوم الواحد والاربعين يكون عندنا فقال الملك هذا الذى
كنت أطلبه ثم أقام حتى قرب حلول الاجل وصار كل يوم يركب

ويوسع فى الفلاة والبر ويطلب عمرا ويتشاغل بالصيد والقنص الى
ان كان ذلك اليوم فأشرف عمرو وأبصر الملك فرسان بنى زبيد فسأل
الملك لمن كان حوله ان كان عمرو قد صدق فى مقاله فهو هذا بلا
محال فعندها خرج الحاجب المقدم ذكره فلما قاربه عرفه وقد دنا
منه واعتنقه وقال يا عمرو لولا انك أتيت فى هذا اليوم لتلفت روحى
وكان صاحبى قد كذبنى فى مقالى ثم عاد الى الملك وأخبره بوصول عمرو
فعلا الصياح وبان السرور والافراح ووقع الصوت فى حضرموت
والتقوا عمرا احسن ملتقى وترجل عمرو بن معدى كرب ومن معه
ودعوا للملك بطول العمر والبقاء ولما عادوا الى ظهور الخيل باسط
الملك عمرا فى الطريق والحديث وصار يكثر نظره وقد أعجبه حسنه
وجماله فأمر عبيده أن تضرب له سرادقا من الديباج بجانب سرادقه
ونقل اليه كلما يحتاج من الاوانى والآلات وأكرمه غاية الاكرام
وأوقف له الخدم فى خدمته ووقع فى قلبه محبته وتركه ذلك اليوم
لاجل الراحة فاراح واستراح ومن الغد حضر الملك الى حضرته وكان
قد قدم قدامه الشراب وصنع وليمة عظيمة ومازحه وحادثه فرآه فصيح
اللسان كامل الحسن والاحسان فزاد رغبة فيه ونزل فى قلبه المنزلة
الرفيعة ومازال على مثل ذلك الحال ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع
ركب الملك الى ميدانه وأحضر كل من يعتمد عليه من أبطاله وفرسانه
وأمرهم أن يتطاعنوا قدام عمرو لان الملك يريد أن يبصر طرفا من
شجاعته لكنه يستحى ان يأمره بذلك فعرف عمرو ما فى خاطر الملك
فاخذ الرمح بيده وجال وصال وتقلب على ظهر الجواد حتى أذهل
عقول الرجال وبعد ذلك قلع سنان رمحه وحمل على الابطال وكانوا
أكثر من ثلاثة آلاف بطل ففرقهم وجمعهم وألقى الهيبة فى قلوب

شجعانهم

شجعانهم ورأوا من فعاله مالا يرونه من غيره ومن شدة ما وقع على الملك من محبته أن زوجه بابنته غفران وزفها عليه بجارية كأنها قضيب بان أو غزال عطشان أو هلال شعبان فنظر عمرو ذلك الحسن والجمال والقد والكمال والنعم والاموال فنسى قومه وأهله وما تذكرهم الا بعد ثمانية أشهر فتذكر الاوطان والاهل والخلان فاستحى أن يخاطب الملك فى العودة الى أهله فشكى ذلك الى زوجته وأمرها أن تستأذن أباها فى المسير معه وكانت قد افتتنت به وأحبته محبة عظيمة فلما رأته يشتكى اليها شوقه الى أهله فخافت أن يزيد به الشوق فيمضى بغير علمها فتهلك فعند ذلك استأذنت أباها بذلك وأخبرته بما فى قلبها وقالت فى آخر كلامها وان راح من عندى بغير علمى قتلت روحى بعده فقال أبوها يا بنتى أنا مافعلت ذلك كله الا من أجلك كيلا تتغربى عن وطنك فان كان قلبك يشتهى ذلك فافعلى أنت مابدا لك وأنا أعلم بذلك ان بعلك كفؤ كريم قادر على حماة الحريم ولا بد له من أهله ثم انه عمل شغل ابنته فى عشرة أيام بكل ماقدر عليه وسيرها بسير بنات الملوك بالخيل والجنائب والاعلام والمضارب والهوادج والعبيد والخدم والصناديق والابغال والمال الممدود والخيرات التى ليس لها حدود والجوار الابكار النهود ولما نجز أمرها وسارت مع بعلها سار أبوها لوداعها ذلك اليوم ومن الغد عاد بعد ما أوصى عمرو بن معدى كرب بأن لا يقطع زيارته ولا يكتم عنه حال ابنته على ممر الليالى والايام والشهور والاعوام فقال يا مولاى ان لسانى نصير عن شكر ما أوليتنى من الاحسان وان لم أرع ما استودعتنى فلا أكون عمرو بن معدى كرب ولا أصدق بعدها وأكون موصوفا

بالكذب ثم ان عمرا سار يقطع القفار و يطلب الديار وكان قد عول
الملك أن يسير مع ابنته خيل تخفرها فأبى عمرو ذلك وقال يامولاى
هذا شئ لا أفعله ولئلا تقول فرسان العرب عنى أخذ زوجته
بغفير وسار يقطع القفار مدة خمسة أيام و فى اليوم السادس شكت
الجارية الى عمرو من حث الركاب وتواصل السير وصوت وقع
حوافر الخيل والدواب لانها كانت رقيقة المزاج والبشرة مترهفة
البدن من منذ خلقت ما فارقت الجدار ولا خرجت من الوطن
فأورثها ذلك مرضا وهنا فصعب على عمر وما لها وصار يقرب لها
المراحل ويقيم من أجلها على المناهل وهى كلما جاءت اشتد
مرضها فزاد حتى امتنعت عن أكل الزاد وأقام عمرو فى البر تمام
العشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر شربت كأس الحمام
وجرى على عمرو من أجلها مالا يجرى على أحد وقال واخلتاه يوم
الملتقى ثم أمر جوارها أن يوارينها تحت الثرى وبكت حولها
الكواعب الاتراب وحار عمرو فى قصته وافتكر فى نوشه فقال له
رجل من بنى عمه يا عمر وما الذى تقدر أن تعمل فى الموت الذى قد
أعيى من قبلك من الحكماء والكهان والعلماء وما سلم منه جبار
عنيد ولا ملك شديد ومن يلقى بصدره أسنة الرماح ويخوض
مقامع الحرب والكفاح ويجب من مفارقة الاجساد والارواح
فالصواب انك تشكر الرب القديم الدائم البقا الذى جعلك نجما
لمن يعاديك محرقا لم تزل وأنت على كل حال فى عنوان الشباب تسير
وبنات العرب كثير ولك عروس مثل القمر المنير وهى لميس
بنت همام العطفانية ذات العقل والتدبير وربما تكون هذه
الاسباب بسعادتها وبختها والصواب انك تسير من هاهنا

الى بنى غطفان وتسلم الجوىرية من هذه الاموال ماشئت وتأخذ زوجتك وتعود بهافى هذا الهودج وتطلب حلتك حتى يكون سرورك قداتصل والهم والحزن عنك قدانفصل ومازال الرجل يعذل عمرو ويهون عليه الامر حتى قبل رأيه وسار يطلب ديار بنى غطفان ومازال سائرا الى ان وصل اليها وقدم عليها وعلم به القوم فخرجوا اليه واكرموا مثواه ومافى العشيرة الامن هنأ أبا لبيس بما وصل اليه من مهر ابنته وفرحوا بعمرو بن معدى كرب الزبيدى وقالوا هذا يكون حامية لنامن النوائب وحصنانأوى اليه اذاجالت علينا فرسان الاعادى (قال الراوى) ونزل عمرو على بعض الغدران وضربت له العبيد المضارب والخيام وأقام ذلك اليوم فى دعوة صهره همام ومن الغد حمل اليه من الاموال ما أغناه ومن الرجال ماذهلت عيناه وطالبه بزواج ابنته فأجابه الى ذلك وأخذ فى تدبير أمرها وقدذكرنا أنا عنتر أوصى اخته مروة أن تعلمه بخبر عمرو بن معدى كرب اذا اتى بزوجته لبيس لاجل أن يكمن له عند عودته ويأخذها منه لعروة بن الورد وكان عروة أيضا أوصى أخته سلمى بمثل ذلك فلما وصل عمرو الى بنى غطفان وجرى له ماجرى فاجتمعت مروة بسلمى واتفقتا على انفاذ بعض العبيد ليخبروا عروة ابن الورد وعنتر بن شداد بهذا الخبر وكان عنتر من حين وصل الى الديار وقربه القرار قدواظب على الصيد والقنص وشرب الراح واستراح من معاناة الحرب والكفاح واختلس الايام بالهنا بتناول أقداح المدم ومعاشرة الكرام وكان يقضى نهاره بذلك وليله بمعانقة عبلة ابنت مالك الا انه لما وصل العبد من عند اخته يخبره بزواج عمرو ماكان عنتر حاضرا بل كان توجه لجلب من

المدام هو ومقرى الوحش وأبوه شداد فأخبر العبد عروة بن الورد
بما أتى فيه فلما سمع ذلك الخبر كاد قلبه أن ينفطر لاجل ما يجده من
محبة لميس ابنة همام وزاد به الوجد والغرام وخاف انه ان أقام
في انتظار عنتر يفوته الامر ويسير بمحبوبته عمرو فأخذ من رجاله
خمسين فارسا وسار في الليل حتى قارب الديار وعدل برجاله الى واد
يعلم أنه لا يذاعه مر وعند عودته من العبور فيه وترك أصحابه هناك
وأوصاهم باليقظة والاحتراز وقد غير زيه وسار الى بني غطفان ليبصر
ما تجدد من حوادث الزمان وخاف أن يكون عمرو أخذ العروس
وما ناله من السعي اليها الا الخسران فشارف الخيام وقت الضحى
ووقف ينتظر لمن يسأله عن ماجرى فرأى الحي منقلبا بالافراح
متزعجا بالصياح مبتهجا بلمعان الصفاح وقد راج أمرهم وحسن
حالهم وسمع صوت الاماء وهن يلعبن بالدفوف والطار فعلم أن القوم
انتهى شغلهم بلا انكار وان لميس تزف على عمرو فزاد به لهيب
الجمر وسكر من غير خمر وتململ على ظهر جواد لا زعر وبقي حائرا
في أمره يتفكر ويتمنى حضور الامير عنتر فبينما هو على مثل ذلك
واذا ببعض العبيد خارج من أطراف الخيام وفي يده كراع مشوى
فناداه عروة وقال له يا مولا العرب أرى قومك في أفراح زائدة
طرب هل عندكم وليمة لسيد من السادات أرباب الحسب
والنسب فقال العبد نعم يا وجه العرب عندنا عرس ما صنع لاحد
مثله من جاه أو ذهب ولا في بلاد اليمن ولا كل من ضرب وقد أشبعنا
اليوم في البيداء طنيب من اللحم والخمر وترك أرضنا غارقة منه
كالماء والليلة تزف عليه جارية أحسن من بدر السما فقال
عروة وقد طلب بالاطالة تحقيق ما هو فيه من سوء الحال يا مولد

العرب ومن هي العروس ومن أبوها ومن بعلها فقال العبد أما بعلها فهو الفارس الكرار ومشبع الاطيار صاحب الغارات المتواترة والاحاديث السائرة صاحب الحسب والنسب بلا كذب الامير عمرو بن معدى كرب وأما العروس فهي لميس بنت همام التي لا يوجد مثلها في المنام والليلة ترى بعينها ما يسرها من الاسد الضرغام وتحمل الى القبة الحمرى فاترك عنك السؤال فيما لا يعنيك والمراود ونك والزادان كنت جائع الفؤاد فاملأ منه وعاك ولا تنظر لما هنالك ثم ان العبد طلب الصحرى وبقى عروة لا يسمع ولا يرى ولا كأنه في دار الدنيا وما كان له غير الرجوع الى أصحابه وقد زاد في مصابه فسار على أثره وجد في السير فوصل الى أصحابه في الليل وأخبرهما أبصر وتلهف وتحسر وقال يا بنى الاعمام أنتم تعلمون انى عشت هذا العمر وما رأيت من بنات العرب غير القليل وقط ما مال قلبي الى بنت عذراء ولا تركت للعشق على سبيل الا في هذه الحرة ذات الخد الاسيل وأريد منكم النصيحة اذا حضر عمرو والمعاونة على هذا الامر لانى سمعت به مرارا وقيل عنه انه فارس كرار ولا بد لى ما أصادمه بصدرى وأبذل معه جهدى وصبرى ولا أفارقه الا أن أقتل أو أقتله وابلغ الامل فقال رجاله يا أبا الابيض ما فينا من يتخلى عنك حتى تذهب نفسه ويدخل في رمسه فطب نفسا وقر عينا ولا يضيق صدرك فاننا لا نحتاج الى وصية فاكمنوا لعمرو في الوادى وأقاموا في الانتظار له بعد ما ترك بعضهم على رأس الوادى يكشف له الاخبار (قال الراوى) وزفت لميس على عمرو بن معدى كرب في تلك الليلة فجلت عن فؤاده الهموم والكرب ولا أبصر مثلها في بنات العرب وكذلك هي أبصرت رجلا قد كمل بسائر الاوصاف

ذى حسب ونسب ومال وأصحاب وقد تألفت بينهما المحبة وطابت
لهما الصحبة وان عمرا ما أقام فى بنى غطفان بعد أخذ لميس غير يومين
و فى اليوم الثالث استأذن أبا الجارية فى المسير وشكى اليه من شدة
غيبته وأنها قد طالت فأذن له فى العودة وأراد أن يسير معه بعض
المال الذى أتى به فأقسم عمرو لا يرجع معه شىء الا هودج زفافه
برسم زوجته وجواده وعدته ثم تجهز وسار من يومه وتبع لميس من
بنات عمها وأبيها جملة من البنات وسرن معها الى الليل و بقنا عندها
الى وقت السحر فودعنها ورجعن الى بيوتهن وسار عمرو طالب
وادى بنى زبيد والخمس فوارس الذين صحبوه من قومه معه فساروا
يجدّ السير ومازال يطارد وحش الفلا حتى قارب نصف النهار
ووصل الى الوادى الذى فيه عروة بن الورد ورجاله وكان فى الوادى
غدير فعوّل عمرو على النزول عليه بالخيل واذا بالخيل قد تبادرت
والرجال من الكمين قد ظهرت وعروة فى مقدمتها ينادى وآفرحاه
بعد ترحاه خابت آمالك بالسر والجهر وقد أتاك من هو أحق منك
بزوجتك يا عمرو ونم طلبه وقد هانت عليه البوائق لانه للجارية محب
وعاشق وتجارت الخيل خلفه مثل البوارق وأبصر عمرا ابتسم عجبا
وزاد فرحا وطربا ومازال ينتظر الفوارس حتى خرج من الكمين
خمسون فارسا فهانت عليه فقال لصحبه وذمة العرب لا يحمل معى
منكم أحد ولا يعاوننى على هؤلاء القوم بل احفظوا أنتم الهودج
وتفرجوا على هؤلاء الانذال كيف أطرحهم على الرمال لان لى مدة
ما خضبت سنانى ولا سقيت من الدما حسامى ثم زعق وحمل بذلك
الزى والقد والهيكل وكان أول من لقيه عروة بن الورد ورجال معه فرآه
خبيرا فى الحرب بالطعن والضرب وأبصر ما فى الرجال خبيرين بالطعن

والنزال وقد أدركوه فعطف عنه وتركه وحمل على تلك الفرسان وصار يبرى الرماح بصمصامته ويكفكفها بمرفقه وخبرته حتى اتسع عليه المجال فقصد الطعن فى صدر الجواد وما مضى عليه ساعة من النهار حتى طرح منهم خمسة عشر فارسا كرار ومددهم على وجه الارض والقفار وطعن فيهم بعقب الرمح طعنات قويات وتركهم مطروحين كالاموات ولما وقعت هيبته فى قلوب الباقين عادالى عروة بن الورد وكان قد قارب الهودج طمعا منه فى العروس فرده الخمس فوارس ومنعوه منها ورجع عمر واليه رجوع الاسد اذا اشتد به الغضب والحرد فقاتله حتى أتعبه وطعنه فى قلبه وشد كتافه ومازال يطعن المحارب بتواتر طعناته حتى أخذ منهم تمام الخمسة وعشرين الى ان أمسى المساوات العشرة الاخر طلب الديار وقد سترها الظلام عن أعين النظار ولما هدت نيران القتال وانقضت الاشغال وشد عمر والرجال وجمع الاموال أمر أصحابه بالنزول وبات على الغدير فرحان مسرورا الا أنه لما أكل الطعام ودجا الظلام قدم عروة بن الورد وكان قد عرف انه عبسى وسمعه وقت حملاته ينادى باسم قومه فقال له ويلك من تكون من بنى عبس وكيف قد سمعت بخبرى ووقفت لى فى الطريق فحكى له عروة القصة على جليتها وذكر انه طلب لبيس قبله وانها كانت سميت عليه من أيام الصبا ولكن ما هام بها حتى رآها وعاد طلبها فرأى الامر قد فات فيها ففعل هذه الفعال فقال عمرو ويلك اذا كنت قد عرضت عليك وما أردتها فلما ملكها مثلى عدت طلبتها ولكن ما كان هذا الطمع الا حتى تقع وتتجرع كاسات الموت جرع على انى أعجب كيف لم يأت معك عنتر بن شداد وأعانك على هذه النوائب الشداد لانى قد

سمعت انه كثير الفضول وجسور على كل أمر مهول وانّ لى عليه ثاراً قديماً لانه قتل مالك بن محارب وسبى زوجته الجيدا وأسر أبى فى نوبة جبال الردم ووادى الرمل وهذا الامر قبل زواجه بعبله وما أشغلنى عنه الا الغارات والسفرات والآن فقد وقعت فى يدى ولا بد لى ما أسيرالى قومى وأسلمك الى أهل خالد ولكن ما أخليهم يقتلوك حتى يجى عنتر يطلب خلاصك فان ظفرت به بلغت رتبته على المدا ومافيكم من يرجع الى الاهل أبداً وان ظفر بى كنتم أنتم لى فدا فقال عروة هذا الحديث لا بدّ أن يكون واذا لقيته بان لك الفارس الكمى المغبون وما أقول انه كثير الفضول فهذا قول جاهل من لا يعلم ما يقول وما الرجل الا فارس بطل لا تقاومه الفحول لانه أشدّ الابطال باعاً وأخبرهم بالحرب قراعاً وعن قليل تراه فى أثرك فى هذه الديار وتصح عند ملتقاه الاخبار على انه لو كان وقت مسيرى حاضر فى العشيرة كان أتى معى وقضى الاشغال وأظهر الحق من المحال لانه قط ما توجه فى أمر الا ونال فيه غاية المنى والآمال ولا قاتل عساكر الا ونادى ملك الموت فى أقطارها بالفنى والزوال فقال عمرو يا عروة وهذه الفروسية التى تصفها فيه ما قدرت أن تكتسب منها شيأ مع صحبتك له فى هذه المدّه فقال عروة ولولم أكتسب منه فروسية وثباتاً عند الخطر والبؤس ما كنت كنت لك لاخذمنك العروس على اننى ما أنا قطرة من سحابه ولا دمعة من شرابه لانّ الشجاعة سعاده وعطاء من صاحب المشيئة والارادة فتعجب عمرو من صفات عنتر وصار له فى قلبه أثر واشتاق الى لقاه كما تشتاق الارض العطشانة الى وابل المطر وكانت زوجته قد بكت وخافت عند خروج الخيل عليه وخافت من أيدى المنايا أن

تصل

تصل اليه فعاتبها على ذلك وقال لها يا لميس لا تفزعى على من المهالك فأنا ممن يفزع عليه فقالت لميس أنا قد سمعت بفعالك وأخبرت بقتالك وقد ازدادت فيك المحبه وزدت فى قلبى منزلة ورتبه والصواب انك تطلق هؤلاء العبسيين ولا تترك مثل عنتر لك من المبغضين لاننى رأيت أفعاله لما كنا مع بنى عبس محصورين فى الجبال شيأ تعجز عن بعضه صناديد الرجال فقال عمرو ما هذا المقال وحق ذمة العرب لالقينه الاقدامك وأتركه مطروحا فى البيدا وأدعه يساق مثل العبيد والاماء ولولا شوقى الى لقاه كنت أطلقت لاجلك رفقاه ثم أخذ الراحة الى وقت السحر وشد الاسارى على الجمال وسار يطلب الاهل والعيال وما زال يقطع البر والقفار حتى تضاحى النهار وتذكر عمرو بكاء زوجته وخوفها عليه من الاعدا وأعجبه فعاله وبلوغ المنا فشرع ينشد ويقول

أجرت لميس الدمع من أجفانها * وتبدلت من خوفها بأمانها
فزعا علـــــى بأن أصاب وظنها * أنى كمن فى الحى من فرسانها
فقلت دعى كلامك واعلمى * انى أنا الايام فى حدثانها
والخيـــل تعلم والفوارس أننى * عند اللقا أسطو على فرسانها
واذا الغبار علا وثار وأقبلت * أقرانها تدعوا الى أقرانها
لاقيتها وقبضت من فرسانها * أرواحها وعفوت عن أبدانها
فى كل أرض لى حديث شائع * تتعاون الابطال يوم طعانها
واذا حضرة الاسد فى غاباتها * أقطعتها فى الليل عن أوطانها
وبنت لى فوق الـــثريا غاية * شمس الضحى والبدر من أركانها
فتحمـــــلا يا صاحبى رسالة * وعلى بنى عبس فقا بيانها
قولا لعبــــــد بنى عبس أننى * بدلت عز رجالها بهوانها

وأسرت عروة وهو ليث فارس ✽ حامى العشيرة من صروف زمانها
فاعلـــه يأتى الى يزورنى ✽ وتجره الاقدار فى أرسانها
وترى لميس بعينها من هو بعلها ✽ طعنا يبدل خوفها بأمانها

(قال الراوى) وجد عمرو فى السير تمام خمسة أيام وفى اليوم السادس أشرف على أرض يقال لها القتال وكانت أرضا موحشة الاكام منقطعة عن العمران بعيدة عن السكان كثيرة الادغال والادحال فما هو الا أن توسطها وصار بين أجماتها حتى رأى فرسه قد وقف ونخر وشخر ونشر ناصيته وتأخر وضرب بحوافره الارض والحجر واجتمع حتى بقى مثل الحجر لا ينفع راكبه ولا يحمى صاحبه فقنعه عمرو بالسوط وزعق فيه فدخل بين الادحال والشجر وسلك مسالك الخوف والخطر ومد عمرو عينيه فنظر واذا بأسد قد ظهر طويل الشعر أغبر كبير الرأس غائر الحجر واسع المنخر طويل الاظافر يطير من عينيه الشرر وتهتز منه الاقطار اذا هم الا انه لما نظر عمرا كشر عن أنياب مثل الخنجر ومخالب مهولة المنظر فهاله ما أبصر وعلم انه لم ينال منه ما يريد ولا يظفر من ضيق المكان وقلق الحصان فأعطى الاسد ظهره وعاد الى الصحراء وحدث أصحابه بهول ما رأى وترجل عن الجواد وسلمه اليهم وقال ظهر الارض أثبت لى من ظهر الفرس وهز صارمه وعاد يطلب الاسد وقلبه قد امتلأ بالغيظ والحرد وخاف من زوجته أن تنظر اليه بعين النقصان لاجل الاسد فعاد اليه وقد ظن انه فر منه ولما علمت بحاله أرادت أن تمازحه فدنت اليه وقاربته وأشارت تقول قد كنت أحسب ان عمرا اذا رأى ليث العرين يقوده كحمار مهين حتى رأيت الليث ثم رأيته لما رآه فر منه (قال الراوى) فلما سمع عمرو كلامها زاد

جفونه وانقلبت عيونه فقال يالميس لمثلي يقال هذا المقال ويفزع من سباع الدحال فتى وابصرى العجب ثم هجم على الاسد وكان قد طلبه وضرب بذنبه جوانبه ففزع عمرو وقد أخذه الغضب وتقدم اليه وشمر عن ساعده وساوى الاسد فى وثبته وضربه بصارمه فحكم بين عينيه فتم يقطع الى أن خرج من بين فخذيه ومسح سيفه فى جلد الاسد وقد تعجبوا من فعاله وقوة جلاده وقد انذهل عروة من فعاله وشدة تجبره وقال ما رأيت مثل هذه الضربة الا لعنتر بن شداد

(قال الراوى) وسار عمرو وقد سكن غيظه وهو يعاتب لميس على مقالها وظنها فيه ويقول لها يا ابنة همام لمثلك يحتكر بى عند تأخرى من الاسد وهو أهون الاشياء على فقالت له يا عمرو يا سيد الفرسان أنا كنت أمزح معك لاجل ما فعلت من الفعال التى تعجز عنها صناديد الرجال وانى أحصنك بهذه الكلمات التى سمعت بها الخواطر ما ضربته هذه الضربة التى حيرت النواظر فلما سمع عمرو كلامها خف عنه غرامه وانجلت أحزانه وصار بعد ذلك ينشد ويقول

أكبشة لو شهدت ببطن غاب * وقد لاقى الهزبر أخاك عمرا
اذا رأيت ليثـــا رام ليثا * وليثك لا يخشى هزبرا
تظن لميس ان الليث مثلى * وأقوى همة وأشد صبرا
وانى خفته ورجعت عنه * مخافة أن يمد الى ظفرا
وقد خابت ظنون لميس فيه * وأمسى البر خالى منه قفرا
فتأخر عنه مهرى اذ رآه * فقلت له فلا وقيت مهرا
أنا قدمى بظهر الارض انى * رأيت الارض أثبت منك ظهرا
وقلت له وقد أبدى اتصالا * محذورة ووجهه مستشرا

يدل بمخلب وبحد ناب * وباللحظات تحسبهن جمرا
قوافيته بماض الحد ابقى * لمصرعه قراع الحرب قطرا
وقلبى مثل قلبك ليس يخشى * ولولا فى المنايا وهى تترا
وقصدك تأتى الاشبال قوتا * وقصدى اليوم أن أمال فخرا
فكيف تريد منى أن أولى * وأبتر فى يدى للنفس قهرا
نصحتك نصح ذى شفق فماذر * فمالى لا تمكن بالليث غرا
فلما ظن ان كلامى هزلا * وما للغنى كأنى قلت هجرا
دززت له الحسام فقات انى * صدعت به مع الظلماء فجرا
وكانت ضربتى من غير رعب * فقدت جلده بطنا وظهرا
فخر مضرعا بدم كأنى * هدمت به بناءا مستمرا
وقلت له يعز على انى * قتلت مناسبى جلدا وصبرا
ولكن رمت شيأ لم يرمه * سواك فلم أطق بالليث صبرا
تريد بأن تعلمنى فرارا * فقلت له لقد حاولت نكرا

(قال الراوى) ومازال على مثل ذلك يقطع القفار ويشتغل بالصيد ويمدح لميس بالاشعار حتى وصل أرض ذات المضارب فرأى بالقرب منها أوفى من الف ناقه وألف جمل تسير سيرمنزعج بلا مهل وفى عراضها أوفى من خمسين فارس أحرار وعبيد وكلهم مدرعون بالحديد مسربلون بالزرد النضيد وبين أيديهم فارس أسود كأنه شيطان مريد الا انه خالى من اللباس والزرد ومكشوف الرأس عليه ثوب خام مشرف القوم أدهم كأنه لون الظلام مسفر اللثام وعيناه مثل المشاعل وللفروسيه عليه دلائل وشواهد والخيل الذى خلفه أخف من الطيور وعليها فرسان مثل الصقور فلما نظر عمرو ذلك أراد بعض بنى عمه أن يركض ويكشف الاخبار وما هؤلاء الاقوام

13

ومن جابهم الى هذه البريه ومن أى الناس هم واذا بالفارس المقدم ذكره قد ميل اليه وقاربه وناداه من أنت من فرسان العرب اذكر حالك والحسب والنسب لعل أن يكون لك به الى السلامة سبب فقال عمرو بن معدى كرب الزبيدى وقد تبسم بالعجب ويلك يا عبد السوء ارجع الى وراءك واطلب بقاك قبل هلاكك وبلاك لانى ماخليت التعرض بكم الا رحمة لكم وان كان قد غرك الطمع فى معرفتى فأنا أخبرك عن اسمى وحسبى أنا عمرو بن معدى كرب الزبيدى المكنى بأبى ثور البعيد الغور يا سادة يا كرام (قال الراوى) فلما سمع الفارس المقدم ذكره كلام عمرو هز قناته ونبه جواده وقال أهلا وسهلا يا ابن معدى كرب وحق ذمة العرب اليوم يضيق عليك البر وتتعلم الابطال منك الفر والكر لان هذه الغنيمة التى معى من قومك سقتها بعد ما جرحت أخوك عبد الله وقتلت جماعة من الفرسان من بنى زبيد وفرقتهم فى البيدا وعدت كأنى أطلب تمام غنيمة من هذه الارض فاتفقت أنت لى حتى تكون المطالبة واحدة والسفرة محمودة العاقبة (قال الراوى) وكان هذا الفارس يقال له سليك بن سلكه وكانت العرب تسميه غول البر وتعده من جبابرة الفرسان وتحترز على أنفسها فى كل مكان لانه ما كان يبق على أحد لا عدو ولا صديق ولا يقر فى أرض يوما ولا يعرف له وطن وكان يقاتل فارسا وراجلا ويقطع خلفه الخيل الصواهل وكانت صورته منكره (قال الراوى) وهو الفارس الذى كان عمرو بن معدى كرب رضى الله عنه يصفه لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فرسان الاسلام اذا رأت قتاله هالتهم أنعاله ويسألونه عن فرسان الجاهلية فيصف لهم ما رأى من شجاعتهم وجسارتهم

ويقول ما أشرفت على غدير قط ورأيت عليه سواداً وخفت الا من عبد بن وحرين فأما العبدان فعنتر بن شداد وسليك بن سلكه وأما الحران فعامر بن الطفيل وزيد الخيل (قال الراوى) ولما التقى سليك بن سلكه عمرو بن معدى كرب فى ذلك اليوم ومعه لميس بنت همام وما كان اجتمع به قط الا فى تلك المرة الا انه لما رأى صورته وسمع مقالته تغيرت حالته لانه من حين نشا ما نابته نائبة ولا لقى فارساً الا وأذله وقهره وكان قد رآه خالياً من السلاح مكشوف الرأس فقال له ويلك ياسليك لقد عرضت نفسك للهلاك وقد مشيت برجلك الى أرض مالك فيها افتكاك ارجع الى قومك والبس من الحديد ما يرد عنك طرق المهالك ويدفع عنك سنان الرمح المتدارك حتى لا يبقى لك عذراً اذا أيست من الفرج ولا يقال عنى ابن معدى كرب استعجل على فارس بالحرب والمراس قبل أن يحترز بالعدة والالباس فقال سليك ويلك يا عمرو أنا لا أخاف ولا أحتاج الى زرد ولا أخاف من السنان والحسام المهند وحق البيت الحرام لا لاقينك بهذا الثوب الخام ولا تركن الفرسان تتحدث بفعالى عاماً بعد عام ولا بد ما أعانق الليلة صاحبة الهودج وأنام (قال الراوى) وما كان من فرسان العرب أكثر محبة للنسوان من هذا الفارس الغضبان ومحبته هى التى جسرته على النوائب وهونت عليه البلاء والمصائب لان أصحاب النسب والسادات ما كان يرون على أرواحهم أن يزوجوه بالبنات العربيات وكان من عزة نفسه ما يرضى أن يتزوج بالاماء فانتهى الامر به الى الهيمان فى الفلوات واقتناص المخدرات لانه ما ظفر ببنت الا وهتكها ولا عربية الا سباها والماجرى بينه وبين عمرو الكلام انطبق بعضهما على بعض

انطباق الغمام واخذا فى الطعان والصدام والفرار والاقدام
واختلف الطعن بينهما وبان حتى تزلزلت الارض من تحتهما وبان
وغشيهم القتام ساعة من النهار واختبرا بعضهما بعض غاية
الاختبار وماجرى لاحد من فرسان العرب ماجرى لهذين
الفارسين من البراز والصدام لانهما كانا مثل الجبلين اذا اصطدما
بالابدان أو شبه الاسدين اذا جالا فى الميدان (قال الراوى) ولما
طال بينهما الامر صعب على سليك أخذ عمرو فسل من تحت فخذه
حربه أحد من البلا وأمضى من القضا وأخرج رجله من الركاب
وصار على وجه الارض ونادى يا عمرو احترز على نفسك من هذه
الحربه لانى كنت على ظهر الجواد بحكمك والآن صرت بحكم روحى
ثم أطلق قدميه من الشكال فكان تارة يأتيه عن يمينه وتارة يأتيه
عن الشمال وعمرو يرى قتاله فهالته أعماله وكانت لميس تصيح
فيه وتعيبه وهو مشتغل بما هو فيه فلما طال بينهما الامر آيست
لميس من عمرو وقالت لبنى عمه يا ويلكم لم لا تعينوا ابن عمكم إقبل
ما ترون ما يغمكم فقالوا يا حرة العرب نخاف اذا حملنا لمعونته تنطلق
علينا هذه الحسون فارس الذين معهم هذا الشيطان ويكون هذا
الهلاك الاكبر فقالت لميس اذا كان الامر كما ذكرتم وقد خفتم
فما بقى لى أمان آخذ لى بنى عمى فى الوثاق تحكم فيهم الاعداء ثم
انها خرجت من الهودج وألقت نفسها الى الارض وسعت الى عروة
وحلته من الشداد وأمرت عبيدها بحل الباقين وقالت لعروة اعلم
يا ابن العم ان أحوالنا قد اشتهرت والاعداء علينا قد ظهرت
والصواب أن تنجوا بأنفسكم قبل أن يعم شرنا عليكم على ان عمرو
ما كان لكم فى نية ردية وما حملكم معه الا لما وصفت عنتر قدامه

وهو قد قال لى لما سألته فى خلاصكم بالميس لا تضيق صدرك لاجل قومك فما يكونوا عندى الا مكرمين الى أن يأتى عنتر ويطلب خلاصهم وأجرب روحى معه فان ظفرت به بلغت من الفروسية المكان الرفيع وأطلقه وأطلقهم معه وان ظفر بى فديت روحى برفقاه واتخذته لى صديقا باقى عمرى والآن قد نزلت المقادير بخلاف التدبير وابتلاهذا وجه الغول الذى قد حير بفعاله العقول وما أظن انه بقى لهم اليه وصول ولابد أن يمسى أحدهم مقتولا فاذهبوا الى دياركم مادام عنكم مشغول وان قدرتم توصلون خبرى الى أبى إذا فعلوا يتسبب فى خلاصى ثم بكت وبكى عروة وقال ما بقينا نتخلى عنك بعد هذا المقال ولابد ما نبذل المجهود بين يديك فى القتال (قال الراوى) وقد ذكرنا ما كان فى قلب عروة أنى لها من المحبة فخطر فى قلبه أن عمروا يقتل ويتخلص له ويتزوجها ويعود الى أهله سالما وعملت معه نخوة العرب وكان قد بقى معه خمسة وعشرون فارسا لانه أتى فى خمسين فارسا فقتل منهم خمسة عشر وانهزم الذى انهزم وبقى هؤلاء الذين قد ذكرناهم الا أنهم ماتوا على خيولهم وهموا بالحملة واذا بصيحة عظيمة ترعب القلوب فمدوا أعينهم الى نحوها واذا بسليك بن سلكة قد أتعب عمرو اوضربه بالحربة التى كانت فى يده فخرجت الدرقة وكانت ثلاثة أطباق وعبرت الى الزردية ونفذت الى كتفه فهزته وعن ظهر الجواد أرمته وانهض عليه سليك وشده كتاف فقال عروة هذا وقت الاجتهاد فى حماية الحريم وأبذل النفس فى قتال الغريم ثم صاح فى رجاله وحمل ومدوا الى الاعداء أطراف الاسل وحملت الفرسان الذين كانت مع سليك بن سلكة والحروب بين الاثنين مشتبكة وكان

المساء قد اقترب وفرق بينهم فى ظلمة الغيهب ولولا تعب عمر واقتل بنى عبس وأفناهم ألا انه عاد وهو فرحان ثم قال لاصحابه اعلموا أن هذا الفارس الذى أسرته هو سيد بنى زبيد وما بقيت أطلقه الا بما أريد ولولا هذه الجارية قد استجارت بهؤلاء الصبيين وأطلقتهم وبكت بين أيديهم حتى قاتلوا عنها وما قصروا ولولا الظلام كنا قد محقناهم وكانت العروس الليلة باتت ضجيعتى ولكن تفرقوا الى أهلهم الى الصباح حتى لا يأخذونها ويهربون لانى تعبان والا كنت هجمت عليهم فى الظلام لان الفارس الذى أسرته لا تلد مثله النساء ولولا أنه يكون أوحد زمانه ما كان قعد أمامى الى المساء فتفرقوا ورفقاه حول عروة ومن معه من الرجال ونزل بهم على تل عال وبات على جمر المقالى من وجوه عدها أولها أنه قد اجتمع بلميس فى مكان غير أمان وما حظى منها بغير النظر والهيمان والثانى أنه خائف من سليك ومن شجاعته فقال لاصحابه يا بنى عمى ما كان أحوجنا عند الصباح نبصر عنتر لانه كان يكشف عنا هذه الغمة وا أسفاه عليه قبل ذهاب الليل واحسرتاه تركب الرجال بعده صوال الخيل يا بنى عمى تهنوه بنيات صحاح وابعثوا أنفاسكم اليه مع هبوب الرياح ثم زاد به الغرام فأنشد يقول

لو كانت الريح حقا تحمل الخبرا ✻ حملت ريح الصبا أخبارنا سحرا
الى الهمام الذى ما سل صارمه ✻ الا وسال دما من حده وجرا
ليث ملاقى رجال الحرب مقتدرا ✻ وطعنه فى حشاها يسبق القدرا
كأنما أنفس الابطال فى يده ✻ فأيهم شا فى يوم اللقا أسرا
يا حامية عبس بادرنا فان لنا ✻ ليلا تقضيه من خوف العدا سهرا
وقد رجوناك عند الصبح تدركنا ✻ ومن دماهم تروى الصارم الذكرا

فقد ظفرت بمن قد كنت همت بها * ولا قضيت لها وصلا ولا قطرا
ولا صفى الدهر حتى لا أفوز بها * ولا لدعادت به فوا اذا كدرا
يا برق فى العلم السعدى لنا رجل * أقضى تمنيه أن يسمع لنا خبرا
فامدد اليه بنان منك وارشده * الى الحما فهو يقفوا خلفنا الاثرا
(قال الراوى) وما فرغ عروة من مقاله حتى توجعت له رجاله ونام كل واحد منهم قدام جواده يحرس نفسه وحسامه فى يده مشهور وباتت وايس بين أترابها تذكر ما جرى لها وعلى جمالها تتحسر لانها عند الصباح ما تدرى ماذا تلقى ولما قارب الصباح قام سليك بن سلكة ولبس عدة الحرب والكفاح ونادى فى رجاله وصاح وكان خف تعبه واستراح فقال لاصحابه دوروا بهؤلاء القوم حتى نعجز أمرهم فى هذا اليوم ونفذوا فى اشغالنا مخافة أن يتفق لنا فى البرمن يعوقنا عن بلوغ آمالنا فهو فى الكلام وواحد من فرسانه أتى اليه وكان من الفرقة التى مسكت على بنى عبس الطريق الذى كان عمرو بن معدى كرب أتى منها فقال لسليك قد رأينا الساعة وقد بتنا على ظهور الخيل وكان العبد واقفا ينتظر الينا وأذيال الدجا تستره لانا لما رأيناه صحنا فيه وطلبناه فعاد على أثره مثل النمر اذا انذعر أو ذكر النعام اذا انفرد وغاب عنا فى البر الاقفر فطلبناه فما رأينا له أثر ولا ندرى أى طريق سلك ولا فى أى الجهات انحصر وانفرك فقال سليك وأى شىء فى هذا مما يعتاب لان الطرقات ما تخلوا من ضعن سائر وقفل عاثر ولا شك ان بعض الاضعان قد رأى سوادا فانكر أمرنا وأنفذ الينا من يكشف خبرنا وان كان الامر على ذلك فهو أمره هالك وخبر متدارك ثم أنهم كفروا حول عروة الصياح وأشهروا فى وجوههم الصفاح ومدو

16

اليهم قطع الرماح وأدنوا بعضهم من بعض يطلبون استلاب الارواح واذا بثلاث فوارس قد أقبلت مثل سهام المنايا اذا أرسلت ويقدمهم رجل أخف من الظبا وأسرع من ريح الصبا وهو يصيح يا بني العم قروا وابشروا بالنصر وبشروا اعداءكم بالقتل والاسر فهذا حاميتكم عنتر قد وصل اليكم تابعا لآثاركم من خوفه عليكم (قال الراوي) وكانت هذه الفوارس قبل عنتر وأبوه شداد ومقري الوحش والرجل شيبوب لاننا قد ذكرنا أن عروة بن الورد لما سار من بني عبس الى بني غطفان في طلب عمرو بن معدي كرب ما كان عنتر حاضرا في العشيرة بل كان قد سار في طلب شيء من الحمر ولما اقضى حاجته وعاد الى الديار وطلب لعروة فلم يجد له خبرا فسأل عنه فاعلموه أعمامه أن قد أتى اليه من عند اخته سلمى عبد وتحدث معه بشيء ما أطلعنا عليه بل رأيناه قد أخذ من رجاله خمسين فارسا وسار الى بني غطفان وسألناه عن مسيره فقال أنا سائر الى زيارة أختي وان أتى عنتر وسأل عني أخبروه بهذا فلما سمع عنتر بهذا الخبر علم أنه قد قد سار يلتقي عمرو بن معدي كرب لان عنده من حديثه خبرا فخاف على عروة ورجاله من عمرو وقال لمقري الوحش أنا أعلم يا فارس النياق ان عروة يخسر مع هذا الجبار الذي قد تواترت بشجاعته الاخبار وان لم ندركه والا هلكه ثم بات تلك الليلة عند عبلة حتى استراح وأخذ أباه شدادا ومقري الوحش عند الصباح وجعل قصده أرض بني غطفان لانه قال من هناك نأخذ الاخبار ونقتفي الآثار وما زالوا سائرين الى ان أشرف على ديار القوم عرج أخوه شيبوب الى المراعي وسأل عن لميس فأخبروه العبيد بخبر العرس والزفاف فاعلموه أن عمرو اسار من عندهم من منذ أيام

قلائل يطلب ديار بني زبيد فلما سمع شيبوب ذلك عاد الى أخيه
وأخبره بما سمع فقال الان اتضح البرهان وانكشف وبان وعلم
أن عروة كمن لعمرو وعند عودته وان صدق حذري فانه يقتله
أو يأسره فاسلك بنا يا شيبوب الاثار في وسط البر والقفار واطلب
بنا وادي ذيال وجبال طويلع منازل بني زبيد ففعل شيبوب ما أمره
وسار على الاثر في ذلك البر الاقفر ومازال كذلك حتى وصل الى بني
زبيد الذي كان عروة قد كمن فيه لعمرو ومن هناك عرف ان عروة
في الاسر والاعتقال لانه أبصر في تلك الارض آثار المقمقة والقتال
ورأى جماعة من بني عبس قتلوا وهم ممدودين على الرمال والذباب
من حولهم تعوي والطيور تحوم وتهوي فقال واحرماه هذا عروة
ابن الورد ورجاله وقاد عشقه الى حتفه ووباله وأنا أقسم بحق من
احتجب عن الابصار وأوسع القفار لا آخذن له بالثار ولا تبعته
ولو غاص في البحار وتعلق بالفلك الدوار فقال مقري الوحش يا أبا
الفوارس لا تهتم لهذا الامر ولا يضيق صدرك لبعد عمرو والرجل
ما هو ببعيد عنا وما هو الا قريب منا الان هؤلاء القتلا تدل على ذلك
ثم جدوا في المسير وقطعوا المفاوز والمراحل وشيبوب بين أيديهم
يدلهم على الغدران والمناهل ويقتفي أقرب الطرقات والمنازل حتى
أدركوا القوم كما ذكرنا وكان أشرافهم عليه وقت الغلس
أول ما طلع النهار وبان الصباح وتنفس وأبصر شيبوب سوادهم
وهم في المقدمة ووقف ومازال حتى عرف أحوالهم وسمع أصواتهم
ومقالهم وعاد الى أخيه عنتر وأعلمه بالخبر وبما سمع وأبصر وجرى من
القصة ما جرى وعرف عروة عنتر ومن معه عند حقيقة النظر
فذهب عنه الهم واندفع وصاح هو ورجاله ثم مالوا الى أصحابهم

بالافراح ونادى بعضهم الى بعض ما أبركه من صباح وتلقوا جماعتهم
وحدث عروة لعنتر بما جرى عليه من عمرو بن معدى كرب وما جرى
لعمرو مع سليك بن سلكة وأخبره بالقصة على جليتها فقال
عنتر ابشر بهلاك أعداك وأنا قد خطرت بقلبى هذه الاسباب
ولقد حمدت رب السما الذى قد لقيتك سالما من الاعداء فتأهبوا
للقتال وتقدموا لطلب الطعن والنزال وكان لما رآهم سليك
وجماعته وقفوا ينظرون اليهم والغبار قد انقشع فصاح سليك
ويلكم يا بنى الاعمام ما وصل الى أعداكم غير هذه الثلاث فوارس
وهى زيادة فى غنائمكم فدونكم وهؤلاء الانذال وأبصروا اليوم
القتال فعند ذلك حملوا مثل السلاهب من كل ناحية وجانب
وكانوا فرسانا وقاح قد تعودوا نهب الارواح وهانت بلوغ
الآمال فقاتلوا أشد قتال وثبتوا ثبات الرجال الا انهم ما طال
بينهم المطال ألا وقد طوى عنتر أكثرهم على الرمال وأبصر
سليك طعنات عنتر لا تبقى ولا تذر ونظر اليه وهو كيف ما حمل قتل
وأين ما زعق أرعب وأين ما ضرب أعطب فوقعت فى قلوبهم
هيبته وعرفوا مقدار شجاعته وأبصر سليك أيضا قتاله فعلم أنه يفنى
أبطاله فطلبه وانحط عليه انحطاط العقاب وتلقاه عنتر البطل
الوثاب ووقع بينهم الضرب خطأ وصواب فتطاعنا بالعوارق
والقنا حتى تقارب الموت منهم ودنا وأيقنت الارواح بالفنا وتقلدا
بالامانى لعلهما أن يبلغا المنى وتقصفت عوالى الرماح وتثلمت
البيض الصفاح واشتعلت نيران الكفاح وضاقت الصدور
وبهتت المقل الصحاح وتقضى أكثر النهار وعلا الغبار وسطى
مقرى الوحش على باقى العرب ونثر أكثرهم بالسيف اليمانى

السنان وكذلك فعل شداد بالابطال الشداد وأما عروة بن الورد فانه اشفى فؤاده وبلغ من الاعداء مراده وعلم سليك أنه خاسر من كل الجهات وأبصر من عنتر ما لا يعهده قبل هذه الاوقات واسودت في عينيه أقطار الفلوات وخاف من نزول الآفات ومن شدة ما جرى عليه أخرج من تحت فخذه المزاريق ووثب على وجه الارض قائما على قدميه وأراد أن يفعل بعنتر كما فعل بعمر وعادت عيناه من شدة الغيظ مثل لظى الجمر فسعى وجال وطلب خصمه واليه مال ورآه عنتر وقد عمل هذه الاعمال فخاف عنتر على جواده الابجر من شره وغدره فترجل الى الارض والمهاد وجال خصمه أشد جلاد هذا وشيبوب دائر من حواليه ويرد سليك بن سلكة ويرماه من غدر أعداه هذا ولم يزالوا في عراك وشباك واقبال وادبار الى ان عول النهار على الارتحال ولم ينفصل عن بعضهم البعض وقد ردوا بأرجلهم رمال الارض وقد ضاق على سليك بن سلكة الحال وأيقن بخيبة الآمال فاستقبل عنتر في الحال وكان في يده حربة ماضية الآجال وتقصر الاعمار الطوال وزجها اليه وقد ظن أنها تقضي عليه وقال له خذها يا ابن الانذال من يد سليك فأرسل الابطال فاستيقظ عنتر عند ذلك وصبر عليه الى ان وصلت اليه فخطفها من الهوى بشدة حيله والقوى وجد وراءه في وسيع الفلا فلما نظر سليك الى فعل عنتر اندهل وتحير فما كان منه الا انه ولى من أمامه هاربا والى النجاة طالبا وقد خاف على نفسه من المعاطب فعند ذلك زعق عنتر على الرجال ونبه في الحال الابطال وقال هيا اتبعوا هذا ولد الانذال الذي خاف من حلول الآجال فعندها زعقت الفرسان وجدت وراءه الشجعان وطلبته الخيل من اليمين والشمال وقد هرب

أيضا عرب سليك فى وسيع الرمال وقد تبعوهم فرسان عنتر الفارس الرئبال وقد أرخى الليل عليهم سربال هذا وسليك يهمز همزات الغزال لما نظر تتابع الرجال وهو يجرى مثل السهم اذا مرق أو الماء اذا اندفق وقد طلب النجاة من موت الفجأة فهو كذلك واذا بشداد ابى عنتر اعترضه وصار له مقاربا لانه كان يتبع المنهزمين فى وسيع السباسب الى ان غابوا عنه وقد أظلمت الغياهب فعاد عنهم وقد لقى سليك كما قدمنا فحمل عليه وأراد أن يوثر أذية اليه وقد استقبل بطعنه من ورائه وأراد أن يعجل بها فناه فنظره سليك وهو اليه قاصد فتجنبه وزج اليه حربة كانت فى يده وحررها عليه فخرجت من يده كأنها نار محرقة أو صاعقة مبرقة فوقعت فى جسده جرحته وعلى وجه الارض طرحته وفرهاربا والى النجاة طالبا وتم على حاله هذا والخيل جدوا من وراه وشيبوب يجرى فى وسيع الفلاة الى ان غاب عنهم فى الاقطار وقد ابتلعته لهوات القفار حتى دجا الليل وأظلم الظلام وضاع منهم فى البرارى والآكام وانقطعت وراءه الخيول الجياد وعادت الفرسان خائبة من بلوغ المراد وما بقى على أثره الا شيبوب ولكن ما جسر ان يقف خلفه فى البر فى الليل فعاد عنه فجمعوا الخيول والاسلاب والنوق التى كانت مع سليك وكان قد ساقها من بنى زبيد وما فيهم الا من رجع يتعجب من فعال هذا الشيطان المريد وكان شداد قد وقع عن جواده من شدة الضربة التى ضرب بها ونزل عنتر اليه وشد جراحه وعض كفيه كيف نجا سليك سالما من بين يديه فقال عروة بن الورد يا أبا الفوارس ما يحق لاحد أن يفتخر ما دامت النساء تحمل وتضع لانى كنت أبصرت من عمرو بن معدى كرب

ما أذهلني وتصور في قلبي ان ما في شجعان العرب ما يقوم مقامه وان الجن تعجز عن فعاله فقال عنتر صدقت ولو ألحقكم فنا كم على انى ما علمت ما تريد أن يفعل لما ترحل والا كنت سقيته شراب الاجل ولكن الرجل اذا كان له في الدنيا عمر وحياة تتسبب له أسباب الحياة والآن هذا الامر قد فات وقد مضت تلك الاوقات فاقتل عمرو أو خذ محبوبتك حتى نأخذ الراحة ونعود عند الصباح الى بني غطفان ونقول لابيها نحن أحق بابنة عمنا ولو علمنا من الاول انك قد زوجتها لعمرو بن معدى كرب ما كنا تركناه يتم هذا الامر وبعد ذلك تصل أنت الى رضاك وتبلغ مناك فقال عروة يا أبا الفوارس ان هذا الرأى أكبر مرادى ولكن قصتي مشكلة وأنا خائف من سوء العاقبة فقال عنتر وكيف ذلك فقال لان الجارية قد تعلق قلبها بمحبة زوجها عمرو بن معدى كرب وقد صار له محبة عظيمة ومنزلة عالية لانى رأيت من وقت ما جرح وأسر ما نشفت لها دمعة ولا بردت لها لوعة والله قد كمل الجمال والملاحة والفراسة ونحن والله اذا قتلناه وعدنا الى أبيها وطلبناها منه واستأذنها أبوها في ذلك تقول أنا ما أريد بعد عمرو بعلا ويكون قد أهلكنا مثل هذا البطل الجلاحل وما حظينا بطائل والصواب اننا نطلقه ونمن عليه ونتخذه لنا صديقا واصرف نفسي عن هذا الامر ولا أحمل ما لا أطيق لان الانسان اذا طلب ما لا يميل اليه تعب واذا أحب ما لا يحبه ذل فلما سمع عنتر كلام عروة تعجب من انصافه وقال يا أبا الابيض لو كان قلبي مثل قلبك ما كنت قاسيت في هوى عبلة تلك المقاساة ولا لقيت ذلك الملتقا فقال عروة بن الوردان كانت عبلة تريدك مثل ما تريدها وكانت مخلوقة لك ومن رزقك والا ما كنت

وصلت

وصلت اليها ولا قدرت عليها فقال صدقت وكل شيء لا يقدر لا يكون ثم أنفذ أخاه شيبوب فأتاه بعمرو وحل شده وفك قيده ولما حضر خدم وحيا تحية العرب فترحب به عنتر وأمره أن يجلس وقال له اعلم يا عمرو ان هذه الجارية التي تزوجت بها ابنة عمنا وما عارضك صاحبي عروة الا غيرة عليها لانه ظن أنك لست كفؤا لها فأراد أن يردها الى أهلها ويتزوجها أو يزوجها لمن يصلح لها وقد جرى له معك ما جرى وأبصر حسن دفاعك وشدة قراعك وظفرت أنت به كما تظفر الفرسان والآن قد خلص من أسره وملك أمره وعفى عنك ويطلبك له اخا وقد رضيك لابنة عمه بعلا وتكون لها أهلا بعد ما أشار واعليه أصحابه بقتلك وأخذها منك فقال لا فعلت ذلك ابدا ولا عدلت عن طريق الانصاف والهدى وهذا الرجل أحق بها مني لانه أوفى حسن وجمال وأثبت في القتال وقد أحضرناك لنخبرك ان كان فيك موضع للضيعة فعندها قال عمرو وقد نكس رأسه من شدة الحياء والله يا وجه العرب ما أقول الا وضعتم الضيعة في موضعها ووضعتموها عند من لا يضيعها وان كان لي عمر سوف اجازيكم بحسن المجازاة وما أعرف لي ذنبا استوجب عليه القتل غير انني ما تزوجت بهذه الجارية وسمعت ان لكم فيها طالبا ولو علمت بذلك كنت تزوجت بغيرها من البنات الكواعب وأما السيد عروة فهو كمن لي في الطريق وظهر علي يطلب قتالي من غير اعذار ولا انذار ولما انتصرت انا عليه وظفرت به وعرفته أردت أن أطلقه فوصف لي شمائلك وشوقني الى لقائك فخشيته لاجل ذلك لان الصدق أجل الاشياء والآن ظهر ما خفي لانك انت الذي أسرني وفعل بي هذه الفعال ورأيته بين يديك مثل الغزال امام الاسد الرئبال فعلمت

أن الخاطر الذى خطر لى أنا فى لقائك محال وانك أوحد الزمان
فى الشجاعة والسعادة والافعال وقد أسأت أنا عبدك وزوجى
أمتك فافعل فينا ما تشاه ودبر ما تختار وان كان قد جرى منى خطأ
فها أنا واقف على قدم الاعتذار (قال الراوى) فلما سمع عنتر
هذا الكلام أنجه بجمام محسن أدبه فأجلسه الى جانبه وأ كل معه
الطعام وصارته بينهم حرمة وذمام ولما كان عند الصباح أعطاه
جميع ما كانوا ملكوه من الخيل والاسلاب والرجال وأمر الخمس
فوارس الذين كانوا معه من بنى زبيد يسوق النوق والجمال التى
كان قد غنمها اسليك ويردها على أصحابها فشكره عمرو على ذلك
وودع عمرو عنتر وعول على العودة وقال يا أبا الفوارس ما خليك
تعود حتى تأتى الى ديارى وتقيم أنت وأصحابك عندى أياما حتى
نحظى بخدمتكم ومعاشرتكم لنا والقيام فى أرضنا وما ندرى بعد
هذا الوداع والفراق متى يكون الاجتماع والتلاق فقال عنتر
يا عمرو ان هذا الامر مالى اليه سبيل لاننى البارحة قد رأيت مناما
فهول قلبى وقد أصبح منه مشغول ثم عاد على الطريق الذى كان
قد أتى منها ولما تمادى به السير وخلت خواطرهم قال مقرى
الوحش لعنتر يا أبو الفوارس انى سمعتك عند وداعك لعمرو انك
قد أبصرت البارحة مناما مهول وخاطرك قد أصبح منه مشغول
فبحق ذمة العرب بين لنا ذلك أحقا قلت أم مزحة نقلتها حتى لا تسير
مع عمرو الى أرضه فقال عنتر لا والله ما قلت الا حقا ومتى سمعت انى
أقول محالا فقال مقرى الوحش فما الذى رأيت فى المنام بين لنا
أحواله وحملنا بعض أثقاله وكذلك قال عروة بن الورد فعندها قال
عنتر اعلموا يا بنى عمى انى بت البارحة وأنا مسرور القلب بذل فرسان

العرب

العرب بين أيدينا وبطاعتها النافعمدت الرب القديم على كثرة حلفائنا وأصدقائنا لاننا قد صار لنا مثل عامر بن الطفيل وزيد الخيل وملاعب الاسنة ودريد بن الصمة وعمرو بن معدى كرب الزبيدى وما فى هؤلاء الا ويحكم على عشيرة وقبيلة وجماعة غير قليل فلو أردنا أن نلتقي بهم كسرى ملك العجم أو قيصر ملك الروم للقيناه وربحنا عليه وما تحيرنا ولما عرض هذا على قلبي وأنا متفكر فرأيت فى نومى كأن عامر بن الطفيل فى حرب شديد وكان حوله جمع كثير من الابطال والشجعان وهو معهم فى ضرب وطعان وقد انقطع بطان جواده والعنان وهو يقاتل وينادى باسمى يا عنتر أدركنى حتى أودعك وأشبع منك بالنظر قبل أن أشرب كأس الحمام وهذا يدل على أن الرجل مريض مشرف على الموت أو يريد يلتقى جيشا كبيرا وقد نادى باسمى ليودعنى قبل الممات لان المنام يتقدم أو يتأخر وهكذا اسمعت من سادات مكة وما بقى لى من زيارته وكشف حاله وقصته لانه قد نادانى من دون أهله وعشيرته على أن زيارة الاخوان من مكارم الاخلاق والعاقل الذى يبادر صروف الدنيا قبل أن ينادى منادى الفراق (قال الراوى) فلما سمع بنو عمه مقاله تعجبوا من علو همته وعظم نخوته ومروته وجوده وحفظه للوداد فقالوا والله يا ابن العم ان كان الامر على مثل ذلك خذنا معك فانك ما تستغنى عنا ولا نحرم منا مرافقتك فقال عنتر ما هذا صواب لان لنا عوائق وأسباب وامورهم لا توافقنا على ما تريد وهوان احدها أنى بهذا الجرح الذى قد أشرف منه على الهلاك والبوار ولا يمكن انى أبعد به فى الاسفار وركوب الاخطار والوجه الثانى أنى أخاف أن يكون هذا المنام له صحة ونزور هذا الرجل فى هذا الجمع ونكلفه

مالا يطيق ونكون قد فعلنا فعال عدو فى ذى صديق والصواب انكم تقصدون الديار وتقيمون عند الحريم والعيال وأنا ومقرى الوحش وعروة نمضي فى هذا الوجه ونعود اليكم بعد أيام قلائل ثم سار معهم ذلك اليوم لاجل بعد الطريق تلك الليلة وعند الصباح ودعهم وسار يطلب ديار بنى عامر بعد ما أوصى أخاه شيبوب بمداراة أبيه شداد وخدمته وسار هو ومقرى الوحش وعروة يقطعون القفار ويتناشدون الاشعار ويتذاكرون به أحاديث الاهل والاوطان والاحباب والخلان حتى أشرفا على ديار بنى عامر وكان اشرافهم عليهم ضحية النهار ولما قاربوا الديار أبصر واحول الخيام التى للقوم فوجدوا غبارا ثائرا وفوقه الطير حائرا وداثرا وفى أطرافه بريق صوارم تلمع وتحته صياح قد علا وارتفع وامور تدل على قتال وحروب وناهب ومنهوب وغالب ومغلوب فقال المنام الذى رأيته قد صح وبان واتضح البرهان وان صدقنى حذرى فان بنى عامر غياب فى بعض الغزوات والحى خالى من السادات وأقول ان أخى عامر قد تخلف لحماية الحريم فى نفر قليل وقد طلبه هذا الجحفل الثقيل وهو اما أسير واما قتيل أوهو مشرف على الهلاك والصديق على مثل هذا يراد وهاهنا تبين الرجال الاجواد ويعرفون أهل الوداد فقال مقرى الوحش يا أبا الفوارس اذا كان الامر على ما ذكرت انزل على الخيل حتى نريحها قليلا قبل أن نرميها فى هذا الجحفل الثقيل (قال الراوى) وكانت خيولهما موقرة من الصيد فنزلا ورميا ما كان عليها وأرخيا لها الذمام والحزم حتى أخذوا الراحة ورجعا الى ظهورها واستلما الرماح وطلبا الغبار المظلم والصياح ولما خاضا كرب المجال وعرفا حقيقة الحال ونظر عنتر الى عامر بن الطفيل

واقف فى صدور الخيل وخلفه دون العشرين فارسا أكثرها جرحى
قد أشرفوا على العطب وقد عولوا على الهرب وهو يصيح فيهم يابنى الم
بحرمة البيت الحرام قفوا على قليل واحموا ظهرى حتى أفرجكم على
طعنات تعلمتها من أخى عنتر وحملاته فى العساكر وهو ينادى يال
عبس يال عدنان ويحاكى عنتر عند حملاته ويذكر اسم بنى عبس
ويترك بنى عامر ولما نظر عنتر هذه الاحوال وسمع ضجة الرجال
فزادت ناره اشتعال وقال لمقرى الوحش هكذا والله أبصرت
فى المنام فدونك وهؤلاء اللئام ثم زعق وغاص فى ذلك المقام والقتام
والقسطال وصاح وقال ابشر بالنصر على أعداك فانك ناديت لمن
نداك وأجابك ولباك واليوم أبلغك مناك وحمل وحملته زادت
نيران المقامع لمباوولى الجبان هربا وتفرق الجمع سربا وهطل
الدم منسكبا وعرفه عامر بن الطفيل فمال فرحا وطربا وزاد
سرورا وعجبا وصاح أهلا وسهلا ياحامية عبس ومرحبا ثم غير
جواده وجواد قتاله وجلاده وصاح الى بنى عامر ويلكم يابنى عمى
عودوا الى حماية الاولاد والمحارم وابشروا بالغنيمة فقد أتاكم
الغيل الاسود والبطل الاجد والنار التى لاتخمد (قال الراوى)
ياسادة على ان الحساب الذى حسبه عنتر فى بنى عامر صحيح لان
فرسانهم كانت غائبة وقد سار بهم الاخوص بن جعفر الى جبل
فى اليمن يقال له جبل مسافر يطالب سكانه بثار كان له عليهم
وترك عامر بن الطفيل يحمى الديار فى عشرين فارسا الا أنه مابقى
بعد رحيلهم الا أياما قلائل وصحبه هذا الجيش الثقيل مع رجل
يقال له نور بن عقيل وكان شيطانا من شياطين العرب قد ربى على
أكل الحرام ونهب الاموال وكسب الحيام ولما بلغه ان ديار بنى عامر

قد خلت من الحماة والفرسان جمع هذا الجيش الشديد أحرارا وعبيد كلهم أبطال صناديد وقد عرفوا بالقوة والشجاعة وغزوا معه مرارا كثيرة فسار بهم الى هذه الارض لاجل كسب المال وسبى النساء والعيال وهم ألفين وخمسمائة فارس مافيهم الا كل مدرع ولابس فأصبح بنو عامر قبل ارتفاع ستور الظلام وكسبهم فى الخيام ولولا عامر بن الطفيل كان قد قلع منهم الاثار وخلا ديارهم قفار وانما هو الذى حمى فى ذلك اليوم الحريم وفعل افعال الرجال الكرام وبذل نفسه لاطراف القنا حتى لا يقال عنه انه عند أهله وعشيرته وتمكنت منهم الاعداء الان عامر بن الطفيل كان من جبابرة العرب وفرسان الجاهلية فقاتل ذلك اليوم القتال المنكر حتى وصل اليه مقرى الوحش وعنتر وأخرجوا الاعداء الى الصحراء وأبصروا طعانا ما لا تجد له الابطال صبرا وضربا يبتر الاعمار بترا فخاف كل واحد منهم على نفسه من الهلاك والوبال وزال طمعهم من كسب الغنائم والاموال ولولا فزعوا من الذل والعار كانوا تفرقوا وطلبوا الفرار ولكن أبصروها عيبة ينهزمون من ثلاث فوارس وهم فى ذلك الخلق الكثير فقاتلوا وصبروا على الشدائد ويحن بعضهم على بعض وأقلوا بصيا -هم على جنبات الارض وفعل هذا الفعال من لا يعرف عنتر ولا أبصره فى قتال وأما الذين عرفوه فعلموا أنه يكسر الجيش ولو كانوا اضعافهم فتفرقوا وانما وصلت أيديهم اليه من المال وولوا يطلبون النجاة ودام القتال كذلك حتى ولى النهار بضياه وأقبل الليل بدجاه وأبصر فسيح البر قد امتلا من رفقاه وأبصر طعنات عنتر تسابق القضا اذا نزل من السما فخاف أن يعتريه فتعمل فناه فعاد تحت الظلام غائب وقد أبصر جيشه شاردين فى الاقطار

وخلت منهم الديار والقفار وعاد عامر الى خدمة عنتر وحمده وشكره وسأله كيف كان سبب وصوله فى ذلك الوقت فأخبره بالمنام الذى رآه وعرّفه أنه أتاه زائرا وخاف عليه من غدرات الزمان الغادرة فقبل عامر صدره ويديه وشكره وأثنى عليه وعادوا يطلبون الخيام واذا بجماعة من بنى عامر قد التقوهم فى أذيال المضارب وهم يبكون فقال لهم ما حالكم يا بنى عمى فهل قتل لكم من يعز عليكم ووصلت الاعداء بالمضرة اليكم فقالوا أى والله يا أمير قد سبى من الحى سبع حرائر فى جملتهم أمك كبشة واختك مارية وقد أتينا نعلمك قبل أن يبعدون فى البيدا ولا تجتمع بهم أبدا فلما سمع عامر ذلك الكلام انحلت مفاصله ولما رأى فؤاده ووقف حائرا على ظهر جواده ولا بقى يدرى كيف يعمل فقال عنتر وحق من احتجب عن النواظر وثبت عند كل أحد أنه قادر لا بد تتبع أعداك الى آخر بلاد اليمن ونخلصهم من بين أيديهم وغاصوا فى البحر الزاخر ثم تناولوا شيأ من الزاد وأخذوا معهم ثلاث جنائب من الخيول الجياد وساروا يقتفون آثار الاعداء ويقطعون فى الظلام أقطار البيداء وعنتر يقول ما كان أحوجنا فى هذا الوقت الى أخى شيبوب لانه أخبر منا بالمسير على الآثار وأعرف بسلوك البرارى والقفار فقال عامر ابن الطفيل ما أقول ان النساء ما أخذوا الا فى أول النهار قبل وصولك يا أبا الفوارس وان كان هذا الحساب صحيحا فهم الساعة فى أرض بعيدة وأنا خائف اننا نتعب وما ننال مقصودنا لان هؤلاء الاعداء كانت مجموعة من قبائل شتى وما ندرى أى فرقة التى معها الحريم ولا أى جهة سارت فقال عنتر ان كانت آجالهم قد اقتربت لحقناهم ولو أنهم على ظهر الغمام لان الخيل ما تعبوا

بقصير الاعمار ولاتهتدى فى الليل ولا فى النهار ثم جدوا فى المسير
حتى لاح ضوء النهار وتأملوا الاثار فرأوها ظاهرة الا انهم على غير
طريق فاستراحوا على الغدران ساعة من النهار ثم ركبوا ظهور
الخيل وساروا حتى تقارب المساء وقد أنكروا الارض التى وقفوا
فيها وظلوا فى نواحيها فقال مقرى الوحش ما أخوفنى انناتهلك فى هذا
البر ولا ننال ما أملنا والصواب كان مقامنا فى الديار وأنفذ العبيد الى
القبائل تكشف لنا الاخبار حتى اذا علمنا من سبا النسوان طلبناه
عن يقين وبرهان فقال عنتر قد فات الامر وما بقينا نرجع الا بما
نريد ولو صدمتنا جبال الحديد (قال الراوى) واذا قد لاح لهم بين
ايديهم أشباح متفرقة فى أقطار البطاح وسمعوا بكاء ونواحا فقال
عامر ها قد أدركنا الاعداء وقرب الله عين المدا وهذا الصياح الذى
نسمعه صياح النساء فقال عنتر وحق من رفع السماء ثم حركوا يطلبون
الصياح قال وكان الذى سبى للنساء فارس جبار يقال له مشهر بن
الاعرج وهو من قوم يقال لهم بنى معن وكان يعرف عنتر وشاهد
قتاله مرارا عديدة من الرجال فلما رآه فى ذلك اليوم قد أقبل علم انه
يكسر القوم والجحفل فقال لقومه لما رآه يا بنى عمى هذا عنتر بن شداد
العبسى واليوم يفنى هذه العرب المجموعة ويكشف عن بنى عامر
الفجعة لانه حليفهم ومؤاخى عامر بن الطفيل والصواب لا نتعرض
بأى شىء كان ونقصد بأنفسنا ما دام القتال عمالا والعرب مشتغلة
عنا وان لم نفعل ذلك خسرنا وتعبنا ومن ظفر به هذا العبد أهلكه
وأنا قد رأيته مرارا عديدة فى الحروب ورأيت منه شيطانا مريدا لا يرتد
ولا يقع على فروسيته أحد (قال الراوى) وكان هذا مشهور امعه
خمسون فارسا من قومه كلهم يرجعون الى رأيه ولا يخالفون مشورته

فقالوا الامر اليك ونحن بين يديك والصواب اننا نتجوا بأنفسنا ثم
مالوا يطلبون الخيام والاوطان وقد تركوا الناس مشغوفين بالطعان
والضراب فأول من وقع في أيديهم مارية أخت عامر وأمه كبشة
لانهن قد خرجوا الى أذيال المضارب ينظرون اليه ويدعون له من
خوفهم عليه فسبوا الاثنين ودخلوا الى البيوت وأخذوا خمسة
جوار بكر أبكار كأنهن الاقمار وعادمسه و وراوهو يقول اطلبوا بنا
الديار ودعوا هؤلاء يتفصلون كيف ما أرادوا ثم ركضوا في عرض البر
حتى أصبح الصباح ونظروا حولهم فرأوا أنفسهم قد ضلوا عن الطريق
وقد أصبحوا في بر أقفر أغبر لا يعرف فيه تل ولا علامة فقال مشهر عدمنا
والله توفيقنا وضل عنا طريقنا والرأى اننا ننزل في هذا المكان ويقعد
بعضنا عند النسوان ويتفرقوا الباقون يمينا وشمالا وخلفا وأماما
لعلنا نرى طريقا واضحا يرشدنا ثم نزلوا هناك وقضوا أكثر نهارهم
بالدوران وسارت الفرسان تضرب في البر الفرسخ والفرسخين وتعود
بغير فائدة (قال الراوى) وأشرف عليهم عنتر ومقرى الوحش وعامر
وهم على تلك الحالة ولما بانت لهم الاشباح في أقطار البطاح وسمعوا
من النسا العويل والصياح فوقع بهم السرور والافراح وركبوا
الجنائب وحملوا عليهم بقلوب فريحه وما كانت الاساعة حتى
شكوا المقيمين بأسنة الرماح وخلصوا الحريم من ذلك الامر والبلا
وركضوا خلف الباقين فأهلكوا منهم الا كثر وعادوا وقد أرخى
استاره الظلام واعتكر ونزلوا في ذلك المكان وما جسروا على
العودة خوفا من الضيعان لانهم كانوا قد علموا انهم قد أصبحوا ضالين
عن الطريق وكان الله قد ألقاهم على أثر قوم قد فنيت أعمارهم
وقصرت آجالهم على أيديهم لان الله سبحانه وتعالى له في عبيده

أحكام تقصر فيها ذوو الافهام ولا تهتدي اليها الاوهام ومن ذلك الوقت صدق عامر قول عنتر ان الخيل ما تعجوا بتقصير الاعمار ولا تهتدي في الليل ولا في النهار (قال الراوي) ولما مضى الليل وصار في وقت السحر رحلوا هؤلاء عائدين على الطريق التي أتوا فيها فازدادوا الاخيبة وضلالا وطلع عليهم النهار وكثرت عليهم الآثار واتسعت بين أيديهم القفار واختلفت عليهم الاقطار ووقعوا في بر وعر كثير التلال والوداء ما فيه مجيب لمن صاح وزعق ولا ماء يبل به الانسان رمقا فتحيروا وأخذهم القلق واستشوروا فيما يعملون فقال عنتر ما في الامر الان نسير الى جهة واحدة ونطلب الخلاص من هذه المغاور ما دام في الخيل رمق فان كان لنا النجاة أدركناها وان كانت المنية قد حضرت نحن واياها فقال مقرى الوحش ان كان الموت قد اقترب ودنى ما يكون الا من عدم الماء وأنا ما أسفي على الدنيا ولا اسفي على شيء الا اني ما شبعت من نظر ولدي سبيع اليمن لانه اذ كرنا انه قد أتاه من زوجته مسيكة ولد في بلاد اليمن وسماه بهذا الاسم الحسن وكان له في قلبه منزلة عظيمة وقد أمل فيه الآمال وترجى انه يركب الى جانبه ويعينه على القتال فايس منه في ذلك اليوم وخاف ان يموت قبل لقاه الا انهم ساروا كما قد أشار عليهم عنتر وأخذوا في المسير في ذلك اليوم في البر الواسع ودخل عليهم الليل وبكت النساء من شدة الفزع والتعب والتجوا الى بعض الشعاب ونزلوا والخيل قد قل نشاطها وفتحت مناخيرها للهوى من شدة الحر والعطش وما فيهم الا من ارتاع من ذلك البر الواسع واستوحش وبقي عامر من أجل هذا الامر الصعب منكسر القلب لان مقرى الوحش وعنتر من أجل حاجته قد التقوا

هذا الملتقا ووقعا في بحر الخطر والشقا فصار عنتر يهون عليه القصة ويقول له يا عامر لا يصعب عليك شغلنا واعلم ان لنا ربا عظيما قادرا اذا أراد نجاتنا وسهل لنا الماء وسقانا وان كان قد حكم الله بهذا فما يقدر كل من في الارض على فكاكنا وقد رأيت كيف ساقنا الى قوم ما كانوا لنا في حساب فضربنا منهم الرقاب وخلصنا منهم هؤلاء الكواعب الاتراب ثم باتوا على مثل ذلك حتى طلع الصباح وركبوا على برد الهوى وما زالوا يقطعون أقطار الفلا ومقرى الوحش قد زاد به الشوق والبلا وذكر ولده سبيع اليمن فبكى وسار ساعة يتأمل أقطار الفلا وتارة يتأمل الى رؤس الشعاب وعلى الربا وهو يتحسر وينشد ويقول

ان جرى دمعى وهنت حزنا * فالدمع أشفى للحزن
واذا الشوق تناهاحده * فارقت روح المعنى للبدن
يا خليلى اسعدونى وقفا * نحو بعد الدار منا والوطن
واذا مت اشتياقا بالغا * عظم أشواقى الى سبيع اليمن
ولكنت أترجاه اذا * نزل الشيب برأسى وقطن
فرمى الله علينا نكبة * حارت الافكار فيها والفطن
ووقعنا فى تلاه قفــرة * نزل ابليس لها ثم قطن
وترى الشيطان فى أقطارها * تائها ينبدب آثار الدمن
يا حمامات فى أغصانه * نائحا تدعو ولا يدرى لمن
نح علينا كلما جزت على * علم السعدى سرا وعلن
واذا جزت على وادى الحمى * فاسأل السكان عن سبيع اليمن
وابك عنى كلما عاينته * سائل الدمعة من فرط الحزن
كان أنسى ومنا القلب الذى * أترجاه وروحى فى البدن

فقضى الله علينا حكمة * ببعاد والظلما بعد الوطن
وبلينا بزمان غادر * صرفه يرمى سهاما من محن
ولنا رب عظيم قادر * يكشف الضر ولا يخشى الزمن

(قال الراوى) وما فرغ مقرى الوحش من هذه الابيات حتى انهملت من جفونه العبرات وجرت على الوجنات وبكت كبشة أم عامر ومن معها من البنات وفى الحقيقة أيس كل واحد منهم من نفسه وايقن انه لا يخرج من ذلك البر وسار واحتى اشتد عليهم الحر وتواسطت الشمس فى كبد السما والقت حرمها على الصحراء وصارت مثل الافاعى وتلهبت أقطار الفلا وزاد على القوم البلا وقصرت الخيل من شدة العطش والظما وأيقنوا بالهلاك والفنا ولم يلتفت الرفيق على الرفيق ولا الصديق على الصديق وكشف النساء روسهم وقد زادبهم البلا فنادت كبشة الى رب السما وقالت يامن احتجب عن خلقه فلا يرى يامن أنبت النبات والمرعى يامن بيده نواصى الخلق جميعا يامن أخرج من ظلمة الاحشاء نسمة تسعى يامن قسم الارزاق عطاء ومنعا أسألك بالرجل الذى ظهوره قد اقترب ونوره قد انتقل فى أصلاب سادات العرب الذى اخترت له البيت الحرام وخلقت من أجله الحطيم وزمزم ورفعت لذكره قبل ظهوره علما جعلته هاديا للعرب والعجم وفضلته على سائر الامم الاما سببت لنا فرجا وجعلت لنا من الضيق مخرجا وهديتنا الى الطريق يامن ينجى من المجيج المغريق بعد الشدة والضيق سيدنا ومولانا حارت منا النواظر والافكار وأنت العالم بالاسرار والاستار أسألك باسمك المحيط بالعرش والفرش يارازق الطير والوحش ياذا الشدة والبطش ان ترزقنا من السما ماء يبرد أكبادنا من الظما فانت رب الارض

والسماء

والسماء الذى لا تخفى عليك الاسماء ياخالق النور والظلما (قال الراوى) وانى دعاء العرب المنتهى ولاجل ذلك قال سيد الاولين والاخرين محمد صلى الله عليه وسلم فى أم القرى تعلموا منهم الدعا الا أن كبشة ما تمت هذه الدعوات والكلمات حتى عطف الله عليهم بجميل العوائد وسبب لهم أسبابا تحميهم من المهالك والشدائد لانهم كانوا سائقين فى بر مقفر واذا قد سمع فى ذيل السما قعقعة الرعد فعلا وارتفع وغما وأبيض بعد الكدر وصفا بعدما كان معتكر ومازال ينمو طولا وعرض حتى التحم بعضه الى بعض فمنع شعاع الشمس ان يقع على الارض ثم بعد ذلك انهل مثل أفواه القرب وسال وانسكب وفى دون ساعه سمع له دوى وخرير وللروابى ضجة وزفير وامتلائت الجفار واستأنست القفار وروبت أصول الاشجار وروبت الخيل من السما وروبت الاكباد بعد العطش والظما ومازال الامر على ذلك حتى قارب المسا وبات القوم فى تلك الصحرا وقد صفا الجو وصحا وكان الماء فى ذلك الوقت لهم دواء ولما كان من الغد وطلعت الشمس وانارت كشف السيل الطرقات الدارسه وبانت الآثار وضحكت الاقطار بعدما كانت عابسة فساروا على بعضها وقد طابت أنفسهم ولاح لهم وجه السلامة وكان لهم فى المطر فوائد كثيرة احداها انهم روا الماء بعد العطش والظما والثانى ان الماء سحب لهم الوحش من الارض العامرة الى تلك الارض الخراب فأكلوا منها بعدما صادوا وشربوا وساروا على النواحى والوحوش قد انسحبت اليهم من ناحية العمارة فجدوا فى المسير حتى قارب المساء وعولوا على النزول واذا قد لاح لهم أبيات وخيام منصوبة فى جبل عالى حصين فدفعوا الخيل نحوهم حتى

قاربوها واذا بغلام قد قصدهم عن أيمانهم وخرج من شعب هناك وتحته فرس عربى وعليه من صيد البر وقرة فلما رأى القوم ميل اليهم وقصدهم وقد دنى منهم ونادى أهلا وسهلا ياوجه العرب بحق الاله المعبود انزلوا عندنا فى أبياتنا وشرفونى بنزولكم على فى هذه الليلة فقال عامر بن الطفيل السمع والطاعة ياغلام سر بين أيدينا الى ان شئت واعمل فى حقنا ماهو بت لاننا من أقنع الخلق وأحوجهم الى الانس ثم حدثهم بما جرى عليهم من الضيعان والضلال وما قاسوا من الشدائد والاهوال فشق ذلك عليه وعاد بين أيديهم يهرول حتى وصل الى أوائل البيوت واذا بامرأة عجوز فى جانب البيت وقال لها أضرمى النار واسمعى الاخبار ثم انزلهم وقد وطألهم وقامت أمه الى النساء وأدخلتهم الى داخل الخباء وأضرمت النار وروحت لهم الطعام من لحم الوحش وكان عندها طراميس مخبوزه من النهار فقدم الغلام الجميع الى بين أيديهم وكذلك فعلت أمه مع النساء وشرعوا فى أكل الزاد والحديث وقد طابت قلوبهم بالامان فقال عنتر للغلام ياوجه العرب من أى الناس أنتم فقال له ياه ولاى من بنى كنانة ولنا ها هنا أكثر من عشرة أيام ونحن أربعون كما ترى ولنا مقدم يقال له سريع بن قادر وسبب نزولنا فى هذه ان مقدمنا كان بينه وبين ابن عمه مقاولة وحروب فصعب عليه ذلك فرحل بنا وانزلنا فى هذا المكان من خوفنا من عنتر بن شداد فارس بنى عبس وعدنان وما يمضى علينا يوم الا ونقول يصبحنا فيه أو يمسينا ويقدنا فى الجبال ويسبينا ياسادتنا يا كرام (قال الراوى) فلما سمع عنتر وعامر بن الطفيل ومقرى الوحش داخلهم العجب من عظم ماقد وقع لعنتر من الهيبة فى قلوب العرب فقال عنتر والله ياغلام زيلوا هذ

الفزع من قلوبكم من هذا اليوم ولا تحدثوا به نفوسكم وابشروا بالامان فانا عنتر بن شداد فارس بني عبس وعدنان وقد ساقني اليكم مكون الاكوان وصار لكم عندي جائزة وذمام فطار عقل الغلام من شدة الفرح وترك الطعام وقام يعدو الى المقدم الذي لهم وقال له يهنيك السلامه فان الذي كنت تخافه وتفزع منه قد أمسى ضيفنا وأكل طعامنا فقال سريع وكيف ذلك أنا ما كنت خائفا عليكم الا من عنتر بن شداد ومن فزعي أردت ان أرحل بكم من هذه الجبال وأنزل على بعض الملوك (قال الراوى) فعندها حدث الغلام بما جرى فزال عنه الكرب وأخذه الفرح وتام الى مشايخ قومه فاستصحب منهم جماعة وساروا الى نحو عنتر فسلموا عليه وأكلوا معه الزاد وطلبوا منه الذمام فودعهم بكل جميل وقال لهم ارحلوا معي حتى أنزلكم في أرضنا وديارنا وأحميكم كما أحمي أهلي وعيالي وأبذل روحي قدامكم ومالي فلما سمعوا هذا الكلام والخطاب ونزل على قلوبهم أحلى من الجلاب وأجابوا بالرحيل معه الى أرضه وقد اهتدوا على الطرقات وعرفوا البراري العامرة من المقفرات وقوضوا خيامهم مع عنتر بن شداد واستبشروا بالامان فساروا ذلك اليوم الثاني وودع عنتر عامر بن الطفيل ورجع يطلب ديار قومه وصار عنتر بن شداد يطلب أرضه وقد رآها واسعة فكيف يعود الى أهله خالي اليدين من المكسب والمال فسار كلما وقع في طريقه بحلل ينهبها وكلما أبصر أبياتا ايسوق أموالها ويقتل من يطلب حمايتها وبنو كنانة يبصرون ويقول بعضهم لبعض هذا أراد أن يصيبنا ويمكر علينا (قال الراوى) ولما وصلوا الى ديار بني عبس أنزلهم عنتر في وادي يقال له وادي القرى وكانت من جملة

منازل بنى عبس طيب الماء والمرعى فقال عنتر هذا المكان لكم
وتحت أمركم وعلى حمايتكم ثم وهبهم من المواشى التى قد ساقها
معه شيئا كثيرا وتم عنتر الى بنى عبس هو ومقرى الوحش ولما وصل
الابيات أتى اليه عروة بن الورد وهناه بالسلامه وكان شداد قد برأ
من جرحه فأتى اليه وسأله عن زيارته لعامر بن الطفيل وحدثه
بحديث ابن الطفيل وماجرا عليهم من الضيعان وكيف هطل عليهم
السحاب فى تلك البرارى والقفار فعجبوا من ذلك وقالوا لقد أبسم
الامن نعمة أخرى ولقد سلمنا نحن ان تشمت بنا الحساد ويصح فينا
قول بنى زياد فقال عنتر وكيف ذلك يا أبتى فقال شداد يا بنى اننى
لما وصلت هجر وما مع عروة وأخوك شيبوب فظن الحساد الذين
هم بنو زياد انك قد قتلت وتحدثوا بكل قبيح (قال الراوى) وكان
عروة بن الورد حديثه قد شاع فى الحلة من جهة عمرو بن معدى
كرب وسمع بنو زياد بما جرى لاجل لميس ابنة همام وكيف أسروا
عروة وقتلوا رجاله وكيف عملوا ايضا بعنتر لما وصل بالحمرالى أبياته
وتركه وعاد وعرف القصة على جليتها الا انه كان هو واخوته
دائما يتطلعون على أحوال عنتر وبنى قراد ويتوقعون لهم العثرات
لاجل الحسد والحقد الذى كان بينهم قال فلما اطلع الربيع بن
زياد على هذه الامور اجتمع على الملك قيس وقال له يا ملك أنت
تعلم ما قاسينا من الفرقة والعجاج فى بلاد اليمن ومن هلك منا من
الفرسان ولولا اختك المتجردة سألت فينا الملك النعمان ماعدنا
الى ديارنا والاوطان والآن قد تعطف علينا الزمان وسبب لنا
العودة الى الاوطان ثم حدثه كيف تزوج عمرو بن معدى
كرب الزبيدى بلميس ابنة همام وسارهو ومقرى لوحش

وعروة

وعروة ليأخذ هامنه فأسره وقتل رجاله وان عنتر سار هو ومقرى
الوحش وأبوه شداد يطلبون قتل عمرو بن معدى كرب وخلاص
عروة من يده وأنا يا ملك خائف على القبيلة من جهل عنتر وقبيح
فعاله لا بد ان ظفر بعمرو وقتله أو اسره وتقوم علينا بنو زبيد وتسير
الى ديارنا مثل الجراد ونبتلى بالقتال والجلاد ويتجدد ما بيننا وبينهم
من الاحقاد كما تفعل معنا فى شعاب جبله من شؤمه قتل ابن صاحب
دمشق وأخرج الينا بنى غسان وسلمنا من الهلاك والقلعان ولولا
تدبيرك أنت وعملك تلك الحيله وتعطيش الجمال وردتهم عنا بالمكر
والاحتيال والا كانوا نهبوا الاموال وأخذوا العيال فلما سمع الملك
قيس هذا الكلام من الربيع بن زياد قال يا ربيع ما بقينا نرض
بهذه الامور ولا نطاوع عنتر على ما يقول بل ان رجع وأثار الفتنة
وأتاه من يطلبه قبضنا عليه وسلمناه اليه أو نقول له ارحل عنا
وانفصل أنت وغرماك كيف شئت لان البر واسع والمنازل كثيرة
وأنا بعد ما قد نشأ لى هذا الولد ما بقيت أسأل عن أحد وقد ذكرنا
ان الملك قيس كان قد نشأ له ولد وسماه زهيرا لانه كان مليح الوجه
وكان من محبته له قد حكمه فى أمواله ونعمته وما انفصل الربيع
من حديث عنتر الا وقلب الملك قيس قد قسى على عنتر وبعد ذلك
وصل شيبوب وعروة ومعهما شداد على هذه الحاله مجروح الا
وعنتر قد قتل فقال عمارة أنا أسأل رافع السما ان يجعل ذلك صحيحا
حتى يخف كربى واستريح لان مهجتى منه قد ذابت وذوائبى من
فعاله قد شابت وآمالى فيه قد خابت وأنا أحمد الرب القديم حيث
ان عبلة لا تحبل ولا تلد ولا تخلف له خلفا لانى لو رأيت له ولدا مت
حسرة وكمدا فقال الربيع ان كانت عبلة حرمت الاولاد فقد

عوضه بذات رب العباد وقد أنتج له فرسه الابجر مهراما سبق مثله لاحد ولا يرجع الزمان ينتج مثله مادام الابد له لانه أعجوبة الزمان وزينة لمن تعجب وحسرة فرسان العرب وهذا دليل أن بعد الله فيه عناية هذا ان كان ما قتل عمرو (قال الراوى) وهذا المريد الذى ذكره الربيع فقد ذكرنا كيف سببه وأخبرنا ان لقيط بن زرارة لما سرق الابجر فرس عنتر علاه على الجمرة سكاب وأراد أن يركب من أمها حيث رآه ينفر منه ولا يلفه وذكرنا موضع ما دخل منه واخذ الجمرة معه بتدبير شيبوب وخلى فى قلوب أصحابها حرازة وكر وباوا احتوى على عروس القوم مهرية واقتنصها وهو سكران وردها على ابن عمها لما التقاه وجرى من القصة ما جرى ولما تم حمل سكاب ولدت مهرا خلقه عجيبة احسن من أبيه الابجر أيام صباه وكان عنتر قد جعل اعتماده عليه بعد الابجر لما رآه قد استولى عليه الكبر وتغير من ملاقات الحروب وخوضات لوقائع والكر وب والجمروات (قال الراوى) وتقدم عنتر الى الحى سالم وعدنا الى حديثه وعودته بالقائم وحدثه بنو أعمامه بما قالوا فى حقه بنو زياد فما غيظه وزاد وقال والله لابد لى معهم من يوم تشيب فيه روس الاطفال ثم بات تلك الليله عند زوجته عبلة ومقرى الوحش وبل شوقه من سبيع اليمن وزوجته مسيكه ولما كان عند الصباح سار عنتر الى الملك قيس وسلم عليه وهنأ بالسلامه وساله عن ما جرى له ولعمرو بن معدى كرب وأعتب عليه لاجل ذلك السبب فقال عنتر يا ملك ما تعديت الواجب ولا فعلت ما لا يجب بل قد جعلت لك مثل عمرو صديق لكل شدة وضيق وسيفه يعينك على الشدائد ثم أعاد اليه قصته وما جرى له معه وكيف أطلق سبيله

واصطنعه

واصطنعه فنغف على قلب قيس بعض الكرب التي كان قد حملها له الربيع بن زياد وعلم أن القول بينهم حسد اقديما فزال عن قلبه الجميع وسلك عنتر عنده ذلك اليوم وسقاه واكرم مثواه وكان معه مقرى الوحش وعروة بن الورد وجماعة من فرسانه وندمائه ولما انقضى النهار وعادوا الى ابياتهم وجدد لهم عنتر اوقات السرور لما انقضى ليلهم بالافراح وشرب الراح لانه يحب الشراب مع أصحابه وتشكاف لهم الان الملك قيس علم ان الربيع من بغضته لعنتر يتكلم فيه وأما عنتر فانه شرب تلك الليلة فوق طاقته وأصبح مخمور لا يطيق القيام على الاقدام وكان قد ركب قيس عند الصباح وحوله أعمامه وبنو زياد ورجعوا القبيلة وأخذوا فى طرد الوحش حتى عبر نصف النهار ورجعوا يطلبون الخيام طريقهم على وادى القرى الذى أنزل عنتر فيه بنى كنانه وأبصر قيس مضاربهم ورحاتهم فأنكرهم ولم يعرف حالهم فوقف يريد الكشف عن أخبارهم واذا قد ركب اليه سيدهم سريع بن قادم وأتى امام الملك قيس وترجل وسلم فرد قيس عليه السلام وقال له يا شيخ من أى الناس أنتم ومن الذى أنزلكم فى هذه الارض فقال سريع يا مولاى نحن من بنى كنانه والذى أنزلنا هاهنا عنتر بن شداد ثم حدثه بنزوله عليهم وما جرى له معهم وانه رحلنا ونزلنا هاهنا ووهب لنا المنزل وضمن لنا الجيرة والذمام فتعجب الملك قيس من ذلك وقال أكرمت يا وجه العرب بنزولكم وأعز من أنزلكم فانتما كلنا فى حماية عنتر وفى ظل سيفه ثم تركه وعاد وقد علم الربيع انه ما قال ذلك الا من قلب ملآن على عنتر فزاد غيظا وصار يقول ان هذا ضيم لا يصبر عليه أحد لانا ما صدقنا نعود الى الاوطان ونستريح من مقاسات

العريان حين من الزمان حتى عاد هذا الشيطان علينا بعد الا تريد
ويقطع لمن لا نعرفه الارض والله ان هذه الفعال أنا ما أقدر افعلها
وانا الربيع بن زياد ولا أجير بغير علم الملك قيس فقال أسد عم الملك
قيس مثلك يا ربيع تنقل قلب ابن أخي على عنتر الذي ما يلتئم شمل
العشيرة الا به على ان هذا الذي فعله فخار ما هو عار وأيست تريد
الفخار والشرف أوفى من هذا ويقال عنه سائر العرب ان صارت
عبيد بني عبس تجير الخائف وتشبع الجائع فقال الربيع وقد زاد
غيظه والله يا أسد ما قلت هذا الا شفقة على الملك قيس كيف نزل
عنتر هؤلاء القوم في أرضه بغير اذنه وهذا يدل على انه ما له عنده قدر
ولا قيمة وحق ذمة العرب سمعت عنه لما قال في حال سكره أنا الذي
حكمت قيسا على رقاب بني عبس وتركته ملكا ولو أردت تركت
بعض اخوته مكانه وعزلته لانه بأي شيء يتفضل عليهم وكلهم من
أب واحد وأم واحدة ومازال الربيع على مثل ذلك حتى نقل قلب
قيس على عنتر وترك فيه من هذا الحديث أثرا ومازالوا على مثل
ذلك حتى وصلوا الى الخيام ودخل قيس الى خيامه ولم يحرك ساكنا
وبعد ذلك بأيام اشتاق عنتر الى بني كنانة وطلب افتقادهم
ويزورهم ويطيب قلوبهم فعزل من جماله مائة ناقة وأضاف اليهم
مائة راس من الغنم وخمس أحمال خمر وأخذ معه مقري الوحش
وعروة بن الورد وبعض رجاله وسار الى وادي القرى فعلم القوم
قدومه فاستقبلوه أحسن استقبال وأنزله سريع بن قادم في أبياته
وأمر عبيده فروجوا الطعام ورووقوا المدام وجلسوا ودارت عليهم
الاقداح وأرادت رجال بني كنانة تقف كلها في الخدمة قياما فما
مكنهم عنتر من ذلك بل أجلسهم عن يمينه وشماله وتركهم وقعد

هودونهم بعد ما حلف أيمانا الا يشرب الا على هذا الترتيب فشكره سريع وأثنى عليه وحدثه بحديث قيس وكيف اجارهم وسأل عنهم وترحب بهم لما قالوا جيران عنتر فقال ولو لم يرض بكم جيرانه كنت رحلت بكم وأنزلتكم في أرض تكون أحسن وأطيب من هذه الارض وأكثر مرعى وأنزلكم بها لكم منازل وديارا ثم ان عنتر دار عينه على مالك بن قادم الذى أنزله يوم المطر في بيته فما رآه فسأل عنه سيدهم سريع وقال له ابن أخيك يا امير ما حضر معنا في هذا المقام فقال سريع يا أبا الفوارس قد ذهب يطلب المعاش والمكسب لان الفقر قد أضر به وقد عولت انه اذا عاد سالما أزف ابنتى عليه لان أخى أوصانى به قبل موته وخلف له أموالا كثيرة وكنا نحن والله في نعمة عزيزه وانما تواترت علينا أعوام كثيرة العوائق والفلا قليلة العشب والكلا فوقع في أموالنا الفنا فبقينا كما ترى (قال الراوى) فقال عنتر وقد صعب عليه ذلك والله يا أمير لو عرفت هذا ما تركت ابن أخيك يتغرب ولا يخاطر بنفسه مع شياطين العرب بل كنت أنا توليت وليمته وأنجزت أمر زوجته ولكن هذا أمر قد فات ولا بد أن يعود ان شاء الله تعالى وأعمل له وليمة وعرسا من الاعياد وأكيد بفرحه الاعادى والحساد فشكره سريع على ذلك المقال ودعى له وأقام عنتر عند القوم ثلاثة ايام وعاد وفي قلبه أثر من حديث الغلام وكانت هذه الجاريه التى قد راح مالك يأتى بمهرها فريدة دهرها ودرة لا يعرف قدرها وقد وفر من الجمال قسمها وكسى من الملاحة جسمها وقد وافقها عند ولادتها طالع سعيد فرباها في حجر الكمال والتأييد فنشأت كما تشتهى وتريد ولما نزل بها أبوها في أرض بنى عبس كان قد كمل قدها وبرز نهدها

وتورد خدها وبلغت فى الاعتدال حدها والجمال على كل حال يتم على أبائه ويظهر اسم أصحابه فزارتها النساء العبسيات وأتت اليها من بنى فزاره العزاريات ومافيهن من عادت من عندها الا وهى تهدى بوصفها وتحدث جاراتها بما رأت من ظرافتها وتصف حسن قوامها ولطفها ونعومية أناملها وكفها وضفائرها التى خلفها وبلغ حديثها الى بنى فزاره وتذكرت به الرجال والنساء وبلغ الى حصن بن حذيفة وسمعه مرارا من عجائز الحى والزوار وكان اسمها نوار فالتهب بها قلب حصن على السماع لانه صبى على كل حال وهو ملك شجاع فشكى حاله وفشاه الى سنان بن أبى حارثه وقال له ياعماره قد اشتهيت انى أنظر هذه الجاريه الكنانيه التى قد نزلت فى فؤادى وان أعطيت من الجمال هذا الحديث خطبتها من أبيها وأغنيت قومها ونقلتهما الى ديارى وتركتهم من بعض جوارى فقال له سنان ياولدى اعلم أن السماع يزيد وينقص والدخول فى الاشياء بغير اختبار جهل والصواب انك قبل خطبة الجاريه تتوجه الى أرض قومها بحجة الصيد والقنص وتدعنا حتى ننظر أحوالها ونسأل عن انساب رجالهم فان كانوا من سادات كنانة وأصحاب الحسب والنسب وقد غدرهم الزمان وقلت أموالهم أتصلنا اليهم وأنفقنا من نعمتنا عليهم لان الفقر مايزرى بأصحاب النسب ولا يحط سادات العرب وان كانوا من أرزال الناس وأردائهم فما أدعك تحملنا بقربهم العار ولا ندخل فى انسابنا الا الاخيار فقال حصن نعم ماقلت ياعمارة فدبر ماتختار ثم كتم هواه وأخفى عشقه وجواه ثم انه فى يومه ركب فى عشر فوارس من رفقته ومازال سائرا حتى قارب وادى القرى فترك حصن أصحابه مشتغلين

بالصيد وقصد الى أبيات بنى كنانة وطلب الغدران هو وسنان وكان ذلك الزمان فصل الربيع والارض ريانه قريبة بانسكاب دموع الغيث الهطال فركض حصن طالب الخيام يريد النظر الى أحوال سكانها واذا قد اعترضه مرج واسع ومنابع الزهر حول الجميع منقوش كأنه بساط مفروش وفى وسطه جماعة من بنات الحى أحسن من الاهلة الطالعة وهم يرتعون ويلعبون ويتقلب بعضهم الى بعض وهن قد رفعوا عن وجوههم البراقع ويتسابقن فى المروج والمواضع ومافيهن الا من خرج وظهر رطيبها ولمع فى الخد وجناتها ورسم ماء الحياة من رواق خدودها فلما رأى حصن ذلك اشتغل عن ما كان فيه ووقف يتفرج وقد تعجب من ذلك الاتفاق الذى قد راق واذا ببعض الجوار تقول لاترابها يابنات عمى من سبقت منا غدا على هذه المواضع يكون على المسبوقات طعامها وشرابها الان أبى قد سمح لى بالخروج الى ههنا ثلاثة أيام كما يفعل بى فى كل عام وبعد ذلك لا يرجع يمكنى من أذيال الخيام فتأمل حصن التى قد تكلمت بهذا الكلام واذا بها أحلى من الكل مزاجا وابتساما واتم اعتدال وقوام وأوفى توقير واحتشام وهى قد سلت من لحاظها على عاشقها حساما ففلق حصن لذلك وترنح على ظهر الجواد من شدة الغرام وظن انه قد رأى ذلك فى المنام ومن شدة ماجرى عليه نزل عن ظهر الجواد الى الارض وقعد وسلك فؤاده وقال يا عماه مابقيت أريد الجاريه التى سمعت صفاتها ومابقيت أريد الجاريه التى سلبت عقلى بملاحتها وأريد منك أن تنفذ الى بعض الاما وتسأل لى عنها والا هجت على وجهى فى هذه الفلوات فقال سنان أى شىء هذا المقال تأنى على نفسك وأبشر ببلوغ الآمال ثم تقدم

سنان الى جانب الغدير وصاح لبعض الجوار وقال لها من أى
الناس أنتم ومن الذى أنزلكم فى هذا المكان لاننا قد طرقناه مرارا
عديده وهو خالى من السكان فقالت الاما مولاى نحن من بنى
كنانه وما نزلنا فى هذا المنزل الا بأمر أصحابه فقال لها وهذه
الحو ريات بنات قالت نعم فقال ومن تكون هذه الجوهرة ومن أبوها
وأشار بيده الى الجارية المقدم ذكرها فقالت له يا مولاى هذه نوار
بنت مقدمنا سريع بن قادم وان كنت سألت عنها وعجبت من
جمالها فان هوى هذه البلاد وافقها وقد كساها من الجمال ما يحير
البشر وما نظرت الا وضع النظر فلما سمع سنان ذلك الكلام زاد
تعجبه وأعذر حصانا فى حب الجاريه لاجل ما رأى من كمال صورتها
وحسن خلقتها وعاد اليه وأخبره بما سمع وما رأى وقال له لا تضيق
صدرك ولا تشغل فكرك فان الجارية التى سمعت صفتها هى هذه
التى سبيت بملاحتها وما قد جرى عليك هذا المجرى فى هواها
فانا أزوجك اياها من حيث لا يطلع أحد على أحوالك من
أجلها ثم عاد الى الصيد والقنص ساعه وأتى ورجعوا الى أبياتهم
وحصن على غير الاستوى من تباريح الجوى وما جرى عليه
فى تلك الليله ما نام بل قضى أكثر الليل بالشكوى ولما نظر سنان
الى حاله خاف عليه أن يمرض أو يدخل على عقله عارض فأرسل
الى أبى الجارية يقول له يا سيد بنى كنانة قد سمعت حديثك
وفصاحتك ونشتهى أن تجملنا بطلعتك أنت ووجوه قومك
وعشيرتك وتجعل لبنى فزاره التمام فى الزياره ولما مضى الرسول
أخذ سنان فى اصلاح الطعام وترويق المدام ولما وصل الرسول
الى سريع بن قادم وبلغه الرساله فرح بذلك وأجاب ونهض وأخذ من

وجوه

وقته وساعته فى الاهتمام ولبس ثيابا جميلة وأخذ معه جماعة
من أهله وعشيرته وسار مع الرسول الى نصف الطريق وحرك
الفزارى جواده حتى يبشر قومه وبقى سربيع سائر وهو يحدث
قومه ويقول لهم يا بنى عمى قد نفر قلبى من دعوة هؤلاء القوم
لان لنا هذه المدة هاهنا ما مرّ علينا أحد من بنى فزاره وما أقول
انهم أنفذوا خلفى لاجل ابنتى يطلبونها لبعض ساداتهم وأنا
أستحى أن أتمم هذا الامر وماذا أقول لابن أخى لانى أوعدته بها
وقد مضى كما علمتم يحصل شيأ يسترّ به خاله ويعود يطلبها وهذه
قضية مشكلة ان هى تمت فقال بعض المشايخ من قومه والله يا أمير
المؤمنين ان تم لك هذا ما يكون فى الدنيا أسعد منك لانك تنال
الشرف التام والمال والجمال وأما ابن أخيك فانك لا تراه لانه قد
سار فريدا وحيدا غريبا وان كان فى أجله تأخير ويجى ء سالما فما
يعود بأكثر من فرس يشدها ويركبها أو ناقة قد غفل عنها صاحبها
وهذا شى ء ما يكشف ضرا ولا يبل ريقا والصواب انك تصل الى
سادات بنى فزاره وتنقلنا الى أرضهم وهيبتنا قائمة ولا تدعنا نطرد من
بنى عبس بالتعس والنكس لانى قد سمعت ان ملكهم ما هو راض
بنزولنا فى أرضهم وانه قد عتب على عنتر كيف أنزلنا فى هذا الوادى
بغير أمره والصواب اننا نرحل بالذل والمهانة فقال سربيع وأنا أيضا
قد سمعت بهذا الحديث عن الملك قيس وصدرى ضيق منه والآن
ما ندبر أمرا ولا نجد مقالا حتى ينكشف لنا باطن هذا الحال ولما
أشرفوا على ديار بنى فزاره وأبصروا الفرسان قد ركبوا الى لقائهم
وسنان بن أبى حارثة فى مقدمتهم وحصن بن حذيفة قد لبس حلة
حمراء وتعمم بعمامة خضراء وهو راكب على جرة أبيه الغبراء وتحته

مركب ذهب وهو فى رتبة تصلح للملوك الكبار ولما رآه بنو كنانة
فى تلك النعمة هابوه وترحبوا به وسعوا الى خدمته وكذلك وصل
سنان الى سريع واعتنقه وترحب به وقال له يا أمير أنا عاتب عليكم
من حيث نزولكم فى هذه الديار ما عنى الينا أحد منكم وقد
اشتهاكم الملك حصن أن تكونوا نزولا عليه ولكننى أنا منعته من
ذلك وقلت له يا ولدى هؤلاء قوم غرباء وقد غدر بهم الزمان ولا يجب
الثقل عليهم ولكن اذا أردت المعرفة بهم فانفذ خلفهم فاذا حضروا
عندك فأكرمهم وأنعم عليهم فسمع وصيتى وأنفذ خلفكم يتجمل
بكم فباس سريع صدره ويديه وشكره لما سمع كلامه وأثنى عليه
وعادوا الى ظهور الخيل وساروا طالبين الخيام فرأى بنو كنانة
ملكا عظيما يصلح أن يكون صاحب الاقاليم وأبصروا فى الحى
سرادق كبيرا من الديباج الاحمر وحوله قباب من الديباج المدثره
فتعجبوا القوم كل العجب وتمنوا أن يصير لهم فى تلك الارض صلة
ونسبا وما استقر بهم القرار حتى نقل اليهم الطعام ووقف على رؤسهم
العبيد والخدم ودارت عليهم أقداح المدام وانبسطوا فى الحديث
والكلام ومضى عليهم يوما ما رأوا مثله ولا سمعت الأنام شكله
وكذلك فى اليوم الثانى أحسن اليهم سنان وأكرمهم غاية الاكرام
وقال سنان لسريع بن قادم على السكر اسمع واعلم يا وجه العرب
أن هؤلاء القوم الذين هم بنو عبس تعدوا على الملك حصن بن
حذيفة وقتلوا أباه وأعمامه أولاد بدر وهم قوم ما لهم أمانة ولا ذمام
وأقول انك سمعت حديثهم مع أولاد بدر ونحن أنفيناهم الى بلاد
اليمن وأبعدناهم من هذه الاطلال والدمن وقد خرجوا بهيبة الملك
النعمان لانه تزوج بنتهم ولولاه ما كنا تركناهم يجاورونا لانهم قوم

سوء مالهم ذمام وقصدنا انهم يرجعون ويكونوا تحت أمرنا ونهينا
طول الابد وأنتم قد نزلتم فى أرضهم بغير خبرة وقد زدتموهم قوة وكثرة
وقد صعب ذلك على الملك حصن وأراد أن ينفذ اليكم ويرحلكم من
جوارهم فما مكنته أنا من ذلك وأشرت عليه أن ينفذ خلفكم
ويتخذكم من جنوده وأنصاره فلما سمع قولى أجاب وقد رآه صوابا
وقال يا عماه أريد أن تزوجنى بابنة سيدهم حصن فيتصل بيننا
الانساب وقد دعوتكم حتى أشاوركم وأنا أقول ان لكم الحظ
الاوفر والجاه الاكبر لان عدوكم يصبح ذليلا وعيشكم هنى مع
عيشنا وبعد ذلك الامر مردود اليكم والله أعلم بما يعود منفعته
عليكم (قال الراوى) فلما سمع سنان كلامه عرف أبو الجارية
مقصوده وما طلب فحقق فؤاده من شدة الفرح لانه أبصر نعمة
عظيمة وملكا كبيرا وأكراما زائدا فقال لسنان والله يا مولاى ان
هذا الحال ما خطر على بالى والا كنت أتيت بسائر عشيرتى ووقع
فى خدمة هذا الملك لانى أعلم ان الله قد أيدنى بسعادته وجبر كسرى
ورحم غربتى فمن يكون أسعد منى اذا أصاب الملك حصن صهرى
وأنتم وخلفاؤكم خلف ظهرى ثم ان سريعا قام على قدميه وشكر
حصنا وأثنى عليه وقال يا مولاى عند الصباح أنفذ خلف قومى
وأوقفهم فى الخدمة بين يديه ونجعل اعتمادنا بعد على الله وعليك
ثم أعطاه يده وعاهده على الزواج وازدادت الوليمة طربا وانزعاجا
وقال حصن لابى الجارية أنا ما أريد بنتك ليلة الزفاف بلا زينة
لاجل ان أكون أنفذت المهر والصداق ما يبهر الاحداق وتكون
المواديج كلها مزينة بالديباج والاكليل والذهب الوهاج ثم تخرج
بنتك من خيامها مع بنات عمها والرجال الكرام وهم فى المواديج

يقطعوا الروابي والآكام وأعمل لهما يوما يذكر ما بقيت الليالي والايام ثم انه خلع عليه وعلى أصحابه الخلع الغوال وأنفذ معه بعض عبيده تسوق الجمال وزادهم في الاكرام والاجلال وفرحوا بهذا الانعام وقدموا لهم الجنائب الحسان باجلال الابريسم وهي بمراكب الذهب وأعطاه ما أغناه وما أبهر عينيه وقد انقضت الوليمة وخرج معه لوداعه أكابر عشيرته وبعد ذلك قال له حصن يا أمير هذا مهر بنتك ما يصل اليك والى عشيرتك ثم تقرر بينهما الكلام على زفاف الجارية بعد عشرة أيام لان لنا أصدقاء وخلانا وأبطالا ونريد نرسل خلفهم الغلمان حتى يحضروا الى هذا المكان فقال هذا الامر اليك افعل أيها الامير ما يعود نفعه عليك ثم ان أبا الجارية عاد الى وادي القصب هو ومن معه من فرسان العرب والدنيا ما تسعه من شدة الفرح والطرب ومعه تلك الجمال والنياق والفضه والذهب حتى وصل الى قومه ونظروا ما معه من الجمال والمال والجوار فأخذه بالفرح والاستبشار وقص عليهم قصته وكيف زوج حصن بابنته فزادت عندهم منزلته حتى استقربهم القرار والمقام وخلع على رجاله الكرام الخلع العظام وأخذ في اصلاح بنته وقد زادت فرحته وكانت الجارية نور تحب ابن عمها مالك بن قادم فجرى على قلبها ما لا يجري على قلب بشر وصارت في بكاء وضجر (قال الراوي) هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه كان جالسا على باب مضربه وعروة بن الورد وأصحابه بين يديه واذا هم برجل من الاعراب قد أقبل وهو ينادي يا أبا الفوارس أنجدني فاني بك مستجير وأنت على انصافي قدير فعندها قال له عنتر يا وجه العرب ما حالك وما الذي أصابك فقال له الاعرابي يا أبا

الفوارس أنا فى ذمتك وزمامك وأنا جارك فقال له عنتر وما يقال لك من العرب حتى تقول هذا الكلام وما أظن رؤيتك الا فى هذا اليوم فقال له صدقت يا أبا الفوارس أنا يقال لى فايق بن علوان العنبرى فقال عنتر وأى جوار بينى وبينك فقال اعلم يا أبا الفوارس انى خرجت من ديار قومى ومعى مائة ناقة وقد عولت أن أسيرها الى وادى ديقار أبيعها بشىء أجمل به حالى وحال بنتى فسرت حتى وصلت الى أرضكم فرأيت عبدك ميمونا يسقى ابلك من البئر فدليت حبلى الذى معى فلم يصل الى الماء فاستأذنت عبدك أن يوصل حبلى بحبله وأسقيت ابلى ومضيت فلما أبعدت فى المسير خرج على رجل يقال له دريد بن حرمله الفزارى ومعه جماعة من قومه بنى فزاره فأخذ النوق منى ومضى وقد أتيت اليك حتى تخلص لى نوقى من بنى فزاره لان اتصال الحبل بالحبل زمام وما أعرف نوقى الا منك لانى بقيت جارك وفى زمامك فقال عنتر أنت فى زمامى وكنفى ولك على كلما ذكرت ولكن فى أى وقت أخذها منك فقال الاعرابى فى هذه الساعة وما أظن انه قد وصل الى بنى فزاره فعند ذلك قال عنتر بن شداد لشيبوب أخيه قدم لى الابجر فقدمه اليه مسرجا ملجما فنهض عنتر على ظهره فقال عروه يا أبا الفوارس تسير الى بنى فزاره ولم تعلم الملك قيس ولا تستأذنه والرأى انك لا تسير الا باذنه فقال له عنتر ما هذا الهزيان انما يستأذن الا الجبان فياويلك يا عروة كيف أستأذن ولى هذه الابيات الحسان شعرا

تفندنى فيما ترى من شراستى ✵ وشدة أقدامى زبيبة ولم تدرى
فقلت لها ان الكريم اذا خلا ✵ يبيت على حال أمر من الصبرى

وفى اللين جبن والشراسة هيبة
ومن لم يهب يحمل على المركب الخطرى

ومابى على الاقاعى قضامة ✽ ولكننى قشرادوب على القشرى
فان تعدلانى تعدلا سيد العلا ✽ كريم على الاعسار مستدرك اليسر
اذاهم ألقى بين عينيه عزمة ✽ وصمصم تصميم الجواد على الاسر

(قال الراوى) ثم انه ركض بالجواد وتبعه مقرى الوحش وكذلك عروة بن الورد وما زالوا مجدّين الى ان لحقوا دريدا الفزارى والنياق بين يديه تساق فزعق عليه الامير عنتر زعقة عظيمة تفلق الحجر ونادى يا عربان أنا عنتر بن شداد كيف انكم تغيروا على جارى وتأخذون أمواله وتقتلون رجاله وهو من جملة عيالى وماله من مالى (قال الراوى) ولم يحمل عليهم بالشر خوفا من عواقب الامر فعاد اليه مقدمهم دريد الفزارى وقال له يا ابا الفوارس اعلم ان هذه النوق قد أخذتها من رجل كنانى كيف انها لك أو تكون من أموالك وتريد أن تلقى الفتنة بين قومك وبين بنى فزاره وتتركها عداوة بين الامارة فقال له عنتر معاذ الله أنتم الذين تريدوا ان تأخذوا مال من استجار بى وتحتقروا بى وتزدروا بنسبى فقال دريد يا ابا الفوارس نحن نمضى جميعا الى عند قاضى العرب ونجمع فرسان القبيلتين وشجعان الطائفتين فان حكموا لك بها اخذها بحق وان ثبتت لى أخذتها فقال عنتر أنا أريد أن أرد هذه النياق الى يد صاحبها فهى الساعة بحكمى كما كانت بحكمك وبعد ذلك أسير معك ما شئت فان ثبت لك على حق دفعته اليك وان لم يكن لك فيكون مالى تحت يدى ولا أتركه لك وهذا شىء لا يكون ابدا ثم انه سلم النوق الى صاحبها فقال صاحب النوق يا مولاى أنا أخاف أن

يقطعوا على ويأخذوها مني فقال عنتر سر أنت في ذمامي الى أن أموت وألقى حمامي فان عارضك فيها كسرى هدمت ايوانه أو قيصر قتلت رهبانه ونكست صلبانه ثم ان الرجل سار وقلبه بوعد عنتر وتبطن بها في البر الاقفر وأما عنتر فانه أنشد وقال

ان جاري فاعلموا * ذاك من أدنى عيالي
وأرى ناقة جاري * مثل نوقي وجمالي
ان للجار علينا * رفع ضيم بالعوالي
فان يلوم اللوم عني * دون مال الجار مالي

(قال الراوي) ولما ان فرغ من شعره قال له معتري الوحش لله درك ودر أبيك وبارك الله فيه وفيك فهذا ما كان من عنتر وأما ما كان من دريد الفزاري فانه سار الى بني فزاره وقد حلت به الخساره ودخل على حصن وقد أخبره بما قد جرى وقد زاد به النكد وفي عاجل الحال أرسل الى قيس رسولا يعلمه بما قد جرى ويأمره أن يحضر عنتر ويعاتبه على فعاله والا نرحل ونخلي لكم تلك الديار وان هذا ما يرضيك وتطفي هذه النار فتأمر عنترأن يرد الى دريد النوق والجمال والا وقع بيننا وبينه القتال فلما وصلت هذه الرسالة الى الملك قيس اغتاظ غيظا شديدا وأنفذ خلف عنتر فحضر وسلم فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس ما هذه الفعال تريد أن ترمي بيننا وبين بني فزاره السيف النساء ما خلعوا عنهم ثياب الاحزان لان حصنا قد أنفذ الي مع هذا الرجل يذكر أن صاحبه دريد يشتكي منك وقال انه أخذ النوق من رجل كناني وأنت قد ادعيت بجواره فلم أنت تدعي بالباطل فقال عنتر والله يا ملك ما ادعيت بالباطل الا بالحق وهو جاري ومني ومن قال انه ما هو جاري أرمه

بالسيف أترضى يا ملك تخفر ذمتى وأنا منك واليك وأنت تملكنى كما
أن حصنا لا يرضى لدريد أن يخفر ذمتى فقال قيس معاذ الله ولكن
أخبرنا ما الذمام الذى بينك و بين الرجل لنعرفه ونعلمه فعندها قال
عنتر يا شيبوب الحق الرجل صاحب النوق ورده فانطلق شيبوب
مثل الريح الهبوب وما كان الا بعد قليل فأتى وهو متغير اللون
فقال له عنتر لا بأس عليك اشرح للملك قصتك واوضح له نوبتك
فشرح له الذى جرى وكيف أوصل حبله بحبل عبده ميمون واسقى
ابله واتصال الحبل بالحبل ذمام والتماس الطنب بالطنب فقال
عنتر افعل ما بدا لك فعند ذلك ركب قيس واخوته والربيع بن زياد
واخوته القواد بن وسار عنتر معهم حتى وصلوا الى بنى فزارة وما
زالوا الى ان أقبلوا على سرادق حصن فترجل الملك قيس والربيع
وسار بنو عبس فتلقاهم حصن وبنو فزارة وسلموا على بعضهم
بعض وجلس قيس الى جانبه حصن بن حذيفة والربيع واخوته
فى الجانب الآخر وحضرت سادات بنى فزارة وسنان بن أبى
حارثة ومنصور بن عقبه ودريد الفزارى والرجل صاحب النوق
وقالوا لعنتر انزل عن جوادك للمحاكمة فقال أنا ما أنزل وأحاكم
الا على ظهر جوادى ثم حكى الرجل صاحب النوق ما جرى فقالوا
كلهم يا عنتر تعديت على بنى فزارة وليس اتصال الحبل بالحبل
ذمام ولا فعل أحد من الانام ولا من العرب الكرام وكان يقول
هذا المقال والكلام لسنان بن أبى حارثة فقال عنتر وانت تقضى
بيننا والله انك خصم على كل حال وأنا أقسم عليك بذمة العرب
وبشهر رجب اعلى ما سمعت أن عامر بن لؤى جار بديار قيس بن
هودة يستقى الماء على البئر فأذن له باتصال الحبل بالحبل فأذن له

وأوصله وأسقى ابله ومضى وبعد مضيه خرجت عليه رجال من العرب فأخذوا نوقه وجماله فرجع عامر بن لؤى الى قيس بن هودة وشرح له ما جرى وقال أنا فى ذمامك وما أعرف نوقى الا منك فسار قيس بن هودة ورد النوق الى صاحبها وقد لزمه مثل ما لزمنى وان قالت العرب بأن اتصال الحبل بالحبل ليس بذمام فأنا أجعله من اليوم ذمام لانى من القوم الذين يلبون الصائح ويمدحون المدائح فان عارضنى على هذا معارض أخذت رأسه وخمدت أنفاسه ثم بعد ذلك رد رأس جواده وعاد فلا يجسر أحد أن يعارضه ولا يكلمه فقال حصن بن حذيفة يا بنى عمى اسمعوا لى فى هذه الفعال وما طلب عنتر بهذا الا حسن ذكر ما بين العرب فاشهدوا على أنى قد أجرت ذمامه وقد قبلت كلامه على أن هذه النوق ما دخلت فى ماله ولا أخذها ولا طلب الا حسن الشيم وان كان يا دريد يغمك هذا فخذ منى عوضها نوقا وجمالا ولا تقم الحرب بيننا وبين عمنا فأبى دريد أن يأخذ منه عوضها وكان حصن قد خاف أن يوقع الحرب مع عنتر فيبذل فيهم الحسام ولا يبقى منهم لا شيخ ولا غلام قال ورجع عنتر وقد فاز بالذكر الجميل وقد رجع ومعه الحارث أخو الملك قيس فقال عنتر للحارث أراد أخوك قيس أن أذل لبنى فزارة وهم عتقاء سيفى فقال الحارث لله درك من همام يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الغلام مالك بن واقد فان الدنيا لا تسعه من شدة الفرح لما وصل سالم من عبر الزمان ومعه ثلاثمائة ناقة وأربعون عبدا قد كسبهم من ناحية أرض اليمن فلما دخل الى أمه قامت اليه واعتنقته وبكت عند لقائه أشد ما كانت تبكى عند غيبته لانها كانت أيست منه ولبست ثياب السواد حزنا عليه ولما

رآته طفت بملاقاته نيران أحزانها وشكت له ماجرى أيام دهرها وزمانها وما عمل أبو الجارية فما التفت اليه ولا سأل عنه لان علو المنزلة يغير طبع الانسان ويلبسه من حلل التكبير ألوان هذا والغلام قد أخذ يسأل أمه عن ابنت عمه وماجرى بعده وقال لها فى آخر كلامه يا أماه أبصرت اليوم لعمى سرادقات وهمة واهتمام ما كنت أبصرها قبل هذه الايام فقالت أمه وقد بكت يا ولدى لان غيبتك قد طالت على عمك فزوج ابنته لغيرك ثم ذكرت له قصة حصن بن حذيفة وماجرى له ولابى الجارية وكيف عاد من عنده بالخلع والمال والنياق والخيول وحدثت بالحديث الى آخره فلما سمع الغلام هذا الكلام غشى عليه حتى غاب عن الدنيا وانهل دمعه وجرى وترك يده على أحشاءه وقد خفق من شدة جواده وصار يقول واحسرتاه كيف ضاع تعبي والعنا فياليتني نهبتني أطراف القنا ولا عدت سالما من الاعدا على أنني وحق من رفع السماء ما أترك ابنت عمي تخرج من الاحيا حتى أنقطع بشفار السيوف وأبقى طريحا على البطاح فقالت له أمه وقد زاد بها البكى خوفا عليه من القتل والله يا بني ما بقى لك الى الجارية سبيل مادام انها قد تزوجت بهذا الملك الجليل وان أنت حركت من أجلها ساكنا هلكت لانك رجل غريب وحيد فقير قليل السعد والمعنى وحصن بن حذيفة ملك كبير والصواب عندى انك تسلو عنها وتتزوج بغيرها من البنات وأنا والله أزوجك بأحسن منها وأوفى قيمة ولا تعدمني شخصك وتدعني أبكى عليك الليل والنهار فقال الغلام والله لا أتزوج بغيرها أبدا ولا أشمت بى أحدا من الاعدا ولا بدلى عند الصباح ان أمضى عند خليلى عنتر بن شداد

الذى من أجلى آمن أباها وأعطاه الذمام وأنزله فى هذا المكان والبلاد وأحدثه بقصتى وأشكو اليه مصيبتى فان هو قصر بى على هذا الظالم الغدار والاهمت على وجهى فى البرارى والقفار ولا أرجع أذكر نورا حتى أموت منفردا عن الاهل والجوار ثم انه بات تلك الليلة يتقلب على الفراش يمينا وشمالا و يلح على أمه فى السؤال وهى تكرر عليه ماجرى وتخبره أن نوارا غير طيبة القلب بهذه الفعال وأنها تبكى عليه فى الخلوات وتذكره فى سائر الاوقات وهو كلما سمع كلام أمه زاد به الطمع وكف طرفه ودمع وكلما طال عليه الليل يجرى دمعه على خديه كالسيل و يعاتب أمه و يشير عليها و يقول

علليني يا أماه بالتذكار * وأطفى نار الهوى بذكر نوارى
واذا الدمع خانني فاسعفيني * بدموع من مقلتيك غزار
طال ليلى وقد تيقن قلبى * أننى لا أرى ضياء النهار
ليتنى مت فى بلاد الاعادى * أو قتيلا بالسيف تحت الغبار
يا حمام الاراك كن لى معينا * مسعدا بالحنين فى الاسحار
وأسعدى منى اذا نحن فى الدجا * على الفلك البعيد المزارى
فدموعى تروى ظمأى وتطفى * ماتخفيه من لهيب النار
جار عمى ظلما فيا خيبته * خاب ظنى فى الظالم الغدار
وتعدى وجار بالشؤم جورا * جبورا يؤدى الى خراب الديار

(قال الراوى) ولم يزل على مثل ذلك حتى طلع الصباح وأشرف فى الاقطار ولاح و ركب وسار الى جهة عنتر فلما وصل اليه ودخل عليه فى المضرب وهو من الهوى يتحسر و يتلهب فلما رآه سلم وخدم وأراد أن يشكو اليه حاله فسبقه الدمع وجرى على خديه ولما

أبصره عنتر عرفه وهناه بالسلامة وترحب به فرأى دموعه جارية
وحسراته متتابعة فسأله عن حاله فباح بأسراره وحدثه بقصته وما
تم له من أوله الى آخره وقال له فى آخر الكلام يا أبا الفوارس
ما شكوت اليك أحوالى الا وقد أشرفت على الهلاك وما أقاسى
من ألم الهوى وتباريح الجوى فلما سمع عنتر هذا الكلام ضاق صدره
وتفتت صبره وسب حصن بن حذيفة وبنى بدر وأبا الجارية كيف
شهرت نفسه الى كثرة المال وقال عنتر لمالك طب نفسا وقر عينا
فأنا أتى بها اليك وأزفها عليك وان حرك حصن ساكنا أسقيته
كأس حمامه ثم أحضر له شيأ من الطعام وترفق به فى الكلام
وطيب قلبه ثم ان عنترا أحضر مقرى الوحش وعروة وجماعة من
الرجال الذين يعتمد عليهم فى المقال وطلب بذلك أن يأخذ رأيهم
فيما يفعل فلما حضروا ورأوا الغلام قد عاد سالما فسلموا عليه وسألوه
عن حاله وما الذى جرى له فحكى لهم عنتر عن ماجرى بينه وبين عمه
وكيف غدر به وزوج بنته الى حصن بن حذيفة ثم ان عنتر شاورهم
عما فى ضميره وقصده فقال له أبوه شداد والله يا ولدى ما هذه الا قصة
مشكلة وربما تكون عاقبتها غير محمودة مهملة لاننا ان أحضرنا
أبا الجارية وعاتبناه على فعله ضيعنا ما عملناه من الجميل كما تعلموا
ان الرجل صعلوك وقد وقع لبنته على ملك من الملوك وربما احتج
علينا ويقول ان ابن أخى قد طالت على غيبته وأيست من قدومه
والبنت مالها الا الزواج وربما يحتج علينا بذلك غاية الاحتجاج وان
أخذتها غصبا أقاموا علينا الغارات ووقعت الفتنة بين بنى عبس
وبين بنى فزاره ويصيروا الناس كلها علينا ويقول حصن ان عنتر
سبى زوجتى وأخذها من بين أيدينا وأعانه الملك قيس على حربنا

ويبتلى

ونبتلى بشى ولا نطيقه ولا نقدر ندفعه عنا وينفتح علينا باب لا يسد
وهذه الامور الذى تجلب الشر مابطا وعنا عليها أحد وان بلغ أبو
الجارية انا قد أنفذنا من أجل ابن أخيه رجل الى بنى فزاره
وأخذ الجارية ويلتجى الى حصن بن حذيفة ونبقى نحن ما نقدر لهذا
الغلام على نصرة ولا نجلب لقلبه فرحة وهذا الامر لا يخلو من هذه
الوجوه وانى قد شرحت لكم شيئاً تعرفوه قال فلما سمع عنتر من
أبيه هذا الكلام زاد به الغيظ وقال يا أبتى وحق من أرسل الاعلام
ويعلم ما تخفى الصدور والاوهام وأحصى عدد الليالى والايام
لا كسرت قلب الغلام ولا آخذن له ابنة عمه ولو سار بها ابوها على
ظهور الغمام وها أنا صابر ولا أتحرك بحال من الاحوال ولا اطلع
أحداً على هذه الفعال حتى يتجهز أمر هذه الجارية وتزف على حصن
ولا يبقى كلام فعندها أخرج أنا وآخذها من الطريق وكل من مانع
عنها حلقت رأسه بهذا الحسام واذا صارت فى خيامنا منازعة يأتى
كل من فى الدنيا يأخذها منى ويعرف أحواله وما تكون ومن هو الذى
يخسر ومن هو الذى أمره يهون فعندها قال لهم عنتر أما لما كنت
أنا وأنتم فى دعوة أبى الجارية وذكر لنا انه زوجها لهذا الغلام من
قبل مضيه وانه قد توجه يأتى بمهرها ويأخذها فلأى شى يغدر به
ويمنعه عنها فقال الحاضرون بلى والله يا أبا الفوارس كان ذلك من
غير ريبه ولا خيفه ولكنه غدر لما وقع له مثل حصن بن حذيفة
وطلب كثرة المال وعلو الجاه وأمل أنه اذا صاهره يعيش تحت
عزه بالسادة فقال عنتر ان كان قصده المال فأنا أعطيه كلما يريد
وان كان قصده الجاه فأنا أحميه بسيفى هذا من كل من لبس الحديد
وان كان غدر بابن أخيه من غير سبيل فأنا أعيده على الحق ان أراد

وان لم يردوا كثيرما يقول لي الملك قيس ارحل عن أرضي وافعل أنت وغيرك ما تريد ثم انهم قضوا بقية ذلك اليوم بشرب الراح وتناول الاقداح فلما كان عند الصباح قال عنتر للملك عد أنت الى أبياتك ولا تمكن بهذا الامر نادما ولا تقبح على عمك فعاله ولا تظهر لاحد انك صعب عليك أعماله واذا كان يوم الزفاف وأبصرت بني عمك قد اشتغلوا بأمورهم فاتركهم وهم مشتغلون في فرحهم وسرورهم وأت بأهلك وكل أموالك الى هاهنا وابشر بعد ذلك ببلوغ مناك فباس الغلام يده وصدره وشكره على قوله وقد انجبر به كسره بالسادة وبعد ذلك بأيام تعزام الجارية وانقضى الاجل وانفذلها حصن الهوادج وأيضا انفذ أعلم الملك قيس واخوته والى الربيع ابن زياد وعشيرته يعلمهم بقصته ويسألهم أن يشرفوه ويحضروا وليمته فعجبوا من ذلك وقال الربيع ماهذه الفعال فمن ماكان في نسائنا ونساء بني فزارة من يرد حصنا عن هذه الاحوال حتى يتزوج من هؤلاء الكنانيين ويخالطهم بأنسابنا ويجعل أحسابهم متصلة بأحسابنا فقال الملك قيس لا يا ربيع لا تستقبح هذه الامور ومعانيها الان حصنا على كل حال صبي وربما يكون أبصر الجارية اتفاقا فهوى بها ثم تجهز في ساعة الحال وسار هو واخوته وجماعة كثيرة من عشيرته وأعرض واعلى عنتر المسير هو وأعمامه فما أجابوا الى ذلك لان عنتر عازم على ماقدمناه من أموره ومرامه فقال الملك قيس انني أختشي من الامور الحادثة وأنا أعلم ان بغضتي لا تزول من قلب حصن وسنان بن أبي حارثة ولا أشتهي أحضر مع من لا يريدني طول زمانه يكرهني ومن حاتي يريد أن يطردني فعذره قيس وانطلت عليه تلك الوسيلة وسار الملك قيس الى بني فزاره

وولده زهيرامامه فى جماعة من فرسانه والكل بالثياب الملونه من
الديباج المعلمة بالذهب الوهاج باساده فلما تمدى بهم المسير ولم يعلموا
بعدهم ماتحدث به المقادير فخرج بعد ذلك عنتر وكمن خلف الحى
فى جماعة من الذين يلتجؤا اليه وقال لابيه شداد واعمامه اعلموا
ان هذا الامر الذى عولنا عليه اذا نحن فعلناه مابقى لنا فى هذه
الارض مقام فنريد أن ندبر أنفسنا فيما عزمنا أن نفعله من المرام لان
بنى فزاره والربيع بن زياد ناس كثيرون اللجاج واذا أبصروا
فعالنا يبغوا علينا وكذلك الملك قيس وحصن بن حذيفة وربما
انهم أرادوا يوصلوا الاذية الينا والرأى عندى اننا نرحل بالمال
والعيال بين أيدينا ونأمر العبيد انهم يبعدوا فى البر يا لجميع ونبقى
نحن على ظهور الخيل مخفين منتظرين لما يأتى الينا سريع الى أن
تزف العروس ونتقدم الى بنى فزاره نطالع نحن ونأخذها ونلحق أهلنا
وكل من لحقنا نزلنا عليه الذل والخسارة حتى لا نكون قد أنزلنا
قوما فى أرضنا ولا يقال عنا الناس سبينا حريمهم واذا ملكنا الجارية
فى أيدينا نزلنا على بعض الاماه وزفيناها على ابن عمها ولا نعود حتى
لا يقبل الملك قيس له حجة على حصن اذا عتب عليه فى ذلك الامر
ويقول يا ابن العم ان الذى فعل هذه الفعال قد خرج من تحت طاعتى
وعصانى فى كل الاحوال فدونك واياه وجد فى طلبه من غير تقصير
وان ظفرت به افعل به ما تريد (قال الراوى) فلما سمع منه أعمامه
هذا المقال أطاعوه وعلموا انه صواب واحتاجوا أن يتبعوا رأيه فيما
أبدا لهم من الخطاب ولا يقيموا بعده فى الديار فتغدر بهم بنو فزاره
ويقطعوا منهم الآثار فقال لهم شيبوب والله يا بنى الاعمام هذا هو
الرأى الصواب والامر الذى لا يعاب وانى أردت أن أشير عليكم

بهذا الكلام فسبقني أخي اليهوان كلامه هو المعول عليه ثم انهم
بنوا أمرهم على ذلك الحال وأخذ شيبوب المال والعيال ورحل
بهم في الليل وجد في نهب الارض نهبا الى ان وصلوا الى مكان يقال له
مسارح الظباء وكان معه مائة فارس وبقيت الابطال وهم أربعمائة
فارس من الرجال الشداد لاننا قد ذكرنا قبل هذا الديوان ان بني
قراد عددهم ثلاثمائة فارس انجاد وهم أبطال أقيال شداد
وكانت رجال عروة مائة فارس وانضاف اليه من محبيه مائة فارس
قال الاصمعي وعند الصباح وصل اليهم ذلك الغلام الذي هو مالك
ابن قادم الذي طلعت من تحت رأسه هذه الامور العظام فسأله
عنتر عن الزفاف فقال له يا مولاي قد نجز الامر ولا بقي فيه خلاف وما
خليت القوم الا على نية الرحيل عازمين بالعروس على الجد
والتعويل وقد وصل اليهم سنان بن ابي حارثة ومعه خمسون فارسا
من بني فزارة احترزمن أمور تكون عليهم حادثة والكل بالسلاح
الكامل يريدوا بذلك الزينة أما العروس فقال له عنتر اليوم أصبحهم
صباح منحوس وأشتتهم في البراري والقفار وآخذ منهم العروس
ومن عصى قتلته ونزلت به العكوس يا سادة يا كرام ثم ان عنتر صبر
حتى أضحى النهار وعلم ان القوم قد انغمسوا في القفار فركب هو
ومقري الوحش وعروة بن الورد ومن معهم من الرجال الذين هم
مدخرين للشدائد والاهوال الذين قدمنا ذكرهم قبل هذه الاحوال
وكانوا خرجوا كانهم يطلبون الصيد والقنص وهم يؤملوا انهم يبلغوا
ما يرتجوه من الفرص الى ان بعدوا عن ديارهم في البر والقفار
فعندما لبسوا السلاح ومدوا اصدور الزرد وتسربلوا بالحديد المنضد
وركضوا على آثار بني فزاره وهم يريدوا أن يأخذوا منهم العروس

ويوقعوا بهم الذل والخساره فلحقوهم وقد بقى بينهم وبين ديارهم فرسخ طريق وكان سنان سائرا فى المقدمة من غير تعويق ومن خلفهم الهوادج والنياق ومن حولهم العبيد بالدرق الصفاق والسيوف الرقاق والرماح الدقاق وأقبلت الدنيا من فرحهم بالصياح والزعاق والجارية نوار جالسة فى هودج مجلل بجلال الابريسم الاخضر وكذلك الهودج قوائمه من العرعر وهو مصفح بصفائح الذهب الاحمر وهو مكلل بالدر والجوهر وهو على بعير أحمر أسود الحدق طويل العنق وهو مخطم بخطام من حرير ابريسم وذلك الزمام بيد عبد أدهم أدغم والجارية من داخل الهودج باكية حزينة على ابن عمها ومن حولها أقاربها وقومها وهم بالزينة الفاخرة والحلل الظاهرة وهم بالعدد الكاملة والزينة الشاملة وهم يطردون فى تلك البطاح ويتطاعنون فى مسيرهم بالرماح وقد أكثروا الفرح والصياح (قال الراوى) لهذه الاقوال الصحاح وكان حصن ابن حذيفة قد لبس ثيابا جميلة وتطيب وزين أحواله وركب على جرة أبيه الغبرا وهى بمركب الذهب والاعلام على رأسه يلتهب والفرسان من حواليه دائرة وهم يرقبون الى حضور العروس ووصوله فلما أبصر عنتر الى تلك الاحوال قال لعشرين فارس من أصحاب عروة الابطال دونكم وهؤلاء العبيد أفرشوهم على وجه الصعيد وابذلوا فيهم السيوف واسقوهم شراب الحتوف وسوقوا العروس هى ومن معها من الاماء والحقوا بأخى شيبوب الى مسارح الظبا ودعونا نحن نرد عنكم الخيل اذا عادت نتبعها نهبا ففعلوا رجال عروة حتى قاربوا العبد القائد بزمام ناقة العروس وضربه على عاتقه بالحسام البتار واذا برأسه عن جسده قد طار

وقتلوا أصحابه جماعة من العبيد وهرب الباقي في جنبات البر والبيدا وتقدم مالك بن قادم وأخذ بزمام ناقة بنت عمه وقد زال عنه همه وغمه وسار وتبعه باقي الرجال الاخيار وساقوا النوق والاماء والهوادج ومن فيها من النساء الاحرار قال الناقل لهذه الاخبار فعندها بلغ الخبر الى سنان بن أبي حارثة من العبيد بهذه المصائب الحادثة فظن ان الذى فعل هذه الفعال خيل غائرة فحركوا الجنائب لينظروا من أين أتتهم هذه المصائب ثم انهم هزوا بأيديهم عوامل الرماح وجدوا الى أن تقاربوا ووقع بينهم الصياح فتقدمهم سنان فعرف عنتر بن شداد وعرف الذين بعثه من بني قراد وكذلك رجال عروة الاجواد فوقف سنان وقال ما هذه الاحوال يا بني الاعمام سكارى أنتم أم عقولكم قد اختلت أو أنتم في منام يا ويلكم تسبوا حريم حصن وسادتكم في وليمته وتجددون الدما بين القبيلتين وتحوجونا الى الشر واقامته وهذا ما تريده منكم وأنتم تعلمون ان النساء بعدما خلعوا عنهم ثياب الاحزان فقال عنتر نحن ما نسبي حريم أحد يا سنان ولا فعلنا هذه الفعال الا لاجل أب الجارية الذى ظلم وفعل بئس الفعال وزوج بنته لابن أخيه مالك وقد شهد على نفسه بذلك وذكر انه قد غدر به وشمت به أعداه وذلك لما اتيت أنا به وأنزلته في جوارى وآمن هو وقومه لكونهم أقاموا في ديارى ومضى الغلام يتسبب في شيء يرضي به عمه من غير علمي وكان ذلك حقلى وقسمي وأتيتم أنتم وفعلتم هذه الفعال ورغبتم أبا الجارية في وزن المال وتزوج بها حصن وطلب بذلك ارغامي وهذا شيء ما أتركه يتم على من أعطيته زمامي ولابد لي أن أعيد السيف الى أقاربه وأعطي الحق الى أصحابه وأقابل الظالم على فعاله

ومن

ومن ركب على غير طريق الحق جازيته على أعماله بهذا الحسام
الى طريق الحق والانصاف فارجع أنت ياسنان ودع عنك
كثرة الفضول والاعدت وأنت مذلول مرغوم (قال الراوى)
فلما سمع سنان هذا المقال حار والتهب ولحقه الانبهار وخاف أن
يطاول فى المقال فيقتله عنتر قتلا وكتم أمره حتى كأنه ما علم بالخبر
وقال له يا ابن العم أنت وشأنك أخبر ونحن ندعك يا أبا الفوارس
تكون فى هذا الامر محكم حتى اذا رأيت عاقبته مذمومة ورأيت
أنت نفسك فى الخطر تندم حيث لا ينفعك الندم لانك قد أغضبت
القبيلتين اللتين أنت منهما وفعلت هذه الفعلة التى كنت غنيا عنها
وارضيت رجلا غريبا وأقت الفتن وانى أخشى عليك من هذه
المصائب والمحن يا سادة فقال عنتر يا سنان وحق ذمة العرب
وفضائل شهر رجب والرب الذى اذا طلبه كل العباد غلب ما يحل
لندم الا بك وبقومك أجمع اذا أنتم وقعتم فى ملاقات الاسد
لا درع أما أنت شاهدت وقعاتى فى بنى فزاره وما فعلت فيهم من العبر
وكم مرة رددتهم بأذيال الخساره تتفتر وكم أهلكت منهم فرسانا
وما فيكم من قدر على سيف ولا سنان ومتى رفع لكم بنو العرب
راسا يا أخس الاجناس ويا ابن ألف قرنان ثم انه من شدة الغيظ
الذى نزل به أشهر الحسام وهم أن يهوى به اليه لوى عنان جواده
وطلب العودة من غير خصام وعادت فرسان بنى فزاره وعاد عنتر
وقد أشفى فؤاده بالكلام وأما أبو الجارية فانه خاف أن يرجع الى
بنى فزارة فيحل به ما حل بهم من الخساره فجمع أصحابه وتقدم الى
بين يدى عنتر وبكى واشتكى وقال يا أبا الفوارس لا تظن انى فعلت
هذه الفعال وانما غضبت عليه وأنقذ حصن يقول لى ان لم تزوجنى

بنتك والا اخذتها غصبا لانى صاحب هذه الارض والوادى والقوم
الذى أنت نازل عليهم هم عندى وفى بلادى وكان أيضا ابن أخى
قد سافر وطالت غيبته وقد أيست منه وخفت من اثار الفتنة
من جهته وأنا رجل غريب عن الاوطان فزوجته بالجارية لعل أن
تنطفى هذه المحن والا ٓن ابن أخى أحب الى مادام قادرا على حمايتى
وهو أحق ببنتى من غيره فقبل عنتر عذره وفعل معه فعل الرجل
الكريم وقال له الحق أنت وقومك بالهودج والحريم ولا تخف من
كل من فى الارض ولا من ملوك سائر الاقاليم ياساده فعاد سريع
بركض خلف الهودج والنوق وقد رأى من عنتر ما لا رآه من مخلوق
وعنتر يقول لابيه وأعمامه الصواب كان القبض على سنان أوقتله
لاننى أعلم أنه يعود الى بنى فزارة ويملأ قلوبهم علينا ويحثهم على
النفور الينا ثم انهم ساروا وقد بلغوا المقصود وأملوا انهم يرزقون
النصر من الملك الودود (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء
وأما ما كان من أمر سنان بن أبى حارثة لما فارق عنتر ركض وجد
فى المسير مقدار فرسخ وهو سكران من شدة الغيظ ولم يزل حتى
أشرف على بنى فزارة فرأى حصنا وهو راكب على جرة أبيه الغبرا
وعليه كاذ كرنا حلل الجمال وحوله موكب كبير من الرجال وهو قد
تباهى بالزينة والملبوس وقد ظهر الى خارج الخيام فى انتظار
العروس وفرسان بنى فزارة عن يمينه وجماعة خلفه والربيع بن
زياد وجماعته عن شماله وهم فرحى ببلوغ آماله ولما رآهم سنان
وقرب منهم صاح وصار يقول ادركونى ياسادات العرب فقد ذهبنا
وقد تعدى علينا هذا العبد الانكد فالعجل العجل قبل ما يبلغ منا
هذا العبد ولد الزنا الامل (قال الراوى) ومازال على مثل هذا

الحال

الحال يكثر العتب والمقال حتى انه صار مع القوم فتبادروا اليه وسألوه عن حاله وما دهاه فعاد عليهم ما فعل عنتر وكيف أخذ العروس وتجارى على هذا الامر المنكر ولما انتهى مما عاد عليهم من تلك الاقوال القباح تبدلت أفراح القوم أتراح وعلا من الرجال الضجيج والصياح وأما حصن بن حذيفة فانه غاب عن الوجود ونضجت من شدة الغيظ الكبود وبقى حاضرا فى صفة مفقود وأما الربيع بن زياد فقال لعن الله الاصل المفسود لانه أبد الدهر لا يرفع ولا يسود وأبصر الملك قيس ما جرى على حصن فطيب قلبه وخفف عنه ما اعتراه من كربه وقال وحق ذمة العرب ان هذا الولد زنا وقد عدل عن طريق الاستوى ومابقى له بعد هذه الفعال الا السيف دوى ثم انه استشار الربيع فيما يفعل حتى ينظر ما يبديه من كلامه فقال له ما فى الامر الا اننا نعود الى الحلة حتى اننا نطبق على هذا فى خيامه ونقبض عليه ونبدل بالذل اعزازه ونضرب من هؤلاء الكنانين خمس رؤس ونرد بعد ذلك على حصن العروس وبعدها أنت الحاكم على هذا العبد الشرير ان شئت تدعه عندك أسيرا ونجعله دائما يطحن الحنطة والشعير وان أبعدته ونفيته عن الحلة ونترك فرسان العرب تقصده وتأخذ ما لها عليه من الدما أو يرجع اليك ويلزم ما كان فيه من رق العبودية ويتوب عن فعاله الرديئة فقال الملك قيس هذا هو الصواب ثم أوعد حصن عادا بينهم من الخطاب ثم ان الملك قيسا عاد الى حلته وفى قلبه لهيب النار وما زال يفكر فيما يفعل حتى انهم أشرفوا على الديار فرأوها من عنتر بلاقع بلا قائل فيها ولا سامع فقال الربيع ها قد عرف القرنان ما يجرى عليه قبل أن نقربه وحسب الحساب قبل أن نحسبه وما بقى

في الامر الا أننا نرسل الى حصن نعلمه بهذا الحال وندعه يطلبه بكل ماتقدر عليه من المواكب والابطال ثم انه أرسل بعض غلمانه الى حصن يخبره بهذا الخبر ويقول له يا ابن العم اعلم ان دمه لك حلال ومباح ونحن نعينك عليه بما نقدر عليه من الرجال والسلاح ولما وصلت هذه الرسالة الى حصن زاد بلاؤه وهانت عليه الآجال ولطم على وجهه وقال لسنان يا عماه انظر ماذا تعمل معي والا انقطع من الدنيا مطمعي فأن هذه الجارية ان لم تأتيني ذاب جسدي وتفتت كبدي فقال سنان والله يا ولدي ان في قلبي من الهم أقوى مما في قلبك من هذا ولد الزنا وان لم أحرص على هلاكه عند دولة ناصره مت كمدا ولا بدري بوتي أحد لانه رحل في دون المائتين فارس ورأيته سائرا الى ناحية مسارح الظبا وقد رحل رحيل من لا يرجع ومادام قد تخلى عنه قيس فان عند الصباح أسير خلفه بجمع من الرجال وأرغم أنفه لعلنا نكاثره ونذيقه الذل وننسي حريمه ثم انه نادى بين الخيام والاطناب وأمرهم بأخذ الاهبة للطعان والضراب وبات حصن في نار الالتهاب فلما كان عند الصباح ركب واعتد للكفاح وخرج بر الخيام وفي دون ساعة وعقدت على رأسه الرايات والاعلام ودارت الرجال من كل جانب ومكان ولحق به كل بطل همام وسار سنان في المقدمة وهو طالب الى مسارح الظبا وقد تكاملت الجيوش أربعة آلاف فارس من كل مدرع ولابس كأنهم الاسود العوابس هذا وحصن سائر امامهم وهو ينشد ويقول

أسرني العشق يا سادات بدري ✽ ففكوا بالسيوف وثاق أسري

وعينوني ببيض مرهفات ✽ وأطراف من اللحظ سمري

أتسبي زوجتي وأبي وجدي * ولات الامر في سهل ووعر
فواعجبا كيف يذل مثلي * خسيس الاصل عبد غير حر
ويملك ظبية رشقت فؤادي * بسهم لواحظ كحلت بسحر
فتات في القلوب لها لهيب * يذوب له الحشا من غير جمر
ما ترك في ديار بني قراد * عويلا دائما في كل فجر
على العبد الذي أضنى فؤادي * وأسهر مقلتي وأطال فكري
فان صدتني الايام عنه * وجال بسيفه في آل بدر
طلبت الموت بالسمر العوالي * كما قدمات قبلي كل حر

قال وساروا يقطعون الارض ركضا وأي ركض ويجيبون نهارفعا وخفض على ذلك الترتيب وقلوبهم تغلي بالمصايب والاحقاد على عنتر بن شداد قال وكان عنتر لما ملك العروس وسلمها الى ابن عمها وعاد عنه سنان سار وهو يسوق الهوادج والمال والحريم والنسا حتى وصل الى أخيه شيبوب وقت المسا ونزل في أرض مسارح الظبا وطابت قلوبهم على بني كنانة وعادوا الى ما كانوا عليه من الذمام والامانة وفرحت الجارية بابن عمها وقد أزال عنها همها وغمها وتكلم أبوها في زفافها فقال عنتر ما هذا انتهى فيه باعراس وولائم ولا نقدر على المقام في تلك الاطلال والمعالم لان بني فزارة عن قريب يغزونا وسنان بن أبي حارثة يجمع الجموع علينا والصواب اننا نبعد عن هذه الديار ونتبطن في فلوات القفار ونفعل بعد ذلك ما نحب ونختاره ولكن ما نرحل من ها هنا حتى نكسر خيلهم ورجالهم ونبدد أبطالهم وأقيالهم ونرد فرسان بني فزارة وهي معلقة باذيال الخسارة لاني أنا أعلم انهم عند الصباح يكونون عندنا لاني أعرف حماقة حصن ولجاج سنان لانهم يطمعون في انفرادنا وقلتنا ولا بد لي أن أثر في بني

فزاره أثر اوابر كهم فى أذيال الخسارة والعبر ثم انه رتب عمرو بن الورد وعشرون فارسا للحراسة من الطارق والوبل وسار هو الى بنت عمه عبلة وبات عندها حتى مضى الليل واذا قد طلعت عليهم نواصى الخيل لان المسافة كانت بينهم قريبة وكان سنان سار فى بنى فزاره ذلك اليوم وأرفق فى المسير حتى تلاحقت بهم الفرسان ولما كان وقت المسا أمر الناس بالنزول والراحة الى وقت السحر ورحل فأصبح مسارح الظبا عند الصباح وعند وصوله ارتفع عن أصحابه الصياح ولمعت الاقطار عن بريق الصفاح فعرف عنتر حقيقة الحال وقال هذا الحساب الذى حسبته واليوم ألحق حصنا بأبيه وأعمامه وأعرفه كيف يكون على قومه شؤم طلعته ثم انه ركب على ظهر مهره كوكب بن الابجر وكان قد لبس الدرع وتقلد بسيفه الضامى الابتر واعتقل برمحه الكعوب الاسمر وقال لفرسانه الذين كان يعتمد عليهم دونكم يا بنى عمى وهؤلاء الانذال القليلين الخبرة بأمر القتال ولا تطعنوهم الا بأعقاب الرماح لان دماءهم علينا حرام لما بيننا من حرمة النسب والذمام ولكن عرفوهم قدرهم واقبلوهم على بغيهم وغدرهم ثم انه حمل على ظهر مهره كوكب وزعق فيه فاشتعل والتهب وطار بلا جناح ولا تعب ولا ملل ودعس فيهم دعس النمر الاغلب وهو ينشد ويقول

أنا البطل الندب يوم الكرب * اذا نشط القوم طعن الغضب
أنشط الرماح لنحر الصدور * واغمض فى الهام بيض الشطب
وأرعى لجارى حق الجوارى * وأردى العدو رهين التراب
ترومون ظلمى بأفعالكم * وبشرط الظلوم عناد العرب
وان لم أخلى لى اهلها * فما بى شداد يدعى بالعرب

(قال الراوى) ثم انه لما فرغ من انشاده حمل وتبعه مقرى الوحش وعروة بن الورد وحملات الرجال الذين كانوا معه وفى ساعة الحال اختلف الطعن واشتد القتال وعرف الادبار من الاقبال وعظمت الرواجف من شدة الزلزال وطاش العقل وزال وبطل حكم البراح والنزال وصار مهر عنتر يهمز من تحت الغبار كهمزات الغزلان ويسطو عليهم حتى انهم طلبوا منهم الانفصال وعنتر يطعن فى خواص الرجال ويمدد الابطال على الرمال ومازالت الفئتان فى القتال حتى عول النهار على الارتحال فعند ذلك انهزمت بنو فزاره وعادت تعترف بأذيال الذل والخساره لانهم ابصروا عنتر بين اصحابه يطعن بأعقاب الرماح فى القتال فعلموا انهم ماخطروا لهم على بال فتقطعت لذلك ظهورهم واحتاروا فى أمورهم وعلم حصن ابن حذيفة بتقصيرهم فأيس من العروسة وكاد من شدة ماجرى عليه أن يهلك نفسه وهم أن يخرج من تحت الاعلام ويقاتل مع الفرسان فى الصدام فمنعه من ذلك سنان وخاف أن يصيبه عنتر فينزل به الهوان فقال له ياولدى اصبر ولا تخاطر بنفسك فيهلكك هذا الشيطان ودعنا نصادم هؤلاء الشياطين الى وقت المسا ونبايتهم الى غداة غدا وترى ما أفعل بهم من الذل والاسا لاننا لما أقبلنا عليهم علمت انهم يقصرون عند مقابلة عنتر وان لم تبسطوا عليهم لا ننصر ولا نقفر وانا ماسرت بهذه العسا كر اليسيره الا تبعا لغرضك حتى اننا حلت بنا من العبد هذه الامور الخطيره وانى قبل مسيرى أرسلت الى بنى عمى هاشم بن حرملة وأوصيته أن يلحقنا بمن يقدر عليه من فرسانه المتجملة وأقول انه يدركنا عند الصباح وبقينا على مانحن فيه على هؤلاء القوم من الحرب والكفاح فالزم

أنت ناموس الملك وقم تحت الاعلام ودعنا نحن نبذل المجهود فى هؤلاء الاوباش اللئام يا ساده ولما فرغ سنان من هذا التدبير والمرام قال له رجل من قومه يقال له أبو ماضد يا سنان ومن يقدر يقيم الى غداة غدا وحق القديم الماجد ان أقمنا الى غد ما يبقى منا ولا واحد ولا يقدمنا الا فحل لا يخاف الفحول ولا يثبت بين يديه الا من يصبح أسيرا مذلولا والصواب انما نطلب منه الامان ونترك له العروس ونعود والاحق عددنا هو ومن معه من هؤلاء الابطال والجنود ولا سيما هؤلاء الرجال الذين لم يخطر لهم الموت على بال وكل واحد منهم يعد بفرسان وقبائل فقال له سنان أذل الله رقبتك يا أبا ماضد ما أخبثك ولا نجاك من الشدائد ولكن وحق الرب القديم الواحد لا رجعت عن هذا الامر حتى أبلغ ما أنا قاصد وترى بعينك وتشاهد ثم انه صاح فى الرجال وحثهم على القتال فقاتلوا حتى غسق الظلام وأذن النهار بالانصرام فرأوا فى ذلك الوقت من عنتر طعنات تحير الافكار وتذهل الابصار وبقوا لم يعرفوا ما يأتى لهم من الاخبار فولوا الادبار وطلبوا منازلهم والديار وقد لحقهم عنتر بالطعن والضرب وعروة بن الورد ومقرى الوحش قد فرقوهم شرقا وغربا ونجا حصن على فرس أبيه الغبرا وقد غاص فى البيدا وهو لا يصدق بالنجاة أن يرى روحه سالما من الاعدا يا ساده وكان قد انجرح جماعة كثيرة من بنى فزاره وبقوا مجروحين على وجه الثرى وباتوا من وجد الرماح فأخذوهم بنو عبس أسرى وعادوا عند المسى وهم يتباشروا بالنصر وقد أمنوا من الغلبة والقهر وعنتر بين أيديهم كأنه الاسد البهلول وهو ينشد ويقول

اذا قنع الفتى بذميم عيش ❊ وكان مورى كالبنات

ولم

ولم يهجم على الاسد الضوارى * ولم يطعن صدور الصافنات
ولم يخش النزيل اذا اتاه * ولم يرض الكمات بنى الكمات
ولم يكتسب بضرب السيف مجدا * ولم يك صائلا فى النائبات
ويحمى عن حمى الجيران جهدا * ويروى الرمح من دم العداة
فقـــل للناعيات اذا نعوه * ألا فاقصرن يا ناعيـــات
ولم تفـــد بن الا ليث غاب * همام فى الحروب الثائرات
دعونى للحروب اذا ألاقى * فوت العز أطيب من حيات
وأضرب بالحسام اذا تنادت * أسود الغاب عند الضائقات
لعمرى ما الفت بكسب مال * ولا يدعى الفتى من السرات
الا ان كان يدرى الضيق يوما * ويطعن بالرماح الذابلات
ويقتحم العجاج ولا يبالى * ويضرب بالسيوف القاطعات
ويذكر فى الحروب اذا تنادت * حمات الحرب تصرخ بالحمات
فذاك الذكر باقى ليس يفنى * مـد الايام من ماض وآت

(قال الراوى) لهذا الكلام فلما سمعت السادات من عنتر تلك الابيات والانشادات طربوا لها غاية الطرب وما فيهم الا من قوله وفعله تعجب ولما رجعوا وقربوا محل القرار جمعهم عنتر للمشوره فى الاقامة والرحيل من تلك الديار وقال لهم يا بنى عمى الذى أشير به عليكم ان هـذا منزل لا نقدر على المقام فيه ولا لنا عيش هنى لان سـنانا لا يغفل عن غزونا وعما يدبر أمورنا والصواب اننا نرحل من هـذه الارض ونتحصن ببعض الجبال حتى نكون آمنين على الاهل والعيال والاموال فقال شيبوب ارحلوا بنا عند الصباح الى جبال بنى غزية واقيموا فى تلك الجبال الحصينة العليه لانها جبال طيبة المساكن خصيبة البقاع والاماكن وما لنا هناك جوار سوى

دريد بن الصمه وقومه بنى جشم وبنى سليم وبنى هوازن وان القوم مسافتهم عنا مسيرة يومين وأنا أعلم يا أخى ان دريد بن الصمه اذا سمع انك رحلت من بنى عبس وعدنان وأتيت الى هاهنا ونزلت فى هذا المكان فيأتى اليك ويسألك أن ترحل معه الى أرضه وتقيم عنده وعند بنى هوازن وذلك يكون زيادة فى جاهك بنزولك فى جواره فقال عروة بن الورد لقد أتانا شيبوب بالصواب لاننا كلما بعدنا طالت المسافة بيننا وبين الاعداء واسترحنا من الحرب وكان أهنا لعيشنا وأريح لقلوبنا من العذاب ثم ان القوم بنوا أمرهم على مثل ذلك المقال والقيل فلما اصبح الصباح وقد عزموا على الرحيل واذا بخيل قد أشرفت عليهم من عرض البر الطويل فكشفوهم فاذا هم مقدار خمسة وعشرين فارسا فلما حققوهم بنو عبس أنكروهم وتبادروا اليهم وسألوهم عن أحوالهم وعن أنسابهم فأخبروهم وكانت هذه الخيل من سادات بنى كنانه وقد أتوا يترضون أبا الجارية ويتبعوا معه حذا الامانه لانا ذكرنا انه رحل عند قومه هو ومن معه غضبان ووقع بهم عنتر فى البر يوم المطرة وجرى لهم ما جرى من ذلك الامر والشان وفى ذلك اليوم أشرفت عليهم تلك الفرسان وقد تعارف الرجال بعضهم ببعض وفرحوا الذى قرب الله عليهم العنا وتقابلوا فى تلك الارض وتباكوا من ألم الفراق وعتب القادمون على المقيمين لاجل الغربة والتشتت فى الآفاق وقد حلف الفرسان القادمون أنهم لا يعودوا الى قومهم الا بهم أجمعين ثم انهم تقدموا الى خدمة عنتر وفى ذلك سألوه بعد ما خدموه وشكروه على فعاله فأجابهم عنتر الى سؤالهم وقد استحى منهم ولم يخيب قصدهم وقال يا وجوه العرب طيبوا قلوبكم أنتم فى ذمامى ما دمت أملك رمحى واضرب

بحسامي فسيروا من ههنا بأمان وشاققوا من شئتم من ملوك الزمان وزوج ابنتك لابن عمها مالك من حين ما قبضت منه مهرها فرف عليه زوجته ولا تهمل أمرها فأنتم تعلموا انى ما رحلت عن قومى وشاققتهم الا من أجله ولاجل حصن بن حذيفه وما أبدا من فعله فقال له أبو الجاريه من حيث أنت غضبان على قومك من أجلنا فسر معنا الى أهلنا وتكون بين قومنا وفى ديارنا وترتفع بجاو رتك أقدارنا ونحكمك فى أرضنا ومراعينا حتى يأتوا قومك كما أتوا قومنا الينا فعند ذلك قال لهم عنتر لا وحق البيت العتيق المطهر لا نزلت الا فى عرصات البر الاقفر لان طبعى صار ينفر من رفقة البشر يا ساده وما قال عنتر لهم ذلك المقال الا من عظم همته وشرف نفسه بين الرجال لانه ما رأى على روحه انه ينزل عند قوم كانوا هم نازلين عليه وتحت ذمامه ولم يريد الا انه يعانى أموره وهو يحكم نفسه حتى يبلغ مرامه ثم انه أشهد على أبى الجاريه المشايخ الذين أتوا معه وصافحه بأنه يزوج ابنته بابن عمها وعاقده ونكحه ثم ودعهم عنتر بعد ما طلب منهم لنفسه وعزم على الانفصال ثم انه سار وسار شيبوب على أثره بالاموال والحريم والخدم وتتابعت من خلفهم الفرسان والابطال وقد قطعوا الا آمال من منازلهم والاطلال وكان أشدهم حرقة وأعظمهم مشقة عنتر بن شداد لاجل فعاله مع قومه وما فعلوا معه من تلك الامور الذى توجب النكياد فسار شيبوب قدام القوم وقد تبعان الاوديه والا آثار وهم طالبون جبال بنى عروة وقد بنوا لهم بالسيف منازل عليه حتى قاربوا الارض التى هم اليها قاصدين والى نحوها مجدين فتذكر أرض الشربه والعلم السعدى وتذكر ما جرى عليه من قومه فجعل فى نفسه يعيد ويبدى وصار

هو كثير الافتكار ومن عزة نفسه جرت دموعه تابعه وحسرته متابعه فجاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره فأنشد وجعل يقول

اذا فاض دمعى واستهل على خدى
وجاذبنى شوقى الى العلم السعدى
اذكر قومى ظلم قومى وبغيهم ✻ وقلة انصافى على القرب والبعدى
بنيت لهم بالسيف مجدا مشيدا ✻ فلما تناها مجدهم هدموا مجدى
أنا عندهم فى الحرب سيد قومهم
وعند انكشاف الحرب احقر من عبدى
يعيبون لونى بالسواد معاشرا ✻ فعالهمو بالقبح أسود من جلدى
فواذل جيران اذا غبت عنهم واو ✻ وطال المدا ماذا يلاقون من بعدى
وكيف يحل الذل قلبى وصارمى ✻ اذا طل يأتى البرق يلمع من نجدى
أيا عاذلى ما يدرك الطالب العلا ✻ با بائه الغر الكرام ولا الجدى
ولا الفخر الامن يحلى غمام مكدر ✻ بأطراف السنان ومرهف الهندى
نديمى اذا عنيتها بعد سكرها ✻ فلا تصف لاطلال سلمى ولا هندى
ولا تذكرالى غير خيل مغيرة ✻ ونقع غبارها لك الاون مسودى
لان غبار الصافنات اذا علا ✻ انشقت له ريح ألذ من الشهدى
وريحانتى رمحى وكاسات مجلسى
جماجم سادات حراص على الجدى
ولى من حسامى كل يوم على الثرا
نقوش دماء تغنى الندامى عن الوردى
وماذا يغيب السيف أغلاف غمده ✻ اذا كان فى يوم اللقا قاطع الحد
ولله من ليل غبار قحمته ✻ على ضامر الجنبين معتدل القد

وطاعنت

وطاعنت فيه الخيل حتى تبددت
وفرت كأسراب القطا الى الورد

فزارة قد هيجتها ليث غابة ❊ ولم يفرقوا بين الضلالة والرشد
فقولوا لحصن ان يعانى عداوتى ❊ ينام على نار من الحر والوجد

(قال الراوى) فلما انشد عنتر هذه الانشاد طربت لها السادات وتعجبوا من تلك الاشعار وقد أسرهم منه ما سمعوا من تلك العزمات ثم انهم ساروا فى ذلك اليوم بلا توانى فى تلك الليلة واصبحوا فى اليوم الثانى واذا قد أشرفوا على حلة تموج بقطانها وترتج بسكانها كأنها بحر زخار وموج وتيار والحلة فى وسط مرج أفيح وفيه زهر قد فتح وعيون ماتسرح وغدير كبير كأنه البحر المستدير وفساطيط أرجوان مضروبة ورماح مركوزة وخيل مجنوبة وابل وأغنام وخيل وأنعام فلما نظر عنتر الى ذلك صاح فى أخيه شيبوب وقال له يا ابن الام من يقال لهؤلاء القوم الذين هم فى هذا الامر المهول فقال له يا أبا الفوارس هؤلاء قوم يقال لهم بنى الجريش وهم خلفاء بنى عامر ولهم فارس عظيم يقال له معاوية بن شكل الجريشى وله نساء مفاخر وهم أقوام كرام ولهم حرمة وذمام فعندها قال عنتر اقصدهم يا أبى رياح حتى تنزل بالقرب منهم حيث ذكرت انهم ناس ملاح فعندها صار شيبوب الى أن قرب من الحى وأمرهم بالنزول فنزلوا وضربوا خيامهم وعلوا قبابهم عرضا وطولا وسرحوا مواشيهم مع رعاتهم فأنكرت رعاة بنى الجريش رعاة بنى عبس لما رأوا صفاتهم وقال العبيد بعضهم لبعض ترى هؤلاء من أى أرض وانهم قد نزلوا فى أرضنا بغير أمر ساداتنا ولم يشاوروا ملوكنا ولا ساداتنا ثم تقدم عبد منهم وقال حياكم الله يا وجوه العرب والسادات من ذوى الرتب المتوصلين

من أين تكونوا أيها السادات ومن أنزلكم فى هذه الربوات فكان
الجاوب لهم بعض موالى عنتر لما سمعوا منهم ذلك الكلام المنكر
نحن المكاشفون الامور الشداد الزياحون الضيم عن العباد بنى
عبس وآل قراد وفيهم حاميتهم الفارس الجواد وليث الطراد وحية
بطن الواد وأسد الاساد الامير عنتر بن شداد يا ساده فلما سمعوا
العبيد منهم ذلك الكلام أسرعوا الجميع الى ساداتهم بالاعلام
وأخبروهم ببنى عبس ونزولهم عليهم وأخبروهم بقدومهم اليهم
فعند ذلك أسرعوا سادات الحى المشايخ والشباب لاستقبال بنى
عبس وقد تعجبوا من نزولهم فى ذلك المكان فسألوهم مشايخ بنى
الجرس عن قدومهم عليهم لاى شىء كان فأخبروهم بنى عبس
بالقصة التى جرت عليهم وانهم طالبين جبال بنى عروه ليلحقوا
اليهم فعند ذلك حلفوا سادات الجريش عليهم ونقلوهم الى مواضع
قرب حالهم وأنزلوهم فيه فنزل بنو عبس عندهم واستقروا
فى جوارهم وقد طاب لبنى عبس المقام ونقلوا اليهم بنى الجريش
الطعام والمدام وأكرموهم غاية الاكرام وطلبوا منهم أن يكونوا
حلفاءهم فرضوا ذلك بنى عبس فعند ها تحالفوا مشايخ القبيلتين
وصاروا يدا واحده وأن يكونوا على الاعداء متعاونين وللاصدقا
مصادقين (قال الراوى) يا ساده فهذا ما كان من عنتر وأحبابه
وأما ما كان من الملك قيس وأصهاره فانه لما وصل اليه الخبر بأن
بنى قراد وحاميتهم عنتر قد نزلوا على بنى الجريش وصاروا يدا واحدة
فندم حيث لا ينفعه الندم وتفرقت القبيلة وعادت متباعدة وقال
والله لا يخلف لنا الزمان مثل عنتر وبقى من ذلك الامر الذى طوى
عليه والحلف الذى وقع فى القبيلة مكدر وأما الربيع بن زياد وأخوه

عمارة الفؤاد ففرحا بابعاد عنتر وآل قراد وقال الربيع لاخيه عماره ايش يكون شكرك على قلع الاسود الزنيم من هذه الديارة قال والله ياأخى مابقى فى هذه النوبه ترى له أثر وبعدما أبعده الملك قيس لهذا الاخطار ومابقينا نرى له خبر ولاسيما من جهة حصن بن حذيفه وبنى فزارة وماجرى بينهم من تلك الغيون وتلك الاشاره ففرح عماره بذلك وقال هذا اليوم الذى كنت اشتهى وأريد وماتنظر ياأخى من تمام نعاسته نزل على بنى الجريش وقد صار بهم فهل تقدر ياأخى تشتته عن ديارهم فقال أى وأبيك وحق الرب العظيم رب زمزم والحطيم والهموسى وابراهيم ثم ان الربيع لما فرغ من كلامه وثب فى الحال على أقدامه وأحضر كيس من الاديم الطائفى بلاهب وأخرج منه ناقشة من المسك وخمسين دينارا من الذهب الاحمر وخمس طبلات من العنبر ووضع الجميع فى فارغة وشدها شدا وثيقا وختمها وكتب رقعة الى النابغة الذبيانى شاعر العرب يذكر فيها بأنه يسلم عليك ويستوحش اليك ويقول لك انه كثير الشوق اليك وقد اتكلت فى أمور عرضت لى عليك وأريد منك ومن الندبه ان تهجوا الى عبلة بنت مالك بما خطر على مالك يفرق بين بنى الجريش فاننا نريد أن يبعد عنا ويهنا بعيش وما نفعل ذلك معهم حتى يرجعون الى أهلهم ويعطفون على قبيلتهم لانها قبيله قد تشتت شملها وأخاف من بعض الاعداء لايغره الطمع فيها ياساده ثم ان الربيع بعدما فعل ذلك الفعل الذى لم يفده أنفذ الكيس والكتاب مع عبد من عبيده وكان يثق الى ذلك العبد فى سائر أموره وكان اذا جلس فى محل خلوته مايشتق الا اليه فى فرحه وسروره فأخذ العبد الكيس والرقعة وسار وطاب

المسير فى الارض والقفار الى أن وصل الى النابغة الذبيانى وسلم الكيس والرقعة اليه فقرأها وفهم مافيها من المعانى ثم فتح الكيس وأبصر مافيه من الذهب فأعجبه لان الطمع كثير فى شعراء العرب وأمر العبد بالانصراف بعدما طيب قلبه وقال له اشكر سيدك وقيل له ماعندنا فى ذلك خلاف وعلينا كلما طلبت وفوقه أضعاف وان الذهب يلعب بعقول الامراء فكيف الشعراء ثم بعد ما انصرف العبد دار الشاعر فكره واختلى بنفسه وجعل يدبر أمره ووضع أبياتا من الشعر تقتضى هجو عبلة وسبها بالزنا بالجملة وأرمى فيها بقبيح الفعال وذكر فيها انها حبت معاويه بن شكال لما فيه من الحسن والجمال وذكره ابن عمها ذلك العبد الاسود الذى تعدى طوره وتمرد وان الشاعر أمعن فى القول وأبدع وقال ولا أفرغ ولا راقب الله فى قوله ولا خشع ومن جملة ماقال عن لسان عبلة هذه الابيات يقول

حضرنا الى قوم كرام أطائب * لهم سيد يزهو على كل راكب
محبته قد مازجت منى الدما * وقد غيرت حسنى وقلبى وقالب
فانى لم أنل من وصله ما أريده * أموت وتدركنى جميع المصائب
فانى قد بليت من عشرة الذى * له لون أسود من سواد الغياهب
سألت الهى قبل موتى يقيلنى * ويعتقنى من وجه كاب الاعارب
وأحظى بوصـــــل من حبيب أحبه
ويدعى بن شكل نسل قوم أطائب

(قال الراوى) وزاد بمثل ذلك شىء يقال وشىء لا يقال ثم انه بعد مافعل تلك الفعال أعطى الرقعة لبعض العبيد وأمره ان يقصد بها حى بنى عبس من غير تعنيد ويرميها بالقرب من مضرب عبلة ويجسر

على ذلك الامر المنكر قال فأجاب العبد بالسمع والطاعه وأخذ الكتاب وسار ومازال سائرا الى أن وصل الى حي بني عبس وفعل وماقصر وعاد في عاجل الحال الى الشاعر واعلمه انه أرماه بأقرب مجلس عنتر وخاطر بنفسه وماقصر فشكره على ذلك ومضى وبعد ذلك قضى من القضا ان رجلا من بني الجريش كان سائرا في الطريق فنظر الى تلك الرقعة فرآها مرمية في الارض تنداس فأراد أن يرفعها من تحت أرجل الناس وقصد بذلك التقرب لمجالسة الكبار والالتماس فقصد بها مضرب عنتر ورماها بين تلك الخلائق الجلاس وكان عنده جماعه من بني الجريش وجماعة من بني عبس وقد طابت بقربهم من بعضهم البعض النفس وكلهم مجتمعين فألقاها الرجل في وسط المجلس وقال هذه وجدتها في عرصة الدار ولم نعلم مافيها من الاسرار فعند ذلك أخذها بعض الحاضرين وقرأها وأمعن في القراءة ولا اختش ماورآها ورأى ان عبله تراسل ذلك الى معاويه سيد بني الجريش وانها تعشقه حتى انها من شدة عشقها له تكاد أن لا تعيش فلما سمعها عنتر وسمع هجو عبلة ورميها بالقبيح فعندها تغير مزاجه وطلع الزبد على أشداقه وثار ثورة الاسد اذا اندهد وضرب الذي أتى بها على عاتقه حتى طلع السيف يلمع من علائقه فعند ذلك شاش المجلس طولا وعرضا وهم كل من كان حاضرا من بني الجريش حتى أقلبوا جنبات البر والارض فبلغ الخبر الى فارسها المشهور وبطلها المذكور وهو الامير معاويه ابن شكال الجريشي فلما انه سمع ذلك الصراخ قام ولبس أثوابه وتقلد بلامة حربه وضرابه وركب على ظهر جواده بعدما اعتد بعدة جلاده ومادام سائرا على هذا الامر المقدر حتى أتى عنترا ونظر اليه

والى جماعته الذين حوليه فرأى الكل لابسين الزرد كاملين العدد وعنتر قدامهم كأنه قطعة جلمود وهو يهدر مثل الاسود قال الاصمعى ثم ان الامير عنتر بن شداد صال وجال وحمل على بنى الجريش وهو فى وهج وطيش ولتى بقدمها معاويه بن شكر وهو يغرى الرجال ويحرضهم على الحرب والقتال وهو يصول ويجول وقد أخذ الميدان عرضا وطولا وهو ينادى ويقول ويلك ياولد الزنا ويا نسل الحرام ويا خاين العهد والذمام اليوم أسقيك كاس الحمام وأحل بقومك الانتقام فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام فعند ذلك مال اليه بالجواد وأراد معه الحرب والجلاد وتذكر شيئا مايقوله من الشعر والانشاد فجعل يقول

سواى يخاف أو يرهب الردا * وغيرى يهوى أن يعيش مخلدا
ولكن أنا لا أرهب الدهر ان سطى * ولا أختى الموت الزوام اذا غدا
ولو مد نحوى حادث الدهر كفه * لحدثت نفسى أن أمد له يدا
توقد عزمى يترك الماء جمرة * وحكم احتقارى يترك السيف مبردا
وفرطى افتقادى للانام لاننى * أرى كل عار من حلى سوددى مدا
ومابى اباني أن يرانى قاعدا * وأن لا أرى كل البرية مقعدا
وأظما آن أبدانى الماء منة * ولو كان لى نهر المجبة موردا
ولو كان ادراك الهدى بتذلل * رأيت الهدى أن لا أميل الى الهدى
وقدما بغيرى أصبح الدهر شائبا * وبى بل بفضلى أصبح الدهر امردا
وانك عبدى يازمان واننى * على الكره منى ان أراك سيدا
وما أنا راضى اننى واطى الثرا * ولى همة لا ترتضى الافق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتى * لخرت جميعا نحووجهى سجدا
فلا تنكروا فعلى واشهار عزمتى * فان علايا فى السعادة قد بدا

وما

وما أنا بما تنكر الناس فعله * لان سعودى كل يوم يجددا
تعودت خوض النقع مذ كنت بالغا * لكل امرئ من دهره ما تعودا
ارى الخلق دونى اذ مكانى فوقه * زكاء وحلما واعتدالا وسوددا
أنا كاشف الغمات عند حلولها * أنا ضارب الهامات والنقع أسودا
وبذل نوالى زاد حتى لقد غدا * من البر منه صار فى البحر مزبدا
ولى قلم فى أنملى ان هززته * فما خسرتى الا اهز المهندا
اذا صار فوق الترس وقع صريره * فان صليل المشر فى له صدى
ولحراب ترمى وهو راكع وساجد
ولوشاجاك الترس درعا مسددا
وان رفع الاقدار أو وقع الندا * فنى برجا الجود اوبر تجاهدا
ومن كل شىء قد صحوت سواه قد * أقام عذولى فى الغرام وأقعدا
اذا وصل من هواه لم يلك مسعدا
فليت عزولى كان بالصمت أسعدا
يلوم ولم يدرى يكون وصاله * من النجم أعلا ومن الافق أبعدا
يحب حبيبى من يكون مفندى * فياليتنى كنت العزول المفندا
فقالت وقد آنست نار بخدها * فقلت وانى قد وجدت بها هدا
وانى لاهوى منها ثغرا مفضضا * وانى لاهوى منها خدا معسجدا
ولو رام ذاك الخد باللحظ انما * علمت خلوفا حين أبصرت مسجدا
وكم لى الى دار الحبيب التفاتة * تذكرنى عهدا اقديما ومعهدا
لقد كنت فيها ابصر الليل أبيضا * وقد صرت فيها ابصر الصبح أسودا
يراقب طرفى ان يلوح خيالها * فقد طال ما قد صام حتى تعبدا
عبرت عليها واعتبرت تجلدى * فيا خجلتى لما اعتبرت التجلدا
كأن بطرفى ما بطرفى صبابة * فلم ير تلك الديار الا تبعدا

وكم لجوادى وقفة فى عراصها * تعوّد منها جيــدا ماتعودا
تعوّد ذاك الجيد منى انثى * أصــيره من دردمعى مقلدا
وما تلك دار بالعقيق وبالحما * ولكن هما ما اذخرت منه فرقدا
ولا رب ليل بت فيه وبيننا * عناق أعاد العقد عقدا مبددا
فاصبح ذاك العــقد منى مصرا * وياطال ما قد كان منى مسددا
وكم أجعل الكف الشمال وسادة * فبات على كفى اليمين موسدا
وجردته من ثوبه وأعــدته * بثوب عنانى كاسيا متجددا
وقربنى حتى طربت من النوى * وأبعدنى حتى صديت الى الصدا
شهدت بأن الشهد والمسك ريقها * وما كنت لولا اختبره وشهدا
وان السلاح البابلى لحاظها * ولا تسألوا اذ سانه كيف عربدا
ملى بكسر الجفن والجفن قوسه * وكيف رما للقلب سهما مسددا
فته وتسلط كيف شئت فاننى * خلقت لأشقى أو خلقت لأسعدا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من انشاده تلك الابيات المعتبره حمل على فارس بنى الجريش حملة منكره وجلا الاثنين تحت الغبره وسمع لهم همهمة وزمجره وكان لهما ساعه عسره ثم انهما اعتركا مليا واصطدما وفيا وغاصى فى الاوابد وصبرا على الشدائد وقد طلع عليهما الغبار حتى غابا عن الابصار واشتاقت الى نظرهم النظار ليعرفوا ما كان لهم من الاخبار (قال الراوى) ياساده ياكرام وفى دون ساعه من النهار لاصقه الامير عنتر بن شداد الفارس الجواد وابهره وما حكه حتى أتعبه وابهره وأضجره وصرخ فيه صرخه هائله أدعره ثم انه تأخر عنه مقدار فرسخ الى وراه وقد أقبل عليه وحاداه وصار له متقربا وطعنه فى جانبه طعنة الغضب طلع الرمح من الجانب الآخر كأنه كوكب فمال عن الجواد

50

وانقلب وصار يخور في دمه ويطرب في عندمه قال ولما رأى بنو الجريش ماحل بسيدهم صعب ذلك الامر عليهم فصاحوا فيه وقالوا شلت يداك وقطعت مفاصلك وأعضاك فما أقدمك على الامور وما أجهلك لعن الله ظهرا نسلك فقد قتلت سيدا كريما وبطلا عظيما ثم انهم حملوا عليه وقد تبعتهم الخيل وما لوا مثل السيل فعند هاصاح عنتر في عروة بن الورد ومقرى الوحش وأبيه شداد وبنى قراد الاجواد وحملوا على بنى الجريش وما منهم الا من أمل انه بعد هذه الكائنة لم يعش ثم جالت الخيل والفرسان وجعلت ترمى من على ظهورها الشجعان والاقران وكثر الضرب والطعان وحكم الصارم اليمان في الجماجم والابدان وجمهمت الاسود من الشجعان وطلع الغبار الى العنان ودمعت عين الجبان وتمنى انه ما كان وضاق الميدان وصحى السكران وحات سنابك النيران وجاء الحق وذهب البهتان وزاد الضراب والطعان وغلبت فرسان بنى عبس فرسان بنى الجريش واستظهر واعليهم كما تستظهر على الرخم العقبان وافترسوهم كافتراس سباع الاجم للفرسة في الوديان فلله دره من يوم كان على الانام عظيم الشان حمى فيه الحديد على الابدان وصار عنتر يجول فيه جولان ولا يعف عن قتل الشيخ المليب الضعفان وصار يحرض بنى عبس على قتال الاعدا وينادى في الفوارس فلا تسمع الندا وصارت الفوارس تطلبه من جنبات البيدا فلما رأى عنتر الفرسان تقصده من كل جانب ومكان ويحملوا عليه حرصا على قتله من دون الفرسان فصاح بعروة بن الورد ومقرى الوحش وأبيه شداد وعمومته وسائر بنى عبس الاجواد وصار يقول يا بنى عبس الى متى هذا التطويل الشديد اقصدوهم كل مقصد

وأحصدهم حصيد الحصيد فعندها تناخت الابطال وتتابعت الاقيال من اليمين ومن الشمال وحملوا على بني الجريش حملة منكره وطلبوهم طلبة الاسود الاكاسره فلم تكن غير ساعه حتى بطحوا أقرانهم وجندلوا أقيالهم وشجعانهم ويتموا أولادهم ورملوا نسائهم وزعقوا عليهم من كل جانب ومكان ورأوا من عنتر في ذلك اليوم مالا رأوه من انسان لانه هد قوى بني الجريش ولم يجدوا لهم سبيلا على مضارب بني عبس وعدنان وقد وقعوا في أمر عظيم ليس لهم به طاقه فطلبوا افسيح الفضا وردوا خيلهم قدامهم منساقه وتوا منهزمين في جوانب البيدا وخلفوا الاموال والغنائم والاسلاب للاعداء وخدمهم وعيالهم لبني عبس ومازال عنتر يقتفي آثارهم حتى فنا خيارهم فلما ابعدوا بني عبس لبني الجريش عن الديار رجعوا وعنتر يهدر في المقدمة كأنه أسد هدار وعاد وهو يترنم بالاشعار يقول

حيى الديار ببرقة وبحمرى ✲ ثم العراع كأنها لم تعمرى
زرنا قبائـــل عامر لحللنا ✲ منهم وأنهـموابذلك أخبرى
ودهمت داربني الجريش بأسمر ✲ بعد القلك تأتيني وايست تجحد
فطعنته وفككت باد دردرعه ✲ بمهندى صافى الحديد بسرى
تعسا ليومك أى يوم زرته ✲ ولرب مجلك أى صنع أغدرى
أنشد الى الخلان يوم لقاهموا ✲ صرعى يسائره الصغالم يفترى
حاشا العبلة أن تخون خليلها ✲ بطل يغادرها كريم العنصرى
انى أدرت بني الجريش ومن يكن ✲ منها وبكفى بعد ذلك مفخرى
ياعبل هـل بك تعلمين فعالهم ✲ الاالثنا بعدائم وتشكرى
ولقـد صدقت بما أقول واننى ✲ عند اللقا بهم ارق المزورى

أمى زبيبة ليس انكر اسمها * فى الليل يعقى جبينها كالمحورى
وأنا فتى من آل عبس منصبى * أنمى الى النسب الرفيع الازهرى
أغشى الكريهة يوم كل كريهة * واذا الكرام تخمرت لم أخمرى
واذا رأيت الركب أقبل جمعهم * يبغوا السلام ذبحت أبكم أصفرى
ذاك الذى فوق السماك محله * ومتوج أيضا بتاج قيصرى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت لها السادات وتعجبوا من تلك الانشادات وأخذهم الفرح والمسرات ثم انهم جمعوا غنائم بنى الجريش التى أخذت فى الهزيمه فكانت الغنائم لما قدر وقيمه وأما ما كان من بنى الجريش الذين أخذوا فى الهزيمه فانهم عادوا واستجمعوا من رؤس الروابى والشعاب وهم يتة ولوا بعضهم بعض لعن الله رأيه هذا العبد المرتاب ما أطعنه بالرمح وما أضربه بالحسام القرضاب ثم انهم استشوروا فيما يفعلون فقال بعضهم ما فى الامر الا انكم من هاهنا تسيرون وترموا أرواحكم على حامية بنى كلاب البحر العباب الفارس القيل المسمى بعامر بن الطفيل فهو صديقه ومحبه الاكبر وندخل عليه لعله أن يرسل اليه ويسأله فينا فعسى انه يستوهب منه ذنبنا ويرد علينا نوقنا وجمالنا فعند ذلك تجمعوا منهم الاكابر وساروا حتى وصلوا الى بنى عامر ودخلوا على عامر بن الطفيل وسلموا عليه وتزاحموا بالتقبيل على يديه وقالوا نحن مستجيرون بك أيها السيد الجليل والمولى النبيل مما قد حل بنا من الويل الطويل فلما سمع عامر مقالهم استخبرهم عما جرى لهم فشرحوا له جميع ما جرى عليهم ونالهم فأضافهم ورق لحالهم وأوعدهم بنيل مرادهم فلما أصبح الصباح كتب لهم كتاب وأرسله معهم مع نجاب وهو يمدح عنتر ويثنى عليه ويصف شدة

الشوق اليه ثم انه استعطف قلبه عليهم لانه رق لهم مما نالهم وسألهم
فى رد أموالهم ونوقهم وجمالهم ثم انهم أنفذوا الكتاب واستصحبوا
معهم النجاب وصاروا يطلبون عنتر بن شداد حتى وصلوا اليه فناولوا
الكتاب فأخذه وناوله الى عروة بن الورد فقرأه عليهم وسمع الثنا
الذى أثناه عليه عامر بن الطفيل وبلغه عنه النجاب الثنا والمفاخره
ثم ان عنتر لما رأى لطف شجاعته وما أثنى عليه من براعته فأجاب
سؤاله فيهم ورد أموالهم ونوقهم وجمالهم عليهم وطيب قلوبهم
وخلع على الاكابر منهم وأعطاهم الذمام وقاموا على بعضهم بعض
فى أماكنهم ثم انه أمر بعد ذلك أصحابه بالرحيل والجد وسرعة
التحويل فرحلوا وساروا طالبين جبال بنى غزيه وقد بنى لهم بالسيف
منازل عليه وقد قطعوا فى البرايا ماما متواليه هذا وشيبوب يسلك بهم
فى المنازل الخاليه القليلة السكان والمخاطر الذى لا يسلكها الا كل
من يكون بنفسه مخاطر فلما قربوا من الجبال التى هم اليها قاصدين
ودنوا من الشعاب الذى هم عليها معولين أصبحوا فى بعض الايام
فى أرض واسعه وبرارى رمله شاسعه وكانت هذه الارض يقال لها
رمال يقظان وهى قريبه من بنى غزيه وهى كثيرة الرمال والكثبان
فصبحوها صباح وهموا بالنزول هنالك فى تلك البر والبطاح واذا
فى قفرها خيل بطرد وصياح منعقد وأسنة رماح وفى الحرب متخالفه
وبريق السيوف مثل البروق الخاطفه وضجيج فرسان وزعقات
شجعان وأمور تدل على حرب عوان فلما نظر عنتر الى ذلك وقف
ودارت به أعمامه وقد زاد به لذلك الامر اهتمام وقال لشيبوب ويلك
يا ابن الأم اذهب وأتنا بأخبار هذه الحروب وأبصر الغالب من
المغلوب فانطلق شيبوب مثل الريح الهبوب وما غاب أكثر من

ساعه

ساعه واحده وقد عاد وهو مسلوب الفؤاد فقال له أخوه عنتر ويلك ايش الذى رأيته يا أبا رياح من الخبر فقال له يا أخى هذا صديقك وصاحبك دريد بن الصمه العالى العزيمه والهمه وقد أحاطت به بنو الحارث وما فيهم الا كل خائن ناكس وقد نفرت عليه فى سائر بطونها وهو فى خمسين فارس وقد تكلف لقاها وارم نفسه الى الهلاك والموت المبين يريد أن يسقيها كاس منونها وهو قد أشرف على الهلاك ولم يجد له سبيل فى هذه الارض لا ناصر ولا معين فقال الامير عنتر واعجباه ايش ارم دريد فى هذه الارض والبلاد وهو فى نفر قليل من الرجال الكبار ولكن هذه عادته أن يأخذه الرجال الاحتقار ويذل بنفسه على الحلل والقبائل وعودها الهجوم على المنازل وان لم تدركه والا هلك وهلك معه كل بطل حلاحل ثم ان عنتر أخذ من أصحابه خمسين فارس ما منهم الا كل بطل مدرع ولابس منهم مقرى الوحش وعروه بن الورد وأبوه شداد وقد ركضوا خلفه على الخيول الجياد وأخذ فى جملتهم ابن أخته المطال وترك باقى أصحابه حول المال والعيال (قال الراوى) وكان لاتصال دريد بن الصمه لهؤلاء القوم سبب عجيب وأمر مطرب غريب نحب أن نسوقه على الترتيب وذلك أن دريدا قدر فى غلام يتيم يقال له دنار ابن روق وكان أبوه قد قتل فى بعض الغزوات وكان دنار صغير السن فرباه دريد مراعاة لابيه الى أن كبر واشتد فصار أقوى من الاسد وصار يركب من خيل دريد بن الصمه و يتفرس عليها حتى صار من الابطال الثقال وكان يقاتل فارس وراجل ويهجم على الاهوال والاخطار فى ظلام الليل وضيا النهار ويسبق البرق فى السهل والجبل ويعمل فى الحرب أو فى عمل ويحتال على سل خيول العرب

بكل حيلة وسبب فمن ذلك الوجه استغنى وصار له نوق وجمال ونعم وأموال ومضارب وخيام وكان قد اتخذ له من شباب الحي أولاد الابطال ندماء وأصحاب وأصدقاء وأنجاب وكان كلما وصف له جواد اوفرس من الخيل الجياد سار اليه وينزعه من أصحابه تارة بالغروسيه وتارة بالسرقه والاصوصيه ومازال على ذلك الحال حتى شاع ذكره بين الرجال وضرب به الامثال وهابته الفرسان والاقيال واتفق في ذلك الزمان انه سمع عند قوم يقال لهم بنو خويلد جواد من الخيول الجياد ووصف بين يديه مرار عديده فلما تمكن خبره عنده توجه اليه وسافر له وملكه وسله بعدما احتال عليه بحيله عجيبه تسبي العقول وكان صاحبه يقال له بسام بن مسر ولما عاد بالجواد أعرضه على دريد فأعجبه غاية العجب لانه رآه من أفخر خيول العرب وخلقته قد جازت عن الحد والصفات وتأهب عن نعته جميع النعات فقال له دريد احتفظ بذلك الجواد ولا ترغب في ثمنه فانه ينجي راكبه من الاخطار فقبل دنار كلام دريد وعند خلاصه وعاد الى معاشرة أصحابه ورفقاه ولما ان دخلوا معه هنوه بالسلامه فدعا لهم وشكرهم وأثنى عليهم بفصاحة كلامه وبعد ذلك قال لهم يابني عمي دعوني عن الجواد وعزوني لما في قلبي والفؤاد فاني خليته في بني خويلد وتلك البلاد وما أتيت اليكم الا وأنا بلا قلب ولا فؤاد وأقول ان هذا الجواد غير مبارك علي من دون العباد قال فقالوا له أصحابه يا دنار حدثنا بقصتك وماجرى عليك في سفرتك وأخبرنا بحالك ونوبتك فقال لهم دنار اعلموا يابني عمي انني لما سرت من عندكم قطعت خلفي البراري والقفار والاوديه والسهول والاوعار حتى انني قاربت ديار بني خويلد فبقيت حائر بأي سبب

ادخل

أدخل به الى القوم فلما قربت من الخيل عدت الى البر وعدفته
فرأيت وحش غزال فطردته فى جوانب البريه وأجهدت روحى
حتى صدته ولما صار فى يدى ذبحته وشويته ومنعت جوعى
وأخذت دمه شرابا أحمر وخلعت ثيابى وطليت به جسدى من رأسى
الى قدمى حتى لا أعرف ثم انى وقفت ساعة فى الشمس حتى جف
الدم على بدنى ويبس ففركته من جسدى وبعد ذلك نظرت
الى روحى وجلدى فرأيت جسدى الى السواد أميل الأان لونى لون
وحش قذر فقلت فى نفسى هذا الذى أريد واشتهى ثم انى بعد ذلك
خرقت ثيابى ونفشت شعرى وغرقت سيقانى وأقلبت جفونى
الى فوق وأسلت ريالتى الى صدرى وقد طلع لزيد على أشداقى وبعد
ذلك سرت الى ديار القوم من بنى خويلد وأنا مثل المهبول ونظرى
يطير العقول وكان دخولى اليهم وقت المسا فتوصلت الى أبيات سام
وقد أظلم الظلام ودورت على الجواد فما رأيت له خيالا فبقيت حائرا
فى أمرى لا أدرى كيف أسأل عنه وأكشف خبره فبينما أنا قائم
متكى على عصاتى وأنا أظهر الذل والفقر والمسكنه والارتعاش
واذا ابنت سام قد خرجت من بيت أمها فرأتنى بتلك الحاله فظنت
الصبيه انى فقيرا وسائل يطلب الصدقه فخرجت الى ومعها قطعة
طرموس فى يدها ولما ان وصلت الى باب الخبا ونظرت الى وريالتى
سائله على صدرى وأحوالى أحوال المريض العليل وأنا مقلب
العيون ومنفوش شعرى على أكتافى فلما نظرتنى الصبيه على ذلك
الصفه ظنت انى مجنون أو عامر من عمار الدبور والمخازن فأرمت الخبز
من يدها وعادت الى أبيها وأمها وهى تجرى وتقول أعوذ برب البيت
والحجر من هذه الصورة التى ما مثلها فى الصور وما أظن ان فى الارض

أوحش منها ولا أدعر فقالت لها أمها من صدر البيت ممن انتى متعوذه
ياسعدى وأيش حالك وما اعتراه فقالت لها يا أماه من هذا السائل
الذى هو واقف على الباب ولولا اننى يا أماه عندى فى البيت لكان
أخرجنى من عقلى ثم ان دثار قال لندماه يا بنى عمى وكانت الصبيه
عائده وهى تتحدث مع أمها وأماأ نا فقد غاب عقلى من لين قوامها
وعذوبة كلامها وثقل اردافها وسواد عيونها وفترات جفونها
وحمرة خدودها وانعقاد نهودها فى صدرها وحسن نغمة خلخالها
وتلبيد شعرها وهو منسبل على أكتافها يا بنى عمى ومن شدة
ماجرى على من الهوى والغرام تأخرت عن باب المضرب وقد لبدت
بين الاغنام وقد صرت حائرا فى نفسى وأنا أنظر الى الخباساعه والى
الصبيه ساعه فتذكرت فى قصتى وما جرى على فى وحدتى وغربتى
وعظم بليتى وحسرتى فبينما انا كذلك واذا بأبيهم قد أقبل علينا
وهو سكران طافح بالمدام من أطراف البيوت والخيام وتحته
الجواد الذى دخلت الى هذه الديار فى طلبه والسلام الآن المقدم
سام لما وصل الى عند أطناب الخيام حول رجله من على الجواد
وترجل والى صوب المنزل نزل عنه وأوصى عليه ثلاث عبيد ودخل
عند زوجته وابنته وفى زمن ساعة بطل حديثه وكلامه ونام
وأيضا نامت العبيد وقد خمد الحى وسكتت الكلاب وقد
انطفت النار فعند ذلك الوقت تقدمت للجواد قليل وحليت شكاله
وأخذته وفى الحال خرجت به الى أذيال المضارب وركبت ظهره
وأنا أطلب البحرى وما علمت بعدى يا وجوه العرب ما يجرى على
اننى قد وصلت به الى هاهنا وما كأنى فى دار الدنيا من شدة العشق
والجوى ومن نيران الهوى وانى أريد أن أعود الى ديار بنى خويلد

واكمن

وأ كمن لابى الصبيه لعلى ان أظفر به وأقوده الى هاهنا أسيرولا أطلقه حتى ينعم لى بزواج ابنته التى رأيتها قال المؤلف فلما ان تكلم دنار بهذا الكلام وقد سمعوا أصحابه منه هذه القصه تعجبوا منه القوم ومن فعاله وبعد ذلك التفتوا اليه العقلا من أصحابه وقالوا له يادنار اعلم ان ابا الصبيه ماله ذنب حتى يستوجب الامر وانما الصواب انك تنفذ الى خلف الرجل وتخطب منه ابنته على روس الاشهاد ومهما طلب من الاموال اعطيه من النوق والجمال وتفعل فى حقه فعال كرام الرجال وتضمن له ردّ حصانه فان أجاب الرجل الى ذلك فلله الحمد والا أبذل فى حقه المجهود ولا تترك ياوجه العرب عليك ملام لا من عدوّ ولا من حسود قال فلما تكلمت أصحابه بهذا المقال فقال دنار يابنى عمى اذا كان الامر على مثل ذلك فأريد أشاور سيدى دريد فى هذه القصه وأسأله أن ينفذ من عنده نجاب وينظر ما يقول أبو الصبيه من الخطاب ثم ان دنار بعد هذه المشوره شرب مع ندماه الخمر حتى أمسى المساو فى ذلك الوقت حمله السكر على الآفات والبلا فوثب من عند أصحابه من ساعته ولم يزل ينقل خطاه حتى دخل على دريد وهو فى نار يتلظى وفؤاده على جمر الغضى وقد خدم بعد ما سلم عليه وباس الارض بين يديه وبعد ذلك شرح له قصته وما ناله فرحمه دريد وقدر فى له وسكته من بكاه بعد ما عرف قدر ما عنده من هواه وقد أوعده انه عند الصباح ينفذ رسولا من أجلك فان أنعم أبوها بما تكلمنا من الزواج والا فأخذتها أنا لك غصبا وكذلك لفنا أباها أن يزوجها والا أشبعناه طعنا وضربا قال فلما سمع دنار ما قال له دريد وما تكلم به انشرح خاطره واستقرت خواطره لما رأى دريد ناصره وفرح بذلك فرحا شديدا فعند ذلك

رجع دنارا الى أبياته (قال الراوى) ولما كان عند الصباح أرسل
دريد بن الصمه رجل من فرسان بنى هوازن وكان هذا الرجل
عاقل لبيب وقد اعلمه دريد مايقول من الكلام لابى الجارية سام
قال وكان من جملة ماقال دريد من هذه الرسالة اعلم يا أمير سام
انى مازلت لفرسان العرب بالمودة والخير والصلاح وهذا الامر الذى
أرسلت لك من قبله الحظ الأوفر والقسم الاكثر اذا زوجت بنتك
سعدى بهذا الغلام الذى أنا ربيته وقد اخترته لى ولد وصاحب
وفارس ومعين وسند وقد ارتضيته انه يدرجنى عند موتى
فى الكفن لانه فارس حلو الشمائل والخصال ويرد الفرسان
والابطال ويقهر الشجعان فى الميدان ويلقى بصدره من الرجال
ألف عنان ويصير أيضا خلفك مثلى ومثل مهرى سبيع بن الحارث
المسمى بذى الخمار وأيضا مثل زوج ابنتك الذى قد ظهر فيه من
الشجاعة والفروسيه والجساره والنجابه مايقدمه على الاهوال
ومالا يأتى فى أحد من الرجال ومن جملة ذلك ياسام تتسبب فى أخذ
فرسك واحتياله عليها وهو فى زى سائل وقد ذكر انه نظر الى وجه
ابنتك فى الليل نظرة بالاتفاق أورثت قلقا عظيم وقد بلى بالبعد
والاشواق وهذا الرجل ياسام يكون بسعادتك وعلو مجدك
وأنت تنتصر به على جميع الاعداء والحساد وأيضا فان فرسك
ترجع لك ومعه من الاما والعبيد ومهما تجعل عليه من صداق
ابنتك وتريد فهو يوصل اليك فوق المزيد وهذا ما أشرت به عليك
والرأى بعد ذلك اليك ياسام وأنت أخبر بما يعود نفعه عليك
(قال الراوى) ولما فرغ دريد من هذه الخطبة ومن هذه الوصية
أمر دريد الرسول أن يسير اليه فسار الرسول بهذا الكلام وهو

يقطع الربا والآكام وسار يوصل سير الليل بسير النهار مدة ليالى وأيام فهذا ما كان من أمر دنار بن روق ومن هذا الرسول الذى قد سار بهذا الكلام وأما ما كان من سام أبو هذه الصبية التى نحن فى حديثها فانه من يوم سرق له الفرس قد حرم أكل الطعام ولذيذ المنام وطيب الرقاد وكثرة السهر مع السهاد وقد بقى فى مدة ثلاثة أيام لم يطعم بزاد وكان كلما اشتد عليه الغضب يطلب الثلاثة عبيد الذين وكلهم بالفرس وهو لهم يضرب ثم ان سام جعل فى كل يوم يخرج الى البر ويدور الطرقات ويسأل عن الفرس من الوارد فما يسمع له خبر ولا يقع له على أثر قال الاصمعى وما زال سام كذلك فى هم وغم ووساوس ورجا وخوف حتى قدم عليه رسول دريد بن الصمه ونزل فى أبياته وبلغه الرسالة وقد شرح له ما قاله دريد من المقال وقد فرج عنه الهم والغم وقد فرح سام باتصاله لدريد بالمصاهرة الى فرسان بنى كشم وقد طاب قلبه من الفرح وقربه من دريد وأيضا برد جواده الذى كان فى العدم وقد أجاب الرسول الى الزواج وأيضا فى الحال أنزل سام الرسول فى بعض المضارب والخيام ودخل على ابنته وزوجته وقد قص عليها القصة فما فرغ من كلامه وانتهى حتى ضجت ابنته سعدى بالبكا وقد لطمت على خدها المورد حتى بدا الدما وفى الحال صرخت وولولت وقالت يا أبتاه من أجل فرسك تزوجنى ببعض العفاريت الطياره وتبلينى بشيطان من الشياطين الغداره الذى هو أوحش الخلائق خلقة وخلقا وأنا وحق من انفرد بالبقا وأنزل الغيث من عنده رحمة لنا غدقا اننى من حين رأيته فى زى سائل ما غمت ليلة من الليالى ولا برحت أنظره كل ليلة فى المنام الا وأفزع من رؤيته من قبيح منظره وصورته وانتقام وجهه وربالته

التى تسيل على صدره وشعره الذى هو منسبل على أكتافه وتبريق عينيه والدما الذى يسيل من رجليه فان أنت يا أشاه أنعمت لرسول دريد بالخطبة والزواج قتلت أنا روحى والله قبل أوان عرسى وأكون قد فعلت شيأ ما فعله أحد من أشاه جنسى فان كنت يا أشاه تريد تزوجنى بالشياطين المتمردين الذين يسكنون فى الفلوات حتى يأخذونى ويطيروا بى ويحطونى فى الجزائر الخراب المنقطعات فان كنت يا أشاه أنا ضيقت عليك فى هذه المضارب والخيام المنتصبات فاطلقنى الى حال سبيلى حتى انى أسير الى البرارى والفلوات وأبعد عنكم فى الاراضى الواسعات (قال الراوى) فلما سمع أبوها منها ذلك الكلام والاشارات حار فى نفسه وقد أخذه الدمع والانهات وفى الحال قال لابنته ويلك يا بنتى فان رسول دريد قد ذكر لى أنه أحسن خلق الله والبشر فى هذه الايام والليالى وانه أوفاهم حسنا وجمال وقدا واعتدال وهو أجسرهم على الاهوال وانه اذا حضر الحرب يعد بجماعة من الفرسان والابطال فعند ذلك قالت له سعدى والله يا أشاه لقد كذب الرسول فيما قاله وادعاه فأنا بعينى رأيته انه أوحش من الغول وباذنى سمعت كلامه يرجف العقول وان أنت زوجتنى به خليت الاهل والديار وهججت على وجهى فى القفار لاننى على كل شىء أصبر الا على معاشرة الجن ما أصبر ولا أقدر (قال الراوى) فلما تكلمت الصبية بهذا المقال فعند ذلك شاور أبوها أمها فيما يفعل فقالت له زوجته والله يا ابن العم ما أدرى ايش يكون العمل نسير الى أخى ضيبان ونسأله عن هذا الشان فان عنده معرفة وزكاوة عقل وبيان وهو الذى يفصل لك هذا الامر والشان كما تحب وتختار من الرجال والفرسان ويكون على يديه تقضى

الاشغال قال وكان هذا الرجل ضيبان خال الصيبة وهو من فرسان قبيلة خو يلد وقد رأوا أهل قبيلته على رأيه ومشورته البركة والسداد وانخبرو فيه معرفة زائدة ورأى سديد و بصيرة فعند ذلك أرسل سام خلف ضيبان فلما حضر واستقر به الجلوس أعلمه سام أبو الصيبة بما هم فيه من هذه المشوره وما هم فيه من العناد وقد أخبره وفى الحال طلب منه فى هذا الامر المعونه والابعاد عن ذلك قال ضيبان والله يا سام ما هذه الاقصة مشكلة الجوانب صعبة الانحلال هذه الصبيه قد وقع فى قلبها من دنار هموم ومصائب ولكن يا شيخ العرب أنا أفصل هذه النوبه بأرشد تدبير ورأى جيد وأمر رشيد صائب قال له سام وكيف يكون هذا الامر يا بن الكرام الاطائب فقال له ضيبان أريدك يا صهراه أن تعود الى الرسول الذى أرسله دريد وتقول انى قد أجبتك الى ما تريد وأنا لك من جملة الخدم والعبيد ولكن البنت قد وقع فى قلبها من دنار أمر وما بقى يزول الان كنت ترسل دنار بن روق الينا ويكون فى صحبته بعض الشباب ويكون قد لبس أفخر الثياب حتى تراه ابنتى وتبصره وتحقق منه النظر فان زال ما فى قلبها من بغضته فكان وان هى دامت على ما هى عليه أكرمنا رسول دريد واعتذرنا له وسألناه أن لا يحملنا ما لا نطيق واتخذناه لنا صاحبا وصديق قال فلما تكلم ضيبان بهذا الكلام عندها قال له أبو الصيبة يا ضيبان لقد قلت لنا الصواب وما أبقيت علينا لوم ولا عتاب ثم ان سام سار من عنده الى الرسول وقد أكرمه غاية الاكرام وحدثه بما جرى فقبل الرسول عذره وقد علم ان هذه الامور متعلقه بعقول النسا فما كان له من الجواب الا أنه ركب من وقته وساعته وسار يقطع البرارى والقفار حتى انه وصل الى

ديار بني جشم وقد دخل الى دريد وسلم عليه وحدثه بما جرى وسمع عندهم في الديار وبما تكلمت به الصبيه عن دنار وبما شاهدت منه بالزي الذي قد اتاهم فيه دنار وهو في صفة بعض العمار من تقلب عينيه ونفش شعره على اكتافه والدما الذي يشخب من ساقيه وكذلك الشقق الذي في كفيه وهو كانه عفريت من الجن فلما سمع دريد هذه الاخبار تعجب من هذه القصه فقال دريد والله ان الصبيه في غاية الاعتذار مما قد نظرت وابصرت وفي الحال ارسل الى دنار واعلمه بما قال الرسول فتبسم دنار وقال والله يا مولاي ان الجاريه مغروره لانها رأتني وانا في اقبح صوره وما رجعت الصبيه لامها الا وهي فزعانه مرعوبه فقال له دريد فاذا كان الامر على ذلك فخذ ابنتك وسير الى ديار القوم واورهم صورتك وبعد ذلك فما يبقى لهم كلام فقال دنار يا مولاي اريد من فضلك وانعامك ان تسير معي الى ديار القوم لعل بسعادتك وهيبتك وعلو منزلتك ابلغ منيتي وتقضي بجودك حاجتي فاجابه دريد الى ذلك فعندها رجع دنار وقد اصلح شأنه وقد اوصى عبيده وجواره بما يتفق من احواله ولما اصبح الصباح في ثاني يوم لبس قماشه وتقلد بسيفه وقد اعتقل برمحه وتعلق بترسه وفي الحال ركب على ظهر حصانه ولم يزل ينتقل خطوة حتى اتى الى دريد بن الصمه فاستأذن فأذن له في الدخول فدخل فلما وقعت عينه عليه باس الارض بين يديه فما كان جوابه الا انه زعق في رجاله وابطاله وقد انتخب منهم خمسين فارسا من الابطال الاوقاح المعدودين بضرب الصفاح والطعن بالرماح ومقاسات الاهوال وملاقات الرجال في اوقات الحرب والكفاح المعدودين بالصبر في حومة الميدان (قال الراوي)

وقد بلغني أن دريد الما صار تلاحقت به الرجال فأشار اليهم بالاقامة
في الديار وقد قال لهم يا وجوه العرب ما قدامنا من يوجب انزعاجكم
والبؤس وانما أمر يوجب خطبة عروس فليكن مقامكم في الديار
أوجب عليكم لحفظ المال والعيال ونحن ما لنا عليكم غيبة الا
مقدار مسافة الطريق فعند ذلك ودعوه لما سمعوا منه ذلك وقد
رجعوا الى ديار بني هوازن وجشم وسار دريد وقد طلب طريق ديار
بني خويلد هذا ودريد ودنار سائرين في المقدمه وهم في المنادمه
والحديث وأشعار وأخبار مما قد جرى في أوائل الزمان عن ملوك
تلك الاوائل ويتحدثوا عن ما جرى من ملوك الارض في طولها والعرض
ولم يزالوا سائرين بطول ذلك النهار حتى أمسى عليهم المسا فعند ذلك
نزلوا عن خيولهم وقد ضربوا خيامهم ومضاربهم وأوقدوا النيران
وباتوا تلك الليله الى الصباح خرج منهم دريد وقد قاموا الفرسان
والابطال وحملوا وساروا ولو أن لهم أجنحة لطاروا (قال الراوي)
وقد بلغني ان دريدا وأصحابه لما كانوا سائرين على هذا المسير اذا
اعترض لهم أسد عظيم الخلقه وقد ملأ البر من الجسير وقد بادر الى
نحوهم من دحال يقال لها دحال المخافة وكان هذا الاسد أحمر مجلل
بالشعر والوبر عظيم المخبر من نظره يقشعر بدنه ويهابه أهل العقول
وتكاد الالباب عند رؤيته أن تزهق وتزول قال وعند اعتراضهم له
طلبته فرسان دريد وأرادوا الهجوم عليه وقد قاربوه الرجال
وتبادروا اليه وقد عول دريد أن يتقدم في طلبه فعند ذلك قفز اليه
دنار وباس الارض بين يديه وقال له أسألك أيها الامير أن تمهل علي
وأن تأمرني بلقا هذا الاسد فقال له دريد دونك ما هذا أسد يقدر
مثلك يقاتله ويحاربه وان كان لا بد لك من ذلك فخذ حذرك منه

واياك أن ينشب فيك مخالبه فقال دنار وحياتك يامولاى لالقينه
الا عريان الجسد خالى من السلاح والزرد ثم ان دنارا بعد كلامه نزل
من على ظهر جواده وقد حقق زرده وقماشه وفى الحال أرمى بيضته
من على رأسه وقد تقدم الى الاسد وقد جرد فى كفه حسامه المهند
الا أن دنارا لما تقدم الى الاسد همهم ودمدم وزمجر ورطن وبربر وقد
طلع على شدقيه الزبد ولابقى يعرف ان بين يديه أحد وفى الحال
خطى أول خطوة فلما نظر اليه الاسد كشر على أنيابه وقد بحلق له
عينيه فعند ذلك خطى له دنار ولما قارب الاسد فوثب وفرقع
بذنبيه وزعق وقد صرخ فتهاربت الخيل من زعقته ومن شدة
صرخته اندهش دنار ثم خطى له ثالث خطوة واذا بالاسد اقرن
أذنيه وقد أبرز له أظافر كأنهم خناجر فلما نظر دنار الى ذلك شجع
قلبه وقد أظهر نخوته وأغرز ذيله فى دور منطقته وصرخ فى الاسد
بعلو صوته وفى الحال بادره بضربة لما وثب عليه وكانت الضربه
قد أصابته بين عينيه فطلع السيف يلمع من بين فخذيه فوقع الاسد
شطرين وقد صار جزئين وبقى على الارض قطعتين فلما قتل دنار
الاسد وصار على وجه الارض ملقى ممددا ومسح سيفه فى جلده ثم عاد
الى درعه وزرده وقد لبسها وعاد الى ظهر حصانه بعد ان قبل يد دريد
ورجليه فى الركاب فعظم دنار فى عين أصحابه والفرسان وقد علم انه
بلغ غاية المنتهى فى الشدة والفروسيه والشجاعه والحميه لان دنار
بعد ماقتل الاسد قال له دريد لله درك يادنار وقد ربيتك فوالله
ماضاعت التربيه فيك فعندها قبل دنار يده ثانيا وشكره وحمده
وأثنى عليه وبعد ذلك سار القوم أياما وليالى وهم يرحلون وينزلون
ولما توسطوا نصف الطريق التقاهم مقدار خمسمائة فارس وهم من

فرسان

فرسان قبيلة يقال لها بنى الحارث ومعهم مقدار خمسمائه وخمسون
ناقه وجمل وهم قد كسبوها من بعض القبائل والحلل وهم طالبين بها
ديارهم فلما أبصرهم دنار التفت الى دريد وقال له أيها السيد أنا
أشتهى من احسانك أن تترفق فى المسير حتى اننى آخذ هذه النوق
والجمال التى مع هؤلاء القوم أستعين بها على بعض المهر وتكون
والله من جملة ما تطلبه منى صهرى سام أبو الصبية من الصداق
او أتقوى بها على عمل الوليمه والطعام والشراب وأطعم الاصحاب
والرفاق وأنتم يا بنى عمى أشتهى أن تمهلوا على ساعة من النهار حتى
أبدد شمل هذه الخيل فى الاقطار والبيدا فعند ذلك التفت اليه دريد
وقال له ويلك يا دنار هذه الفرسان من قبيلة بنى الحارث لأن
أسلابهم تدل على انسابهم وأيضا بيننا وبينهم دماء قديمه وأخاف
أن يظفروا بك فيستوفوا منك بعض الدما فان كان ولا بد فخذ معك
عشر فوارس يكونوا خلف ظهرك حماة لك قال دنار وحق الذى
أجرى الماء وعلم آدم الاسما وقد أنار الظلما لا يبرز للقوم سوى أنا
وحدى ولو أنهم يكونوا سباع البيدا فقال له دريد ان كان هذا الامر
قد تصور بقلبك فأنا وأنت نبادر القوم ونحمل عليهم ونحرمهم لذيذ
المنام ويكون أنجز لمسيرنا فقال دنار أنت يا أبا الناظر ما أقدر أرد
عليك فيما تفعل ولا أعدل عن شورتك فيما تقول فافعل يا مولاى
ما تريد فأنا لك من جملة العبيد وأنت احمل على أى مكان شئت حتى
لا أكون قد تعديت عليك فعند ذلك حمل عليهم دريد وقد زعق
على الميمنه وفى الحال حمل بعده دنار وطلب الميسره وزعق فيها كأنه
النار المسعره وكان فرسان بنى الحارث أيضا أبصروهم ورأوا أصحاب
دريد فى قلة فعند ذلك وقفوا وساروا يستشورون فى أخذ خيولهم

واسلابهم ومامعهم من سلاحهم فلما نظروا بنوا الحارث الى تلك الفارسين وقد اطلقوا الى نحوهما الاعنه وقوموا بين آذان خيولهم الاسنه فعندها تعجبوا من أمورهما وقد التقوهما وقد أبصروا من دريد وأيضا من دنار طعن وضرب وأخذوا رؤسا من شعل النار قال الاصمعي والحديث هاهنا مانذكر في اطالته لاجل مابين القوم من التفاوت لان دريدا واحد يلقى ألف فارس ويكون عليهما يقظا غير ناعس ولولا ذلك ما كانت العرب تسميه رحات الحرب وكان دريد كاسمه قال ومامضى من النهار حتى فتكوا في بني الحارث وقد قتلوا من الخمسمائة فارس مقدار اربعمائة وخمسة وتسعين وفي الحال هربت من بين أيديهم خمسة رجال وقد ولوا بخيلهم منهزمين هاربين وقد أخذ دنار النوق والجمال والخيول والاسلاب والاموال وقد فرحوا قومه بما ظهر له من الشجاعه والفروسيه وأيضا من البراعه والشطاره والحميه وفي الحال جمعوا أصحاب دريد الخيول والدروع وكذلك الاسلاب وبات القوم تلك الليله في ذلك المنزل ولما أصبح عليهم الصباح وقد أضاء بنوره ولاح فعند ذلك صرخ فيهم دريد فانتبهت الرجال وقد شدوا على خيلهم وتدرعوا بدروعهم وقد ركبوا على ظهور صافناتهم وقد ساقت العبيد بين أيديهم النوق والجمال وتموا في المسير ليل ونهار وغدوا وأبكاروهم يوصلوا السير الليل بسير النهار حتى قاربوا ديار بني خويلد وقد بقى بينهم وبينها مقدار نهار واحد ومن هناك خلعوا أثياب الزرد وآلة الحرب والقتال وقد لبسوا ثياب البهاء والجمال وقد ألبس دريد دنار خلعة من ملابسه كلها تشعل بالذهب والفضه وهي تتقد وتلتهب وقد عممه بعمامة خضرا هي معلمة الاطراف وكان هذا دنار شبابه رائق وجماله فائق فعند

ذلك أرسل دريد من أول النهار فارس من بني جشم الى عند سام أبو الجاريه يعلمه بوصول دريد وأصحابه وأيضا بدثار حتى يتأهب للقاهم (قال الراوى) فهذا ما كان من دريد وأما ما كان من سام أبو الجاريه وصهرهم ضبيان فانهم قد حدثوا الحى على هذا الحال وبما جرى لهم مع دريد بن الصمه ودثار بن روق وقد أطلعوا أهل القبيلة بهذا الحال فلما سمعت القبيلة بهذا الخبر فرحوا بما قد سمعوا من اللغو والكلام وما فى بنى خويلد الا من فرح بهذا المقال وقد شكروا دريدا وأثنوا عليه قال فبينما فرسان بنى خويلد يتحدثون فى مثل هذا وأمثاله وهم يقولون لسام رأس سعادتنا يا سام اذا كان تربية دريد مهرنا فنعتز والله بسيف دريد وأيضا تخافنا العرب لاجل مهره سبيع بن الحارث المسمى بذى الخمار وما تكمل سعادتك وسعادتنا الا اذا صاهرنا ابن روق دثار قال وبينما عرب بنى خويلد فى مثل هذا المقال واذا بالفارس الذى أرسله دريد ابن الصمه وقد أقبل عليهم وسلم عليهم وشكر وبعد ذلك قال لهم اعلموا يا وجوه العرب ان دريد بن الصمه وارد عليكم هو وأصحابه وفرقة من الفرسان والابطال (قال الراوى) فوالله ما انتهى الفارس من آخر كلامه والمقال حتى توثبت الفرسان والابطال وقد لبست دروعها وأسلحتها وقد ركبت على ظهور خيولها بعد أن تقلدوا بسيوفها واعتقلوا برماحها وكذلك النسوان والبنات قد خرجت من أبياتها والبعض من بين خيامها ومضاربها ولم يكن بقى فى القبيلة من النسا والرجال والعبيد والغلمان الا وقد خرجوا يتفرجوا على دريد بن الصمه وعلى أجناده وفرسانه كيف يكون عبورهم الى الحى وكيف يكون ملتقى العربان فى ذلك اليوم العظيم

الشان قال الناقل فبينما العربان يهرعون والنسا والبنات يزغرتون ويهللون واذا بدريد قد أقبل بمن معه من الابطال والفرسان ودنار بن روق في وسطهم مثل القمر اذا هل وبان وقد احتاطت به بنو هوازن وجشم وهمدان فعند ذلك تلقتهم العربان وقد سلموا عليهم وفرحوا بهم فرح استبشار فعند ذلك زعقت النسوان وهللت البنات والغلمان ورقصت العبيد والصبيان ولم يزالوا في فرح واستبشار حتى انهم وصلوا بهم الى المنازل والاوطان فعند ذلك وقفت العربان وسط قبيلتهم وهم ركاب على ظهور صافناتهم وهم ملؤا تلك الارض وسلموا على بعضهم البعض بفرحة ومودة واحتشام وأما دنار فانه قد وقف بفرسه في وسطهم الجميع فعند وقوفه ميزته الرجال وكذلك النسوان فتعجبوا من رؤيته وبهجته ومن شبابه ورونقه وقد استحسنوه النسا والرجال وقالوا لبعضهم البعض والله ان كان هذا على الحقيقه دنار فما هو الا فرجة للنظار وان أقام عندنا في هذه الديار فيفتن والله المتزوجات منا والبنات الابكار فهذا ما جرى من الرجال والنسوان وهم وقوف على الاقدام واما ما كان من سعدى ابنة سام فانها ركبت في ذلك اليوم وقد سارت الى جانب أبيها في زى الرجال والغلمان والابطال وقد صارت تدير عينيها الى العربان والفرسان والاقيال ذات اليمين وذات الشمال وتطلب أن تعرف بعلها بمعرفتها وفراستها وقد صارت تكرر النظر فيهم وتدير عينيها في جميع الحاضرين فما ترى أحسن منه ولا أجمل ولا أبهى ولا أشكل من دنار ولا أعظم هيبة ولا اشكل من ركبه وهو مثل الاسد المدار قال الاصمعي ولما اعجبها وقد افتتنت بشبابه فعندها قالت لابيها يا أبتاه ان كان هذا الفتى

الذى هو قدام ناظرى هو بعلى فأهلا به وسهلا وان كان غيره فما أريد رجلا ولا زوجا ولا بعلا فقال أبوها يا بنتى اصبرى على نفسك فأنا أبين لك الحال وأظهر الصحيح من المحال ثم ان سام بعد كلامه لابنته تقدم قليل وصاح بين الطائفتين وقد أومأ الى الشيخ دريد بالسلام والاكرام وعند ذلك نادى بأعلى صوته وقال فى نداه أيها السيد الهمام والاسد الضرغام والليث المغوار والفارس الكرار بنى السادات الامير دنار يظهر من بين الرجال والابطال ويكشف لنا عن وجهه اللثام حتى يتضح البرهان ويبان للناس عيان فان النسا نواقص العقول وفطرهم خلاف فطرات الرجال وما تم سام كلامه حتى قفز دنار اليه وفى الحال صار بين يديه ونادى بأعلى صوته وقال يا مولاى ها أنا عبدك الخاطب وقد أتيت الى حلتك وقبيلتك راغب فان رضيتنى ملكتنى وكنت لها عبدا وخادما وكنت أيضا مملوك لهذا البنت وان هى أبعدتنى رجعت يا أمير من حيث أتيت فقال سام لا يا ابن روق نحن ما نريد سواك ولا ندعوا الى الله الا برضاك وقد بين لهم باطن حديثه وقصته فعندها ارتفع الصياح بالمسرة والافراح قال فعند ذلك قدم دنار تلك النوق والجمال التى قد كسبها فى الطريق وقال لابى الجاريه يا مولاى هذه تكون برسم الهديه والضيافه وأما مهر ابنتك يكون أوفى مما تريد ثم ان دنار ابعد كلامه لجموه نزل هو وأصحابه يريدون الراحه وقد أمر الى عبيدهم والغلمان أن يضربوا المضارب والخيام ننزلات الفرسان وقد أمر دنار بذبح الخروف وتعليق القدور فهذا ما كان من دنار وأما ما كان من سام أبو العروس وفرسان بنى خويلد فانهم كانوا عرب كرام ويجيروا الخائف من لهفاته ويشبعون الجيعان ويكسون

العربان ومافيهم ولا واحد حتى نحروعقر وكذلك دريد ودنار قد
استعد واونحر وا وعقروا و بعد ذلك اتصلت الولائم والدعوات مدة
سبعة أيام على الدوام متواليات هذا والخلائق يأكلون ويمرحون
ويتفرجون والجوار بالمزاهر يدقون ويزعقون والعبيد بالمزاريق
والحراب يلعبون وتحت الجحف يتقلبون وفرسان دريد وفرسان
بنى خويلد الى الميدان يسيرون وبالرماح الطوال يتطاعنون والعبيد
فى كل يوم مايقدرون عليه يذبحون و ينحرون وفرسان دريد من
ميدانهم مايرجعون الا ويلتقون الطعام ورائق المدام يشربون
فلما أصبح عليهم ثامن يوم أرادوا أن تزف العروس فزفت على دنار
وكان ذلك النهار نهار مبارك فعند ذلك تقدم دريد الى وسط الدار
وأخرج الخلع المثمنه فأخلع على مقدمين الحله وعلى كبارها ولما
فرغ دريد من تفريق الخلع فعندها وثب دنار على قدميه وقد نثر
بين العربان الفضه والذهب شيء كثير وقد صفت القلوب لبعضها
بعض والاسرار وقد ادحصان سام اليه فكان عنده أحلا من
بلوغ المنى ومن نور عينيه وأيضا من الروح التى بين جنبيه وبعد
ذلك أقام دريد وأصحابه وفرسانه عند القوم تمام خمسة وعشرين
يوما و بعد ذلك استأذن دريد أبو الجاريه انه يريد الرحيل فلما سمع
فرسان بنى خويلد ما نطق به دريد شق عليهم ذلك الامر لانهم كانوا قد
أحبوه ومن معه محبة شديدة فعند ذلك خلعوا عليه فأقام عندهم
عشرة أيام أخر ولاحنتهم فى الايمان و بعد ذلك رحل دريد وهو عائد
الى قومه فى تلك الخمسين فارس الذين قد وصلت معه وأما ما كان
من دنار بن دوق رفع زوجته فوق هودج عالى وقد زينه بالجواهر
والفصوص واللآلى وكذلك بالعقيق الاحمر ومن البلخش والزمرد

لاخضر قال وبقى هذا الهودج من عظام ما رصع فيه من الجواهر المثمنه واللآلئ والفصوص المعظمه وكانه يدهش بالعقول واما الذى هى راكبة فيه مثل الحور والولدان وقد وشح هذا الهودج بثياب من السندس الاخضر والحرير والاستبرق وقد حلى الجمل الذى هو حاملها بالذهب الاحمر والفضة البيضا والقلائد الجوهر وبعد ذلك سارت فرسان بنى جشم وهوازن طالبين الديار ولم يزالوا سائرين مدة ايام وليالى حتى وصلوا الى جبال نقع فلما وصلوا الى هذه الجبال والمكان لم يدروا الا وقد خرجت عليهم ثلاثة آلاف كمان من فرسان بنى الحارث وكان هؤلاء القوم فى ثلاثة آلاف فارس وهم من كل بطل مداعس وليث ممارس وهم بالسيوف والجحف والرماح والدرق وقد اقبلوا عليهم بالخيول والرماح والدرق وهم يصيحون من كل جانب ومكان وقد اطعموهم الجميع بالقنا والقواضب وما فى الثلاثة آلاف فارس الامن نادى وقال فى نداء الثار ولمثل هذا اليوم يا دريد قد كنا لك فى الانتظار حتى نستوفى ثار من قتلت لنا من الرجال الاخيار قال وكان السبب فى ذلك ان دريدا كان اكثر غزواته فى ديار بنى الحارث لان اهل هذه القبيلة ما كانوا يطيعوه ولا يعطوه خراج ولا مال ولا يحملوا له جزية ولا عداد ولا نوق ولا جمال لاجل كثرة عددهم وتزايد مددهم فلما ان وصل هذه القبيلة على هذا المنهاج ولم يدخلوا تحت سمع ولا طاعه فعند ذلك اباح دريد دماهم وقد ضيق عليهم وافنى اكثرهم بكثرة غزواته اليهم وقد ذكرنا ان دريد عند مسيره التقى منهم تلك الخمسمائة فارس وقتل فيهم مثل الليث الداعث وقتل منهم هو ودنار بن روق جماعة كثيره وقد اخذوا منهم اموالا غزيره ومن جملة ما اخذ منهم تلك النوق وقد انهزم

باقيهم ولم يزالوا منهزمين حتى وصلوا الى الاماه وأخبروا بما جرى
عليهم من دريد ومن قتل من فرسانهم ومن جندل من أقرانهم فلما
سمعوا أهل القبيله هذه الاخبار فبكين النسوان على من هلك
من رجالهم حتى أقل وابصراخهم الديار وأقلعوا الخمار وفى الحال
وصل الخبر الى مقدم الحله فأمر باحضار المنهزمين فما كانت غير
ساعة حتى مثلوا بين يديه فسألهم عن حالهم وعن ماجرى لهم من
الشدائد والكرب ومن هذا الذى أغار عليهم وفتك فيهم من أوباش
الرجال فعند ذلك حدثوه المنهزمين بما جرى عليهم من الاحوال
وكيف صدمهم دريد بن الصمه بالرجال ومن قتل منهم من الفرسان
والابطال فعندها قال لهم مقدم الحله ويلكم وما علمتم أين مضى
دريد والى أين قاصد فقالوا المنهزمين بلى والله أيها الامير سمعنا انه
سار الى ديار بنى خويلد حتى انه يخطب لدثار بنت المقدم سام
ونحن أيها الملك نعلم انه ما يقيم هناك أكثر من عشرة أيام على التمام
وبعد ذلك يعود الى دياره والخيام فقال الملك سيد بنى الحارث فاذا
كان الامر ياوجوه العرب على مثل ذلك فأنا أقلع أثر دريد ومن
معه من الرجال فى هذه المره وأعرفه شوم هذه السنه لانه قد بالغ
فى العداوة لنا و فى المضرة والاسى علينا وقد أطرح أمرنا وبغى على
غيرنا ولما انتهى الملك من كلامه والمقال أمر وزيره ينتخب
الرجال والفرسان والابطال فما كان غير ساعه من النهار حتى انه
جهز من عسكره كل فارس كرار وكان جملتهم ثلاثة آلاف فارس من
كل بطل مداعس وقد ركب على حصان من أفخر الخيول الذى
ما مثله فى تلك الايام وقد نشرت على رأسه الرايات والاعلام وقد
خفقت الصناجق والبنود وفى الحال زعقت الجاويشيه وقد

خرجت

خرجت القبا والغلمان فعند ذلك ركب الوزير بين يدى الملك
ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى ديار يقظان فعندها أمر الملك بالنزول
لجميع الفرسان وضربت الفراشين السرادقات والمضارب والخيام
وقد أكمن بهم الملك تحت ذلك المكان كما ذكرنا فهذا ما كان من
دريد بن الصمه فانه لما عاد من ديار بنى خويلد كما وصفنا وقد خرجت
عليه الكمنا كما وصفنا وقد نادت الرجال على دريد بذلك الندا
وقد أخذوا عليه من أقطار الفلا وجوانب البيدا وقد عرف دريد
وتيقن حقيقة الحال كما شرحنا فعند ذلك التفت الى رجاله وقد نبه
من كان معه من فرسانه وأبطاله وقد وقع بينهم الحرب والقتال
واختلف ما بينهم من الحرب والطعن وكان دريد كما سمى رحات
الحرب حقا لانه جال وصال فى بنى الحارث شرقا وغربا وكذلك دثار
ابن روق وأما فرسان بنى هوازن وجشم فقد قتلوا الفرسان وقد
طوقوهم بأدميتهم طوق وأى طوق وقد فعل بنو جشم فعال
السادات الكرام لان العدد كان عليهم كثيرا والجمع غزير لان بنى
الحارث كان عددهم ثلاثة آلاف فارس ودريد فى خمسين فارس
ولولا دريد ودثار ما بقى من الخمسين الذين معهم أثر (قال الراوى)
ومازال الضرب والطعن بينهم يعمل والدم ما تجرى حتى تعب دريد
وقد كل ومل واندرس رسم شجاعته واضمحل وقتل جواده من
تحته وقد صار يقاتل من خوفه على زوجته ويناضل وتزاحمت عليه
الابطال وهم يقولون الثار الثار البدار البدار هذا يوم أخذ الثار
وكشف العار قال المصنف وهو الاصمعى رحمه الله تعالى وفى تلك
الساعة أشرف الامير عنتر وأرسل أخاه شيبوب ورجع اليه بحقيقة
الخبر فعند ذلك حمل عنتر ومقرى الوحش فى الخمسين فارسا

واقتحموا القتال برماح تعلوا مثل الافاعى وصرخوا يا لعبس يا لعدنان
وقد جودوا الضرب والطعان (قال الراوى) فلما سمع دريد ذلك النداء
ظن أنه كمين آخر للعدا وما هدى قلبه حتى رأى وجه عنتر فاشتد
ظهره وهان عليه ما تعسر من أمره وقد تعجب من هذا الاتفاق
واتسع عليه البر بعد ما ضاق وقويت عزائم من معه من الرفاق وكان
وصول عنتر اليهم نصف النهار فما طال عليهم الوقت غير قليل حتى
فرق بنى الحارث فى البرارى والقفار ودرسهم درس الزمان للاعمار
ومزق عنتر الثلاثة آلاف فارس كرار وبقوا طائرين فى البر يزعقون
ولما انطفت نار الحرب والقتال وشتت المنهزمين بين أحاقيف
الجبال وقد التقاه دريد بعنتر وصار يشكره على ما فعل وقال له يا أبا
الفوارس ما الذى ألقاك فى هذا المكان والى أين سائر يا سيد
الفرسان ولمن هذا المال الذى معك والاظعان فحدثه عنتر بقصته
وكيف اختصم مع بنى عبس وبنى فزارة لاجل فعالهم فى حقه وانه
طالب جبال غريه ومنازلها العلية يريد الاقامة هناك فقال دريد
لا وحق مالك السماء لك لا نزلت الا عندى وفى ديارى ومن أشرف
أيامى أن يكون مثل ابى الفوارس فى جوارى واذ لم يجبنى الى ذلك
نزلت عن جوادى وقدمت بذمام ناقة عبلة ولا أزال ماشيا الى أن
تصل الى الحلة فعند ذلك تبسم عنتر من كلامه واستحى من اهتمامه
ثم انه أخذ عنتر ومن معه وساروا لى المضارب والخيام وما لحق
أن يجلس حتى أتاهم الطعام وتقدمت سادات بنى قراد وسلموا
على دريد وأكلوا وشربوا والتذوا وطربوا وحدثهم دريد بما جرى له
فى بنى خويلد وكيف زوج دنانا بسعدى بنت بسام وما جرى لهم
فى الحرب مع بنى الحارث حتى أدركتنا أنت بهمتك يا زين

الفوارس فشكره عنتر على مدحه وقبل يديه وصدره وباتوا تلك الليلة فى أجل مايكون حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فأمر دريد العبيد أن يشدوا المحامل على النوق والجمال ففعلوا ما أمرهم به وركبت النسوان والبنات وكذلك الرجال على الخيول العربيات وتقدمت الابطال وساروا الطعن أياما وليالى غدوا وأبكارا حتى أشرفوا على الديار وقربوا من جبال غزية ومنازلها العلية فاختار دريد لعنتر من الارض قطعة كثيرة العشب والكلا والماء والمرعى ونحر لهم دريد النوق والجمال والفصلان وسمان الضأن وأضافهم وأكرمهم سبعة أيام وفرح دريد فرحة عظيمة وصار لا يأكل ولا يشرب ولا يلتذ ولا يطرب الا هو واياه وكلما طال به المقام زاد له فى الاكرام وكان لدريد ميدان تقصد اليه الفرسان من كل جانب ومكان ويعرضون أنفسهم عليه فى الطعان وكان دريد يركب هو وجميع أبطاله وقومه ورجاله ويأخذ فى صحبته عنتر ابن شداد وأعمامه ولا يزالون يتفرجون على الطعان حتى يحمى الحر ويوهج الهجير فعند ذلك يعود الجميع الى مجلس الشراب وكان دريد يعمل هذا مع عنتر لاجل انشراح صدره ويطيب بذلك قلبه ويرغبه فى المقام فى أرضه وقد أتت جميع فرسان بنى هوازن وجشم وسلموا على عنتر وجميع الحلل التى يحكم عليها دريد وتسامعت به فرسان تلك الاقاليم والبلاد فأتوا اليه حتى ينظروه ويعرفوه ويسلموا عليه لانهم كانت تجيئهم أخباره مع السفار ويسمعون عن حربه وقتاله وفصاحته وأشعاره وماجرى له مع خداوند بن كسرى وكيف قتل وردشان وماتم له فى الحرب والطعان وكيف أخذ نوق النعمان من أبيه المنذر وما قاسى من حوادث الازمان حتى ضاقت بهم

تلك الكثبان وصاروا يحضرون الطعان والرهان لان فرسان العرب كانت تراهن لانهم كانوا يعملون حلقة فى رأس رمح عال وتركض الفرسان ويحدفونها بالرماح فكل من دخل رمحه فى الحلقة سبع مرات يأخذ رماح الجميع هذا وقد صارت القبائل تراهن وتبارز بعضها بعض وتظهر ضياعتها فى الطعان هذا ودريد يحكم بينهم برأى عنتر بن شداد ويبين لهم الضلال من الرشاد وقد أقام الفرسان على هذا المنهاج أياما وليالى الى ان كان يوم من بعض الايام برز فارس من فرسان بنى سليم الى وسط الميدان فنظر اليه الخلائق واذا به غلام أسود صافى السواد شديد الاكتاف معتدل القوام حلو المنطق واضح الابتسام وعليه غلالة رومية وهو على ظهر حجرة عربية متعمم بعمامة خز كوفية وقد أرخى لها عذبة من الحرير الاحمر وعلى عاتقه سيف مجوهر وفى يده رمح طويل أسمر مكعب تكعيب معتدل الانابيب وكان هذا الفارس شجاعا من الشجعان وقرما من الاقرام وانه لما انحدر الى الميدان جال وصال وتقلب على ظهر الحصان حتى تفرجت عليه الفرسان وهز رمحه وهز الجواد فطار به طيران ولم يزل حتى خرق حلقة الرهان واستحق رماح الرجال والشجعان ولكنه لما أخذهم رماهم اليهم ولم يأخذ منهم شيأ بل قال يا بنى عمى أنتم تعرفون انى أنا عبد وأنتم الموالى ولا يجوز لى أن آخذ رماحكم العوالى ولا أقدر أفتخر عليكم بفعالى وأنا ما خرجت الى الميدان الا على سبيل الفرجة مع الاخوان لا على سبيل الطمع من الرهان ثم بعد ذلك رجع الى طائفة أخرى فوجد أبطالها قد أطلقوا الاعنه وقوموا الاسنة فعند ذلك قلع من رمحه السنان وبارز الابطال والفرسان فما نازل بطلا الا وسطى

عليه ولا شجاعا الا وعلم عليه ولما ان أقرت له الفرسان بالفروسية
وأراد الانصراف تقدم الى عنتر وقال له يا مولاى قد أسأت اليوم
الادب بين يديك وتقدمت بجهلى عليك لانك أنت سيد الفرسان
وعين هذا الزمان فالسيوف البتر لكفك طبعت والرماح السمر
لراحتك صنعت والفصاحة من بعض ألفاظك سمعت فأى بنان
يقدر يحمل بين يديك حسام وأى جنان يثبت اذا سمع من أفواهك
كلام فقد جملت بقدومك أرضنا ونورت من السعادة حظنا ورفعت
عند العرب قدرنا وعبدك يشتهى من تفضلاتك أن تنقل أقدامك
الى منزلى ومقامى وتجبر خاطر قلبى بأكل لقمة من طعامى لان
أخلاقك تعلم الناس مكارم الاخلاق وسماع صفاتك السائرة
فى الآفاق على ألسنة الناس الحذاق هى التى تركتنى أطلب
ماليس لى باستحقاق ثم تقدم اليه يقبل ركابه فترجل عنتر اليه وقد
ملك بهذا الكلام فؤاده واعتنقه وقبله بين عينيه ثم شكره
وأثنى عليه وقال له يا وجه العرب كلما ذكرته من الصفات أنت
بها أحق والذى يطلب أن يصل الى أدبك وفعالك فقد ظلم وعق
لانك اليوم أبهرت النواظر وأشغلت الخواطر ورأينا منك ميدانا
مليح ومدحتنا وأنت أولى منا بالمديح وأما اكرامك لنا فما نهمله
بل نسمع قولك ونغتنمه لان المعرفة بمثلك شرف والتأخير عن خدمة
مثلك غرور وتلف ثم انه عضده ورده الى ظهر جواده وشاور دريدا
فى المسير معه فقال دريد والله يا أبا الفوارس كلنا اليوم نسير مع ابن
عمنا ولا نخيب قصده ولا نكسر قلبه ثم انه التفت الى الغلام وقال له
يا خفاف أسبقنا وها نحن على أثرك تابعين فقبل الغلام يد دريد
وسار وأما عنتر فانه رد جميع أصحابه خوفا من التثقيل وما أخذ

ومعه غير أبيه وأعمامه ومقري الوحش وعروة بن الورد وتمام العشرة من الابطال وسار مع دريد وهو يسأله عن الغلام فقال له هذا يقال له خفاف بن ندبة وقد طلع فارسا من فرسان العرب وكسب بسيفه نعم المكسب وصاوت له خيام ومضارب وخيل وجنائب وقنا وقواضب فقال عنتر وقد تعلق قلبه بمحبته والله ان قصة هذا الغلام تشبه قصتي فتبسم دريد وقال أنت مالك نظير في هذه الدنيا وبين الورى ولا يقاس البحر بالنهر ولو جرى وكان هذا الغلام فيه مشابهة من حديث عنتر بن شداد لان أمه كانت أمة والحق روحه بالنسب وصار يعد من أولاد العرب وهو من بني سليم وكان في بني سليم من يحسده ويبغضه وهو العباس بن مرداس السلمي رضي الله تعالى عنه (قال الراوي) ولم يزالوا سائرين بين المضارب والخيام حتى وصلوا الى أبيات الغلام فوجدوه قد هيأ لهم الطعام والمدام وأجلسهم في أرفع مقام ووقف في جملة العبيد والخدام وقد فرح بهم غاية الفرح وزادهم في الخير والانعام ونحر وعقر لهم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع قام خفاف على الاقدام وقدم لعنتر جوادا وعدة جلاد وكذلك لدريد بن الصمة فما قبلوا منه شيأ بل ردوا عليه متاعه وعادوا من عنده وهم يحمدونه ويشكرونه ويمدحونه (قال الراوي) ولما وصل دريد الى خيامه وجد سبيع ابن الحارث وصل من بني حمير يأخذ أخبار عنتر لانناذكرنا ماجرى له معه في ديار بني عامر وكان قد عول على برازه وعاد الى قومه بالحمد وأتى اليه دريد وسأله عن حاله فقال ان منزلتي قد نقصت عند العرب من يوم أسر عنتر عبد شداد وانه قد التقاني وأنا تعبان من قتال بني عمه وكانوا أربعة آلاف وكان جوادي قد بلغ المنتهامن

التعب فوقع من تحتى عند لقاه فبلغ منى ذلك الوقت مناه وكنت أنا عولت أن اعلق لى قصيدة على الركن اليمانى فى البيت الحرام وانال الفخر بين الانام فانكسر عزمى عما كنت عليه عازم لان العرب صارت تقول لى كيف نمجد لشعرك وأنت أسرك عبد بنى عبس والآن قد بلغنى أنه نازل عليك وقد أتيت أبارزه بين يديك ويكون برازى له على سبيل الاختبار فان أسرنى اشتريت نفسى منه بكلما يريد من المال وان أنا اسرته استخدمته مثل العبيد عند الموال فقال دريد والله ياذا الخمار ان هذا الامر ما أتركه يتم هنا فى ديارى ولا يقدر احد يؤذى جارى لان هذا الرجل فى جوارى والرأى عندى أن نترك هذا الامر خير لك لان فيه فضيحة بها عند قبائل العرب وتقول اسرنى عنتر وأنا تعبان وما قهرنى حتى وقع من تحتى الحصان ولا تلج فى هذا الامر وفى معاداة هذا الرجل تندم لانه اذا انتصر عليك جعلك فضيحة بين الامم لانه والله فارس العرب والعجم وشجاع الزمان وما أظن أن تلد مثله النسوان وانه أخبر منك بالطعان ومداراة الفرسان وله خبره وساعات طيبة وسعادة ورب السماء فيه مشيئة واراده والرأى عندى أن تعود الى أهلك ولا تخالفنى فتهلك (قال الراوى) لهذا الكلام فلما سمع ذو الخمار ذلك المقال زاد غيظه وحنقه وكاد الدم أن يطرش من حلقه وعاد من ليلته طالب أهله وأظهر انه غضبان ولما أصبح الصباح وانتشرت الشمس على الروابى والبطاح وركبت أبطال القبائل الى الميدان الذى قدمناه ذكره وأقبل عنتر وسلم على دريد وومقرى الوحش والرجال الذين معه فكان أول من برز الى الميدان الصبيان الذين فى الحلل وهم اولاد الفرسان لاجل أن يتعلموا الضرب والطعان كما جرت به العادة حتى

تقضى نصف النهار وهم على ذلك الحال فأرادت الفرسان أن تخرج الى الجال واذا قد أقبل من صدر الميدان فارس غريب وعليه زى عجيب وله هيبة ووقار وثياب جميلة تبهت النظار لانه كان لابسا ديباجة رومية وعمامة خزكوفية وهو مضيق لثامه ومنكس عمامته على جبهته وتحته جواد حسن القدر رقيق لحم الخد طويل الذنب سريع الجرى والخبب فسيح الظهر عريض الصدر ظاهر القوة حسن الغرة ناعم الشعرة يسوى من المال بدرة ولما أقبل عليه ورمقته الفرسان وتأملته الاقران واذا به العباس بن مرداس السلمى ثم انه فتح باب الطراد فى الميدان ولعب بالرمح والسنان وقد تأملته الاقران وهو يغير فى الحرب ابوابا حسانا من صدور ورد وهزل وجد وتركيب العنان وزرق العنان والمقاربة والمواثبة والمباعدة والمصادمة والمهاجمة ثم انه أشهر الحسام وحذفه الى الهوى واستقبله بقائمه ورده الى غمده وعاد الى لعب الرمح حتى حير الفرسان وأذهل الاعيان ونادى أبرزوا الى الميدان حتى تنالوا منازل الاقران فلم يتم كلامه حتى برز اليه فارس على جواد أبرش لا يلم به رعش وهو بالزرد مقمش وعلى رأسه بيضة عادية ترد مضارب السيوف الهندية فحمل على العباس وجال الاثنان وصالا على بعضهما بعض فقرع العباس رأسه برأس الرمح وكف عنه وطلب البراز وسأل الانجاز وقال أبرزوا يا بنى الاعمام الى موقف الرجال الكرام واذا عجزتم عن ذلك فدونكم عشرة بعد عشرة فما تم كلامه حتى تحدر اليه خفاف وصار له ملاصقا ومطابقا وأراد أن يجول معه فرمق فيه العباس وزعق عليه ارجع الى ورائك يا ابن السوداء الرطبة الاستين المنتنة الابطين الواسعة الشدقين

66

نحن ماطلبنا الابراز السادات النبلاء لا ابراز أولاد الاماء فغضب خفاف وخجل ورد يده الى قائم سيفه وحمل وانطبق على العباس وفعل العباس كذلك مثل مافعل فعند ذلك جرد دريد سيفه ودنا روعنتر ومقرى الوحش وعروة وزعق دريد فيهم فافترقا وقال لهم ماهذه الفعال بعد اللعب والمزاح عدتما الى الحرب ومقام الكفاح فقال خفاف يامولاى أنا برزت اليه طالبا بذلك اللعب بين الفرسان فكأن فؤاده على ملآن وقال لى ماقال بين الاقران فهذا قول الرجال الكرام فقال عنتر عليك ياخفاف باحتمال بنى الاعمام وان اعتدوا عليك فى الخصام وأنت ياعباس لاتتكلم الا بما تتكلم به الناس الكرام ولا تغضب احدا بالكلام وعليك بحفظ اللسان والسلام ولم يزل عنتر بينهم بمثل هذا الكلام حتى أزال من قلوبهما الاحقاد وأصلح بينهم ولكنه صلح على فساد وعاد هو ودريد وبقية الجماعة الى حى بنى هوازن وجشم بعدما ودعهم خفاف وعاد الى أبياته ولكن استولى عليه الغضب وأما عنتر فانه عاد الى مضاربه وأقام بها وفى اكرامه الى يوم من بعض الايام قام من منامه وجلس على باب مضربه وأتت اليه أقاربه وأصحابه واذا هو بعبد مقبل من البرية ومازال حتى قبل يديه قبينه واذا هو من عبيد الحارث بن الملك زهير فلما قدم عليه قال له ياحامية عبس أخل لى المكان حتى أطلعك على الامر الذى أنفذنى فيه سيدى ففعل عنتر ذلك وقال له علمنى فقال له اعلم أن حصن بن حذيفة بعدر واحلت جاءه الخبران جارك مالك بن قادم وبنى عمه رجعوا الى بنى كنانة وتزوج ذلك الغلام بالجارية فلما سمع حصن بذلك أرسل سرية من الخيل الى بنى كنانة فاكبسوا الجارك وانه ذروا اليه واحدا

يستغيث به وذلك حيلة منهم دبروها وخديعة أحكموها فتقلد
بسيفه واعتقل برمحه وأجاب المستجير وتبعه حتى رماه فى وسط
الكمين فلما عاين ذلك الحال والبوائق تيقن بالبلاء الطارق فلما
رأته الرجال حملت عليه فصاح بهم ويلكم يا أنذال العرب صرتم
تأخذون الفرسان بالخديعة لما عجزتم عن الطعان وأنا وحق من
ركب الارواح فى الابدان وجعل الارض ميدان ونصب السماء بلا
دعائم ولا اركان وهو الواحد الاحد القريب المنان لا نزلت عن ظهر
الحصان ولا سلمت روحى اليكم حتى اعاين الموت عيان فى هذا
المكان ثم انه اخذ رمحه بيده وهمز الحصان فخرج من تحته مثل
البرق فى اللمعان وحمل على الرجل الذى استجار به وطعنه أرداه
وقد اشتهر الامر وبان وتزاعقت فرسان بنى فزارة وذبيان والتقاهم
الغلام برمحه والسنان حتى قتل منهم عشرين من الفرسان
فتكاثروا عليه حتى أخذوه أسيرا بالزور والبهتان وقادوه ذليلا
مهان واتوا به الى حصن فشدوه وثاقا وأخذ يعذبه بأنواع العذاب
ويقول له نادى يا قرنان بعنتر حتى يخلصك من هذا الهوان وأنا أقسم
وحق من أخرج الماء من الجماد ما أبرح أصب عليك العذاب حتى
تنفذ الى قومك وتأتينى بالجارية نوار وبدية من قتل من الرجال
الاخيار وان الغلام يا أبا الفوارس قد بكى عليه الطير فى كبد السماء
رحمة له ولولا خوف سيدى من أخيه قيس كان دبر على خلاصه بأى
وجه أمكن فلما ضاقت به الحيل أرسلنى اليك أعرفك بذلك الخبر
(قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام بكى وقال للعبد ويلك
والملك قيس اليوم مع عشائر بنى فزارة قال نعم يا مولاى وياكل هو
وولده زهير ويشربان معهم وان زهيرا خرج بطلا من الابطال الثقال

67

وجبار الا تصطلا له نار فلما سمع عنتر ذلك قال أنا ان شاء الله تعالى
أسير الى بنى فزارة والحق حصنا بابيه حذيفة وأما قيس بن زهير
وشجاعته وفروسيته فأنا بها فرحان وحامد لله تعالى على ما أنعم الذى
أنتج الزمان لبنى عبس حامية غيرى وأراحنى منهم ثم انه أمر عروة
أن يكتب للحارث كتابا ويشكره فيه على همته ومحبته ويقول له
سوف ترى يا مولاى من يندم اذا حضر الامر الاعظم وهذا أمر
لابد له من آخر وها أنا سائر على أثر هذا الكتاب ثم انه خلع على
العبد خلعة سنية وأعطاه عشرة جمال يشترى بها نفسه من رق
العبودية وودعه العبد وسار طالبا مولاه وهو شاكر لعنتر على
ما أولاه وأما عنتر فانه زعق على مقرى الوحش وعروة بن الورد وعمرو
أخو عبلة ومن يعتمد عليهم من رجاله الابطال فجمع منهم مائة
فارس وأخذ أخاه شيبوب بين يديه وساروا ولو كان لهم أجنحة
لطاروا وكان عنتر سمع أن بنى عبس وشباب بنى فزارة يجتمعون
وللمدام مع بعضهم البعض يشربون هذا ولم يزل شيبوب بين أيديهم
سائرا الى ان قارب الديار فقال عنتر يا أبا رباح انطلق وهات لنا
الاخبار من القوم فقال له أى وأبيك انزل أنت فى هذا الوادى
وأكمن فيه الى آخر النهار فنزل عنتر وأصحابه كما ذكر له أخوه شيبوب
ثم ان شيبوبا سار فى زى راع وأبصر القوم وهم على منهل بين
القبيلتين فرجع وأخبر أخاه بذلك ففرح وقال اليوم اذنى بدروا جارى
بنى عبس على فعالهم وأعرفهم قدرى فقال شيبوب على ماذا عولت
أن تفعل فقال أغير على أموال بنى فزارة وآخذها وأعود وكل من
تبعنى منهم فى البركان لى وله حديثا آخر فقال شيبوب أنا أعلم انك اذا
أخذت أموال بنى فزارة وتبعوك لخلاص الاموال ما يقعد عنهم زهير

ابن قيس وفرسان بنى عبس فقال عنتر اذا أتوا الى حربى ما اقاتلهم
بسنان بل اذلهم بالرمح وأتركهم مرميين على وجه الثرى فهو أشد
عليهم من القتل والهوان فقال شيبوب وأنا بهذا أردت أن أشير
عليك ثم ان عنتر أوصى مقرى الوحش ورجاله بالذى يعملون وساروا
تلك الليلة حتى طلعت الشمس وسرحت الاموال مع الرعيان
وانبسطت فى الوديان ولما رأى عنتر ذلك حمل هو ورجاله وقطعوا
منها خمسة آلاف ناقة وجمل وطرحوا الضرب فى أقفية العبيد
وأمروهم بسوقها الى بلاد اليمن وهم ينادون يالقحطان وقد وقع بهم
الصياح فى كل مكان وعادوا فى الرعيان الى عند الاحياء وطرحوا
الصوت فى الحلة وأخبروا بما جرى فركبت بنو فزارة الكل ومن تبعهم
ووصل الخبر الى حصن وسنان بن أبى حارثة وهم فى الوليمة كما ذكرنا
وقالوا جاءت الينا خيل غائرة ساقت الاموال والنوق والجمال
فقاموا بلا عقل وكذلك زهير بن قيس قام الى جواده وهو يقول
لحصن لا تخف فلو ان أعداءك فى آخر بلاد اليمن لحقتهم وخلصت
الاموال منهم وجازيتهم على فعالهم وكذلك قال سنان ثم ركبت بنو
عبس وركضوا الى أن أدركوا عنتر ونادوا الى أين يا أولاد الزنا وأنتم
بأموال الناس سائرون ونحن سباع الاجم واليوم نجازيكم على فعالكم
يا رعاة الغنم هذا وعنتر مد عينه فرأى حصنا وسنانا ومالك بن بدر
فى أوائل القوم وهم بقلوب حنقه لاجل أخذ المال وما هم فيه من
سوء الحال فعاد اليهم عنتر عودة الاسد الرئبال ورمى نفسه عليهم
وهو ينادى يا أوغاد غير أمجاد أما تعلمون أنى عنتر بن شداد فاليوم
أخلص جارى وأجازيكم على فعالكم وأهججكم فى أقطار
البرارى والقفار ثم انه قصد الى سنان بن أبى حارثة ومال عليه

وطعنه بعقب الرمح فى صدره ألقاه على ظهره وكاد أن يعدمه الحياه ويعجل فناه وأدرك مالك بن بدر وفاجأه ومسكه من أطراف درعه وحدفه وراءه فكتفهم شيبوب وبعد ذلك طلب حصن بن حذيفة وقد انخرع لما علم أنه عنتر فولى وانهزم وأطلق عنان الغبراء فطلبه عنتر وزرقه بالرمح فجرحه جرحا موهنا ونادى والهفى عليك يا ابن الخنا وبعد ذلك عاد الى بنى فزارة فأفناهم وأبلاهم بالبلاء وشردهم فى أقطار الفلا واذا بزهير بن الملك قيس قد فاجأه وهو يقول ويلك يا ولد الزنا تمد يدك على مواليك فلا باركت اللات والعزى فيك فاليوم أشفى قلبى منك لأجل تجرئك على بنى فزارة وملوك بنى بدر وطعنه طعنة جبار لا يقع عليه غبار فرد عنترا عنه وطعنه طعنة خفيفة رماه وكان معه جماعة من بنى عبس فرماهم كلهم وكذلك فعل مقرى الوحش وعروة بن الورد ولما فرغوا منهم ترجلوا اليهم وكتفوهم وخلوهم فى البر مكانهم وأخذوا مالك وسنان وساروا يقطعون البرارى والقيعان حتى وصلوا الى الاحياء وحط مالكا وسنانا فى القيود والاغلال وصال عليهم بالعذاب والنكال فقال له سنان يا حامية عبس وعدنان أنت مالك حاجة فى اعتقالنا الاخلاص جارك فان وثقت بقولنا فنحن نرسل الى حصن رسولا من عندنا بأن يفكه ويرسله اليك فلما سمع عنتر ذلك الكلام فقال له يا سنان احلف انك تطلقه وأنا اخلصك فحلف له على ذلك فقال عنتر وان لم تطلقوه فأنتم أخبر على أى شىء تقدموه ثم أمر شيبوبا باطلاقهم وساروا يجدون فى المسير حتى وصلوا الى بنى فزارة وأطلقوا مالك ابن قادم وخلعوا عليه وسار الى أرضه وأما دريد فانه استوحش الى عنتر فأتى اليه وسلم عليه وعتب عليه كيف سار ولا أعلمه حتى انه

كان يسير معه ويخدمه فقال عنتر ياسيدي ماهناك شي يوجب تعبك وعناك (قال الراوي) فبينما هم في ذلك الحديث واذا بالخيل قد أقبلت وهم يقولون ألحقنا ياأبا الذمار لانه قد وقع الخلف بين خفاف والعباس ووقع بينهم الحرب والدعاس وان لم تلحقهم والا افنوا بعضهم بعض فوثب دريد وعنتر وقد لحقوهم والحرب بينهم قد اتصل واشتهرت السيوف وقومت الرماح وعلت الضجات وارتفعت الصيحات فعندها زعق فيهم دريد وعنتر ودخلا بينهما فرجعا عن الحرب والقتال وقال لهم عنتر ماهذا الحال ياسادات بني سليم حتى ركبتم طريق البغي التي ماركبها أحد الاهلك فكفوا عن هذا البغي وان رضيتم تكلمت بينكم فقال دريد ياأبا الفوارس قل ماتشاء فقال عنتر معاشر بني سليم المطنب في حقكم مقصر والمشمر في الثناء عليكم عاجز كلامكم مقبول ومالكم مبذول فضج بنو سليم بالثناء عليه وقالوا لله ابدي ماتريد من الخطاب فجميع قولك صواب فقال عنتر انصرفوا الى غداة غد احكم بينكم فامتثلوا أمره ورجعوا ورجع دريد وعنتر وأصحابه حتى أصبح الصباح واجتمع السادات كلهم ليسمعوا مايقضي عنتر بينهم وكان عنتر أنفذ الى خفاف بالليل وسأله عن حقيقة الامر فأخبره بحاله ولما اجتمع الناس وحضر العباس فقال عنتر للعباس وخفاف أعلموني ماسبب هذه العداوة التي بينكم فقال خفاف والله ياأبا الفوارس مالي ذنب الا أني خطبت بنت هذا الرجل على يد جماعة من سادات قومي فطلع هذا الرجل الينا وقال كلاما لاخير فيه وأظهر عنادا وعايرني بسوادي فضحك عنتر وقال ياخفاف ان كانوا عايروك بذلك فقد عايروني من قبلك فقلت في ذلك أبيات من الشعر والنظام

اذا

اذا عاب العدوّ سواد جلدى * فلسواد جلدى من دواه
وفعلى أبيض والمسك لونى * ولونى ليس ينقص فى علاه
ولكن تبعد الفحشاء عنى * كبعد الارض عن جوّ السماء

(قال الراوى) فلما سمعت العرب ذلك قالت هيهات يا أبا الفوارس أن نقيس نفسك بغيرك وأنت النجم الزاهر وجنة الناظر فقال العباس والله يا أبا الفوارس ما خفى نظيرى حتى يخطب موضع ما أخطب أنا فقال عنتر احفظ لسانك يا عباس فوالله ما يزرى بالرجال الا خصلتين وهما البخل والفزع وأما اذا كان الرجل كريما يكسب بماله الثناء ويذب عن حريمه ويحفظ جاره من غريمه لا يبقى به عيب يعاب به بين السادات الكرماء ثم ان عنتر التفت الى أبى الجارية وقال له يا وجه العرب أنت وجهك مجمل بكل خير ومكلل بالسرور ومنير وهذان الرجلان رضيت بمن فيهما يكون لابنتك بعلا فتزوجه بها ويرجع الآخر عنها بلا علاج فقال أبو الجارية والله يا أبا الفوارس لو تركونى من الاوّل أن أتكلم ما جرى شىء من هذا الامر ولكن اعلم يا أبا الفوارس والكلام لجميع السادات ان لى ثارا عند رجل من أهل اليمن يقال له المتعنصر بن فا زالقضاعى وسبب الدم الذى لى عليه انه أغار على جمالى والنياق فساقها مع الخيل العتاق وعاد يطلب دياره فوصل الى الخبر فلما سمعت بذلك ركبت أنا وأولادى لنرد المال وجميع النياق والجمال ولما لحقناه وزعقنا عليه وحملنا من كل جانب عليه عاد الينا عودة الغول الحردان وقوم الينا السنان وزعق على ولدى الاكبر وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ولما رأيت ذلك غابت عن عينى الارض والسماء وحملت عليه لآخذ منه بثارى وأكشف

عني عاري فكب جوادي ورماني عن ظهره وكانت وقعة عظيمة
أوهنت قواي فأردت أن أقوم فبادرني بعض بني عمه وطعنني
فوقعت الطعنة في فخذي فوقعت على وجهي وقد خاف أن تلحقني
الفرسان من أرضنا فجد في المسير وقد ظن اني قتلت ولما أبعدت عن
القوم قمت وشددت جرحي وأتيت الى البيت وعالجت نفسي حتى
برئت وقد بطلت رجلي وبقيت في أمر مهول فأيهما أخذ بثاري
وكشف عني عاري زوجته ابنتي ورضيته لكريمتي (قال الراوي)
فلما سمع الحاضرون ذلك عذروه وقال دريد والله ما بقي على الرجل
ملام فعند ها نهض الاثنان وأرادا المسير فقال عنتر ما هذا صواب
ان ساروا في طريق واحد نخاف أن تتجدد الحروب بينهما فيقتتلان
ونكون قد دبرنا تدبيرا يعود علينا به وبال وتدمير فقال دريد كيف
يكون الحال فقال عنتر نلقي بينهما القرعة فأي من وقعت عليه
سار قبل صاحبه فأجاب دريد الى ذلك وشكرته العرب على قضائه
وألقوا القرعة بينهم فوقعت على العباس ثلاث مرات ففرح فرحا
عظيما ثم اتفقت العرب ان العباس يبلغ مراده لما يعرفون له من
الاصدقاء والاصحاب لان من جملة أصدقائه سبيع بن الحارث
الملقب بذو الخمار وما كان قلبه قويا الا به ومن يومه جمع بني عمه
وسار الى بني حمير ونزل على سبيع ففرح به وأكرمه وسأله عن حاله
فأخبره بما جرى له وما اتفق بينهما من الامر قدام سادات العرب ثم
قال وقد أتيت اليك قاصدا حتى تعينني على ذلك لاني أعلم ان خفافا
يطرح نفسه على عنتر فيشد معه ويسير الى معاونته لانهم عبيد
أولاد زنا وأنا قد سلمت أمري اليك وتركت معولي عليك فقال ذو
الخمار يا عباس ابشر بما يسرك ويكشف عنك ضرك ثم انه جمع من

يعتمد عليه من الفرسان وأخذوا أهبتهم ثم ساروا فى خمسين فارسا عليهم الزرد النضيد وساروا بعدما أخذوا معهم أدلاء يعرفون الطريق ويخبرون تلك الارض لانها صعبة المسالك لان فيها برية تسمى برية سبروت لانها منهل ولا قوت ولم يزالوا يجدون المسير عدة ايام حتى توسطوا البر المنقطع ونزلوا على بعض المناهل والغدران وقد وقع فى زادهم النقصان ولو لم يدركهم المسا كانوا قاسوا جور البلا والاسى لان الحر شديد لا تصبر عليه أحرار ولا عبيد وقد نشفت المزاود والقرب وزادهم الويل والحرب حتى رأوا الغدير فتساقطوا عليه مثل الطير الذى يطير ولما أمسى المساء قام ذو الخمار ونادى على الادلاء يا بنى الاعمام قوموا بنا نقطع البراري والآكام فى جنح هذا الظلام لان هذه البريه يقال لها برية سبروت لا فيها منهل ولا قوت شديدة الحر والهجير تلتظى بالنار والزفير طولها يوم وليلة لفارس المجد المسافر فى الترحال لا يقطعها الا من يكون معه القرب ملآنه بالماء الزلال فامتثلوا أمره وملؤا تلك القرب وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا ثم جدوا فى المسير الى ان تضاحى النهار وقويت عليهم الشمس واتسعت عليهم الاقطار وقد استشاروا فيما يعملون فقال الادلاء ما فى الامر الا المسير على مقصد واحد والنجاة من هذه الفدا فدما دام فى الخيل رمق فان كان لنا نجاة أدركنا المياه والا نموت موت الفجأة فقال ذو الخمار وقد أيس من الحياه من شدة الحر الذى دهاه ان كان الموت قد اقترب فما نموت الا من العطش وقلة الماء الا انهم ساروا كما أشارت عليهم الادلاء ذلك اليوم الى ان حمى عليهم الحر وصار نصف النهار وقصرت الخيل عن المسير من التعب وعادوا الى نحو القرب فما رأوا فيها غير الويل

والحرب لان الحر كان شديدا واتسعت عليهم البيدا وزادبهم البلا وأيقنوا بالهلاك لعدم الماء وقد قل الكلام والشكوى واشتغل كل انسان بروحه ولم يلتفت الصديق الى الصديق وكشفت الفرسان الرؤس ورمت السلاح والملبوس وقالت الادلاء يابنى الاعمام قودوا الخيل وامشوا فى ظلالها فان المنهل قريب غير بعيد فقال العباس لقد كانت بئس الطريق ورمينا فيها بجميع آفات التعويق وكل هذا جرى لنا بمعاداتنا الى هذا الولد الزنا خفاف بن ندبه ولولاه ما كنا وقعنا فى هذه النكبه وأنا أعلم ان عبد شداد يسير معه ويساعده ويعينه برجاله ويبلغه آماله فقال ذو الخمار ياعباس ما أذى بدنى وأنحل منى جسمى الا معاداتى لعنتر ونصرته على مرة بعد مرة وقد أذلنى له صاحب المشيئة والقدره وأقرب شىء فى هذه المره لانى ما سرت معك الا لعلمك أن تسير وتفوز بالمراد ولتقيه أنا فى هذه البلاد وأشفى غليل قلبى والفؤاد لانى أعرف انه لا بد له من المسير مع خفاف وألتقيه فى الطريق فعاندنى القضا ولم أبلغ مناو بقينا تائهين فى الفلا (قال الراوى) كل هذا وجرى وهم سائرون وعلى أقدامهم مجدون الى ان أمسى المسا فناموا كلهم كأنهم أعجاز نخل خاويه وخيلهم الى جانبهم ترعى من حشائش الفلا وهم آمنون ولا عندهم خبر من ريب المنون بل قلوبهم واثقة لاجل ما قطعوا من تلك الارض الذى للدنيا مفارقه وللآخرة متلاحقه وما انتبهوا حتى قوى الحر وتعالى النهار وأحرق وجوههم حر مثل لهيب النار فالتفتوا يمينا وشمالا فلم ينظروا للخيل لهم آثارا فعندها أيقنوا بالموت والدمار فقال بعضهم لبعض والله ان هذا هو أشد ما يكون من العار وذلك اننا أصبحنا ما لقينا الخيل لنا

آثارا ترى ياقوم من هو الذى أخذ خيلنا الجياد وتركنا حيارى بين العباد فقالت لهم الادلاء ياويلكم ما هذه الحيرة والانبهات ونحن بقى بيننا وبين الماء شىء يسير من الفلوات واذا لم نجد فى المسير والا هلكنا الان خيلنا راحت وزادنا فرغ ومابقى لنا بدل من قوام الموت على رؤوسنا ثم انهم ساروا حتى حمى الحر وزادهم العطش والظمأ وضاقت الانفاس وبردت لانهم على كل حال رجاله بلا زاد ولا ماء وقوى عليهم الحر وصاح الجندب وصروا أيقن كل واحد انه هالك وقد خرج من شدة العطش اللسان وورمت الشفتان ومابقى الا أن يرموا أرواحهم الى الارض ويودعوا بعضهم بعض فنادى الادلاء يابنى الاعمام لا ترموا أرواحكم الى الارض فان الغدير منا قريب خلف هاتيك الرابية الخضرى فلما سمعوا ذلك اشتدت منهم الانفاس وجدوا فى المسير الى ان قاربوا ذلك الغدير ونظروا الماء على وجه الارض يسير فالقوا أرواحهم حتى تساقطوا على الماء وما فيهم من بقى على نفسه وقد غابوا عن الدنيا ولم يدروا هم فى الارض أم فى السما وكان على الغدير خيل ومضارب وجنائب وفى دون ساعه ألقوا عليهم الصياح ومدوا اليهم قطع الرماح وصاحوا لهم أوفى من ألف فارس بالقنا والقواضب وداروا بهم من كل جانب ونادوا ياويلكم من أى الناس أنتم سائرون فقالوا لهم العقلا من بنى سليم وقد طلبوا المداراة بلين الكلام ياقوم ترفقوا بنا ودعوا التجبر على قوم قد هلكوا من الحر والعطش وغير الجوع عقولهم والدهش فمكنونا من ورود الماء واسألونا بعد ذلك عن أحوالنا (قال الراوى) وكانت هذه الخيل من بنى قضاعه وهى ألف وخمسمائة فارس والمقدم عليهم المتغضرب بن فائز القضاعى الذى

طلب العباس قتله و يعود برأسه و يتزوج بالجارية التى عانده عليها
خفاف بن ندبه و معه أخته غمره صدامة الخيل وخواضة الليل
وكانوا قد خرجوا من بلادشريف يطلبون المعاش والمكسب من
بلاد التجارة فوقعوا بهؤلاء الرجال اتفاق فى هذا المكان ودار وا بهم
من كل جانب ومكان فلما سمعوا كلامهم رحموهم ثم قال بعضهم
لبعض الرأى انتا نمهل عليهم ونشاور غمره وأخوها ونخبرهم اننا
وقعنا بأربعين رجلا من صعاليك العرب وقد هلكت خيولهم
فى البريه ومافيهم الا من هلك من العطش وقلة الزاد وأردنا نأتيهم
بالصوارم والقنا فقالوا لنا امكنونا من وورود الماء فما الذى تأمرونا
فيهم ثم ان الرسل ساروا اليهم وعادوا فى أسرع وقت وقالوا لهم
اسقوهم وشدوهم كتاف وعادت اليهم الرجال أسقوهم وفعلوا بهم
ما أمروا به وعند الصباح أسقوهم وشدوهم وتوكلوا بهم الى المساء
وساقوهم الى الخيام لان غمره مع أخيها كانت خيامهم على المناهل
والعيون مضروبه فأحضروهم قدام الاثنين وصفوهم صفين ونظر
العباس الى غمره فرآها مائلة الى السواد الا أنها عريضة الاطراف
صلبة الاكتاف بأرداف ثقال وعينين كحال وسواعد طوال
وخلقتها مثل خلقة الاسود وعلى أعطافها للفروسيه دلائل
وشهود فتعجب العباس من تلك الخلقه وقد هالته رؤيتها فبقى
مختفى بين أصحابه حتى لا يعرفه أحد وأما سبيع بن الحارث صار
باهت الى غمره ويقول ليتنى هلكت من العطش فى البر ولا من الحر
هذا وغمره تنظر اليهم وتميز أشكالهم وتطلب أن تعلم أحوالهم فلما
كررت نظرها فيهم أقبلت عليهم وقالت لهم من أى العرب أنتم أيها
الاشرار وأى شىء أوصلكم الى هذه الديار فقالت العقلاء منهم يا أميره

نحن من بنى هوازن وسليم ونحن من صعاليك العرب وقد خرجنا
فى طلب المعاش والمكسب كما جرت سنة العرب فوقعنا فى برية
مالنا بها خبرة فبقينا فى ذلة وحيرة رماتت خيلنا وقل من العطش
قوانا وحيلنا ووصلنا الى أرضكم فى هذه الحالة التى ترونا فيها وقد
وقعنا فى أيديكم وظفرتم بنا فافعلوا الآن ماشئتم واحكموا فينا
ماهويتم فلما سمعت غمرة كلامهم ومقالهم وتذللهم وخضوعهم
فقالت لهم ياوجوه العرب نحن مانطلب منكم فضة ولا ذهب وما
نريد منكم غير الجمال الذى اتفق عليها الحال وبعد ذلك نقابل
سيدكم دريد على هذه الفعال لاننا ما كنا نعفوا عن بلاده الا
لاجل كبره وتقدمته على العرب والآن قد وصل شره الينا واما أنتم
فأقطع عليكم الفدى والا حل بكم الردى فلما سمع العباس هذا
المقال ايقن بالخلاص من الاعتقال وأقبل على غمرة وقال لها يا ابنة
الملوك أما الفدى فنحن نحمله اليك ويصل الى بين يديك ولكن
يكون على قدر اقدارنا فقال المتعصبر ياوجوه العرب كل الفرسان
تقول هذا المقال اذا وقعت فى الاعتقال ويجعلون ان مالهم قدره
على مال ونحن فما نبغى عليكم فى الطلب ولانريد من كل واحد
منكم لا فضة ولا ذهب ومانريد الا من كل واحد ثلثمائة ناقة وجمل
فانفذوا واحدا منكم يأتى بالنوق وعودوا الى أهاليكم من قريب
وانجوا من الهلاك والتعذيب لاننا ما بيننا وبينكم ثار نستوفيه ولا
دين نقضيه فرضى العباس بذلك وماصدق حتى أنفذوا واحدا من
بنى عمه الى دريد يعلمه بما جرى عليهم ويحثه على خلاصهم وأخذ له
من غمرة نجيب قوى الاعصار يسير مثل السحاب واستكثر له من
المياه و لزاد يعلمه بما قاسى فى تلك البلاد وكل هذا يجرى وذو الخمار

ساكت لا يتكلم وهو حيران وكانت غمره قد شرطت على الرسول أياما معلومة وقالت له ان تعديت الاجل ضربت رقاب أصحابك ولما انفصل الحال على ذلك الامر قرنت الأسارى الى بعضهم البعض وقالت لاخيها عدنا الى أهلنا فقد ارتحنا من التعب والعنا وسهل علينا المكسب والغنى ونحن اذا أتانا هذا المال أطلقنا هؤلاء الرجال وعدنا غزونا الى بنى عدنان وكسبنا الحلل وقتلنا الفرسان فقبل أخوها مقالها ورجع وتبعهم أصحابهم من بنى قضاعه وهم يسوقون العباس وذو الخمار ومن معهم من الجماعه وكانت المسافة بينهم وبين أهلهم ثلاثة أيام فقطعوها فى دون ذلك من شدة أفراحهم وأشرفوا على بلاد شريف ونظر أهل الحله الى غبارهم فأنكروهم وأعلموا سيدهم بذلك فركب فى جماعه من مشايخ قومه وأبطال عشيرته وتجارت الخيل من سائر الجهات حتى عرفوا حقيقة الحال وعلم فائز بعودة ولده وابنته ومن معهم من الرجال فتقدم اليهم وسألهم عن سرعة عودتهم فأخبروه بالخبر وقدموا اليه الاسارى وانهم أنفذوا اليه بالنوق والجمال فتعجب فائز من ذلك الاتفاق الحلو السماع والمذاق وقال ما أنتم الا فرطتم فى أمر كبير وقد أسأتم الرأى والتدبير فقال ولده وكيف ذلك يا أبتاه فقال أما علمتم ان هؤلاء الانذال خدعوكم بالمحال وأوعدوكم بالنوق والجمال وأنفذوا الى قومهم يعلموهم انهم فى الاسر والاعتقال وكأنكم بدريد قد أقبل فى جيش تهتز له الجبال ويعود النهار منه أسود من غبار حوافر الخيل العتاق لانه شيخ العرب وغفيرها وكبيرها وأميرها وله فى قبائل العرب الامر المطاع وما سار الا وتبعته الفرسان من سائر الاقطار ولاسيما صهره ذو الخمار الذى

ذكره

ذكره وحديثه قد شاع وهذه نوبة تجلب لنا الصداع والصواب انكم
ترتاحوا هنا يومين أو ثلاثة ثم تعودوا الى رأس الوادى ثم انكم
تملكوه والا دهينا ونحن فى الاوطان وتتبدل بالخوف بعد الامان
فقالت غمره يا أبتاه لقد غيرك الكبر وغير عزمك وأضعف همتك
لاننا ما كنا نعهد انك تخاف من الملوك الكبار ولا من أصحاب
الاقطار والامصار على ان عسكرنا اليوم فى عدد التراب وما كنت
أشتهى الا أن يكون كلامك صحيح ويتعرض شاذوا الحمار حتى
أوريك ما أفعل به تحت الغبار وما زالوا على مثل ذلك الكلام حتى
نزلوا فى المضارب والخيام وشدوا ما معهم من الاسارى بين الاطناب
ودارت بهم المشايخ والشباب وصاروا يبادروهم الى وقت الغياب
وبعد ذلك خرجت غمره وأخوها لما أظلم الظلام ونامت أعين
الانام وغمرة متفكرة فى كلام أبيها وهى تطلب أن يكون كلامه
صحيحا حتى توريه فعالها بالرجال وملتقاها بالابطال قال وقد كانت
غمره معتلت النسب فى مذهب العرب لان أمها كانت جارية
حبشيه ورزقت من فائز هذه الجاريه وكان أبعدها عنها لما رآها
سمره فلما كبرت وتفرست على ظهور الخيل وقاومت الفرسان
فقربها وقد ألحقها بنسبه لانه رأى من فروسيتها ما أبهره فرفعها
فى هذه المنزله حتى وقعت فى أيديهم الاسارى وقد سمعت وصف
أبيها فى دويد وذو الخمار فاشتغل سرها وهمت أن تهجع فسمعت
فى مضرب الاسارى صياحا قد ارتفع وصوتا قد وقع حتى كاد الصخر
منه أن ينصدع فدخلها الخوف والفزع وقامت من منامها وخرجت
من أذيال الخيام وأرادت أن تطلب صوب الصياح واذا بالعبيد
الذين وكلتهم بالاسارى أقبل منهم جماعة وهم يصيحون يا أميره

الحمد لله بنا على من عليهم وكاتبنا فانهم جميعا خلصوا من الكتاف
وأبذلوا فينا أسياف التلاف وأكثرهم ركبوا جياد الخيل وطلبوا
السير فى ظلام الليل فالعجل العجل قبل فوات الاجل والبدار البدار
لهؤلاء اللئام الاشرار فلما سمعت غمره ذلك المقال صاحت على الرجال
وركبت واعتدت للقتال وركب أخوها لما انه سمعها صاحت
وأقلبت الارض وماجت وبادرت الخيل من كل جانب وأنكر
القريب القرائب وضجت الرجال والقبائل وماجت المواكب
والكتائب وحجب الغبار المشارق والمغارب وركضت نواقضاعه
يمينا وشمالا وفيهم من لا يعرف حقيقة الحال (قال الراوى)
وكان السبب فى خلاصهم ذو الخمار لانهم لما شدوا كتافهم وكتافه
وقوا أطرافه تقاسى منه شدة وهوان وهانت عليه روحه وبات
تلك الليلة وهو فزعان خائف أن يعرف فيهلك لما عليه من الدماوانه
من شدة نخوته وشهامته صبر حتى نام الموكلين عليهم وشد
فى كتافه قطعه وحل يديه ورجليه وكان العباس الى جانبه فحله
وحلوا بعضهم البعض ثم قاموا الى العبيد وأخذوا سيوفهم حتى
قتلوا أكثرهم وصاحوا فيهم وغاربوا نحو الخيام ثم تواثبوا الى
الاسارى وأظهر ذو الخمار الفروسيه والشطاره وبين عزيمته
المعروفه وشجاعته الموصوفه ومدد الرجال على العصيان وكانت
الابطال قد ضايقته ودارت من حوله حتى رأت فعاله فهربت من
بين يديه فلما خف عنه الطلب عاد فى أصحابه وقال ويلكم كل من
قتل فارسا يركب جواده ثم اطلبوا عرض الفلا حتى نملك أنفسنا
ويخف عنا هذا البلاوا ربكم ما أفعل بهؤلاء الانذال اذا اتسع على
المجال ثم انه وثب الى بعض الجنائب واستلب رمحا طويلا من بين

المضارب وطلب البر وفعل العباس كذلك وتشهوا بقية الاصحاب بهم الا انهم ما تخلصوا من بين الخيام حتى قتل منهم عشرة رجال وملكوا أنفسهم وتأهبوا للحرب والقتال واتسعت عليهم المسالك والجبال وتبعتهم الرجال الذين علموا بالحال وتبادروا عليهم من اليمين والشمال واشتد القتال وبذل ذو الخمار الحسام الفصال وصدم صدور الرجال هذا وقد وصلت غمره وأخوها وحولهم موكب كبير وقد وقع في بني قضاعه النفير وقصدت الشجعان مكان الصياح وقد دمدم ذو الخمار وصاح وأزعجت القلوب وغلب الفساد على الصلاح وقد لاح الفجر مشرقا وأنكر الرفيق الرفيق وفي تلك الساعه وصل أبو غمره وهو في محفل مهول ونظر ذو الخمار وهو يجول ويصول ويفرق المواكب عرضا وطولا وهو ينادي يا آل حمير أنا ذو الخمار الاسد القسور فقال أبو غمره هذا الذي كنت منه أحذر فقد جاء كم ذلك الفارس الذي كنت له واصف ومنه خائف وحق الكعبة لقد وقع في أيدينا ولا عرفناه وكذلك الجاهل الذي لا يحترز على نفسه فان الموت يغشاه (قال الراوي) فهو في الكلام واذا ببنته غمره قد صدمت ذا الخمار وأخوها صدم العباس وقد اشتد بين الاربعة المراس وقوى الباس وجرى بينهم طعنا تضيق منه الانفاس وما كان تأخر غمره عن القتال الا خوفا على أصحابها من غوائل الليل وحيل الرجال فلما ارتحلت جيوش الظلام وعظمت الامور وقد اشتد الصدام فعرفت ذا الخمار بالسماع وعلمت انه قرن مناع فحملت عليه كما ذكرنا ونظر أخوها الى فعل العباس فانكب بجملته عليه وباشتغال هذين الفارسين فطمعت في الباقي نصر قضاعه وبلى بنو سليم بأمر لا يطيقون له دفاعه وكانت ساعه يا لها من ساعه

لانّ الفرسان نهبت بالقنى والقواضب ودارت بهم الاعدى من كل جانب وكان ذوالخمار يسمع صياحهم ويطلب معونتهم فيرى غمره كأنها اللبوة الشمطى أوالحية الرقطى فيعود معها الى الجدّ والكدّ وماازالا على مثل ذلك حتى انه عبر نصف النهار وقد كلت بنو سليم واضمحلت ولطمتها بنو قضاعه لطمة مثل موجات البحار وكانوا احدى عشر فارسا الذين سلموا وقتل منهم ثلاثة وعشرون وأسروا الجماعه المذكورين هذاوة والخمار وغمره ولولا غمره مع ذوالخمار فى القتال وكذلك العباس مع أخيها فى النزال كان أصحابها فى قتال شديد ماعليه من مزيد وصار ذوالخمار مع غمره وحيدا فريد وصار يقاتل ويحارب وهو يحفظ نفسه من كل جانب وغمره تصيح عليه وعلى عشيرتها وتردهم عن معونتها وتطلب قتل ذى الخمار أوأسره حتى يرتفع بين الشجعان قدرها ومازالت معه فى اتصال وانفصال حتى عوّل النهار على الارتحال وأسر العباس وضاق الوقت على الناس وزعق فائز أبوغمره فى الابطال الذين حوله من شدة غيظه وقال لهم يابنى الاعمام هذا الظلام قد قد اقترب وهذا الرجل مايسلم فى نفسه ولو بماء العطب لاجل اسمه وذكره بين العرب ولولا ابنتى تعبانه وماسكت عناء عناه فى طعانه وضرابه لكان أفنانا وأحمى أصحابه ياويلكم احملوا واقتلوا اجواده قبل أن يهجم عليكم الظلام بسواده ويمنع الطالب عن بلوغ مراده وربما يجرى على ابنتى أمر تحت ستور الظلام ويقع بنا الندم من هذا الفارس الهمام فقالت بنو عمه لقد صدقت ياأمير لانّ الليل يمنعنا عن نظر مايجرى بينهما ويخفى عنا أمرهما ثم حمل منهم أوفى من ألف فارس وطلبوه من كل جانب فقاتلهم الى ان ولى النهار وقد قتل من بنى قضاعه واحد

75

وخمسين فارسا كراره وبعد ذلك أخذ أسير بعد ما قتلوا فرسه وجرحوه جراحات كثيره وعاد فائز وأولاده وفرسانه وأجناده الى الخيام وهم متعجبون من حسن قتاله وصبره على الطعن والضرب ونزاله وقال فائز لابنته قيدى هذا الشيطان ووكلى به من يحفظه ويرعاه الى غداة غد حتى أضرب رقبته ورقاب رفقاه وتشتفى قلوب أهل القتلى الذين أورثهم الدمار فى هذه الديار (قال الراوى) فلما سمع ذو الخمار كلام فائز وما نطق به قال له يا فائز اننى بعد ما شفيت قلبى وفؤادى منكم بضرب سيفى ما بقيت أبالى بما يجرى على ولولا هذه السودة اللون كنت تركت الارض تفيض بالدما ولكن الذليل الجبان يقهر بكثرة الشجعان ولو لم أكن خالى من الحديد وأنا عطشان وجيعان والا ما كانت هذه اللخنا وقفت بين يدى ساعة من الزمان ولكن السباع تغلب بالمكاثرة وكواسر الطيور تصيبها الاقدار وهى فى الجو طائره فلما سمعت غمره كلامه وفهمت مرامه صعب عليها وكبر لديها وقالت لابيها ما أمكنك من قتله ما دام قد أنكر شجاعتى وحقر براعتى ولا بد ان أتركه حتى يشبع من الزاد وأسلم اليه كلما يشتهيه من آلة الحرب والجلاد وأبارزه بين يديك وأشهد فرسان العشيره ان قهرنى أطلقته هو ومن معه من فرسانه وان أنا قهرته جزيت ناصيته وأذانه وأضاعف العذاب عليه واطلق سبيله هو ومن معه من أقرانه حتى تعلم فرسان العرب أن مالى مثيل ولا عديل فقال لها أبوها احتفظى عليه حتى أسيراء وأخوكى فى خمسة آلاف فارس ونمسك المياه والموارد على من يقصد الينا فى طلبه وطلب أصحابه لانى أعلم ان دريدا ما يغفل عنه وما خدعوكى هؤلاء بالفدى الا حتى يأتى دريد ويخلصهم من البلا

وان لم نحترز على أنفسنا والا كانت العاقبة غير محمودة علينا ثم انه
سلم ذو الخمار والعباس وبقية الرجال المأسورين الى غمره وصار
يوصى فرسانه وعشيرته أن يأخذوا الاهبة التي وصى عليها وعزم
وجمعت همته اليها (قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء من الكلام
وأما ما كان من الرسول الذى أنفذه القوم الى بنى هوازن فانه جد
المسير الى ان وصل الى دريد وأخبره بما تم عليهم فى برية السبروت
وكيف مسكت غمره الماء وكيف أخذوهم أسارى والذى تم لهم
وجرى وكان دريد سمع بمسير ذو الخمار مع العباس فايقن ببلوغ مناه
ولما ان الرسول أتاه وأخبره بأسر الجميع ضاق صدره وانقسم فكره
وقال والله لقد حسبت هذا الحساب وعلمت ان لجاج العباس هو
وخفاف تضرب فيه الرقاب ثم انه أنفذ خلف عنتر وأصحابه وأحضر
خفاف وأعلمهم بما قد وصل اليه من الاخبار فأظهر عنتر التعجب
والانكسار وقال مقرى الوحش هل ترى من قدم على هذه السريه
وفيها مثل ذو الخمار فقال دريد ومن هو ذو الخمار عند نزول الاقدار
وحوادث الليل والنهار على ان هذه النوبه أتت على ما يريد خفاف
لاننا نحتاج كلنا أن نسير مع خفاف فى مائة فارس فقال عنتر والله
ياأمير دريد ماندعك تزعج نفسك فى هذا الامر بل أنا أسير فى المائة
فارس الى قضاءها فقال دريد والله ياأبا الفوارس ما أطاوعك على
مثل ذلك ولو كنت أعلم انى اذا أقمت تقيم افعلت ذلك ولكن أنا أعلم
انك ماتغفل ولا تقعد عن معاونة صديقك خفاف والصواب أننا
نسير فى ألف فارس الى بنى قضاعه ولا نعود حتى نخرب ديارهم
ونقلع آثارهم فقال عنتر الامر اليك فمتى تشتهى المسير فقال ليلة غدا
عشية النهار فقال عنتر افعل مابدالك فما فينا أحد يخالف مقالك

76

ثم انهم عادوا الى خيامهم لطلب المنام ويدبرون أمورهم للصدام
وخفاف بين أيديهم وهو فرحان بهذا الامر الذى جرى على العباس
لانه عدوه ومعانده فى الجارية المتقدم ذكرها وصار من شدة فرحه
يقول لعنتر والله يا مولاى لولاك ما نلت المطلوب وكنت مت بحسرة
المحبوب (قال الراوى) وكان الذى صنع بخيول القوم ما صنع كان
شيبوب وذلك ان العباس لما وقعت عليه القرعه وسار طالب بنى
قضاعه فبقى فى قلب خفاف النار من ذلك لانه سمع ان ذا الخمار
سار معه فزاد به البلا وأتى الى عنتر وقت المسا وشكى له حاله
وبكى فالم قلبه بكاه وقال له يا خفاف كيف العمل ودريد شهد
عليكما أياما معدودة وان غاب منا أحد فى ذلك وجرى على العباس
أمر من الامور لقال دريد انه من أعمالنا ونبقى تحت العتب والملام
ولكن ان عاد العباس خائب صبرنا كنا فى خدمتك وقلعنا أثر بنى
قضاعه فقال خفاف جزاك الله عنى خيرا الا انك ما فعلت الا المليح وما
بقى غير انتظار العرضيات والامور المقضيات لان هذه الجارية ان
كانت من نصيبى تقلقت فى وجوههم الابواب وهم خفاف أن يعود
فرجه شيبوب وقال له يا خفاف طب نفسا وقر عينا فأنا أسد
فى وجوههم جميع الروابى والرحاب وأترك الكل فى البر أذل من
الكلاب فارجع أنت الى خيامك وأخلى من هذا الوجه بالك
فقال خفاف وقد طاب قلبه بهذا الكلام جزاك الله عنى كل خير
فقال عنتر ويلك يا شيبوب ما الذى تريد تفعل بهذا الوعد الذى
وعدت به خفاف أتريد أن تجعل لنا فى هذه الارض حديثا مذموما
فقال شيبوب لا وذمة العرب لا فعلت شيئا لا يعلم به أحد فقال عنتر
وكيف ذلك اخبرنى ما الذى خطر ببالك فقال يا ابن الام أنا

أعرف ان هذه الطريق التي ساروا فيها الى بني قضاعه بها برية تسمى برية سبروت لانها منهل ولا قوت مسيرة يومين لمن كان بها عارف والجاهل بها يموت من كثرة المخاوف وأريد آخذ معي أخي جرير وأسير على أثرهم حتى أضيعهم في فلواتها واني أسوق خيلهم وأترك رجالهم في آكامها ان سلموا منها وأتوا الى الماء فما يبقى فيهم من ينفع نفسه فقال عنتر هذا رأي مليح ولكن ضياعهم قبيح وربما يسلم منهم واحد ويشيع الخبر فنبقى في فضيحة دريد بن الصمه وأما أخذ خيولهم وتبقى رجالهم عاجزين على لقاء الاعدى ويعودوا بلا قضاء حاجه ولا بلوغ مرام أحسن ما يكون يا ابن الكرام فقال شيبوب وهذا المقصود ثم انه أخذ أخيه جريرا وجد بقطع البر في المسير وقصد الجبال من طرقات يعرفها فلحق ذوا الخمار والعباس وأصحابه وتم على حاله ورآهم الى آخر النهار وصبر على القوم حتى وصلوا الى الاماه وهم منقطعين في جوانب البر من شدة الحر والهجير وتلهب الزفير ونزلوا عن الخيول في هذا المكان وهم قد هلكوا من التعب والعطش في تلك الوديان فوقعوا مثل الاموات ودار عليهم ساقي الرقاد بكاس الثبات وهم آمنين لانهم يعرفوا ان هذه الارض لا يسلكها أحدا الا في يومين وما علموا ان شيبوب سبقهم عليه هذا وشيبوب التفت الى أخيه جرير وقال له اخرج بنا حتى نسوق خيلهم ونعود قبل الصباح فأجابه جرير وقام كأنه النمر وساق الخيل في ظلام الليل حتى أتوا بها بين الجبال وأطلقوها في وادي هناك وعادوا على الطريق المتقدم ذكرها وجدوا في قطع القفار حتى وصلوا الى بني هوازن في سبعة أيام ودخل على أخيه عنتر وأخبره بالخبر فتعجب من هذه القصه وتحير وعلم انه قد بلغ المراد

فانفذ خلف خفاف وأعلمه بما تم لشيبوب وكيف سرق خيلهم وتركهم فى البر تائهين فانشرح لذلك صدره وهدى روعه وعلم انهم هالكين وبعد هذا الخبر بايام وصل الرسول الى دريد يطلب منه الفدا ويعلمه بما جرى فصعب ذلك عليه وكبر لديه وأحضر عنتر كما ذكرنا وجرى من الامر ما وصفنا واتفق رأيهم على المسير فى مائتين فارس ثم انهم تأهبوا فى يوم وليلة وساروا فى مائة وخمسين فارس من بنى هوازن والباقى من بنى عبس وعنتر وعروة ومقرى الوحش وكان شيبوب أمرهم أن يكثروا الماء والنجب والمهارى لما بين أيديهم من المفاوز والبراوى وسار بهم من الطريق التى يعرفها وكانت أهنى سير واقرب حتى وصل الى برية سبروت فى ثلاثة ايام وأخذهم فى اليوم الرابع وسار بهم فى الليل على ظهور النجب وجنب الخيل واكثر لهم من الماء حتى يكفيهم شر الظما وجد فى المسير الى الصباح حتى تضاحى النهار وقطع بهم المهالك والقفار حتى قارب أرض بنى قضاعه وقال لهم احترزوا على أنفسكم من ها هنا لان قلبى حدثنى ان بنى قضاعه قد علموا بنا أن لا بد لنا من المسير اليهم وحسبوا حسابنا وأقول انهم خرجوا من أرضهم ومسكوا علينا المسامر والمناهل والمواضع وهم لنا فى الانتظار حتى نخرج من هذه البرارى والمقاطع وكل من لم يحسب العواقب فليس الدهر له بصاحب ثم انهم باتوا فى هذا المكان وهم معولين على مشورة شيبوب وعمل كلامه معهم فى رسيس القلوب (قال الراوى) وكان حساب شيبوب الذى حسبه صحيح لان فائز أبو غمر كان سار فى خمسة آلاف فارس ونزل على رأس الماء كان حسب مثل هذا الحساب وعلم ان العباس وذوا الخمار ما ارسلوا فى طلب الفدا الا مكر وخداع ولا أرادوا

بالرسول الاجمى دريد حتى يخلصهم من الاعتقال فلكوا الامياو الغدران وأقام لهم فى الانتظار وصار من شدة خوفه واحترازه ينفذ كل يوم ولده فى ألف فارس و يقول له لاتفارق ثنية الغزال وان رأيت بوادر الخيل قد طلعت فبادرها بالقتال ولا تتركها تأخذ لها راحه من التعب والكلال وابعث لى حتى أتبعك فى جميع الرجال لانهم مايصلوا اليك الاوهم هالكين من الظمأ ففعل ماأمره أبوه من الفعال مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ظهرت عليهم الخيل من بنى هوازن و بنى عبس مع شروق الشمس وهم معتدين للقتال والحرب والنزال وفى أوائلهم دريد وعنتر وشيبوب قدام الخيل مثل ذكر النعام اذا نفروو قعت العين على العين وصاحت فرسان الطائفتين وعرفت الخصوم الخصوم وبان السر المكتوم قال أخو عمره الى أصحابه هذه والله طليعة خيل دريد فدونكم واياها مادامت على اثر تعبها ثم انه أنفذ الى أبيه بعض الفرسان يعلمه بالخبر وصاح بالالف فارس واستقبل الفرقة التى اقبلت ولم يعلم انها فرسان تصادم المنايا ولم ترهب الاهوال ولا الرزايا وان كل فارس منهم يعد فى الحرب بألف فارس و يفرقها ولا يخاف التداعس ووقع بينهم القتال وعمل الحرب والنزال فوقع الفنا فى بنى قضاعه وزال من قلوبهم الطمع وواقعهم الخوف والفزع لانها رأت رجالا ماتدفع ومن الموت ماتفزع ولهم طعن اذا وقع على الصخر انصدع وكان عنتر عند الحمله أشار على دريد الهمام بالوقوف تحت الاعلام هو وسائر عشيرته وأراد بذلك تعظيم قدره ورتبته فقال دريد ياأبا الفوارس ماهذا يوم يحتمل هذا المقام لانا كلنا خرجنا من البر نتعانى من قطع القفار والرمال واذا لم تحضر أمر هذه الفرقه ونستريح منها حتى نلتقى

78

غيرها والا خسرنا لانى اقول انها طليعة جيش مقبل ثم انه حمل على الابطال وسطى عليهم واستطال وأما عنتر بن شداد فانه نهب الارواح من الاجساد وأعاد صلاحهم فساد ومازال يفرق الفرسان وينثر روس الاقران حتى وقع بالمتعجرف تحت الغبار وهو يرد الفرسان من الفرار فعرف انه مقدم السريه فطلبه من دون الابطال وأتعبه فى حومة المجال وسد عليه طرقه وطرائقه وتعلق باطواقه وجذبه أخذه أسير حتى يكون فدا لبعض الاسارى من صناديد الرجال هذا وقد بادره شيبوب وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وبعده وقع الفنا فى بنى قضاعه وخسرت منهم البضاعه وتمددوا على التراب وحام عليهم النسر والعقاب وما انتصف النهار حتى قتل منهم سبعمائة بطل وعاد باقيهم منهزمين الى ملكهم فائز وما فيهم الا من أيقن انه من الموت فائز ولولم تكن خيل بنى هوازن فى غاية التعب ما نجا أحد من الذى هرب وانما قصروا عنهم من شدة الكلال ونزلوا فى ثنية الغزال وتقوتوا بما نهبوا من الزاد والخيل والجمال ولما انهم هدوا من الشكوى وبرد الهوى فقال دريد وعنتر لجماعة من الرجال احضروا ما وقع لنا من الاسارى حتى نستخبرهم عن قومنا ومن فيهم سالم ومن فيهم عاطب وكيف أخذوا وتمت عليهم الاسباب والنوائب فقدمت الرجال الاسارى ومن جملتهم أخو غمره (قال الراوى) فسألهم دريد عن العباس وذو الخمار ومن معهم من الرجال الاخيار فحدثهم أخو غمره بما جرى وقال لهم من هذا البرظهروا علينا وكنت أنا وأختى غمره قد عولنا على الغزو الى بعض أحياء العرب فرأيناهم وقد سرقت خيولهم وبقوا أشباح بلا أرواح فملكنا الجميع وعولنا على قتلهم سريع ففدوا أنفسهم

بالمال وتم علينا هذا الحال وجرى من القصه ماجرى ثم أخبرهم
كيف خلصوا من الاعتقال وكيف لحقتهم الرجال ووقع بينهم الحرب
والقتال وأخبرهم بمن قتل من الرجال فعرف دريد انه المتعجز بقوله
أختى غمره فقال لعنتر وقد تبسم ياأبا الفوارس هذه حاجة خفاف
قد انقضت وبقيت حاجتنا نحن وهى رجالنا فقال عنتر صدقت لان
الضعيف يدرك بغيته مالم يدركه القوى ثم قال لخفاف احفظ
خصمك مادمنا فى هذه البلاد ثم انهم قضوا باقى يومهم فى تنية
الغزال وعند الصباح رحلوا يطلبون المناهل والاماوقد استراحت
خيلهم من التعب والعيا (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء
واما ما كان من المنهزمين الذين نجوا من بين أيديهم فانهم وصلوا الى
الملك فائز فى الليل وأخبروه بما جرى عليهم من المصايب والويل
ونعوا اليه رجاله وولده فذاب لذلك وتفتت كبده وقال لهم ياويلكم
وفى كم كانوا هؤلاء الرجال الذين ظهروا عليكم من البر فورب
الكعبة لقد حسبت هذا الحساب وقرأت عنوان هذا المكتاب
فقالوا له ياملك ماظهر علينا سوى مائتين فارس ولكنهم أسود
عوابس كل واحد منهم يلقى قبيلة بين الملا وماندرى خلفهم غير أم لا
والصواب انك ترحل بنا قبل الصباح والا ان أدركونا نهبونا على
أسنة الرماح وشفار الصفاح فلما سمع فائز هذا المقال حار فى أمره
وأخذه الانبهار وقال لهم أنتم رأيتم ولدى قتيل أم أسير فقالوا له رأيناه
وقد أدركه فارس أسود مثل الغول وصاح به صيحة تذهل العقول
وهجم عليه وجذبه أخذه أسيروحدفه الى وراه فانقض عليه راجل
مثل الغنداق أوثقه كتاف وقوى منه الاطراف فهربنا فى جنبات
القفرى ووصلنا اليك كما ترى ولولا الخيل التى ظهرت علينا كانت

79

هالكة من التعب والعناما كان وصل واحد منا فقال صدقتم لان الفارس الذى فعل بولدى هذه الفعال دريد الذى كنت منه فزعان لانه شيخ الفرسان ولولا الكبر غيره وازداد جهله ما كان دخل الى هذه البلاد ولا خطر هذه الارض والمهاد لما يعرف من شجاعتى وبراعتى وفروسية ابنتى ولكن خذوا أهبتكم الى وقت الصباح وأنا أعرف كيف انى أخلص ولدى وأبشركم بالنصر والنجاح وأكفيكم مؤنة دريد ومن معه من الفرسان الاوقاح لانا لومسكنا عليهم الماء لاهلكناهم عطاشى وظمأ فلما سمع كلامه بنو قضاعه اجابوا بالسمع والطاعه ولما مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار باتوا الى الصباح وركبوا وساروا فى البطاح الا انهم ما ابعدوا عن الماء ومسكوا الطريق والاماكن حتى أقبلت بنو عبس وبنو هوازن ونظروا الاعداء وهم قد جعلوا الماء خلف ظهورهم فعرفوا مرادهم وقالوا لعنتر بن شداد يا أبا الفوارس القوم قد منعونا من الماء ويريدوا يهلكونا بالعطش والظما فقال عنتر وحق مكون الاكوان والصور الذى ما يدرك بالعقل ولا بالنظر لو كان على الماء أمم ربيعه ومضر وكذلك جنود كسرى وقيصر ما أحد منهم بعد ساعه يلوا أكبادهم وأطير جماجمهم من على أجسادهم والعن أبواب الهم فاحمل يا أمير دريد كما تريد وانظر العجب الشديد فعند ذلك حمل دريد بأبطال قبيلته وفرسان عشيرته وأدار راحات الحرب بسيفه وسنانه وأطلق لجواده عنانه وحمل بعده عنتر بن شداد وزعق زعقته المعروفه فارتعدت منها الاجساد وكذلك فعل مقرى الوحش وعروة بن الورد وسائر الشجعان وصاح أيضا فائز فى بنى قضاعه فيا لها من ساعه بيعت فيها النفوس بلا ثمن وجرى الدم على

الاطلال والدمن وأفرق الحسام بين الرأس والبدن وعظمت المصايب والمحن وصار الدرع لصاحبه كفن واجتهدت بنو قضاعه أن تردهم عن الماء فما قدرت وهالها من الطعن والضرب مارأت وانحلت عزائمها وفترت وانزاحت عن الغدير وتأخرت وصار فائز ينادي في المواكب بالرجوع فلا ترجع ويصيح في الشجعان فلا تسمع وقد خاب أملها وانقطع وملك الماء عليها رجالها وتمكنت بنو عبس وهوازن من ورود الماء وتم السيف يعمل الى المسا وانهزمت بنو قضاعه عند المسا وفائز يذم أصحابه على الهرب ويقول يا ويلكم لكم الويل والحرب ومابقت لنا رأس تنشال بين العرب فقالوا له ما رد عنا شر دريد الابتلف عمره ولو كان معنا رأى ما تركناها في الخيام ولكن ماعلمنا انما نلتقي من هؤلاء هذا الملتقى ويتبدل نعيمنا بشقا ثم قال بعضهم وان فاتني حذري ولم يخطأ فكرى هذا عنتر بن شداد لاني رأيت له وجها عابس كانه الليل الدامس وان كان الامر كذلك فما هذه الا مصيبه قد طرقتنا ولا نقدر نردها الا بكثرة الفرسان قال فائز اذا كان هذا الكلام صحيح فانا اذا وصلت الى دياري وقر قراري أنفذ الى بني كنده واستعين بهم على هذه الشده ثم انه سار هو وفرسان قبيلته تحت أستار الظلام وكان عنتر عول أن يتبع المنهزمين من أول الليل ويطعن هو وأصحابه في صدور الخيل فما مكنه دريد وقال له يا أبا الفوارس نحن في طائفة قليلة وهذه الارض بين أيدينا واسعة والصواب أننا لا نسير في هذه القفار الا أن يكون بالنهار ثم انهم نزلوا على المناهل وانتقدوا رجالهم فرأوا قد فقد منهم احدى عشر رجلا ستة من أصحاب عنتر وخمسة من أصحاب دريد فكان من جملة المفقود بن عمرو أخو عبلة فضاق صدر

عنتر وحار فى هذا الامر المنكر وقال أرجوا أن يكون أسيرا ولا يكون قتيلا لانه ان كان قتل تكدر أخته عيشى ولا يقر لى قرار ولا نرضى بثاره بكل من فى هذه الديار فقال مقرى الوحش لا تضيق لهذا الامر فكرك لان الذى يلتقى بصدره أسنة الرماح وشفار الصفاح لا يكون طول الدهر سالم كما قال بعضهم هذه الابيات

ومن كان فى عصره فارسا ✽ شجاعا وقد حاز فخرا وعزا
وفى الحرب قد ظن أن لا يصاب ✽ قد قال زورا وقد ظن عجزا

(قال الراوى) ولكن يا أبا الفوارس عندنا جماعة مأسورين من بنى قضاعه نأخذ لعمرو منهم الخبر ونأخذ له بالثار منهم ان كان قتل فقال عنتر ما أشتهى الا أن يكون سالم ولكن ما عندى من ذلك خبر فقال شيبوب أنا أكشف لك الخبر وأقضى شهوتك وأسير خلف المنهزمين وأختلط بهم وأقيم بين المضارب والخيام فاذا انفذت اليكم الرجال وخلت المنازل جميع تسببت فى خلاص الاسارى وأجيبهم خلف أعدائكم وأدعهم يعينوكم على القتال وان كان فى جملتهم العباس وذو الخمار فيكون انقضى الشغل وبلغنا الآمال فقال عنتر هذه عادتك ياشيبوب واذا فعلت ذلك خففت عنا الكروب فعندها اعتد شيبوب من وقته وساعته وسار بعسف البرحتت الاعتكار وقعد عنتر له فى الانتظار (قال الراوى) لهذه الاخبار وأما الملك فائز فانه تم فى هزيمته الى الصباح وفى نصف النهار أشرف على الديار فرأى الناس حول المضارب فرق ومواكب ورآهم محتاطين بفارسين متقابلين وبينهم حرب تذهل منه الرجال وطعن يقرب الآجال فلما نظر فائز الى ذلك الحال زاد به الفزع وظن ان الخلف فى العشيرة قد وقع فصاح وطلبهم وتجارت خلفه الفرسان

وفزعت على الاولاد والنسوان وابصر اهل الحلة الى سيدهم
قد اقبل فالتقوه وعن سبب عودته سالوه فقال انا عدت مكسور
مذلول فما بالكم انتم راكبين الخيول وما هذين الفارسين الذين
تجول وتصول فقال احدهم بقتك غمره وانثانى اسيرها ذوالخمار
لانها امس اطلقته من الاعتقال وقضت نهارها معه فى القتال
والنزال وما فيهما من ربح على صاحبه وقد اصبحوا على هذا الحال
وانما كنا ذكرنا الشرط الذى كان بين غمره وبين ذوالخمار بعد
انفلاته من النوبة الاولى وطلب لنفسه النجاة وقد اخبرنا ما جرى له
بعد قتاله ونزاله وقتل رجاله وعودته الى اسره واعتقاله لان اباها
اراد قتله فما مكنته من ذلك لانها كانت تحب الفرسان وتهوى
صدام الشجعان لاجل ما فيها من الفروسيه فردته الى الشد والوثاق
واوعدته ان تطلقه اذا استراح وخف عنه الم الجراح وانها تبارزه
وتقاتله فان قهرها اطلقته هو واصحابه وان قهرته جزت ناصيته
وخلت سبيله وانها الماخلى لها المكان من ابيها لما سار الى لقاء
دريد وعنتر فصارت كل يوم تفتقده وتاتى اليه وتاكل معه وتشرب
وتسأله عن الذى لاقاه من الفرسان والشجعان فيتعجب منها
ويحنق فى نفسه كيف صارت امراة تقاومه وهى معدودة من جملة
النسوان من بعدما كانت هيبته شاعت فى سائر الاقطار ومن
شدة ما جرى عليه اتفق معها على البراز وطلب لنفسه الفرج وقد
ظن انه ينتصر عليها وكانت هى ايضا قصدها مثل قصده وأتته بجواد
كما اراد وحكمته فى آلة الحرب والجلاد وقاتلته اول يوم الى وقت
الاصفرار وانفصلا وما فيهما من ربح على صاحبه غير ان القتال الذى
جرى بينهما قد صار محبة ووداد وتمنى كل منهما انه لا يفارق صاحبه

وعوات

81

وعولت عمره أن تطلبه لنفسها بعلا فاستحت وحدثت أيضا ذو الخمار نفسه أن يخطبها ويتزوج بها فرده عن ذلك الحيا وقال اذا صرت مالك روحي أفعل بعد ذلك ما أختار وأقدر عليه ثم انهم بعد ذلك صبروا الى ثاني يوم وقد خرجوا الى ظهور الخيام وعادوا الى ما كانوا عليه من القتال والصدام حتى وصل أبوها كما وصفنا وانه لما عرف انها ابنته وعرفوه بما انعقد في منها وقال لها يا ويلك اذا هلك هذا الرجل أهلكوا اسادا تنا وبنو عمنا وأنتي تلعبي معه كل يوم وتطلقيه من الاعتقال ثم انه أعاد عليها ما تم له مع دريد وبنو هوازن وعنتر وبني عبس واخبرها ان الكل ما كانوا أكثر من ماتين فارس فلما سمعت عمره من أبيها ذلك الكلام نشف لونها وطار من عينها الشرر وكاد قلبها أن ينفطر وقالت لابيها انك كنت في خمسة آلاف وفعلوا بك هذه الفعال ماتين فارس ان هذا العجب على ان أخي وحده يلقى ألف فارس وكنت ترى ما يجري الى معه حتى أرجله عن جواده فقال أبوها وحق رافع السبع الطباق ومقدر الآجال والارزاق أول من اسر أخاكي وجماعة من الرجال ونحن جئنا منهزمين كما ترى من فارس فيهم ورجال فاغتاظت عمره من ذلك المقال ثم انها عولت أن تعيد ذا الخمار الى الاعتقال وتجمع بني قضاعه وتسير الى القتال فقال لها ذو الخمار بحق من أفنى عادا وثمود وأنبع الماء من الجلمود الا ما استخلفتيني بما أردتي وأخذتيني معك في جانب العسكر ودعيني أتفرج على قتالك مع عنتر فان أنتي أسرتيه فاحكمي في رقبته وان وقعتي في يده خرجت أنا اليه وقضيت شوقي من برازه واذا بانت طبقتي من طبقته وعرفت ذلك فأنا أغر صهري دريد باطلاقك واطلاق من معك من الاسارى

وعدنا من دياركم بسلام (قال الراوى) فلما سمعت غمره كلامه عرفت انه هو الصواب فأخذت عليه العهد والميثاق انه لا يخامر عليها ولا يميل الى النفاق واعتدت هى وقومها فى بقية يومها وصارت تطلب بنى عبس وهوازن وهى فى سبعة آلاف فارس شداد معدودين ليوم الحرب والجلاد هذا وقد سار أبوها وعمها بعد ما أرسل الى بنى كنده يطلب منهم النجده وكانت الرساله بغير علم غمره هذا وغمره سارت قدام الفرسان وهى فى أول الجيش تنشد وتقول

اذا الرزايا شمرت أذيالها * وعاربتنى شدة مما هالها
صدمتها بعزمة لو صدمت * جبال شهلان رمت أجبالها
لو رأتنى النائبات لانثنت * خائبة لما رأت ما نالها
لوأن للنسوان بعض همتى * ونخوتى ما حملت رجالها
خلقت للحرب أفوق أهلها * وأتقى يوم الوغا أبطالها
بلغ بنى عبس مقال لبوة * يسبق حد سيفها مقالها
انى رأيت خيلها يوم الوغا * خالية قد خففت أثقالها
تضب فى دحالها وتنثنى * خائفة قد أبصرت ما هالها
نعالها جاجم اذا اشتكت * حر الحصى أو عدمت نعالها
قد نلت فخرا سامياً ورتبة * عالية بدر الدجا ما نالها
والسيف والرمح لكفى خلقا * اذا النفوس حققت آجالها
وما سباع البر مثل لبوة * ضارية قد فقدت أشبالها
تفزع جن الارض من سطوتها * اذا رأت تحت الدجا خيالها
ويل لعبس وبنى هوازن * اذا شهرت يوم اللقا نصالها
واختلفت سمر الرماح بيننا * وقصر بيض الظبا طوالها
لا بدلى من حملة فى جمعهم * تقصر ما قد طال من آجالها

(قال

82

(قال الراوى) وكانت غمره تنشد هذه الابيات وتذكر فيها شجاعتها وذو الخمار يسمع ويتعجب من عظم همتها ويذم الزمان كيف أوصل الفروسية الى النسوان الا انه يرجو أن يبلغ بها المراد من عنتر بن شداد وقال فى نفسه ان كانت ما تصل اليه فهى تتعبه وأجد أنا فرصه وأحمل عليه وأقتله ثم انهم ساروا الى ثانى يوم وكان اشرافهم على بعضهم عند المسالان دريد الرماح بقومه على الماء وأراد بذلك الراحه حتى تكون خيلهم فيها قوة عند المجال والوجه الثانى يطلب بقومه الرفق والامهال بعد ابعاد أعاديه عن المناهل والاطلال حتى يقل عليها الفارس والراجل لانه كان خبير بنوائب الايام على ما لاقى من الحرب والصدام ومقابلة الشهور والاعوام الا انه لما وقعت عينه على بنى قضاعه وأبصر النهار قد ضاق فوقف وأمر عنتر بالوقوف على جواده وكذلك أصحابه وأوصاهم بالحذر وما زلوا كذلك حتى انتشرت أجنحة الظلام ووصلت بنو قضاعه وغمره فى المقدمه وقد زادها الغيظ والحرد وصارت تهمز كما يهمز الاسد كيف ما التقت أعداها بالنهار وشفت قلبها بضرب البتار ومن شدة ما جرى عليها فى تلك الساعه ما نزلت فى الخيام ولا حضرت مع أبيها على الطعام بل انها غيرت جوادها وتولت حرس قومها فهذا ما كان من غمره وأما ما كان من بنى عبس وهوازن فانهم نزلوا وقد تولى الحرس عنتر بن شداد ووافقه دريد وما زالوا كذلك الى نصف الليل فرد عنتر دريد الى الخيام وأقام وحده الى وقت السحر واشتهى أن ينظر بنى قضاعه ومن اين تنزل عليها المصايب فقصد نحوهم وهو يحدث نفسه ويسأل الله أن يلتقى بحرس القوم ولو كانوا الف فارس الا انه ما قارب الميمنه حتى التقى بغمره وهى تصارع النعاس

وتلتفت وتميز البر يميناو شمالا وهى لاتصدق بالصباح حتى بان لها
خيال عنتر وطلبته وزعقت عليه وسألته عن حاله فما ردّ عليها
جواب بل أخذ معها فى الطعان والضراب وقد ظنّ انها من بعض
فرسان الحرس فأراد قتلها وانجاز أمرها وكذلك هى أيضا ولما
اختبروا بعضهم بعض نسى كل واحد منهم قومه وعشيرته واشتد
غيظه على خصمه وحرقته وعند الصباح انتظرت بنو عبس عنتر
أن يعود فما عاد فاشتغلت قلوبهم وأنفذ مقرى الوحش الى دريد
وسأله عنه فقال له والله ماعندى منه خبر ثم أراد أن يكشف خبره
لانهم مائتين فارس لهذا الجيش العظيم وقد تجمعت عليهم عربان
ذلك الاقاليم فخاف دريد من الانكسار على بعد الديار وقد ضاق
صدره لبعد عنتر الفارس الكرّار فقال لاصحابه لايكون قصدكم
الا الاعلام التى لفاثر ورايانه لاننا ان قاتلناه انكسرت هذه
المواكب ونعود بعد ذلك نسأل عن عنتر ونفعل على قدر ما نسمع
من الخبر وكان فاثر أيضا انتظر ابنته فما رأى لها أثرولا وقع لها على
خبر فجمع أصحابه ورفقته وسادات عشيرته وقال لهم يابنى عمى
ما أقول الآن غمره سارت فى الليل حتى تكمن خلف الاعدى
واذا كسرناهم وهربوا بين أيدينا التقتهم وتردّهم علينا وتطلب
بذلك أن لايسلم منهم أحد لانى أعرف تدبيرها فى الحرب وخبرتها
بالطعن والضرب والصواب انى أرسل خلفها ألف فارس وأقول
يأخذوا فى عرض البر ويسيروا اليها ويعينوها حتى لانكون قد
ضيعنا العزم وفرطنا فى التدبير ثم أمر بعض فرسانه بهذا وسيره
فى الف فارس خلف ابنته وركب هو فى بعض قومه وعشيرته
وأمرهم بالقتال هذا والجبان يقول والله أيها الملك ما كان غيابها عنا

بصواب وانما كانت اقامتها عندنا أصوب حتى تنجز أمر عنتر وبعد
ذلك نفعل ماتريد لان هؤلاء القوم مادخلوا أرضنا في هذه المائتين
فارس الا وفي ظنهم يلقوا كل من هنا فقال فائز الآن فات هذا الامر
وقد فعلت غمره على قدر ما رأت من عقلها وأنا أعلم انه اذا طال عليها
المطال تأتي من خلف الاعدى هذا ان كانت ما اختلطت بهم
في الظلام ومازال يطيب قلوبهم بهذا الكلام حتى حملوا بهمة قوية
وكان أكثر قصدهم بنو هوازن وتجنبوا الفرقة العبسية لان الذي
كان يعرف قتال عنتر وأبصره في الحرب يتجنب قومه ويظن انه
فيهم وأما ذو الخمار فانه طلب بني عبس وحمل قصده اليهم وأراد
بذلك أن يقع بعنتر حتى انه يأخذ منه بالثار ويكشف عنه العار لانه
فرح بغيبة غمره حتى انها لا تتولى القتال بنفسها وتعيقه عن مثل
ذلك الا انه ما احمل فتلقاه مقري الوحش وبذل معه المجهود وجعله
نصيبه من غير معرفة له به لان ذا الخمار تقدم في الاول وأرمى روحه
على بني عبس فما خفي على مقري الوحش انه فارس جبار وبطل
مغوار فأخذ معه في القتال وقد تعجب من شجاعته وظن انه غمره
ودام بينهما الطعن والضرب حتى اسود بينهما الشرق والغرب
وضاقت من الكرب المنافس وكان بينهم شيئا لا تصفه الواصفون
وساعات وأوقات وصيحات وهجمات تذكر في سائر الجهات ولله
در دريد بن الصمه ومافعل في ذلك اليوم على كبر سنه لانه طعن
في ذلك اليوم في الصدور حتى قل صبر الصدور وقطعت الاعناق
والنحور وكان قد علم ان اتكال الجميع عليه بعد عنتر فقاتل قتال
منكر ولولا ذو الخمار كانت بنو عبس نكلت بني قضاعه ولكنه
وقف في وجه بني عبس كأنه الاسد القسور وجرح منهم جماعة

كثيرة وكان اذا وقف قدامه أحد من بنى سليم تركه ولا يقاتل الا
أصحاب عنتر ولولا مقرى الوحش تلقاه وكف شره عن بنى عبس
لكان أفناهم وأباد أقصاهم وأدناهم هذا ولم يزالوا كذلك حتى
أقبل الظلام الحالك وفرق بين الطائفتين ورجعت الفرسان
تشكى تعبا وكربا وقد عاد مقرى الوحش وهو يتعجب من ذلك
الفارس الذى قابله وقضى النهار معه وقد قلق على قلة معرفته
بأخبار عنتر وكذلك دريد أصابه مالا أصاب أحدا من البشر ومن
شدة فزعه على أصحابه تولى الحرس بنفسه ودثار وخفاف ما
بعد عن الخيام حتى سمعوا صياحا عظيما فى جيش بنى قضاعه
وصياحا عاليا تبقى القلوب من سماعه مرتاعه وسمع الناس وهى
تموج بين المضارب والخيام ولها جلبة وكلام فقال مقرى الوحش
لدريد ايش حال هؤلاء القوم الانذال فوالله ما يخلو حالهم من احد
الحالتين اما نجده تكون وصلت اليهم أو نزله من جهة عنتر تكون
نزلت عليهم والصواب أننا نسير حتى نبقى بقربهم نسمع كلامهم
ونستدل على أحوالهم فاذا رأينا منهم فرصه نادينا الى أصحابنا
وكبسناهم فى الخيام وبلغنا ما نريد قبل اذهاب الظلام فقال دريد
لمقرى الوحش افعل ما تريد فهذا هو الرأى السديد ثم انهم ركبوا
حتى صاروا عند الخيام حتى انهم يسمعوا من القوم كلام واذا بواحد
يقول لرفيقه والله يا ابن العم لو كان لصاحبنا اقل رأى لكان تركنا
فى هذه الليله نكبس على الاعدى حتى نبلغ منانا بعدما أسرت
عمره الى عنتر ما بقى أحد يقدر يقف قدامنا فلما سمع دريد ذلك
الكلام قال لاصحابه أسر والله حامية عبس وما أقول والله الا
بنائبة من نوائب الدهر ثم تعجب من ذلك الاتفاق وقال وحق ذمة

العرب لقد كنت أظن ان الفارس الذى وقف قدامى فى وجه بنى عبس هو غمره وكنت متعجبا من حسن صبرها وقتالها ومادام انه غيرها فهو فارس لا يخاف الآفات ولولا انه بهذا الوصف ما كان لا فى مقرى الوحش والرأى عندى أننا نرجع الى قومنا ونحفظهم لا يقوى عزم هؤلاء الانذال على كبسنا قبل الصباح ثم انه عاد هو وأصحابه وهو يقول ياليت شعرى أى داهية دهت عنتر بعد فراقى له وما أقول الا انه أوسع هو واياها فى البر وغدر به الزمان لانه لم يزل بأهله خوان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان عنتر لما وقع بغمره وجرى له معها ما جرى فى القتال وقد أبعدوا فى الربى والتلال لان خيلهما جياد وهما أصحاب نخوه وحميه وفرسان جاهليه لا يرى أحدهما على روحه أن يرجع بغير حاجة مقضيه وكان عنتر قد فرح بالبعد عن العشائر حتى لا يبقى لأصحابه معين ولا ناصر الا انه متعجب من غمره وقتالها وهو يقول ما هذا الا فارس عظيم ولا شك انه فارس هذه الاقاليم على انى سمعت دريد وهو يقول ما فى بنى قضاعه الا غمره بنت فائز سيد بنى قضاعه ان كانت هى هذه ما هى الا فى طبقة عظيمه من الشجاعه والبراعه وبقى مشككا فيها واما غمره فانها عرفته عند الصباح لما لاح لها اسوداد جلده وحسن قتاله ولكنها تحيرت كيف ما كان قتالها بين الصفوف حتى انها تنظر وتشوف ثم انهما أخذا فى الكر والفر حتى حمى عليهما الحر وثقل الحديد على الاجساد وتعبا من معانات الحرب والجلاد وتعبت تحتهما الخيل من الطراد وعمل مع غمرة العطش والجوع لانها امرأة على كل حال ومعدودة من ربات الحجال ولكن لقيت رجل لا كل الرجال وبطل لا كل الابطال فقالت له أى شىء ترى يا عبسى

فى العودة الى أصحابنا قبل تلاف الخيل واذا كان عند الصباح فى غداة غد عدنا الى الحرب والكفاح فقال عنتر لا وحق من شق الاسماع وشفى من الامراض والاوجاع لاعدنا الا ببلوغ المقصود فقالت غمره ان كان ولا بد من ذلك فاصبر على حتى أريح جوادى وأورد الماء وأخفف ما كان على من العبوس ونعود الى الحرب والبؤس فقال عنتر هذا اليك أيها الفارس ثم انه عدل عنا ونزل عن جواده وأرخى حزامه حتى استراح من التعب وأسقاه من الماء دون أن شبع وشد عليه ورمى عنه درعه وهان خصمه عليه وعلم انه صار فى يديه فركب وطلب غمره بعظم بأسه وجلده واذا قد عادت اليه بوقاحتها وقد أظهرت الجلد بهمتها وكانت فعلت بجوادها كما فعل عنتر وخففت لباسها ورجعت وهى فى بردة يمانية قصيرة الاكمام مليحة الهندام وذوائبها مثل الظلام بوجه أحسن من بدر التمام وجفون مريضة تشفى من السقام واعكان مطويات ومعاصم ملفوفات فلما نظر عنتر الى أعطافها أعطاف امرأة عرف انها غمره ورأى الى حسنها وجمالها فوقع فى قلبه منها موقع عظيم واستعجز نفسه كيف قاسى تلك المقاساة وهى جارية عربيه فصاح فيها ويلك أنت غمره بنت فائز القضاعية فقالت نعم أنا غمره التى لها على الفرسان صوله وقدره ولولا شدة الحر والهجير وخلو هذه القفار ما كنت اشتهرت هذا الاشتهار على اننى ما أدعك ترجع سالم وتحدث بما رأيت منى من المعالم ثم انها صاحت عليه وعلمت انها حيرته فى أمره واشتغل بها سره وقلبه وكان عنتر غرق فى بحر هواها ونسى عبلة وما كان عمره نساها الا ان هذه الاشيا قد سبق علم الله فيها من قبل أن يخلقها وسواها الا انه قاتلها وتلقى طعانها وهو يقول

والله ماتستاهل هذه الجارية أن تقتل بعد هذه الفروسية
وما تستاهل الا التعنيق والبوس والترقيق ثم انه طاعنها حتى
تقصفت الرماح فتراميا وعادا الى ضرب الصفاح وتقابضا على ظهور
الخيل حتى قل منهما الجلد والحيل وسال العرق وكثر القلق وأبذلت
غمره مجهودها ودام بينهما الصدام وهم فى محاربة والتزام حتى قرب
نصف النهار ووقع بغمره الانبهار وأشرفت على الهلاك من شدة
التعب واسترخت مفاصلها والركب واسود النور فى عينيها وانقلب
ولاح لها لائح الهلاك والعطب فقالت ارفق بأسيرك ياوجه العرب
ودارت يديها كتاف فشدها وقوى منها الاطراف وهو فرحان
ودفعها ألقاها على ظهرها وقد افتتن بسواد شعرها فركب على
صدرها وصار بين نهودها وضمها الى صدره وقبلها بين عينيها فعلمت
مراده فدفعته ومنعته عن نفسها وصاحت ما الذى تريد ياولد الزنا
وتربية الخنا تهتك أرباب الخدور وتدعى انك رجل غيور
فقال لها وقد صعب عليه قولها ويلك منيوكه يابنت القرنان أنا
من خلف الستور أخذتك أم بقائم سيفى ملكتك وحق
ذمة العرب وشهر رجب لو انك خلف ستر وخفاء لم كنت نظرت
اليك فى هذه البيدا واغاخر وجلك عن حد بنات العرب أوجب
لك هذه الفعال على انى قد رأيت كثيرا من أشكالك ولا طلب
قلبى غير عبله بنت مالك والآن قد خطر لى هذا الخاطر وما
أعرف معناه وظفرت بك فى هذه الفلا ولا بد ما أبلغ المنا
(قال الراوى) وما كان لجاج عنتر مع هذه الجاريه الا لسبب من
الاسباب لانه سبق القضا والقدر أن يحصل بينهما الاجتماع ويأتيه
ولد ذكر يكون فى حديثه عبرة لمن اعتبر فلاجل ذلك زينها فى عينه

خالق الخلق والبشر الا أن غمره لما رأت الى عنتر وقد هم بها ولا بقى
لها من يده مخلص ولا هو ممن ينخدع بالمقال حتى تماطله بالمحال
وانه لا بد ان يغصبها على نفسها وان مانعته قتلها وأسكنها رمسها
فقالت له يا أبا الفوارس وحق من قدر الارزاق والآجال ما أمكنك
من نفسى حتى تجعل لى مهرا وصداقا وتحلف لى بالملك الخلاق انك
ما تبدى ما جرى بيننا لاحد من البشر ولا تعرف به أنثى ولا ذكر حتى
تتم هيبتى على النساء والرجال فلما سمع عنتر ذلك المقال خجل واستحى
وقام قامته وقال لها يا غمره أما كتمان حالك فأنا الذى أعاهدك عليه
واحلف لك بمن مصيرنا كلنا اليه وأما قضية المهر والصداق فما لى
فى هذا الوقت شيئا حاضر الا اطلاقك من الوثاق وهو أحب اليك
من الجمال والنياق فقالت غمره كلما ذكرته يا فارس الاعراب
من أعظم الصواب ولكن زدنى من قماشك وعدتك ما أذكرك به
فى المحال والبلاد يا نسل الاجواد فدفع لها عنتر سيف الركاب
وتمت الامور والاسباب وأقام منجنيقه وصرخ يا لعبس يا لعدنان
وحط الحجر فى كفة المنجنيق وعاين الباب ونفضه فانفسخ الباب
وهدم البرج وملك الحصن بما فيه وانشرحت الصدور وبلغ عنتر
المراد وانطفت ناره وقر عنتر قراره وبعدها تواثبوا وسار كل منهم الى
فريقه وأما غمره انكسرت نفسها وذهبت عنها عزة البكوريه وتمنت
لو كانت قتلت ولا تم عليها هذا الامر من عبد أسود وفى الاصل راعى
غنم الا أن الاثنين ما انفصلا عن بعضهما البعض حتى طلع على غمره
الألف فارس الذين كان أرسلهم أبوها وراءها فلما نظرتهم حركت
فرسها اليهم وصرخت عليهم فعرفوها وتجاروا اليها وسلموا عليها
وسألوها عن حالها فقالت لهم كنت مع أسود بنى عبس فى قتال

ونزال

ونزال من نصف الليل الى ذلك الوقت وبعد ذلك اصطلحنا وانفصلنا
على ان كل واحد يعود الى قومه ويأخذ الراحه بقية يومه ونعود الى
الحرب والقتال ولو علمت انكم تصلوا الى فى هذه الساعة ما كنت
فارقته الا بالانفصال وبلوغ الآمال ولكن من الرأى يا بنى عمى اننا
نلحقه على ما هو فيه من تعبه لانه على آخر نفس وغسكه وقد تقطعت
ظهور أصحابه وعشيرته ثم ان غمره بعد كلامها غيرت منهم جوادها
وأخذت رمحا من رماح بنى عمها وعادت تطلب عنتر من حرقتها
وتجارت من حولها الفرسان وتبعتها الاقران وكان عنتر فى تلك
الساعة قلع ثيابه ونزل الى الغدير وهو يقلب الماء عليه واذاهم
قد أدركوه وحالوا بينه وبين سلاحه وأخذوه أخذا بالكف
وأمرتهم أن يشدوه على جواده عرضا وأمرت بعضهم أن يسير وابه
على بنى قضاعه وهم عشرة رجال وقالت لهم احترزوا على أنفسكم
وخلوا بالكم معه لانكم لم تعرفوا من وقع فى أيديكم فركبوا خيلهم
وقالت لهم اذا وصلتم به الى المضارب فشدوه مع بنى عمه الذين أخذوا
من المرة الاولى ثم انهم صاروا بالامير عنتر طالبين أرض بنى قضاعه
ورجعت غمره طالبة أباها وما زالت سائرة فى وقت المسا حتى
وصلت وجرى من القصة ما جرى وحدثته بما جرى لها مع عنتر
ففرح أبوها بذلك واستبشر وقال لها لم لا أتيتينى به فى صحبتك حتى
كنا عند الصباح ضربنا رقبته وأرميناها الى رفقته حتى تنقطع
ظهورهم ويصيروا فى أمورهم لاننا اليوم قاسينا منهم ما لا قاساه
أحد ولو لم يكن فى جمعهم قلة كانوا كسرونا ولكن ذو الخمار ما قصر
لانه وقف فى وجوه بنى عبس وردشرهم عنا فقالت غمره غداة
غدا فرجلك على القتال وأما قولك تأتى بهذا الرجل ونقتله فما هو

صواب لانما لوقتلناه قتلوا أخى وكل أسير عندهم وهم مقدار ألف
فارس أسير الذين لنا عندهم من بنى قضاعه والرأى عندى نصبر الى
الصباح وأخرج أنا الى الحرب والكفاح فاذا أسرت باقى أبطالهم
أمرت رجالنا تحمل على بقية أندالهم ونبذل السيف فيهم وما يمسى
المساء الا وقد بلغنا المنا والارب وخلصنا أخى ومن معه ونعود الى
أرضنا الانى أنا هانت عندى الرجال بعد لقا عنتر فى المجال وغدا أخرج
الى دريد ما آخذه أسير واتركه حقير ثم انها مالت على أبيها
وقالت له الصواب القبض على ذى الخمار لان ما يهون عليه دريد مع
علمه بأسره بعنتر واياسه منه فقال أبوها أنا أكفيك أمره وأنفذ له
فى هذه الساعة عن لسانك حتى نشاوره فى أمر القتال ونقبض
عليه فقالت غمره افعل ما تريد لانى أقول انه لو كان حاضرا كان
أتى الى زيارتى وهنانى بالسلامه فقال أبوها وحق ذمة العرب لقد
صدقتى ثم أنه نفذ خلف ذو الخمار فما وجده فى المضرب وسأل عنه فما
أعطاه أحد خبر ولا وقع له على أثر فصدق قول ابنته ولامها على
اطلاقه فقالت له لا تضيق صدرك فأنا عند الصباح أرده مكانه
وآخذه من ميدانه (قال الراوى) وكان السبب فى غيبة ذى الخمار
وذلك انه لما وصلت غمره وأصحابها وسمع انها أسرت عنترا وأنفذته
الى خيامها فذابت أحشاؤه وزاد بلاه وقال وامصيبتاه وافضيحتى
بين قومى واويلاه لان بنى هوازن وسليم صبحت للعربان نهبا ونعت
عليهم الغربا وما بلغت أربا والساعة ما بقى فى الامر الا أركب
جوادى وأسير خلف عنتر الى الخيام وأقتله ما دامت الاحياء خاليه
وأخلص العباس وأصحابه وأعود به الى قومى وعشيرتى وأشد مع
دريد حتى نكسر هذا الجيش من قدامه والا هلكنا نحن واياهم

وانا لم

وان لم أفعل ذلك والا قبضت على عمره و يضيع تعبي في هذه الكره ثم انه فعل الذي قد خطر بباله وسار طالب أرض بني قضاعه ليقتل عنتر و يبلغ آماله وأصبح الله بالصباح فوثبت فرسان القبائل تطلب الحرب والكفاح واصطفت الرجال وجردت النصال وكان دريد أوصى خفاف ودنار بكتمان أمر عنتر وعول أن يخرج بنفسه الى الحروب والقتال و يريح بذلك بني عبس من النزال لما علم انكسار نفوسهم لغيبة حاميتهم عنتر وكان أشد بني عبس حزنا وأسفا مقرى الوحش الا انه سبق الابطال ذلك اليوم الى الميدان وطلب البراز والطعان وتفكر غيبة عنتر وبعده عن مسيكه وولده سبيع اليمن فأنشد يقول هذه الابيات

مسيكة قبل بينك ودعينا * ونوحي في الدجا وابكي علينا
وان شط المزار وزاد بعدا * فلا تنسى المودة واذكرينا
وداوينا من الاسقام حتى * تربنا من تمارضنا شفينا
وزورينا بطيف من خيالك * يرى ما نحن فيه وما لقينا
أحاطت نحونا خيل الاعادى * بأرض ما ترى فيها معينا
وحامي جيشنا قد غاب عنا * وخلانا حيارى نادمينا
نعض أكفنا خوفا عليه * ونغسى من عدانا خائفينا
ونضرب بالسيوف فليس ترمى * ولا نسمع لها الا الطنينا
كأن رماحنا من حيث ولى * عطايا في أكف اللاعبينا
ولا نلقاء والبها العوالي * ولا ترمى أسنتها طعينا
فوا أسفا على من كان حصنا * لنا نأوى اليه اذا دهينا
وليث يلتقى عند الرزايا * اذا ما الطعن كف الطاعنينا
فياليت المنايا سالمته * وكان الى العدا حصنا حصينا

وكنت فديته من كل بؤس * كما قد كان يفدي اقاصدينا
فان يك قد مضى فتناه باقي * تربي الامهات به البنينا
فان حادثه حادثه الليالي * حمدت الله حمد الشاكرينا

(قال الراوى) فلما فرغ . قرى الوحش من شعره تبادرت اليه فرسان بني قضاعه من اليمين والشمال وتقدمت غمره وهي تطلب انجاز الحال لاجل ما بات في قلبها من فقد ذو الخمار وخرجت وهي واثقه بنفسها مفتخرة على أبناء جنسها تجر قناتها فوق التراب وتنظر الى أعطافها نظر الاعجاب وعند خروجها حذرها أبوها من مقرى الوحش وقال لها أبصرى كيف تكونى معه لانه شيطان ما يلتقى في الميدان ولولا أمس ردّ شره ذو الخمار كان يسطي علينا سطوة جبار فقالت يا أبتى لا تخاف على بعد ما لاقيت عنتر ما بقي لفارس عندى منظر ولو انني ممن تطلب لنفسها الزواج كنت أخذته بعلا وقطعت به أقطار الفلا ولكن هذا لا يكون أبدا ولا يكون لي أنيس في الليل والنهار الا رمحي الخطار وسيفي البتار ثم انها بعد ذلك نزلت الى ميدانها وصالت وجالت وأنشدت تقول

غبار الخيل في يوم المجالى * أحب الى من أهلي ومالى
وشرب دما الفوارس كل فجر * أفضله على الماء الذلالى
ولا يطفى لهيب جوا فؤادى * سوى وقع النصال على النصالى
خلقت ولى جنان من حديد * وقلب قد من صخر الجبال
ولى قوم أقالوا في بنقص * وقد جهلوا الزيادة في كمالى
يعدّني من النسوان يوما * ويوما من أجاجة الرجالى
ولولا ان حكم الله حتم * صحيح لا يدنس بالمحالى
لما أصبحت في أرض قفار * أطاعن بالقنا راعى الجمالى

ولكن

ولكن للتضافى الخلق سر ❊ يسود به العبيد على الموالى

(قال الراوى) فلما رأى مقرى الوحش بحالها وسمع مقالها أشكل عليه حالها حتى عادت اليه فقال لها من تكون أيها الفارس المعجب بنفسه المتكبر على أبناء جنسه ما أنت صاحبى بالامس فقالت غمره لا والله ما أنا ممن ذكرت لان ذلك جبان لكن أنا اليوم أعلمك الطعان وما يجرى عليك المساء حتى أضيفك الى رفقاك وعبدكم الاسود يكون سبب فناكم جميعا فى يوم واحد حتى تعرفوا اسفرتكم ودخولكم الى بلاد شريف (قال الراوى) فلما سمع مقرى الوحش هذا الكلام خفق قلبه شوقا الى معرفة عنتر واخباره وقال ويلك يا وجه العرب تعنى بقولك عبدنا الاسود والموال اكشف لنا عن حقيقة الحال قبل طعن العوال فقالت غمره أعنى عن عبدكم الاسود عنتر الذى كنتم تفضلوه على كل شجاع فانه أصبح أسير فى يد ذات قناع التى شاع ذكرها فى سائر البقاع وهذا المقام ما يحتمل أكثر من هذا المقال فدونك والحرب والجلاد قبل قدوم الليل بالسواد ثم انطبقت عليه انطباق السيل وقاربته مقاربة النهار الى الليل فتلقاها مقرى الوحش وهو متعجب من فصاحتها وطاب قلبه بسلامة عنتر وحار فى أمره وتفكر ودام بينهما الطعن والضرب وقد ضاقت الصفوف واجتمعت الالوف وخاف فائز على ابنته فصاح على أبطال عشيرته ونادى دريد بن الصمه فى الفرسان الذين كان يدخرهم لكل ملمه ووقع السلاح بعضه على بعض وارتجت أركان الارض وتلوت أفاعى الرماح من شوقها الى شرب دما الاشباح واختلف بين غمره ومقرى الوحش طعنتان قاتلتان لولا مشيئة الرحمن كان قتلا الاثنان لانهما وقع بهما الجوادين فوقعا على الارض

وقفز كل واحد منهما باحب سلاحه وطلب خصمه لانهما وقعا قائمين حتى حارت أبطال الفريقين وتعجبت عمره من أبطال الحجاز وقالت وحق من يعلم ما في الصدور وما في هؤلاء القوم الا من يلتقي الالف ولا الفين وأكثر وما منهم كل أسد قسور ولما رآها أبوها على وجه الارض فخاف عليها من نوائب الزمان المرتاعه وصرخ في الحال على بني قضاعه فحملت وأطلقت أعنتها وقومت أسنتها وكذلك فعل دريد وصاح في رجاله وحمل الامير عروه وشداد في طائفة بني عبس الاجواد فما أسرع ما كثرت المنايا عن أنيابها وأرمت بسهامها وحرابها فاسكرت الرجال من خمر شرابها وجالت عليهم طيور المنايا وعقابها وخطفت الارواح من الاشباح بمخلابها ونادت السادات بانسابها فما سمعت من يرد جوابها هذا وعمره مع مقرى الوحش قد جدت في ضرابها الا انها رأت منه مالم يكن في حسابها وما زالا يتضاربان حتى تقاربت اليهما الحتوف وازدحمت عليهما الصفوف وترجلت لهما الرجال وقد اشتد القتال وكان الذي ترجل الى مقرى الوحش شداد واسيد بن نازح وماجد وسعيد بن خالد وجماعة من الفرسان المذكوره والابطال المخبوره وأما بنو قضاعه طلبوها مثل الامواج وقد تدفقوا مثل البحر العجاج وصار أبوها يصيح في رجاله ويقول من يأتيني اليوم بخصم بنتي زوجته اياها وكانت فرسان بني عبس قد أشرفت على الهلاك لولا دريد وخفاف ومن معهم من الاحلاف فرقوها وكلما تهاجمت مزقوها وما زال الامر على مثل ذلك حتى طلع الحر والتهب البر واشتدت منافس الخيل من شدة الحر والهجير قال الاصمعي واذا بسر به خيل قد أقبلت من جهة الشرق وهي تركض

أخف

أخف من البرق وقدامها راجل أخف من شعاع الشمس اذا طلع
من المشرق وهي لا تستقر على الارض قدماه وهو ينادي يا لعبس
يا لعدنان ابشروا يا بني قضاعه بخراب الديار وقلع الآثار وهلاك
الاولاد فهذا عنتر بن شداد القادح الزناد حية بطن الواد (قال
الراوي) وما صاح شيبوب بذلك الكلام حتى صار عنتر ورفقاه
تحت الاعلام وطعنوا في الرجال المتقلقه تحت الرايات وبددوا
شملهم بأسنة الرماح الذابلات وأيقن فائز بالهلاك والعطب
وأطلق العنان وعول على الهرب فأدركه عنتر وطعنه فانقلب
وانقض عليه شيبوب شدة كتافه وقوامنه السواعد والاطراف
وبعد ذلك نكست الرايات والاعلام والتفتت بنو قضاعه الى
وراءها وقد أروعها ما سمعت من الصياح وفي دون ساعه علمت بأسر
سيدها وهلاك من حوله من السادات فعادت تكشف الاخبار
وتأخرت من الغبار وخف الكرب عن دريد واصحابه فاشتفى
فؤاده بطعانه وضرابه واشتغل قلب غمره بأسر أبيها وتخلا عنها من
كان مساعدها من أهلها وذويها وطلبت أن تركب بعض الخيل
العائره وترجع فما امكنها من ذلك مقري الوحش بل هجم عليها
وضربها بالحسام صفحا بين أكتافها فوقعت على وجهها فارمى روحه
عليها وعاونه عروه وسلموها الى بعض الفرسان من بني عبس
وعدنان وركبا من خيول المعممه وحملا على بني قضاعه هذا وعنتر
قد نثر الجماجم من على قامات الابدان وزاد وقيد الحرب نيران
وصار شيبوب يضرب بنباله مقاتل الفرسان وهو ينادي يا بني قضاعه
انجوا بأنفسكم واطلبوا غير هذه المنازل والبلاد فان حريمكم سبيت
ورجالكم قد قتلت وما زال على مثل ذلك الحال والسيف في رقاب

الرجال قطاع وبنى قضاعه خافت من حلول الآجال فسبق بعضها
بعض الى الهرب يمينا وشمالا حتى ولى النهار وعول على الارتحال
وخمدت نار الحرب بعد الاشتعال والتقى عنتر بقرى الوحش وهو
لا يصدق أن يراه وكذلك أباه شداد وعروه ومن معه من رفقاء وما
فى الجماعه الا من اعتنقه وبالسلامة هناه ولما نزلوا واستقر بهم
القرار اجتمع به دريد وخفاف ودثار فرأوا اسبيع بن الحارث الملقب
بذى الخمار ومعه أسير فى قيود الذل والتعتير فسلمه الى دريد فعند مارآه
تعجب من ذلك وقال ويلك يا أبا الفوارس هذا فى اليقظة أم فى المنام
وكيف كان سبب أسرك وخلاصك ولأى شىء معك ذوالخمار
أسير حدثنى بهذه القصة العجيبه فعندها حدثه عنتر بما جرى له
مع عمره وما وقع له مع ذو الخمار (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك
هو أن شيبوب لما سار من عند أخيه يكشف خبر عمره وعمرو أخو
عبلة ومن أسر من الفرسان وتبع المنهزمين الذين مع فائز أبو عمره
فوصل معهم الى الديار وأبصر عمره ظاهر الخيام تقاتل ذا الخمار على
سبيل الاختبار وجرى لها مع أبيها ما جرى وسمعت بكسرته وارادت
أن تعيد ذو الخمار الى الشد والاعتقال وتسيرهى ومن معها من
الابطال وحدثها ذوالخمار بما فى قلبه من عنتر وساروا على الترتيب
الذى ذكرناه وأراد شيبوب أن يتبعهم ويحذر أخاه منهم فقال كيف
أعود بلا فائده والله لا أعود الا ان خلصت عمرا و رفقاءه لانه كان
رأى فائز لما شد عمرو ورفقته بقرب خيامهم ولم يتركه عند
العباس فبقى شيبوب ينا ظرهم حتى أمسى المسا وخف الحى من
الرجال ففرح بذلك وحل الجميع من الاعتقال وأخرجهم فى الصحراء
ورجع سرق لهم خيلا ورماحا فارجع وقارب وقت السحر حتى حمل

لاصحابه العدد وساربهم يقطع البيدا والقفار حتى عبر نصف النهار فلحقه النفير من الحى ولكن ما عليهم هيبة ولا قيمة رجال يخطر لاحد على بال لانه كما ذكرنا خالى من الابطال فحصلوا شيبوب وقدعوقوه عن المسير وأخذوا فى الضراب والطعان حتى أمسى المساء ووقع بالمار بين التعب وسد فى وجوههم كل مذهب وايقنوا بالهلاك والعطب وفرغت نبال شيبوب فطلب الهرب وخاف يقع فيصلب فقطع الخيل وراه وطلب الفلاه وغاب فى الوداه الا انه ما اختفى عن النظر حتى التقى بالعشر فوارس الذين مع عنتر فطلب الخيل وهو مثل ذكر النعام وهو يقول انجدونا يا بنى الاعمام فقد قتلوا الرجال وفنوا الابطال فلما سمع العشر فرسان كلام شيبوب تقدموا اليه وقالوا له وانت من أين تكون فقال أنا رجل غريب من خدام بيت الله الحرام ومقامى فى أرض مكة وأنا دائر بين هذه الحلل والقبائل التى لها لك فانز فلما عبرت هذه الحله قالوا الى ان صادفت أحدا من فرسان القبيله أعلمه ان الاسارى هربوا من الاعتقال فلما سمعوا كلامه أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وتركوا مع عنتر فارس واحد وقد وصوه الوصية البالغة على الاسير هذا وعنتر معارض على ظهر جواده موسوق بحمائل سيفه فعند ذلك قاربه شيبوب وتبينه واذا به أخوه عنتر فانذهل فى نفسه وتحير وقال ما هذا الامن العجائب ثم انه تقدم اليه ومال الى الفارس الذى عنده وقال له الحق أنت الآخر أصحابك وساعدهم على هؤلاء الاقوام ودعنى أسوق هذا الاسير حتى أوصله الى الماء والغدير فقال له الرجل يا وجه العرب احفظه ولا تفرط فيه والا أجعلك أول مقتول لان هذا الفارس ما هو مثل من تعرف من الفرسان لانه شيطان فى صورة انسان

ثم ان الرجل بعد كلامه مع شيبوب لحق أصحابه فعند ذلك تقدم شيبوب وفك أخوه من الوثاق وأخبره بخلاص عمرو وماجرى لهم مع الرجال الذين أدركوهم وما ألقى اليهم من الحديث والحال فأخبرني أنت كيف أسرك وأعلمني بهذه القضيه فقال عنتر اسكت ياشيبوب فان هذا ماهو وقت سؤال حتى أشفي فؤادي من هؤلاء الانذال ثم انه بعد كلامه سل حسامه وطلب الغبار ولم يزل سائرا الى أن وصل اليهم فنزل على العشرة الذين كانوا معه على الذي حول عمرو وأخوا عبله وهولا يفكر في الاخطار هذا وعمرو ولما نظر الى قتاله وضرابه ونزاله جاشت روحه وقال لرفقاه يابني عمي قاتلوا وانهضوا في قتالكم فعند ذلك حملت فرسان بني جشم على فرسان بني قضاعه وكان لهم ساعه بالحسام من ساعه أرموا أكثرهم على الصعيد وولى الباقي الادبار وركنوا الى الفرار وما أقبل الليل وخيم الظلام فلم يبق منهم شيخ ولا غلام ولما خلت لهم الارض سلم بعضهم على بعض وقد نزلوا للراحة في تلك الارض ولما استقر بهم القرار أخبرهم عنتر بما جرى له مع عمره من الحرب والقتال وأخفى ماجرى من باطن الحال فحدثه شيبوب الآخر بما جرى من سبيع بن الحارث وكيف انه اصطلح مع عمره على قتله فحار عنتر من هذا المقال وتفكر في هذه الاحوال وقال ان هذا الشيطان طالع علينا أشئم من الحارث بن ظالم ثم انه أخذ الراحة حتى سكن الليل ورحل يقطع الارض حتى انقضى أكثر الظلام وشيبوب بين يديه فوقف وقال يا ابن الام أعدل أنت ومن معك عن الطريق لاني سمعت قدامنا حس جواد وقعقعة سلاح فارس وما أدري معه غيره أم لا والصواب اننا نتجنبه ولا نعارضه فيشغل خواطرنا

فلما سمع عنتر كلامه رآه صواب وخاف أن تكون خيل كثير فيعظم الامر عليه فتجنب الطريق ووقف شيبوب وقد ستره الظلام ولبد مثل ما يلبد الذئب للاغنام وما قربه القرار حتى قاربه الفارس وهو ينشد ويقول

اذا جيش الظلام على مالا * وأظلم ليله ودجا وطالا
عسفت البر منفردا بسيف * صقيل المتن يشتعل اشتعالا
ومهرى يشتهى خفقان نجد * تكون على حوافره نعالا
ولولا اننى أعلو بجدى * ظهور الخيل ما عرفت مجالا
أنا الرجل الذى خبرت عنه * حقيقا فاترك الخبر المحالا
اسمى ذو الخمار وما خمارى * اذا شاهدته الا الجمالا
ولولا عبد عبس كان اسمى * أجل بأن يسمى أو يقالا
هجرت الاهل من حنقى عليه * وطلقت المنازل والعيالا
وقد أمسيت فى برقفار * فلاة لا أرى فيه خيالا
تضج الجن من حولى رباها * كأن ضجيجها قيل وقالا
ولو أمسى بها غيرى فريدا * تفطر قلبه منها انذهالا
فسيرى يا سباع البر حولى * اذا جيش الدجا ولى ارتحالا
فعند الصبح تروى من حسامى * ومن علق السنان وما قد مالا
وتخمد يا سباع لهيب قلبى * اذا ما العبد فوق الارض مالا

(قال الراوى) فلما فرغ ذو الخمار من شعره عرفه شيبوب وعنتر وما فيهم الا من تعجب من أمره وعودته الى بنى قضاعه وتاهت عليهم قصته الا شيبوب فانه قال لاخيه عنتر يهنيك السلامة من هذا الشيطان فانه ما عاد الا ليقتلك ويهلك بنى عمك فقال عنتر وكيف ذلك يا ابن السودا فقال له أنا ما قلت لك انه اتفق مع عمره

على قتلك وأظن انه درى بأسرك فهرب من وراء عمره وأتى الى الحله حتى يحل بك الذله فقال عنتر لابدما أحمل عليه وأحل به النكال وأورثه الهم والخبال فقال له شيبوب قتالك فى هذا الوقت ماهو صواب لانك ان نصرت عليه يقول التقانى فى الليل ومعه عشر فوارس ويمضى تعبك معه بلاش وأناماعندى من الرأى الا انا نقابلهم فى هذه الساعه واذا بقى فى قبضتك وحضرت قدام الفرسان ابق بارزه واقض شهوتك ولا تقتضى الزمان معه فى المشاققه والخصام والهريان ويخلى قومك وعشيرتك مثل مقرى الوحش وعروه قدام عمره وأصحابها تحت الذل والهوان لان دريد كم جهد مايعمل فى ذلك الجيش والجحفل وأما هذا سبيع تعلم انه بطل مناع وليث شجاع فقال عنتر صدقت يا ابن الام وأنا ماخوفى الا على مقرى الوحش ومن معه من الفرسان ثم ان عنتر بعد كلامه التفت الى عمرو وأخو عبله وقال له دونك يا ابن الام أنت وأخى شيبوب امسكوا عليه الطريق وأعدموه السعادة والتوفيق فلما سمعت فرسان هوازن من عنتر ذلك الكلام أخذتهم الحميه ونخوة الجاهليه وقالوا وحق مكون الاكوان وخالق الانس والجان مانقتل الا عن معونتك ومعونة أصحابك ولو أن فى أقدامنا القيود الثقال لان ذا الحمار مارعى لنا ذمة ولا حفظ لدريد حرمه بل انه قاتل مع أعداه وتركنا فى العذاب ولولا أخوك شيبوب كنا هلكنا فى هذه الرحاب فشكرهم شيبوب على مقالهم والتفت اليهم وقال يا قوم الامر أقرب من هذا وأنا وحياة رؤسكم أبلغكم منه ماتشتهون واقتل جواده واتركه عبرة لمن اعتبر فقفوا أنتم فى أماكنكم وانظروا منى ومنه العجب ثم ان شيبوب بعد كلامه وقف على قدميه وهمز همزات

متتابعات ونط نطه وألحقها بالثانيه والثالثه فارب ذو الخمار وصار قدام وجهه وضرب جواده بنبله فى صدره فشب به وأرماه على أم رأسه وخبله فى نفسه وطاش عقله وما أفاق حتى شدّه كتاف وقوامنه السواعد والاطراف وساعده عمرو أخو عبله وحملوه على اكتافهما حتى أرموه بين يدى عنتر فبصق فى وجهه وقال لبعض الفرسان ترجل يا ابن العم عن جوادك ثم أمر فرسان هوازن أن يربطوه على الجواد عرضا ويشدّوا وثاقه شدّا وثيقا (قال الراوى) ففعلوا ذلك وسار وا به يقطعون الطريق حتى أشرفوا على العسكر وهم فى ضيق الخناق فأشار عنتر الى الفرسان الذين معه أن يقصدوا الاعلام ووقع الحرب وجرى من القصة ماجرى من كسر العسكر والانهزام وحدّث عنتر لدريد بن الصمه بالقصه فلما سمع دريد ماجرى من ذى الخمار فعلم انه خائن العهود فسبه وشتمه وطلب انه يبطش به فردّه عنتر عنه وحال بينه وبين ذو الخمار الفرسان وقالوا أيها الامير طول روحك فقال دريد لذى الخمار ياويلك أى شىء أصابك من الدواعى والاسباب حتى خرجت عن طريق الصواب وركبت جواد البغى الذى ماركبه أحد الاوغاب أما علمت أن معادى أهل السعاده يتجرع الغصص بزياده أخبرنى يا سبيع ماقصدك من هذا الفارس حتى حنقت عليه هذا الحنق ومن أجله ضربت وجه قومك بالسيف فقال سبيع مرادى يبارزنى وفى الحرب ينصفنى حتى تشهد أنت والفرسان لاحدنا بالغلبة ولالآخر بعلو المرتبة لانك تعلم انى ملكت الشجعان وهابتنى الاقران فى كل أرض ومكان حتى التقانى هذا الشيطان وحط منزلتى عند الاقران من يوم انه أسرنى والى الآن مامكننى

منه الزمان وأنا اتخلى عنه حتى أجرب قتاله وحربه ونزاله فان قهرني في الميدان رعيت له النوق والاغنام مدة ثلاثة أيام وان أنا قهرته يفعل كذلك فقال دريد يا سبيع أنا أبلغك المراد وأقضي مناك وأزيل عنك عناك ولكن حتى ينفصل أمر هؤلاء الاقوام ولا يبقى علينا ملام واذا عدنا الى أرضنا أشهد عليك وعليه سادات القبائل حتى لا يبقى للآخر منكم طريق الى الباطل وأريد يا سبيع قبل كل شيء تحلف لي بمن قدر الآجال والارزاق لابن آدم وهو الملك المتعال الذي أرسى الجبال انك لا تعارض هذا الرجل ما دمنا نازلين في هذه البلاد والا تركتك هكذا في القيود والاصفاد فلما سمع سبيع ذلك حلف له بما أراد واعتذر الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا ثبت عندي انك الفارس البهلول والبطل الذي ليس من الحرب ملول وكذلك قال دريد والله أنت غاية المأمول فقال عنتر يا أبا النظر والله ما أنا جاهل بفروسية الأمير سبيع وقتاله ولا طعنه ونزاله ولو علمت ان هذا الامر يجري بيني وبينه ما كنت توجهت الى هذه الديار لانك صرت تعبان القلب بيننا فلما تكلم عنتر بهذا الكلام حمدوه وشكروه وأثنوا عليه وحلف سبيع بحق رافع السما انه لا بقي يفارقه أبدا ثم ان القوم بعد هذا الكلام قدموا مناسف الطعام فأكلوا على حسب الكفاية وأقبل الظلام فعندها ركب عنتر جواده الابجر وتقلد بالضامي الابتر وتولى حرس قومه وأراد دريد أن يركب فمنعه عنتر من ذلك وقال له يا أبا النظر أنا أولى بهذه الخدمة لاني تعبت قلبك وما يمكن أحملك أكثر من هذا ثم ان عنتر قبل رأسه وبين عينيه وشكره وأثنى عليه وتولى عنتر الحرس على سبيل الانفراد بعد ما أوصى دريد بغمرة وأبيها فاتر

فقال السمع والطاعة فما بقى لهم الى النجاة سبيل فلما انظر سبيع الى
عنتر وهو قد تولى الحرس على قومه فأراد الآخر أن يفعل مثل فعله
فأمر بعض الغلمان أن يقدم له فرسه فركب وأطلق العنان وصار
يدور حول المأسورين وهو ينظر الى عنتر فى سواد الليل وقلبه بالشر
ملآن عليه فحدثه قلبه بما شاء من الحسد ووسوس له الشيطان
أن يقتل عنتر فى وسط ذلك الفلا حتى لا يبقى أحد غيره يذكر
بالفروسيه الا انه لما لاح له وجه المحال وغرق فى بحر الجهالة والضلال
وخطر له ذلك قصد الى المأسورين كأنه يتفقدهم حتى وصل الى عمرة
فحلها من الاعتقال وقال لها اطلقى أباك ومن معه من المأسورين
ولا تحسبى انى نسيت ما عملت معى من الجميل على ان هذا ما هو موضع
كلام وانما التدبير اذا اصرنا عندكم فى المضارب والخيام ثم ان ذا الخمار
وقف مكانه كأنه يحرسهم حتى حلت عمرة اباها وجماعة
من سادات قومها وتركت من لا قدرة عليه ومن جملة الذين
تركتهم أخوها الان عنتر لما أسره سلمه الى خفاف وقال له هذا بغيتك
ومقصودك فلا تتهاون فيه فلما تسلمه خفاف صار لا يفارقه لا ليلا
ولا نهارا ولا ينام الا عند رجليه ولما خلصت عمرة أباها ومن قدرت
عليه بعدت هى واياهم فى الصحراء وبعد ذلك أتى اليهما ذو الخمار
بفرسين وعدتهما وآلة حربهما وكل هذا مما فى قلبه لعنتر من الحسد
وساروا تحت الظلام واذا قد بان لهم عنتر وهو راكب على ظهر
جواده الابجر كأنه ثنية جبل وهو يدافع النوم من شدة السهر
فعندما تقرب منه ذو الخمار فصاح بهم عنتر من تكونوا تكلموا قبل
أن تعدموا الحياة فناداه ذو الخمار على رسلك يا أبا الفوارس فأنا من
تعرفه ولا تنكره وأنا بعد فراقك ما طاب لى مقام فأتيت اليك

حتى أتحدث معك وطلبت انى أساعدك على سهر الليل حتى يصبح
الصباح فلما سمع الامير عنتر ذلك الكلام اشكره وانطلى عليه
الحال ثم انه نظر الى غمره فأنكرها وسأل ذا الخمار عنها فقال هذا
بعض أصحابى وهو ابن عمى عامر اتى فى صحبتى ثم ان ذا الخمار سار الى
جانب عنتر وهو يحادثه وينادمه فلما نظرت غمرة الى ذلك انتهزت
الفرصة وجذبت سيفها من غمده وضربت عنتر على جسده مع
جنبه انها تقطعه قطعتين وكان على عنتر زرديه ومصفح والدرع
الاجمى فلما وقع السيف عليه خرج له صوت مثل المنجنيق فقطع
قليلا من الزرد فانتبه عنتر على نفسه وعلم انهم غدارين وما أتوا الا
لاقتناص طالبين فعندها صاح فيهم صيحة ثانية وحمل على غمرة فنعه
ذو الخمار عنها وطعنه بالرمح طعنة لو كانت فى جبل لهدته فانكسر
الرمح ثلاث قطع وما جرح ولا قطع فأراد عنتر أن يضربه بالسيف
فاعترضته غمرة منعته عنه فأراد ذو الخمار أن يتقدم الى عنتر فغاص
جواده فى الارض وهذا يدل على سعد عنتر فان كل من عانده سعدا
مات مكمدا لان السعد يساعد صاحبه والله يفعل ما يشاء ويريد
فى خلقه انه هو الحميد المجيد (قال الراوى) ولم يكن ذلك الامر أكثر
من ساعه حتى سمعت الطوائف الصياح فركبت وطلبت بريق
الصفاح وصبح البر من سائر الاقطار وزاد سواد الليل اعتكار
فخاف من ذلك ذو الخمار فأخذ غمرة وسار فطلبها عنتر الى وقت
الصباح والخيل مبتددة فى الاقطار والبطاح وأكثر الفرسان
لا يعرفون هذا الامر الذى أوجب هذا كله وفى دون ساعة اجتمعت
الفرسان على عنتر وعلى الامير دريد وأطلعه عنتر على هذا السبب
والحال فسب ذا الخمار وحلف ان وقع به ضربه وقطع عنقه وهنا عنتر

بالسلامة

94

بالسلامة وشاوره فى العودة الى الاوطان فقال والله يا مولاى مابقى
لنا فى هذه الارض مقام ثم انهم عادوا جميعا الى الخيام يا سادة يا كرام
وما اقاموا الا قدر ساعة على قدر ما ضربوا رقاب ما بقى من سائر
الاسارى وضرب خفاف رقبة المتجبر اخو عمرة و بردوا بذلك قلوبهم
وجدت عزائمهم على الرحيل وسار وا وهم يتحدثون و يتعجبون من
قصة ذى الخمار ويقولون ما عمل هذه العملة الا من عشقه لعمرة
وحسده لعنتر وجدوا فى قطع القفار وشوقهم الى المنازل والديار
فالتقاهم خمس نجابة على مهارى تقطع بهم القفار والبرارى فعرفوا
دريد وقد صار وا بين يديه فتبينهم واذا هم من بنى هوازن و جشم الا
أنهم لما عرفهم دريد رد سلامهم وأنكر أمرهم وقال لهم ويلكم الى
أين أنتم سائرون أليس وراءكم خبر من الاخبار من ناحية الاطلال
والديار فقالوا يا مولاى وراءنا الويل والحرب وما نحن سائرون
الا فى طلبك حتى نخبرك بما تم على قومك من الاهوال فقال لهم
ويلكم أى شىء جرى على قومنا فقالوا غزونا بنو عبس وسبوا
الحريم وساقوا الخيل والجمال وقتلوا جماعة من فرساننا والابطال
وعادوا راجعين وهم فرحين بهذا الحال وكل هذا فى عناد عنتر بن
شداد واصبحت النوادب فى أرضنا متجاوبات فلما سمع دريد والرجال
الكرام ذلك الكلام لعبت بعقولهم الفكر والاوهام وأما عنتر
فانه غاب عن الوجود وبقى فى صفة معقود وعلم ان نزولهم عليهم غير
محمود وتمنى أن يكون له أجنحة يطير بها الى بنى عبس حتى يجازيهم
على فعالهم القباح وأما بنو فزاره فانه نوى لا يخلى منهم أحد هذا
ودريد سأل عن أخيه خالد وعن الفرسان الذين كانوا عنده يدخرهم
ليوم الشدائد والنجابة تقول قتل فلان وفلان وأسر فلان وجرح

فلان واخيك أسر وحلت به البليات والنسوان فما بقى منهم أحد الا القليل والباقى مسبيات مع عبلة ومسيكة فقال دريد وقد أظهر الحلم والجلد على ما أصابه حياء من عنتر وأصحابه يابنى عمى كل هذا الامر يصعب على غيرنا وعلينا يهون لان فينا كفاية لعرب المناهل والعيون ولا بد لنا ما نكافى به بنى فزارة على هذا المنكر وأما عبس فهى وحاميتها أخبر فقال عنتر يا مولاى ومن هم بنو عبس وغطفان وحق ذمة العرب ما بقيت أجاور القوم بعد هذا اليوم على طول الدوام ولا أعدهم اليوم الا من جملة الاعداء والسلام ثم انهم جدوا المسير فى تلك القفار طالبين الاهل والديار فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنى عبس وبنى فزاره وسبب غيرتهم على عنتر وذلك ان سنان بن أبى حارثه ومالك أخو حذيفة لما فاتهم عنتر من جهة الغلام كما ذكرنا فانطلقت فى قلب حصن النار فأخذ الربيع بن زياد ودخل على أعمام الملك قيس فأخذهم وساروا الى الملك النعمان ملك البلاد يشكوا اليه من عنتر بن شداد وما فعل بهم بين العباد وذكرنا ان عنتر لما جرى له مع بنى فزارة ما جرى وأسر سنان ومالك وكان زهير بن قيس معهم ومعه جماعة من ديبان وتركهم مع زهير مطروحين على القيعان وسار فاجتمع رأى الجميع ذلك اليوم على المسير الى الملك النعمان وكان ذلك بمشورة الربيع وهو الذى كان من بعض الرسل فى هذه النوبه وضمن لاخيه عمارة أخذ عبلة وأخذ معه واحدا من أعمام قيس وحصن بن حذيفة وعشر فوارس أخر من سادات بنى عبس وفزارة وسار يطلب أرض العراق بعزمه وحميته وعلم سنان بن أبى حارثة بهذه القضيه فأمر بقلع بنى عبس الذين مع عنتر فى جبال غزيه وأنفذ الى ملك الشام يقول له أيها الملك

لا تسأل عن ما فى قلوبنا من الهم والغم لاجل انكسار جيشك لما
عطش قيس النوق والجمال وأخرجهم عليهم من الجبال وأهلك
بنى غسان والجيوش والابطال وانه ما فعل هذه الفعال الا انه
كان أشرف على قلع الآ تا فخلصه رب السما بتلك الحيله وأنقذه من
الدمار بعد ما كنا أسرنا عنتر والفرسان الذين عليهم المعتمد وقد
عولنا اننا نسير اليك بالكليه حتى نأخذ بثار ولدك بدر النصرانيه
ونصلبهم على أسوار دمشق وننزل بهم المهالك ولكن جاءنا الامر
بخلاف ذلك ومازلنا ننتظر لعنتر عثرة من العثرات فى هذا الزمان
حتى اختلفت كلمة بنى عبس وعدنان وتفرقوا فى الاقطار ورحل
عنهم حاميتهم فى خمسمائة فارس من الفرسان وهم جمرة بنى عبس
وعدنان وصاروا يغزوا علينا فى النهار والليل وفى كل وقت ما نشعر به
الا وهو معنا فى الديار وما أنفذت اليك هذه الرساله على ذلك الشان
حتى رأيتهم أرسلوا الى صهرهم الملك النعمان ويسألوه أن ينفذ لهم
فرسان وأنصار تعينهم على عنتر الكشحان ويبقوا لهم أعوان وأنا
أعلم أنه يرسل بعض اخواته اليهم فى جميع العربان وكل منهم
يجدون فى طلب ذلك الاسود الشيطان فأرسل أنت اليهم من يأخذ
أموالهم والنسوان وان هان عليكم المسير فى طوائف بنى غسان
وأنت فى جملتهم بلغناك المراد ودبرنا على كسر عساكر بنى غطفان
واذ رجعت الى الشام رجعنا معك كلنا وجعلنا مقامنا عندك نحن
وأهلنا فى أرض حوران وعبدنا عندك الصلبان ونغزوا أرض
النعمان وأرض المدائن ونجتهد حتى نترك الارض كلها قائلة
بكلمة المعموديه وبعد فهذه الرساله من سنان بن ابى حارثه شيخ
بنى فزاره وانا قد أتتنا الاخبار ان عنترة قد سار مع دريد الى بلاد

شريف وان أحياء هوازن خالية من الحماه والفرسان ثم بعد ذلك أتى
الى قيس هو ومالك بن بدر وحرضاه على القوم وسبي نساءهم
وقالوا له يا ملك ساعدنا على هذا الامر حتى يقع هيبتنا فى قلب دريد
وما زالوا به حتى جمع حلفاءه ومن يعتمد عليه من اصدقاءه وسارت
معه بنو مرة والفرسان الطماعه وطرق ديار دريد وكانت آمنه ولا
نا بها قط نائبه فقتلوا رجالها وساقوا أموالها وكانت الارض
فيها عنتر بمعزل عن القوم فأحاطت به بنو فزاره وشنت عليهم
الغاره وشفوا قلوبهم من بنى قراد وسبوا النساء والاولاد وكتف
قيس الرجال الذين كانت تخلفت فى الحله وكانت مائتى فارس
والثلاثمائة الآخر كانت مع عنتر هذا وقد سبوا مسيكه وعبله
وعادوا وقد بردت نارهم من قلوبهم وزالت عنهم كروبهم وسارت
فرسان القبائل تتلاحق بهم مواكب وفرق وشملها قد افترق الا ان
قيس ما طلع من ديار دريد وهوازن بالاموال حتى أهلك خلقا كثير
وترك الدماء فى جنبات الارض تسير فلما وصل الى أرضه جمع السبي
كله حول العلم السعدى وقال لبنى فزارة ارحلوا كلكم الى عندنا
وانزلوا فى أرضنا حتى تشاركونا فى الدماء التى علينا لان دريد
اذا عاد الى دياره وتزقزق اره وأخبروه بما فعلنا فى بلاده جمع حلفاءه
وأنصاره وغزانا هو وعنتر ومن تعرفون من الفرسان ويبلى منهم
بما لا نطيق قبل ما تصل من عند صهرى الفرسان فقال سنان طب
نفسا وقر عينا وأبشر بالنصر على العدا ومن هو دريد أو مقرى
الوحش أو عنتر فوحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر لا تركت
لهم ذكرا بذكر ثم بعد ذلك نقل مضارب بنى فزارة وخيامهم الى أرض
الشربة ونزل هنالك بالاحمال والعيال وأصبحت بنو عبس تضج

بالفرسان

96

بالفرسان فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر ودريد فانهم لما سمعوا الخبر من التصابه الذى يفرح الاعداء ويغم الاصدقاء فتموا فى سيرهم حتى وصلوا الى الديار والمضارب فرأوها تضج بالمصايب والنوائب فتألمت القلوب بالاوجاع ونزل دريد فى المنازل والبقاع وسلاهم عن تلك الافجاع ثم قال لهم عليكم بالصبر والجلد وقلبه يتقطع وهو يقول يا بنى عمى كلما مضى لا يرجع وكانكم بالذى فعل بكم هذه الفعال قد أصبح فى أسوء حال فخذوا أهبة الرحيل الى ثلاثة أيام ثم انه أمر فرسان القبائل والحلل يأخذون الراحة بعد ما ترجل عن جواده ونزل ثم ان دريد أرسل الى عنتر وبنى عمه خياما ومضاربا وكان قد وصل معهم من بلاد اليمن خيول وأسلاب فنزلوا فى المنزل الذى كانوا فيه وبنو عبس متفكرون فى تلك الافعال وكان أكثرهم هما وغما مقرى الوحش وعنتر وبلغنى انهما بقيا يومين وليلتين ما ناما ولا التذت أجفانهما بالمنام وفى الليلة الثالثة زاد بعنتر الشوق وأقلقه الغرام وقال لمقرى الوحش ويلك يا ابن العم الى متى هذا القعود فاعزم بنا حتى نسير الى خلاص الحريم ولا تتكل على غيرنا فلعن الله من لا يلتقى فرسان بنى عبس وبنى فزارة ويهلك الجميع ويشتفى من الاعداء سريع فقال مقرى الوحش افعل ما بدا لك حتى أتابع أعمالك ثم وثب كل واحد الى ظهر جواده بعد ما اعتد بعدة جلاده وما علم بهم غير الامير شداد وشيبوب وتمام المائة فارس من بنى عبس واستغرقوا فى البر والآكام وتباعدوا عن الخيام وصار يقول مقرى الوحش واشوقاه عليك يا سبيع اليمن وهو ينشد ويقول هذه الابيات

مامال ربعك يا مسيكة قد خلا ✻ وبوحشة بعد الانيس تبدلا

بالامس كان محل غزلان النقا * واليوم تحجل فيه غربان الفلا
ناديته وسألته مستخبرا * عن من بقيت لاجله أشكو البلا
كحلت أجفانه بكحل ترابه * لماذ كرت به الغزال الا كحلا
يا ربع ان كان السحاب كادمعى * يروى ثراك اذا جنابك أمحلا
بالله يانسمات انفاس الصبا * هات خبرة بالظعن أين ترحلا
فاجابنى ريح الشمال وقال لى * فى غيلم محبوب قلبك وصلا
نزلوا على وادى العقيق وخلفوا * فى ربع قلبى للحوادث منزلا
لهفى على قوم مررت أطعانهم * كرها ولا طلبوا الملال ولا الملا
فجميع العدا قلبى بهم فدامعى * هطل ونار صبابتى لا تصطلا
ياطائر اقديات يندب الفه * أين الخلى من الحزين المبتلا
لوكنت مثلى كان دمعك قدجرى
وسقى الغصون وبل أقطار الفلا
ان كان قد اغتال الفلك فانصا * وبقيت مشتاقا تبيت مقلقلا
فان سبى ولدى عدو ظالم * حسدا وحق لحاسدى أن يفعلا
لهفى على سبيع اليمانى قدغدا * ينساق مغلول اليدين مغلغلا
ياصاحبى ان لم تكن لى مسعدا * يوم اللقا طاوعت فيك العزلا
وحدت وحش البر عمرى كله * وجعلت للغزلان دمعى منهلا

(قال الراوى) ولما فرغ مقرى الوحش من شعره تزايدت حسراته واشتدت نيران زفراته فتبسم عنتر من مقاله وقال له يا ابن العم مانحو جلك أن تصاحب وحش القفار بل نأخذ لك بالثار ونخلص لك ولدك سبيع اليمن وزوجتك مسيكة كما تحب وتختار ونحن فى حمل المصيبة سواء ولكن يا أخى لا كلام حتى تقع العين على العين وتبصر كيف يقتضى الدين ان أردت أن نبرد بالشعر صدرك

ونيرانك

ونيرانك فاذكر سيفك وسنانك لانهم أعدل الحكام واعلم ان ذكر الاطلال الباليه والمنازل الخاليه ماتصلح الا للنساء التى خلف الحجاب اذا تجاوبت بالنوح والتعداد على فقد الاحبة والاولاد ثم انه أشار يقول

ياصاحبي لاتبكى ربعا قد خلا * ودع المنازل تشتكى طول الملا
واشكر الى حد الحسام فانه * فصال ماضى الشفرتين وفيصلا
من أين يدرى البين انك عاشق * أو عنده خبر لصب قد سلا
والله مايمضى رسول صادق * الا السنان اذا الخليل تبدلا
ولقد عرفت الدهر حتى انه * لولم يذق بنى المرار لما حلا
وكذا سباع البر لولا شرها * دارت ببطن الغاب أذياب الفلا
فتحملا ياصاحبي رسالتى * ان كنتما فى أرض سلع تنزلا
قولا لقيس بنى زهير اننى * خط المشيب على شبابى ما علا
بل لو صدمت بهمتى جبل حرا * قسما وحق أبى قبيس تزللا
لولم تكن ياقيس غرا جاهلا * ماسقت نحو ديار قومى جحفلا
والله لو شاهدته ورأيته * ماكان آخره يلاقى الاولا
ياقيس أنت تعد نفسك سيدا * وأبوك أعرفه أجل وأفضلا
فاتبع مكارمه ولاتذرى به * ان كنت ممن عقله قد كملا
واحذر فزارة قبل تطلب ثارها * وتريك يوما ناره لاتصطلا
فدماء بنى بدر عليك قديمة * وبنى فزارة قصدها أن تقتلا
والله لاخليت فى أوطانهم * الا النوائح صائحات فى الفلا

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره جدوا فى المسير وسرعة التشمير واذا بغبار من خلفهم قد ثار حتى سد الاقطار فوقفوا ينظرون الاخبار وكان هذا الغبار غبار دريد بن الصمة العالى العزيمه

والممه وقد لحق بهم فى عشرة آلاف فارس لانه لما أصبح فى اليوم
الثالث طلب عنتر فما وجد له خبر فعلم أن نيران قلبه قد حملته
على المسير وأراد بذلك التخفيف عن قلبه فتعجب من علو همته وقد
أتى بالفرسان الذين قد كان أمرها بأخذ الاهبه وجد المسير فلحق
عنتر كما ذكرنا ولما اجتمعوا عتب دريد على عنتر وكيف سار على
حالة الانفراد وطلب أن يعانى الامور كلها بنفسه من غير انجاد فقال
عنتر والله يا أبا النظر لقد أتعبناك بنزولنا عليك وكل ما قلنا اننا
نحمل عنك الاثقال ماتوا فى الايام والليال فقال دريد يا حامية
عبس أيش هذا المقال وحق من يعلم وزن الجبال وكم هى ذرة
ومثقال ان هذه الامور ما تخطر لى على بال لانى مارستها زمانا
طويل وعرفت منها كثير غير قليل ثم انهم أقاموا فى ذلك المنزل
حتى استراحوا ورحلوا طالبين ديار بنى عبس وها تيك الديار وهم
يجدون المسير فى تلك القفار (قال الراوى) وكانت القبائل على
بنى عبس قد اجتمعت كما ذكرنا وهم منتظرين عساكر النعمان
تأتيهم قبل قدوم عنتر وتركوا لهم دبادبة على الطرقات ويبيتون
ويصبحون وهم خائفين وما زالوا كذلك حتى صار بينهم وبين عنتر
ودريد ليلة واحدة وأتوهم الجواسيس وأخبروهم بوصول الجيش
فصعب ذلك على قيس وقال هذا أمر ما كان لنا فى حساب ولا قلنا
ان عنتر يخرج من بلاد اليمن وأرض شريف ويسير الينا بهذا الجمع
المنيف وجيوش صهرنا ما وصلت الينا وعنتر والله ما كان يؤخذله
مال ولا حريم ولا عيال ثم انه أحضر سنان بن أبى حارثه ومشايخ
بنى فزارة وحدثهم بما جرى فلما سمعوا ذلك امتلأت قلوب الجميع
فزع وقال سنان والله يا قيس ما بقى ينجينا الا المحال والخداع والا

98

بليغا من مقري الوحش وعنتر ودريد بمصايب لا تقال وتنهب الاموال وتسبي العيال فقال قيس وكيف تكون الخديعة أخبرني بها حتى انني أساعدك عليها بالمقال والفعال فقال سنان أول ما نعمل نرضيهم بالحريم والعيال ونسلم الكل اليهم من غير قتال وأتقدم أنا وأنت وجماعة من ساداتنا والابطال ونقول لعنتر أول ما نلقاه وحق اللات والعزى يا أبا الفوارس ما سرنا الى ديار دريد الا نترضاك ونردك الى أرضنا والاطلال لانها بقيت بلا محامي يا زين الموالي ورضينا أن نوفيك دم من قتل منا من الابطال وترد الى ديارنا والاطلال لان جورك علينا أحب من عدل غيرك الينا وانما لما وصلنا الى أرض الشيخ دريد ما رأيناك وسمعنا انك في بلاد اليمن فصعب علينا ذلك وما رأينا على أنفسنا أن نعود بلا فائدة فجمعنا رأينا على أخذ عبلة ومن معها من النساء وأظهرنا الغارة حتى انك اذا رجعت من بلاد شريف وسمعت بأعمالنا تسير الينا ونلتقيك هذا الملتقى ويعود شملنا مجتمع ويعود عدونا خاسرا نادما فان تم عليه أيها الملك هذا المرام ونزل عندنا وطاب المقام كبسنا عليه هو ومن معه وهم في المنام ووضعنا في الجميع الحسام وان لم ينطلي عليه فهو يمضي ويرجع عنا ويكون قد رددناه بالمكر والمواقحة خير ما نلتقيه بالحرب والمكافحه لاني أعرف انه شديد مع كونه عبد مريد فقال له قيس والله يا سنان ان هذا الكلام ما ينطلي على عنتر ولا على غيره من البشر وان رجع هو ودريد فما تكون الا حيا الا فزعانين فقال له سنان دعه يكون ما يكون لا تنسى ما قصدنا غير المهله الى أن تصل الينا عساكر النعمان مع حصن بن حذيفه والربيع بن زياد ونلحقه ولو طار الى آخر الدنيا ولا نزال حتى نبلغ منه الآمال فقال قيس

افعل ما بدا لك فعندها رجع الشيخ سنان وهو فرحان ومن ليلته أمر العبيد أن تنحر النوق والجمال والاغنام ويروقوا المدام ولما كان من الغد أشرف عليهم عنتر ضحى نهار هو ومن معه في ذلك الجحفل الجرار الذي كأنه البحر الزخار فطلع لهم قتام وغبار وكان القوم قد لبسوا السلاح واعتدوا للحرب والكفاح وعلا الضجيج والصياح وارتعدت الارواح في الاشباح وأبصر سنان بن أبي حارثة هذه الامور الكبائر فخاف من القبائل والعشائر فأخرج المولدات بالدفوف والمزاهر وتصففت على جانب الطريق التي أقبلت منها العساكر والبسهن ألوان تبهت النواظر وتشرح الخواطر وصاح فيهن وقد أبعدن عن المضارب والعشائر وأزعجن الدفوف وقال لهم حذيفة يابني العواهر ارفعن أصواتكن بهذه الابيات الحسان

عاد حامينا الينا ✽ سالما بعد البعاد

فاشكروا الله جميعا ✽ واحمدوا رب العباد

(قال الراوي) فعند ذلك ضربن المولدات الدفوف ورفعن الاصوات بالابيات في تلك الفلوات حتى بانت الاعلام والرايات وانتشر الجيش في الفلوات بعد الاجتماع وطلب بعد المضيق الاتساع وكان عنتر في المقدمه ينظر من يقدم عليه أو من يقبل من بني عبس عليه فما رأى غير المولدات وهن يمدحن عنتر بهذه الابيات فأخذته الحيرة والانبهات ووقف هو ودريد بعد الجد والطلب وتعجب غاية العجب وقال لمقري الوحش ولمن معه من الفرسان ايش بال بني عمنا ما ركبوا الينا وما بال هؤلاء المولدات يضربن بالدفوف بين أيدينا لا يكونوا قد تزوجوا نساءنا الى غيرنا فضحك مقري الوحش وقال جزاك الله كل خير على بشارتك وتبسم دريد واذا هم بقيس قد أقبل

وحوله

99

وحوله أعمامه واخوته والى جانبه سنان فى سادات بنى فزارة والكل خالين من السلاح غير متأهبين للحرب والكفاح وعليهم الثياب المصبغات والعمائم الملفوفات ومازالوا سائرين حتى قاربوهم وترجلوا العنتر لما قاربوه ونظروه وتقدم اليه سنان يوقاحته وهو يقول أنت تقول ياحامية عبس انك مابنطلى عليك الحال هاقد أعدناك الى أرضنا بالخديعة والاحتيال و وهبنا لك مافعلت فى حقنا من القبائح والفعال ونحن نسأل الله أن لايعدمنا شخصك على كل حال لاتنساما تنسام فى أمان اذالم نعلم انك عندنا فى الاوطان ثم انه حدثه بالحديث الذى كان بينه وبين الملك قيس وأظهر له انهم ماطرقوا دياره وسبوا ابنت عمه الاحتى يأتى اليهم هذا وعنتر مطرق برأسه الى الارض لايشيلها من شدة الحياء والخجل وحار فيما يقول ويفعل وعول على الرجوع ورد العنان واذا بأخيه شيبوب تقدم الى سنان وقال له ياشيخ السوء أنت ذكرت أنكم ماسرتم الينا وسبيتم حريمنا الاحتى يعود أخى اليكم ويصالحكم ودريد ايش كان ذنبه حتى قتلتم رجاله وسبيتم عياله فقال سنان ياشيبوب نحن ماتعرضنا لحريم دريد الاحتى يأتى مع عنتر وينزل عندنا حتى نخدمه ونكرمه ونجازيه على مافعل بأخيك لانه أضاف ابن عمنا وقد أحسن اليه وأما تعرضنا الى رجاله فما كان باختيارنا وانما لحقوا بنا القوم ونحن عائدين بالحريم والعيال وتعرضوا الى حربنا والقتال وماسمعوا منا مقال فقتل بيننا وبينهم من دنى أجله وندم كل واحد منا على عمله ونحن مانترك سيدنا دريد يعود الاندفع له دية من قتل من رجاله ونحايد من دم أصحابنا ونجعله لنا عمدة وعدة فتبسم دريد من هذا المقال وعلم انها خديعة ومحال وان القوم قد عجزوا عن الحرب

والقتال وأبصر عنتر وجهه من الحياء فرجع معه وهو يقول والله
يا أبا الفوارس لو كان أحد غير بني عمك وقومك فعلوا معنا هذه
الفعال ما كنت تركت منهم بشر ولا أبقيت منهم أحد ولا ذكر فقال
عنتر وحق نعمتك انهم يستحقون أكثر من ذلك لا سيما بني فزارة
ولكن من رمى سلاحه حرم قتاله ولكن بلغنا المنى بخلاص عيالنا
وأموالنا ورأينا سادات قومنا بين أيدينا مثل العبيد ولو كانوا
قاتلونا كنا تعبنا معهم وما قضينا غرض ولو ظفرت بأحد منهم
ما كان يطيب على قلبي انني أقتله واذا أسرته مالي يد أمتد اليه حتى
أكتفه ثم انه أنفذ أخاه شيبوب وقال له قل لسنان يرسل حريمنا
الى عندنا واعلمه أن محاله ما انطلى علينا فقال شيبوب والله ما كان
الصواب الا قتل بني فزاره وبني زياد الغدارين بين العباد لانهم لو
ظفروا بنا ما أبقوا علينا فقال عنتر صدقت ولكن قيس واخوته
هم الذين يمنعوني من ذلك لانني ما أنسى جميل أبوهم الملك زهير
والحاقه لي بالنسب فعاد شيبوب الى سنان بهذه الرسالة التي
ذكرناها ودريد أخذ جماعة من الرجال حتى يرد العرب والمواكب
وجميع الفرسان وينزل بالجميع في البر الواسع وأما شيبوب فانه وصل
الى سنان وأعلمه بما قال أخوه فأظهر انه صعب عليه وصار يضرب
يدا على يد ويقول واحرباه ما الذي قسى قلب حاميتنا علينا حتى ما بقي
يقبل سؤالنا ولا يألف أطلالنا بالله عليك يا شيبوب ارجع اليه
واسأله حتى يرجع وينزل عندنا في الديار والاطلال والا ما يكون
لنا مع النسوان هدو ولا قرار ولولا دريد معه في هذه العساكر
الغريبة وخوفنا من الفضيحة كنا أخرجنا حريمنا مكشوفين الرؤس
يسألوه في النزول فقال شيبوب والله يا سنان كل هذا محال ونفاق

وضلال

وضلال ثم انه صار معه وحل أصحابهم من ذلك الاعتقال وأمرهم
ان يسوقوا المال والعيال ورحل الى بنى هوازن وجشم واجتمع كل
واحد بمن له من النسوان والخدم وكذلك مقرى الوحش اجتمع
بزوجته مسيكة وولده سبيع اليمن وكذلك عنتر اجتمع بعبلة وشكى
كل واحد لصاحبه ما يجده من ألم الفراق ثم وصلت اليهم الطعامات
والاقامات فما تعلقوا منها بشىء بل رد دريد الجميع وأقاموا حتى
انتصف الليل ورحلوا يقطعون السير وبغضة بنى فزاره قد تضاعفت
فى قلوبهم وما زالوا فى رحيل وفى اقامة مدة أربعة أيام وفى اليوم
الخامس من أول النهار طلع من خلفهم غبار وقتام مثل الظلام
فوقفوا يتحدثون فيه واذا بغبار آخر طالع من بين أيديهم وهو قاصد
اليهم فحاروا من ذلك ووقفوا ينظرون اليه وضاق فى أعينهم الفلا
وبعد ساعة راق الغبار وانجلى وارتفع من الصياح وعلا وبانت لهم
أعلام عراقيه وبيارق حمر كسرويه ورايات سود نعمانيه ورماح
سمهريه وسيوف مشهوره يمانيه فى أيدى رجال تصارع المنيه
وتحتهم خيول عربيه وكان أكثر ضجيج الجيش الذين فى المقدمه
لان أبطالهم كانت فى المقدمه وهى تنادى الى اين أنتم راجعين
يا أنذال العرب وبنى فزاره لكم فى الطلب تظنون اننا أصرفنا كم
الا بالخداع ودفعنا لكم الاموال الا حتى تصل الينا عساكر الملك
النعمان ونتبعكم الى أبعد مكان ولا نرجع عنكم حتى نجعلكم
نهبا للعقبان (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء هذه العساكر
من بلاد العراق واتباعها العنتر فى تلك الآفاق وذلك ان الربيع
ابن زياد كما ذكرنا قبل هذا الايراد انه أخذ أعمام الملك قيس
وحصن بن حذيفه ومضى الى النعمان يشكو له عنتر ويحدثه

بما فعل بهم من الامر المنكر وكيف هاونه دريد وقد أنزله عنده وقوّاه بعساكره وجنده الا انهم لما وصلوا الى الحيره ودخلوا على الملك الاسود وشرحوا له قصتهم فدخل بهم على أخيه النعمان وقبل البساط حصن وبكى وانتحب وصاح واحرباه يا ملك ما بلى أحد مثل ما بليت ولا لاقا مثل ما لاقيت لان أبى قتل وأعمامى قتلوا وذبحوا مثل ما تذبح الاغنام وربيت أنا يتيم مثل ما تربا الايتام ولما كبرت قدمت بمالى من المال وقلت أقضى عمرى وأصبر على جور الزمان فسلط الله على عنتر بن شدّاد يغزونى كل يوم فى الاوطان ويقتل كل من تقع عينه عليه من الاهل والاخوان ويسبى البنات والنسوان ويسوق كلما يرى من الاموال ولا يسمع مقال ولا يخطر له الموت على بال

تم الجزء الثالث عشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى عبس عنتر بن شدّاد فى أواخر شهر ذى القعدة سنة ثلاث وثمانين ومائتين بعد الالف

الجزء الرابع عشر من قصة فارس الطراد
من زلزل جميع الاوهاد وأذل
من فى الحصون والاوتاد وحير
العقول وفتت الاكباد
وأذل كل بطل من
الاعاد أبو
الفوارس
عنتر بن
شداد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قال الراوى) ثم انه حدثه بما تم عليه وسأله المعونه فرق له قلب النعمان وبدل خوفه بأمان وأمره بالجلوس وأخذ الربيع الى جانبه وأكرمه وقال يا ربيع لم لا تتهو هذا العبد اللعين عن هذا الرجل المسكين لان الخبر قد وصل الى انكم رحلتم الى أرضكم وحصن وهب لكم دم أبيه وأعمامه ورد كم الى جواركم ولما انكسرت عساكر الشام ورجعتم الى ما كنتم عليه ورضينا لكم وقر قراركم عدتم تفكرتم الاحقاد فما الذى فعلتم فى حق عنتر بن شداد حتى تغيرمعكم عن الوداد فقال الربيع قاتل الله من ذكرت وقتله والى المهالك أرسله لانه ما بقى لاحد عنده قدر ولا قيمه وحرض النعمان على هلاكه ثم انه حدثه بحديث مالك بن قادم والجاريه نوار وزاد

عليه أضعافه وهو لا يخشى الله ولا يخافه ثم قال أيها الملك وما أتيت أنا وهؤلاء القوم السادات وقصدناكم الا خوفا على أنفسنا وعليك لانه مع تجبره التجأ الى عند من هو أجهل منه وهو دريد الذي تفرد بالعمر الطويل واستطال على كل جيل ونحن ذللنا لهم وصرنا نداريهم وأرسل عنتر يقول لنا وحق ذمة العرب ان لم تأتوا الى سيدي دريد وتخدموه وتبالغوا في خدمته وتدخلون في طاعته وتحلفون له انكم تكونوا معه لا عليه لاني في هذا العام اريد أجعله ملك العرب ونائب كسرى في مكان صهركم النعمان وان أبا كسرى زلزلت على رأسه الايوان وهدمت بيوت النيران وأشتت الاعجام الى أقصى خراسان وأترك مولاي دريد ملك العرب والارض في طولها والعرض لانه ينسب الى هذا الحال لما فيه من العقل والكمال قال وطرز الربيع على هذا الكلام وانا أيها الملك لما سمعنا هذا المقال ما قدرنا نكافئه على هذه الفعال من كثرة ما حوله من القبائل والرجال ومن شدة خوف قيس على نفسه وعليك أنفذني اليك ونحن فزعانين على حريمنا والعيال ولا أدري ما تم بعدي من ذلك العبد الزنيم والوغد اللئيم (قال الراوي) فلما سمع الملك النعمان هذا المقال تزعزع من على سريره ومال وانطلى عليه ما قال الربيع من المحال ثم قال وذمة العرب الاخيار ما كنت أظن ذلك الا من جهل صهره ذو الخمار وأنا كنت أصد عنه لاجل بعد الديار وأحسب ان دريدا يرد عقله ان طلب شيئا ما هو أهله وبعد هذا فقد استحكم الامر وما بقي يأخذني عنه صبر لاني أعلم ان عنتر يقوي قلب ذو الخمار ويفتح علينا باب نتعب فيه لاسيما وعنده اليوم فرسان أوقاح تلتقي بصدورها عوامل الرماح مثل عنتر وذو الخمار

ومقرى الوحش وعروة ودنار وخفاف والعباس ومثل هؤلاء الفرسان العوابس ومافيهم الا من يلتقى الالفين فارس ثم انه بعد ذلك التفت الى من كان عنده من أهل دولته وشاورهم فى أمره وقصته فقالوا أيها الملك المملكة لها شروط محكمه ويجب على الملك أن يتركها مقدمه وهو أن يضع السيف فيمن بغى واقامة الهيبة على من طغى و يأتوا بالكل مكتفين مقيدين بعدما ينزلون بهم البدع ويدمرون الخوارج وأهل الطمع ويتركون أرضهم خراب بلقع وتتأدب بهم فرسان العرب وتقع الهيبة فى سكان البرارى والقيعان (قال الراوى) فلما سمع النعمان ذلك الخطاب عرف انه صواب فأكرم الربيع ومن معه ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع جمع العساكر وفرسان العشائر فكانوا مائة مقدم من كل أمير وشجاع وقد سمى بالفروسية فى سائر البقاع وكل واحد منهم يحكم على طائفة من الفرسان وقدم عليهم اخوته عمرو بن هند والاسود وأمرهم بالمسير فى ذلك البر والفدفد وقال لهم اجعلوا قصدكم الى ذلك العبد الاسود فأجابوه بالسمع والطاعه هذا وقد امتلأ قلب الربيع فرحا بكثرة تلك العساكر والاجناد وأمل انه يبلغ بهم المراد وصار يحث العساكر على قطع القفار ويجدوا المسير ليلا ونهارا وأى قبيلة عبروا عليها قد أدخلوها تحت الطاعه ويأخذوا منها جماعه ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى بنى عبس وهم فى ثمانين ألف فارس من كل مدرع ولابس وكان نزولهم للقضا والحين كان بعد رحيل عنتر بيومين وصلوا فاستقبلهم الملك قيس وسنان وفرحوا بمن معهم من الفرسان ثم أنزلوهم فى أعز مكان ونحروا لهم النوق والفصلان وامتلأت أرض الشربه بالجيوش والفرسان وضجت الاقطار من

صهيل الجنائب واعتمت المشارق والمغارب ولما نزلوا وحضر الطعام
فحدث قيس الربيع بما جرى لهم مع عنتر وماذا فعلوا معه من المحال
فلما سمع الاسود ذلك الكلام فقال لهم و فى كم أتوا هؤلاء الانذال
فقال قيس فى عشرة آلاف ولو كنا علمنا انكم تدركونا هكذا
سريع كنا طاولناهم بالقتال حتى تلحقونا بهؤلاء الابطال فقال
الاسود اذا كان الامر هكذا فنحن نلحقهم فى الطريق ونعدمهم
السعاده والتوفيق لان سيرهم على سير الجمال والحريم ونحن تحتنا
خيول جياد نبلغ منهم جميع المراد ثم انه أعلم القبائل الذين معه
بهذا السبب فأخذهم الفرح والطرب الى ان كان عند الصباح
أخذ الربيع بن زياد جماعه من بنى فزاره وفرقة من بنى شيبان نحو
عشرين ألف عنان وقال للملك الاسود أنا أسير بهذا الجيش من
مواضع أعرفها واستقبل العدى وأمسك عليهم المقدمه حتى
لا يهرب منهم نسمة واحده فقال الاسود افعل ما تريد وخذ أنت
وأصحابك فى الميدان ثم ان الاسود سير أخاه عمرو بن هند فى عشرين
ألف فارس على الميسره وقيس بن زهير فى عزبة وسيره فى عشرين
الف مضافة على الميمنة وسار هو خلفهم فى باقى الجيش وخلف على
الحريم بعض اخوة قيس وجدوا المسير حتى لحقوا دريدا وعنتر
وحققت الحقائق وطبقوا عليهم من جميع الجوانب وخفقت
البيارق هذا والاسود أرسل الى دريد قبل الحرب رسول وهو يقول
اعلم يا دريد انى نائب الملك العادل النافذ الامر فى جميع القبائل
أنفذنى اليك الى هذه البلاد بهذه الجيوش والاجناد حتى أصلح
ما فيها من الفساد وأرى لهؤلاء القوم عبدهم عنتر بن شداد وأرده
الى طاعتهم ان أبى وأن أراد وآمرك أنت بالمسير اليه والوقوف بين

يديه وتطأ بساطه ويسألك عن شيء سمعه عنك من أقوامه
وأكثر ظني انه من الحساد وأنا حمدت رب السماء كيف لحقتك
في الطريق وتسهل الامر من غير تعويق فان كنت سامع مطيع
لله وللدولة الكسروية والآمرية النعمانية فانفذ أموالك وحريمك
مع طائفة من أصحابك واحضر ملك العرب حتى ترحم نفسك
واعترف بالعصيان والاصرت نهباً للعقبان وهذا ما عندي والسلام
(قال الراوي) فلما وصل الرسول الى دريد بهذه الرسالة وسمع
هذه المقالة أحضر عنتر وأخبره بهذا الخبر فاحترقت أحشاه واحمرت
عيناه حتى بقيت مثل الجمر الاحمر وقال للرسول وحق من أطلع
الشمس والقمر وأمر السحاب فانهدر وأروى به الارض والحجر لولا
انك رسول لجعلتك منهم أول مقتول ارجع يا ويلك الى الاسود
واعلمه وقل له يقول لك عنتر بن شداد لا تغتر بهذه الجموع فلا بد
ما أتركها فرقاً متفرقة طعاماً للوحوش وأجسادها ممزقه وانه أذل
وأحقر أن يسير اليه دريد شيخ العرب أو يقدم عليه أو يقف بين
يديه لانه أشرف منه قدراً وأنفذ في العرب حكماً وأمراً وفي هذا
العام يصير نائب كسرى وأفتح له الارض براً وبحراً وأما قوله يصلحني
على بني عبس فهذا شيء لا يكون أبداً وما دام شكوني الى صهرهم
النعمان وطلبوا هلاكي بجمعة العربان فسوف أجازيهم بما فعلوا
وقد ندمت كيف عدت وما أثرت في بني فزارة أثر فلو كنت عملت
بتدبير قيس وما صنع ما كنت رجعت حتى تركت ديارهم بلاقع
ولكن هذا ما يفوته بل اذا فرقت هذه الجيوش رجعت اليه
وجازيته وأبصر ان كان ينفعه النعمان أو غيره ثم ضرب أكتاف
الرسول بالسوط وصاح فيه صيحة أزعجه وقال له ارجع خائب مما

جئت له طالب فرجع الرسول الى الاسود وهو لا يعقل على نفسه واعلمه بما قال عنتر فعظم مصابه وغاب عن صوابه وكان الليل قد اقترب فاقام ينتظر رحيل الظلام لانه وجد كلام عنتر اشد من ضرب الحسام وهو يقول للرسول وما تكلم دريد بكلام فقال لا وحياتك يا مولاى ومن عظم ما جرى عليه ما نام ولا ذاق طعام حتى اصبح الصباح وامر الطوائف بأخذ الاهبة للحرب والكفاح وكان عنتر ودريد باتا يحرسان الحريم ويتشاوران للقاء هذا الغريم والجيش العظيم حتى بانت غرة الصباح فصاح دريد فى بنى هوازن فتبادرت الى ظهور الخيل أسرع من نزول السيل وكان قسم تسعة آلاف على ثلاث جهات وأما عنتر فانه حلف ما يبقى من بنى فزاره أحدا ولا يحمل على هذا الجمع الا فى فارس ومقرى الوحش (قال الراوى وهو الاصمعى) ولقد كنت معهم حاضرا فى هذه الوقعة لما حملت الخيل على بعضها فى هذه البقعة فرأيت الاقطار وهى ترتج والرجال حملت من كل فج وما منهم الامن زعق وضج وما بقى للعيان همه بها يحتج بل امتدت الرماح امتداد الافاع وزاد الغبار علوا وارتفاع ولا بقى فى الممات اندفاع ولا لحبل المنايا انقطاع وفر الجبان من الشجاع وتفرقت الارواح بعد الاجتماع ودام الحرب والقراع حتى تزلزلت البقاع وضاق الامر بعد الاتساع وهمهمت السباع وكان نظرهم يغنى عن السماع وقد تقسمت الاجساد اثلاثا وارباعا وبقى بينهم وبين الموت باع أو ذراع وما رأيت ولا سمعت بأعجب مما جرى للقوم فى ذلك اليوم ولقد حضرت وقعات كثيرة من وقعات عنتر فما رأيت مثل هذه الوقعة التى تذكر لان الطائفة القليلة كانت أبطال أقيال لا يرون على أنفسهم الفرار فأظهرت فى ذلك

اليوم العجائب والطائفة الكثيرة كانت تدفق من كل جانب
ومقدم وهم يرمون أرواحهم على المصايب وعنتر ودريد ومقرى
الوحش يصارعون المنايا مثل السلاهب بقلوب قد تعودت بخوض
الاهوال والمصايب وأصبح الطفل من هول ذلك اليوم شايب الاان
المساء ما أمسى الا وما فيهم من يعرف الدهر أحسن اليه أم أسا
وقد رأوا أكثر الاعدا قد ملكت أكثر المال والنسا وهم ما بين
لعل وعسى وعنتر قد فتك في بني فزاره وأعاد ربحهم الى خساره
ولكن ما عاد الا وهو مثخن بالجراح ولكن أشفى فؤاده وقتل ألف
ومائة قتيل وعاد وهو في حالة العدم مما جرى عليه من تلك الخلائق
والامم ورجعت الفرسان وقد تحطمت رماحها وعدمت صلاحها
فكان القوم كما قال في حقهم الشاعر هذه الابيات

لقينا صدور الخيل والجو أسود * وبرق المنايا في الجوانب لامع
فما بيننا سيد في يمينه * سيف الا قطعت منه الاصابع

(قال الراوى) وكان دريد قد جرح في ثلاثة مواضع الا انه فعل فعال
الابطال والرجال وهذا شيء ما رأته النواظر ولا سمعه السامع وأما
مقرى الوحش فانه كان من نصف النهار قتل جواده وقاتل عنه
عنتر حتى ركبه جواد من خيول المعمعه ولكنه ما ركب حتى
سالت دماه من جسده وعدم صبره وجلده ونثر من حوله الفرسان
وأهلك منهم نحو مائة فارس من الاقران ولم يزالوا حتى ولى النهار
وأقبل الظلام فافترقوا عن القتال والصدام هذا وقد نزلت بنو
عبس وهوازن من حول الحريم وهم في هم عظيم وشد كل واحد
جراحه واجتمعوا للمشورة والمقال في أمر الحرب والقتال فقال دريد
يا قوم لو قاتلنا من جهة واحدة ما كانت جرت علينا هذه الاهوال

105

الزائدة فقال عنتر يا أبا المظفر اذا كان الامر على مثل ذلك الحال فعند ذلك نترك العيال وسط النوق والجمال ونأمر العبيد بسوق الجمال السوق الشديد ونحمل على الجميع ونجتهد ونطلب التل الذى عليه الملك الاسود ونجعل قتالنا من جهة واحدة ونطلب من الله المعونة والمساعدة وان رأينا أمراً تعسر علينا والاعداء قصدونا سقنا الجمال بالاسنة وميلناها كل الميل وصدمنا بها صدور الخيل فهى تفرقها عنا فى البيدا فقال مقرى الوحش هذا هو الصواب ثم اتفق أمرهم على ذلك الحال وباتوا يحرسون أنفسهم وهم على ظهور الجنائب والصياح يأخذهم من كل جانب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك الاسود ما أمسى عليه المسا الا وهو ضيق الصدر من هذا العمل وما يدرى كيف يكون العمل فذكرت له فرسان قبيلته بأنه قد قتل منهم ستة آلاف (قال الراوى) فبينما هم فى ذلك الكلام وحصن بن حذيفة داخل عليهم فى سادات قومه وهو زائد الوساوس وذكر انه قتل منهم أربعة آلاف وسبعمائة فارس فزاد بالاسود البلبال وباتوا وهم يشتكوا الى قيس من هذه الافعال والاسود يقول ما بقى يدوم لاخى النعمان ملك ولا حكم ان لم يقتل عنتر ودريد لاننا جاهرناهم بالعداوة وما شفينا منهم قلب ولا بقى للصلح معهم وجه ومثل هذه النوبة ما بقى يتفق لنا لانهم فى قلة ونحن قد درنا بهم من كل جانب ومكان فقال قيس لا يصعب عليك أيها الملك هذا الشان لان القوم ما بات فيهم من يقدر يشيل يده الا وهو من الحرب تعبان لا سيما هذا الشيطان عنتر الذى هو أسد قسور لانى اليوم جعلت بالى معه فى قتال العرب فرأيت منه العجب وما عاد عند المسا الا والدما من سائر جسده

تسكب وتجرى مثل أفواه القرب والصواب اننا كلنا عند الخروج اليه من تحت الاعلام وتكون أنت بيننا وهذه القبائل معنا وقد بلغنا المراد ونفترسهم مثل الاسود فعند ذلك قال الملك الاسود لقيس ايش تقول فى كبسهم عند الصباح ماداموا تعابى وهم فى هم الجراح فقال قيس ماهذا صواب لان الفرسان الذين نحن لهم طالبين اذا رأوا الغلبة ولوا هاربين ويدعوا السيف يعمل فى القبائل ونخسر نحن وهذه الجحافل فقال الاسود أنا عند الصباح أحمل بروحى الى المجال وأباشر الحرب والقتال ثم انهم باتوا ينتظرون الصباح الى نصف الليل فسمع عنتر ودريد حوافر خيل والقبائل تفرقت والكتائب تمزقت وسارت كلها من جهة واحدة ولم يعلم دريد وعنتر ما الخبر بل قال عنتر وحق ذمة العرب ما رجعوا عنا الا لسبب اما خبر مشوم قد وصل اليهم أو نازلة نزلت عليهم ولولا هذا الظعن والحريم كنا تبعناهم وعلى فعالهم كافيناهم فقال دريد ما نريد نكافيهم دعهم يمضون الى حيث لا يرجعون لانهم كانوا طمعوا فى نهب أموالنا وسبى عيالنا وظفرهم بنا فى البر الواسع والقفر الشاسع الذى ما لاحد منا مكان يلتجىء اليه ولا خيل تجول فيه والصواب اننا نسير الى الاوطان ونذبر بعد ذلك أمرنا ونجازى الملك النعمان على هذا الامر والشان فقال الامير شداد والله يا أبا النظر لقد قلت الصواب وأشرت بالامر الذى لا يعاب لان أكثرنا جرحا بأسوء حال ومعنا من يشغل قلوبنا ولايمكننا من القتال ثم انهم ساروا طالبين ديار هوازن وقلوبهم على الحريم وهم يتحدثون فى رجوع هذه العساكر بعدما كانوا ظافرين (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الحادثة سنان بن أبى حارثة لانه اذ كرنا انه أرسل

أبى

الى دمشق يعلم الحارث الوهاب بما ذكرنا من الكلام وهو يحثه على غزو بنى عبس وعنتر بن شداد لان الحارث لما وصلت اليه المنهزمين من تعابيش النياق فحلف الحارث بمريم والانجيل لابد ما يسير اليهم بعساكر الشام ويترك نساهم أرامل والاولاد أيتام ويرسل بعض العساكر الى البيت الحرام وبعد ذلك أخذ فى جمع الفرسان من كل جانب ومكان وأقبلت اليه أهل السواحل وبلاد حوران وأنفذ الهدايا الى رهبان نجران وهو يطلب منهم الدعا فى دياجى الظلام وأراد بذلك أن يقيم جاهه ويعظم شانه عند صاحبه ملك النصرانيه فوصل رسول سنان وهو يعرض عساكره فى أرض الاعناك فكانت مائتين وسبعين ألف عنان وفيهم طائفة جاءت من داخل الجزاير ولاجل الاقامة فى الشام وزيارة بيت المقدس وعين سلوان فلما قدم رسول سنان سأله عن مولاه فقال له فى انتظارك لان أعداك وقع بينهم الخلف وسيدى عوّل بعد فناهم على الاقامة عندكم لانك اذا أخذت ثارك وكشفت عارك وأهلكت عنتر وبنى عبس ومن يلوذ بهم من خلفائهم رحلت معك فلما سمع الحارث هذا الكلام طاب قلبه لهذا النظام ثم انه رحل من ساعته طالب أرض الحجاز وديار عدنان ثم وصل اليها بعد رحيل قيس وعساكر النعمان بيوم واحد فأمر الحارث بالقبض على الجميع ووكل على الحريم وعلى الاموال جماعة من فرسانه الابطال ونظر بنو عبس الى تلك العساكر فأيقنوا بالتلاف ولم يقدروا على الخلاف والدنيا قد انقلبت من لمعان البيارق والصياح الذى عم على المشارق والمغارب هذا وقد نزلت الفرسان من بنى غسان وملؤا البرارى والقيعان (قال الراوى) ولقد أخبرت انهما

من أرض بنى عامر الى أرض بنى فزاره الى وادى اليعموريه الى وادى الغزلان حتى ضاق بهم المكان والحارث نزل على رأس العلم السعدى وضربت لهم السرادقات والخيم وكان مقدم على غسان فارس يقال له دبق بن حسان وكان شيطان فى صورة انسان فلما استقر بالحارث النزول ودارت أبطاله من حواليه فادعى بمقدم جيشه دابق وقال له اسأل الاسارى من أهل هذه الديار أين القوم ساروا حتى نلحقهم ولو طاروا ونرسل أيضا الى بنى غطفان ونأتى بالجميع فى الذل والهوان ونفرق العساكر على جميع الطرق والمذاهب حتى لا ينجو منهم هارب ولا تفوتنا المطالب فأجاب دابق وفرق الفرسان على جميع الطرقات والقيعان وسأل من الفرسان فقالوا له انهم ساروا خلف عنتر مع عساكر النعمان فرجع دابق وأخبر الملك بذلك الشان وقال له كل هذا بسعادتك يا ملك الزمان ولكن الصواب أن ترتاح حتى تأتينا أخبار عنتر وعساكر النعمان ومن يخمر أو يربع فى هذه القيعان فنركب نحن سريع ونهلك الجميع لان الكل أعداك وكل من هلك منهم ارتحنا منه فقال ما أشرت الا بالصواب فأرسل الى بنى غطفان من يسوقهم الى عندى لانهم شركا بنى عبس فى دم أصحابنا ثم أرسل جاسوسا خلف عسكر النعمان وسيروا الى بنى غطفان فى عشرة آلاف فارس مع مقدم يقال له مبادر بن غياث هذا وقد طرقت أرض الشربة طوارق الحدثان وبكت عليها الاوطان وهرب وحشها والغزلان وكان انفلت من بنى عبس فارس يقال له سلامه بن ناجى فوصل الى بنى عبس وأخبرهم بما جرى عليهم فتفرقوا من حول عنتر وأما قيس فانه غاب عن الوجود وقال هذا من سعادة عنتر لاننا كلما نعاديه ننضر وأما سنان فرح واستبشر

وطمع على قلبه السرور والفرح واجتمع بحصن وأعلمه بجميع الامور وقال له ابشر بأخذ الثار وكشف العار لانى ما كتبت هذه العساكر الا حتى أقطع آثار بنى عبس وأشتفى من عنتر الكشحان فاعلم بنى فزاره بالخبر حتى ندور حول قيس والملك الاسود ومن معهم من أكابر العربان ونزعق عيسى ومريم والصليب المعظم ونقتل صاحب العلم وننزل ببنى عبس النقم ونخلص حريمنا والصبيان ونذكر بهذه الفعله الى آخر الزمان فقال حصن وكيف يبقى لنا مقام اذا رجعت الى بلادها عساكر الشام فقال سنان وما الذى يبقى لنا هاهنا بعد أخذ ثارنا وكشف عارنا نعود مع الملك الحارث الى بلاد الشام ونقيم هناك فى أعز مقام فقال حصن ان تم هذا فقد انطفت نارى لاسيما ان نظرت عينى عنتر وقد نهبت جسده الرماح المداد ثم دار الحديث بين الجميع وتذكروا الاحقاد القديمه وساروا مع الملك الاسود وكل هذا بما فى قلوبهم من بغضة عنتر وما أعطى من السعادة والاقبال ثم جدوا المسير حتى بقى بينهم وبين أرض الشربة يوم واحد فقال قيس للطوائف خذوا أهبتكم للطعن والضرب وابشروا بالنصر على عساكر الشام لانهم لو كان لهم قوة كانوا لحقونا وساروا على آثارنا وما أنا خائف الامن عودتهم الى ديارهم بالسبايا والاموال ثم انهم أصبحوا معولين على الرحيل واذاهم بعساكر الشام طلعت عليهم وطلع الغبار واسودت الاقطار كانما نزل عليهم غمام وزاد الصياح من كل الجهات وارتجت الارض من ركض الصافنات ولمعت الصوارم والخطيات واختلفت الاصوات على حسب اللغات لان الجاسوس عاد وأخبر الحارث بما جرى وانهم عادوا على أعقابهم فتجهزت لهم المواكب وساروا اليهم حتى وقعت

العيز على العين وانعقد الغبار من المشرقين الى المغربين فظنوا ان
القيامة قد قامت على الفريقين وفى دون ساعة انفردت عساكر
الشام وملأت الاودية والآكام وبان لهم وجه الطمع فحملت
وبادرت وهموا كما اقبلت وأطلقت أعنة الخيل وأرسلت والتقتها
طوائف النعمان وأوقعوا بهم الذل والهوان وطلبت بنوعبس
خلاص الحريم والنسوان فحكمت بينهم عوامل الاشطان
واختلفت الطائفتان وودعت الارواح الابدان وضاق على الجبار
الميدان وفاض الدم كالغدران وتعثرت الخيل بالجماجم وجاء الحق
وذهب البهتان وخرس اللسان من شدة الهول ولاح ملك الموت
فى صورة كل انسان وهان على الرجال فقد النسوان وعاد بحرهم الى
خسران وعمل السنان فى المحاجر والعينان وحامت عليهم كواسر
العقبان واشتهر الامر وبان ووقع الفنا فى العربان وتكلم السيف اليمان
من ضرب الميدان وثبتت الشجعان وفر الجبان وهزت بنوفزاره
اعلامها وطمن حصن أخو قيس قتله ورفع صوته بعيسى ومريم
والصليب المعظم وسمعت بنوفزاره فأجابته من سائر الجهات
وبلغت مناها على ما كان بينهم من الاشارات وطعنوا بنى عبس
فى صدورهم والشجعان فى نحورهم وتحيرت بنوعبس فى أمورهم
لما وقع بها محذورها وزاد ضرها وضيرها واستوحش الرفيق من
الرفيق وتأخروا من الحملات وسمع ملك الشام أصوات بنى فزاره
فقال لمن حوله وحق المسيح لقد صدقت هذه القبيلة فى وعدها
فاحملوا وعينوها وامنعوا عن أذيتها فرساننا ومن قدر منكم على
أسير يجيبه الى عندى حتى أسوقه الى بلاد الشام وآخذ بهم اليد
البيضه عند الملك قيصر وأقوى عزمه على غزو هؤلاء الانذال فى كل

عام ولا أزال حتى أقلع أثر النعمان وأيضا كسرى صاحب الايوان وأملك العراق وأترك النواقيس تدق فى بيوت النيران فى سائر الآفاق فبادروا الامر وخذوا اخوة النعمان (قال الراوى) فتبادرت بنو غسان وكشفت عن بنى فزاره فرسان بنى غسان ووقع فى عساكر العراق الاندفاق وزعق عليهم الغراب بالفراق وكان يوما يؤرخ فى الاوراق وتعجز عنه ألسنة الحذاق لان الارواح انباعت بلا ثمن وبقيت الاجساد مطروحة على الدمن وما أمسى المسا حتى قتل من أعمام قيس ثلاثه ومن اخوته اثنان ومن بنى فزاره ثلاثه وكانت نوبة عظيمه صار فيها العزيز ذليل وكان قيس وأخوه الحارث يرد الفرسان الى الحرب والطعان وما فيهم من صدق أن ينجى من الشر حتى انه طلب البر وباتت القتلى فى جنبات الفلا وبنو غسان تجمع أموالهم حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فأعرضت على الحارث الاسارى وقدمت الاموال بين يديه فقال لهم الاموال لكم فالى غرض فيها وأما الاسارى أهرق دماهم فقال الوزير وكان اسمه جبير وكان عاقل ارفق أيها الملك على أسراك وافعل فعالا يزيد بها مجدك وعلاك لانك سيرت الى بلاد الحجاز عسكر ثقيل سابق فما عاد اليك منهم أحد وقتل ولدك بدر النصرانيه وكل هذا قد حط قدرك عند أهل الشام والصواب أن ترسل هذا السبى مع عشرة آلاف فارس الى الشام وتأمر الذى يسيرهم يتركهم فى البلاد حتى تأمن قلوب العوام ويعلمون ان لهم ملك قادر على ما يريده من مراد لاسيما اذا رجعت بعنتر ومفرى الوحش وبنى عامر وتلحق الملك قيصر بأهل هذه البلاد لاننى أقول انه اذا نظر الى هذا السبى والاسارى يقويك بعساكر الروم ويوهبك هذه المعالم

والرسوم وتصير الارض كلها الى بني غسان وتعلو ملة المسيح في كل مكان وان كسرت النعمان وفتحت بلاد كسرى وخربت بيوت النيران تبقى تذكر في هذه الفعلة مابقي الزمان وترضى عنك القسوس والرهبان وتحمل الجزيه عباد النيران الى عبدة الصلبان فلما سمع الحارث هذا الكلام زاد به الطمع وقال له ياحكيم دبر أنت هذا الامر ثم أحضر سنان وسادات بني فزاره وأخلع عليهم ثياب الديباج وأعطاهم العمائم وردّ عليهم حريمهم والعيال وقال لهم اعلموا انكم مافعلتم هذه الفعال وبقي لكم في هذه الديار قرار والصواب انكم تسيرون مع اهلكم من يومهم الى بلاد الشام حتى اذا رجعنا من هذه الاوطان أوقفت لكم أرض حوران فقال سنان هذا مرادنا لانا بلغنا من بني عبس غاية المراد واذا وقع عنتر في أيدينا انطفت منا نار الفؤاد فقال لهم ابشروا بما تشتهون وأنا أبلغكم جميع ماتريدون ولابد لنا مانبلغ الراحة ونجد في هذا الامر واذا وصلنا الى منازل دريد قلعنا أثر كل من فيها من بني هوازن وجشم ووضعنا كل وضيع القدر ومحتشم ودبرنا على أسر عنتر وسقناه مع جملة الاسارى فقال سنان اعلم أيها الملك اننا صرنا كواحد منكم ويجب على أن أنصحكم والرأى عندى أن نجعل طريقنا على بني عامر ونبادرها قبل أن يصل اليهم خبر هذه العساكر فاذا نحن قتلنا فرسانها وسبينا نسوانها فنبقى نطلب عنتر ونبلغ منه المراد والا ان تركنا هذه القبيلة خلفنا خسرنا وتعبنا لان عامر وملاعب الاسنه يشدّون مع عنتر ودريد لان بينهما وبين القوم نسب وان لم نبادرهم قبل اجتماعهم والا طال مطالنا وكثر صداعنا فلما سمع الحارث ذلك الخطاب رآه صواب وقال لسنان افعل

ما تختاره فأنت أخبر بهؤلاء الاشرار ونحن اذا عادت سرايانا من بنى غطفان سرنا الى بنى عامر ووضعنا فيهم السيف ثم انهم نزلوا فى الخيام يطلبون الراحه واذاهم بسبى بنى غطفان وضجيجهم أقلب القيعان لانهم كانوا غافلين عن نوائب الزمان فأحاطت بهم جنود بنى غسان ووضعوا السيف فى الفرسان وسبوا الاولاد والنسوان وساقوهم عن آخرهم حتى وصلوا بهم الى قدام الحارث ففرح بهذه الامور وزاد به السرور فقال له وزيره جبير اخلط هؤلاء الانذال على هؤلاء وسيرهم عند الصباح الى الشام بحريمهم وأموالهم وأوصى الذى يسيرهم بسوقهم وكل من وقف منهم يضرب رقبته فقال له الحارث افعل ما تريد ثم انه جمع السبى على بعضه البعض وسار بهم يقطع الارض وكان بكا النسوان قد ملأ القيعان الى ان أصبح الصباح وعول الوزيران يسيرهم واذا بخمسة نجابه قد أقبلوا من ناحية بلاد الشام وقد تهم نجب قد اشرفت على الهلاك من شدة السير وفى دون ساعة حضر وا قدام الحارث وكان معهم كتب فسلموها اليه واذاهم من عند قيصر ملك الروم يقول فيها للحارث الذى نعلم به المقدم المجاهد فى طاعة المسيح انى بعد ما اذنت لك بالمسير الى بلاد الحجاز وصلت الى عندى مراكب بعدد النجوم والكواكب وفيها طوائف مختلفة الاجناس كلهم من غزاة الافرنج وهم يزيدون عن مائتين الف من الفرسان كلها أقيال تلتقى بأسنتها صدور المنايا ولا تبالى بالآجال ولهما مقدم يقال له الخيلجان تفزع منه الانس والجان وهو الذى فتح جزائر البحار وخرج يطلب نصرة عباد الصلبان ويهدم بيوت النيران وأريد منك ان أخذت ثارك تسير الى أرض الكوفه بعساكر غسان وتكفينا مؤنة النعمان وقد تيسر الامر وهان فلما

سمع الحارث ذلك الكلام فرح واتسع صدره وانشرح وقال للصحابه ومن این فارقتم الملك الرجيم قالوا العمى الغداه فقال الحارث هكذا نريد حتى نملك الدنيا اقربت وبعيد ثم انه خلع على الصحابه وقال لوزيره تمهل حتى تأتى سبايا بنى عامر ونسير كل السبي فى مرة واحدة ونسير الى نصرة قيصر بهذا الفتح الاكبر ثم انه سار فى خمسين ألف فارس غير الطائفة المعدوده من الروم والافرنج وكان بين الارض التى رحلوا منها وبين أرض بنى عامر سبعة أيام فقطعها الحارث فى خمسة أيام وأراد بذلك أن لا تسبق أخباره فوصل اليهم فى سادس يوم وضيق عليهم الآفاق وهم ما حققوا معرفة من أتاهم حين سمعوا المنادى بالهلاك والبلا قد جاءهم فحار شيخهم وفتاهم وضجت بالويل نساهم وغيبهم الغبار حتى لم يعرفوا صباحهم من مساهم وأيقن بالسبي عبيدهم واماهم وركب ملاعب الاسنه وابن خالته عامر بن الطفيل وتواثبت الابطال الى ظهور الخيل وانعقد الصياح ولمعت أسنة الرماح وبرقت الصلبان وانتشرت أعلام بنى غسان ونادوا الثار الثار وأيقن بنو عامر بالدمار وخراب الديار وصدمت الرجال ولمعت بروق النصال وقصرت الاعمار الطوال وجاء الحق وزهق المحال وقاتلت الافرنج أى قتال وأبصرت العرب منها الاهوال هذا وقد فرقت الجموع ونفذت الطعنات من الخواصر والضلوع وكانت بنو عامر وغنى وكلاب اثنى عشر ألف فارس فقتل منها الى المساء ثلاثة آلاف فارس وهرب الباقون الى جبال عالج وتعلقوا فيها وتركوا هناك الحريم والعيال والنخوة الابطال ونزلت عساكر الشام فى منازلهم والخيام وضيقوا عليهم المذاهب وداروا بهم من كل جانب وعند الصباح زحفوا عليهم

بالسيوف

بالسيوف والدرق فقاتلوهم حتى ازرقت منهما الحدق ولولا ملاعب الاسنه وعامر بن الطفيل ما كان أتى على الباقين الليل وما كان على بني عامر أشد من سنان بن أبي حارثه لأنه كان يعرفهم المواضع والطرقات والمقاطع ويدوربهم من كل جانب ويحرضهم على قتال الرجال وبنو عامر كلما نظرت الى هذه الاهوال وأبصرت هذه الفعال يحل بها الوبال هذا وقد أحموا أنفسهم فى تلك الشعاب خمسة أيام وفى اليوم السادس فرغ من عندهم الزاد فهانت عليهم الدنيا وكرهوا الحياة بعد سبي النسا والاولاد فانتخوا نخوة العرب وأرموا أنفسهم على العطب وما زالوا يقاتلون حتى أهلكوا جمعا كثيرا من الاعدا وهلك منهم بعضهم وبقوا مطرحين والباقون استوفوا ماقضى الله عليهم من القدم ونال بنو غسان منهم ما أملوا وأنفذوهم مع مقدم لهم يقال له دابق فى عشرة آلاف فارس بصحبته وقالوا له سيربهذا السبي الى الشام وها نحن فى هذا المكان حتى يصل السبي الى الاوطان فقال دابق بن حبان الى الشيخ سنان ولما نسير من هذا المكان الى عنتر بن شداد ونكون قد بلغنا المراد فقال الحارث لابد أن نسير له ونقطع منه الآثار فقال سنان أيها الملك لا تخرق هيبتك لان عنتر اليوم عند دريد نازل ودريد شيخ القبائل وأقل ما يكون اليوم حوله خمسين ألف فارس مقاتل ما بين فارس وراجل وان سرت اليه خسرت وعاد الامر عليك وكسرت لان دريد عنده أبطال تلقى كل من قنامك من الرجال وأنا أيها الملك قلبي فزعان من عنتر لا يكون وصل اليه الخبر ويعلم بمسير السبي فى البر فيسير خلفه على الاثر ويملكه بسيفه الابتر ولو يكون معه أمة ربيعه ومضر ويرجع يطلق علينا شياطين العربان الذين تعبنا

فى أخذهم وقاسينا منهم الهوان وربما سار بهم خلفنا فى الطلب وعاقنا عن كل سبب لانه ولد زنا ما يعمل معه الغضب ولا يشمت بقومه أوباش العرب والرأى عندى ان لا نبرح من هذا المكان حتى يبعد السبى من هذه الاوطان لان لنا فى ذلك فوائد كثيره وتكون طريقنا الى السلامه والخيره وذلك ان دريدا ما يرجع يفارق الاطلال ولا يبعد عن الحريم والعيال والثانى ان السبى الذى أرسلته الى البلاد يكون فى أمان والثالث ان النعمان اذا سار اليك وطلب خلاص اخوته من يدك تخليه حتى يبعد عن بلاده وينقطع عن عساكره واجناده وتدهمه أنت فى وسط القفار فتبلغ منه ما تريد وتختار فلما سمع الحارث من سنان هذا المقال قال له يا شيخ تقول اذا هجمنا على عنتر ودريد بهذه الجيوش ما نكسر همتهم فقال سنان أيها الملك ان هذا ليس بصواب لان دريدا فى جبال عاليه يقال لها جبال غزيه أقوى من القلاع المبنيه واذا حصل فيه ألف بطل وطلبهم كل من كان فى السهل والجبل لا يقدرون لهم على ضرر ولو أن معهم جميع البشر ويطول عليك المطال ويتحصنوا فى الجبال وربما وصل اليك النعمان ويعود امرك الى خسران وما عندى رأى أحسن من المقام فى هذا المكان ويكونوا الجواسيس يأتوك بالاخبار ومن سار منهم اليك وسبق ملت اليه وهشمته هشم الورق (قال الراوى) فلما سمع الحارث من سنان هذا الخطاب بان له الخطأ من الصواب وأمرهم أن يأخذوا أخبار النعمان هذا وقد تسامعت بفعاله قبائل تلك الارض والديار وهم مقيمون حتى تصح لهم لهم الاخبار وفى أيام قلائل وصلت اليهم الجواسيس وما منهم الا من انبهر من شدة السير وحدثوه بجميع الاخبار وأما العبيد الذين

أرسلهم خلف عنتر ودريد عادوا بلاخبر وقالوا والله أيها الملك لقد سرنا ليلا ونهارا حتى وصلنا الى الديار فما وجدنا فيها أحد لا أبيض ولا أسود غير برارى مقفره وفلوات موعره كأنما رميت أهلها بسهم الشتات وأخلا لها من الاحياء والاموات وكل هذا بهيبتك والسلطان لانهم سمعوا بالاخبار فرحلوا وخلوا الديار (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من جواسيس العراق أخبروه بما اجتمع من العربان وهم فى ستين ألف فارس من كل مدرع ولابس وسمعنا ان قبائل اليمن متتابعه مثل العيون النابعه ونقول انهم يشرفوا عليك بعد ثلاثة أيام فلما سمع الحارث ذلك الكلام التفت الى سنان وقال له ان تركت النعمان يتمهل فانه يفعل ما يفعل ثم انه من ساعته نادى فى عساكره بالرحيل وترك بنى فزاره فى المقدمه لاجل خبرتها بتلك البلاد (قال الراوى) فهذا ما كان منهم وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه كان مقيم فى ديار بنى هوازن وهو طيب العيش آمن وراق له الزمان وقد استراح من طوارق الحدثان ودريد فى النهار جليسه ومحبوبته عبله فى الليل ونيسه وهم يتذكرون ما جرى لهم مع بنى عبس وكيف لحقوهم فى عساكر النعمان ولا يعلمون كيف كان سبب عودتهم وبقى كل واحد مشتهى يعرف أصل ذلك ومازالوا على ذلك الحال فى افتكار حتى وصلت اليهم الاخبار من السفار وحدثوهم بخروج ملك الشام ووصوله الى تلك الاكام وما جرى على بنى عبس وغطفان وغدر بنى فزاره وذبيان وما خلفوهم من الاوطان وسبوا الاولاد والنسوان فلما سمعوا ذلك السبب تعجبوا غاية العجب وقالوا والله قد افتضحت بنو عبس بين العرب ولكن بغيها وتحماجها كان

لذلك سبب ثم أقاموا على ماهم عليه من أكل الطعام وشرب المدام الى يوم من الايام أتاهم الخبر بما تم على اخوة الملك النعمان وكيف غدرت بهم بنو فزاره وأوقعوا بهم الذل والخساره وقتلوا جماعة من سادات عبس وكان ذلك من طريق الغدر وأخذوا بثار بنى بدر وأسروا الاسود وقد أعلموهم بجميع ماجرى وتجدد فلما سمع عنتر ذلك الاخبار طار من عينيه الشرار وقال من مثل هذا كنت أخاف على بنى عبس وكنت أنهى قيس عن بنى فزاره الطائفه الغداره ومازالوا كذلك حتى قلعوا آثار بنى عبس وأخربوا ديارهم فقال دريد والله لقد صدقت ياأبا الفوارس فى مقالك فلامن الله البغى ماأسرع آفاته والصواب اننا نحذر من هذه الفوارس الذين كأنهما البحار الطوامس ونجعل علينا عيونا وارصادا فى كل شعب وواد واذا سمعنا انها قصدت الينا تركنا هذه الارض وخليناها ونزلنا فى جبال غزيه الشامخة العليه ونتحصن فى شعابها وقد آمنامن كثرة العساكر وحروبها ولابد مايسير لهم النعمان بعساكر العراق ويطلب خلاص اخوته وتعمل معه نخوته وهمته ثم ان دريدا أرسل جواسيسا الى ناحية أرض العراق وقال لعنتر أنا أعرف ان بنى فزاره ماتسكت عن مكرها ومازالوا مقيمين فى الانتظار لصحة الاخبار حتى وصلهم حديث بنى عبس وحديث بنى عامر وماجرى عليهم من الاحوال وسبى حريمهم والعيال وأخبرهم بكثرة أسرائهم وانهم أرسلوهم الى أرض الشام ومعهم رجال وأبطال والحارث ومن معه من فرسانه ساروا الى لقاء النعمان فى عساكر مايصفها لسان فلما سمع دريد وعنتر هذا الخبر تأسف عنتر وتحسر وخفق قلبه على بنى عامر كما يخفق جناح الطير الطائر وقال وحق ذمة العرب الكرام ان

قعدنا من عباد الصلبان يملكون البيت الحرام ويحرمون العرب
المسير اليه ويرمون الاصنام من عليه ويتغير ما نحن عليه من
الاحكام وربما يطلبوا منا الخراج والعداد ويستخدموا الرجال
والاولاد ثم ان دريد التفت الى عنتر يشاوره لانه رآه محروق القلب
والفؤاد على ما جرى لبني عبس من الهوان وكيف تبدلت أفراحهم
أحزان وهو يظهر الجلد فلما شاور دريدا في هذه الامور العظيمه فوجد
لكلامه راحه جميمه لان دريدا أشار الى عنتر بالمسير في ذلك البر
والهجير فقال له يا أبا النظر لقد نظرت موضع النظر والصواب مسيرنا
اليهم فان لنا في ذلك فوائد كثيره وهي تكون سبب النصرة عليهم
والخيره لاننا ان قدرنا على السبي الذى أرسلوه الى الشام قبضنا هم
وخلصناهم بالحسام ولو ان معهم كل من في الدنيا عرب وأعجام
وان وقعنا بالنعمان وهو مكسور مهان نصرناه على عبدة الصلبان
وعرّفناه قدره حتى يكفي عناشره وان وجدنا له مطمع في الاعدا
هجمنا عليهم وشتتناهم في البيدا وكل هذه الاشيا تحمدنا عليها
قبائل العربان وسكان البراري والقيعان فلما سمع دريد كلام عنتر
قال والله لقد أتيت بفضيلة يا أبا الفوارس ولكن قبل مسيرنا نحن
نحصن حريمنا والمال في هذه الشعاب والجبال ونترك عندهم من
نعتمد عليه من الرجال ونسير الى قضاء هذه الاشغال ثم اهتموا
في هذه الامور وحسبوا فرسان تلك القبائل الذين نازلين عندهم
في تلك الغدران والمناهل واذاهم أربعين ألف مقاتل فيهم مثل دثار
وخفاف ومن يجري مجراهم فقال دريد هؤلاء يكونوا هنا لحفظ
الحريم ويلتقوا الغريم حتى لا يكن في غيبتنا شيئا لم يكن لنا
في الحساب ثم ان دريدا أرسل الى القبائل وأعلم بذلك مقدمين

الجحافل وأمرهم بالرحيل والمسير الى جبال غزيه بجميع مالهم بالكليه ففعلوا ما أمرهم ورحلوا ونزلوا فى الجبال وآمن كل واحد على ماله من المال والعيال وبعد ذلك اجتمعوا الى دريد فأمرهم بأخذ الاهبه وانتخب منهم عشرة آلاف فارس من الاقيال وترك خمسة وعشر من ألف عند الحريم والعيال واوصى بهم أخاه خالدا وسار يقطع الفدافد وهم على جرائد الخيول الاصائل خفاف الظهور من الاثقال ومعهم المهارى والجمال تحمل الماء والزاد فى تلك الفلوات وعنتر ما صدق أن تقع عينه على عساكر الشام وكان هو ومقرى الوحش فى المقدمة وعنتر فى قلبه أقوى حراره وهو متفكر فى غدر بنى فزار وفعال قيس معه وكيف وقع فى الخساره وتفكر وداع عبله له وأشار ينشد ويقول

يا عبل أشجى فؤادى دمعك الجارى
يوم الوداع وقد حلت بنا الافكار

قلبى بكاك ولا تبكى على طلل * ولا على جارة كانت ولا جار
فالقوم قد وقعوا وابعدى بغدرهم * وهكذا الدهر يجزى كل غدار
بغواعلى وبعد البغى صرعة * تذل كل شجاع القرم جبار
خانوا فخانتهم الايام واحتكمت * فيهم أيادى الاعادى طبق مختار
يا قيس لولا الجاجى فيك ما ظفرت * بنو فزارة منك اليوم بالثار
خلا لها البر فاشتدت وقد غنمت * وقام يخطر منها كل خطار
لو كنت معكم ونار الحرب موقدة * سقيت كل العدا من موقد النار
بصارم فيه من ساداتهم أثر * وشاهد الخط لاح فى على القار
فكم لقيتهمو والخيل عابسة * كأنها شرر يخرج من النار
وعدت عنهم وقد فرقتهم سربا * بأبيض ماضى الحدين بتار

فلو

113

فلو تركت لحاجي ما تركت لهم * ذكراً ولا خبراً يسري به السار

(قال الراوي) ثم انهم جدوا في المسير وقطع القفار واذا قد ظهر من بين أيديهم غبار متقطع وغمام مرتفع فأنكروه وبحاروا ونحوه حتى انهم قاربوه واذا به انكشف عن فرسان مكشوفين الروس وبيارق سود وعليهم ثياب السواد وهم مثل الغربان فلما رآهم عنتر وقف ووقفت الرجال الذين كانوا معه وأنكروا ذلك فظنوا انهم من عساكر الشام فقد توافيهم فلما رآهم القوم المقبلين عرفوهم فرموا أرواحهم عليهم وهم ينادون عن صوت واحد واذلاه بعد عزاه وافقراه بعد الغنى يا حامية عبس مسنا الضر العظيم وغصبنا على المال والحريم وقتلت ساداتنا وانهتكت بناتنا وخربت أبياتنا وشمتت الاعداء بنا وصرنا مشتتين في الفلوات ونادمين على ما فات وقد أتيناك معتذرين وبذنوبنا مقرين ثم ان المقدم عليهم بكى وأن واشتكى وأشار الى عنتر يقول

طرقتنا طوارق الحدثان * ورمت شملنا بجور الشتات
وافتضحنا بين العباد وصرنا * مثلا سائراً قبيح الصفات
ولقينا فعالنا بك لما * غبت عنا يا ابن الكرام السرات
فالديار التي عهدت خراب * مقفرات الطلول والعرصات
يصرخ البوم في رباها ويغدو * سحراً في ربوعها الدارسات
لو رأيت الرجال منا أسارى * مع ملوك العراق والسادات
والعذارى المخدرات حيارى * والنساء والعبيد والاموات
لشجى قلبك العويل وأبكاك * لبكاء البنات في الخلوات
يا ابن شداد طال ما غبت عنا * بلغتنا شماتة الشامتات
وعلمنا بأن سيفك لما فقد * كان لنا حارساً من النائبات

وبنو بدر بادروفاو كانوا * أصل هذا المصاب والنكبات
غدروا بعد ما وفينا وخانوا * واستحلوا منا دما السادات
ذكروا وقعة المريقب لما * حاربونا ويوم جفر الهبات
تبعوا جدهم حذيفة في الغدر وآباءهم مع الامهات
فأغثنا ياحامية عبس واصفح * عن ذنوب مضت لنا سالفات
يارجانا وعزنا وحمانا * يوم ضرب الصوارم المرهفات

(قال الراوي) فدعنتر عينه الى الذي أنشد القصيده واذا به قيس بن الملك زهير والذي معه سادات عبس وعدنان فلما عرفه عنتر ترجل اليه واعتنقه وترجلت جميع الرجال وبكى الجميع ثم تقدم بعده أخوه الحارث وقال لعنتر يا ابن العم ان كنت ماتقبل منا كلامنا سل حسامك واضرب به رقابنا حتى تشفي فؤادك لانه مابقي لنا في الارض متسع ولا الى السماء مطلع وليس لنا من نعول عليه ولا ملكا نلتجيء اليه وصهرنا النعمان انكسر وهج في البر الاقفر فلما سمع عنتر ذلك الكلام بكى وعض على يديه وتحسر وبكى دريد لانه رأى سادات عبس قد ذلت بعد العز والنعمة وكذلك فعل مقرى الوحش وعروة ورجاله وارتفع العويل من كل جانب وقال عنتر لقيس ياملك كلما جرى عليك وعلى بني غطفان وبني عامر وصل الينا وأما كسرة النعمان فما أحد أعلمنا بها الا أنت في هذه الساعه وان كان كسره أهل الشام فما هم الا في خلق كثير فقال قيس والله ياأبا الفوارس ان عددهم مثل البحار الزواخر وهم طائفة قوية الطعن بالقنطاريه وهجموا علينا فشتتونا في البريه وما علمنا السالم من العاطب ولما انقطع عنا الطلب وسترتنا أجنحة الغيهب طلبنا أثر المنهزمين من عساكر العراق وقتلنا الخيل من شدة السير في الليل

والنهار حتى وصلنا الى أرض النجف وقد أشرفنا على التلف من السهر والجوع ومات منا فى البر جمع كثير لان خيولهم هلكت وبقيت الرجال لا يصدقون بالنجاة ولما وصلنا الى الحيرة وجدنا النعمان قد جمع عسكرا كثيرا وهو يجهزه خلفنا فأقمنا الصياح وأكثرنا النواح وناد ينا واحسرتاه وامصيبتاه وأعلمناه بأسر اخوته وبما تم عليهم من بنى فزارة وعلى عشيرته وشرحنا له كثرة عساكر الشام فجرى عليه مالم يجر على بشر من الانام وأنزلنا حول الحيرة وفرق علينا العدد والخيام وكتب من يومه الى القبائل وأمرهم بالاجتماع والمبادرة وأخبرهم بما جرى عليه من عباد الصلبان وما زال على مثل ذلك الحال حتى صار عنده خمسون ألفا من شجعان الحلل وما فيهم الا كل شجاع وبطل وعول على المسير معنا وكتب الى كسرى يطلب منه نجدة من عساكر العجم ويعرفه بهذه الاهوال فرد اليه الجواب على أجنحة الطير يقول له يا نعمان قد سمعت ان ملك الروم ركب وقصد الينا بعساكر النصرانيه وجمع كثير من الطوائف الافرنجيه ويريدون أن يذلون ملتنا ويهدمون بيوت النيران وأما العساكر فانها عندى قليله وكتبت الى خراسان والى أمراء البلاد وانهم يجمعون كل من فى العجم وأنا أسئل الرب القديم أن يسهل خروجنا قبل أن تصل عساكر النصرانيه لان هذا ما كان لنا فى حساب ولا قلنا ان ملك الروم تحدثه نفسه بهذه الاسباب وأما أنت فعرب الحجاز كلها تطيعك والذى صار اليك نائب منك فاجمع عساكرك وارحل اليه والسلام فلما سمع النعمان ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه وندم على ما فعل كيف أرسل الى كسرى يطلب منه معونة فرحل والخمسين ألف

فارس فصار بنا تارة شمالا وتارة يمينا ومن شدة غيظه وحنقه ماعرف كيف يسير حتى وصلنا الى أرض الشراك وفى ذلك اليوم التقينا ببعض المنهزمين من بنى عامر وأخبرونا بما جرى عليهم وحدثوا النعمان بكثرة العساكر فانكسر عزمه وخفق فؤاده وأتى بنا حتى اجتمع جميع الهاربين فى تسعة أيام واليوم العاشر طلعت علينا العشائر وبانت عساكر الشام وهى مثل الغمام ورأينا جيوش لا يقع عليها اعيار وما كنا نبصر الا صلبانا وصيابا وعيطات مرتفعات وبوارق ورايات وهى نحو مائة ألف فارس من كل أسد عابس من بنى غسان وخمسين ألف افرنجى ومثلها اتباع وغلمان الا أننا لما رأينا هذه الاهوال انقطعت ظهورنا فحملت علينا الافرنج بالقنطاريات وتبعتها العرب المتنصرة من سائر الجهات ودام علينا الصدام والقتال أربعة أيام وخمس ليال وفى الليلة السادسة تفرقت عنا قبائل العرب وطلبت فى الجبال الهرب بعدما قتل منا خلق كثير لا تعد ولا تحصى وعلم النعمان بذلك فخاف من شرب كأس المهالك فولى وقد تنكست الاعلام وأبصرنا عساكر الشام وقد تبعت أثره فاجتمعنا نحن فى هذه الطريق وقلنا ما بقى يغنينا الا ابن عمنا وحاميتنا الآن رب السماء قد غضب علينا بعده وقد عرفنا قدره وقدر بعده وها نحن قد لقيناك فلا تشمت بنا الاعداء وبعد ذلك تقدم اليه الربيع بن زياد واخوته وما فيهم الا من ذل وزالت منه نخوته ونادى الربيع يا حامية عبس ويا كاشف الضر عن كل نفس لما غبت عنا عرفنا قدرك فلا عدمنا من نظرك ثم ان بنى عبس نظرت أنفسها بعين الاحتقار لما عدمت الاهل والديار وعلم عنتر ما جرى عليهم فجمع شملهم وطيب قلوبهم وأوعدهم أن يجتهد

فى نصرتهم وبادر الى معونتهم وكذلك فعل دريد بن الصمه ونزل القوم لاجل الراحة وعنتر يقول لقد كان فى قلبى من بنى فزارة حرارات ولولا قيس ما تركت منهم كبيرا ولا صغيرا فقال أسيد يا أبا الفوارس الصواب كشف هذه المصايب حتى لا يحور عباد الصلبان علينا ويحصل شرهم الينا فقال عنتر وأيش بقى فى هذا نظر غير المسير الى بلاد الشام فقالوا هذا نعم الرأى ولو عرفنا انه يصح لنا وانما الحق هؤلاء القوم بلغنا المنا ولكن نخاف ان نتعب ونبعد عن الديار ولا نبلغ مراد لانا فى أرض هوازن والسبى فى أرض الاعناك فقال عنتر انه قارب الاعناك ولا قطعوا أكثر عن نصف الطريق ولا فاتونا الا بقليل لان سيرهم ثقيل على سير النساء والمال والعيال ونحن فى هذه الساعه نركب النجب والجازات فلوان السبى قارب دمشق لحقناه وان فاتنا وسبقنا أخربنا البلاد وسبينا أهل السواد وأرض حوران وتركنا أرض الشام خراب ووضعنا السيف فى المشايخ والشباب لان بلاد الاعداء اليوم خالية واذا وصل الخبر الى أرض العراق تنكسر قلوب الروم فقال مقرى الوحش والله ما لنا أصوب من هذا الرأى والان سرنا خلف عساكر النصرانيه خسرنا من كل جانب ونضيع بين تلك المواكب فقال دريد ان كنتم ترضون بهذا الرأى نحن نوافقكم عليه ونسارع اليه فكلوا شيئا من الطعام واستريحوا قليلا فى هذا المقام وقوموا بنا نبادر الامر قبل الفوات لان كل ساعة تمضى علينا باوقات ثم انهم أكلوا شيئا من الطعام وأخذوا فى الحديث والتدبير والكلام حتى ظهر لهم حقيقة الامر وبان لهم ظاهره وعرفوا اسرائره فهاجت النخوة فى رؤسهم والحميه وعملت معهم الحماسة الجاهلية فتواثبوا مثل سباع الاجام وقالوا والله لا أشبعنا أجوافنا بطعام

ولا أجداننا بعنام حتى ندوس بحوافر خيولنا أرض الشام ونخرب
تلك الديار والآكام وندع نساءهم أرامل وأولادهم أيتام
ونعمل أقوى مما عملوا بعيرنا ثم انهم نزلوا عن الخيل وركبوا على
ظهور النجب والمهارى والجمازات وقلوبهم فيها النيران المضرمات على
سبي النساء والبنات وساروا ينهبون البر نهبا ويقطعون الارض
ركضا وخببا والخيل في عراضهم جنائب وهم يحدون كأنهم
السلاهب وهم بقلوب قويات وقد هان عليهم شرب كأس الممات
(قال الاصمعي) وكان سير دريد بن الصمه ورواحه بهذه الهمه
لاجل بني عامر لان بينه وبينهم نسب متصل وحسب غير منفصل
وكان في قلب عنتر النار أيضا من أجل عامر بن الطفيل لانه صديقه
ومؤاخيه وساروا ولو كان لهم أجنحة لطار وهذا ما جرى لهؤلاء من
الابراد وأما ما كان من الملك النعمان فانه لما انكسر وعاد وهو
مقروح الفؤاد خائف على البلاد لان العساكر تفرقت عنه
والاجناد ومازال يجد السير وبنو اعمه الى الحيره وأقام ذلك اليوم
ينتظر المنهزمين أن يأتوا على أثره وبعض قبائل العرب تقدم عليه
فما رأى أحدا ظهر ولا وصل اليه بشر فخاف على نفسه من عساكر
الشام ان تدركه وتسبي حريمه ومن شدة خوفه جمع أهله وماله
وعياله وسار بهم الى المدائن يطلب حماية كسرى أنوشروان وهو
من شدة ما جرى عليه حيران قال ولما وصل الى المدائن وجد الملك
كسرى قد برز الى البر والسباسب ونصبت خيامه والمضارب
والدنيا منقلبه من ازدحام الفرسان تموج بالخاص والعام والنهار قد
صار مثل الليل من شدة ركض الخيل وارتفاع القتام ترك الدنيا ظلام
قال فدخل النعمان على الملك كسرى ومعه عشرة من بني عمه من

116

اخوص بنى لخم فقبل الارض وخدم وبكا على زوال دولته واخبر الملك كسرى بقصته وبكى واعلمه بما جرى له من عساكر الشام وخرق ثيابه لما انتهى فى الكلام فانزعج كسرى غاية الانزعاج وسكر من غير مس الزجاج وقال ياليت شعرى من أى وجه دخل على دولتنا هذا العارض العظيم ونحن أظهرنا العدل فى سائر الاقاليم لكن الامر للرب الكريم القديم رب موسى وابراهيم ثم قال للنعمان ياملك العرب لقد قطعت ظهرى بهذا السبب لان عساكر خراسان بعد ما وصلت ما أتى منها واصل ولا رأيت من جندها فارس ولا راجل وطوائف الروم أمس وصلت عندها الجواسيس وأخبرونى انها قاربت أرض هيت وانها تزيد على أربعمائة ألف بطارقه وافرنج دنادقه وها قد برزت حتى أسير اليها والتقيها واترك الهيبه بمسيرى اليها حتى لا يزيد طمع ملك الروم فى وأنت الآن قد أتيت بما لم يكن فى الحساب لاننا ان سرنا عن المدائن وأبعدنا أتت العرب المتنصره فى أثرك وملكت من خلفنا البلاد وان أقمنا طمعت فينا الحساد على اننا ما بقى لنا أصون من هذا المكان لانه أحود لنا وأعود علينا مادام الطلب قد صار من خلفنا ومن بين أيدينا واذا كنا ههنا تكون قلوبنا قويه ببلادنا وأهلنا ونطاول الاعداء عند وصولها بالقتال ونبارز الفرسان الى أن تصل الينا عساكر خراسان فقال الملك النعمان نعم الرأى ولعل الامر يتأخر بفاضل يوم وعشره ويأتينا من قبائل العرب من يشد دنا الآن عند مسيرى أنفذت اليهم وأمرتهم بالقدوم وما وصل منهم الا القليل وأقول ان الباقى يأتوا بعد شىء يسير ثم أقاموا يصلحوا عددهم وينظروا من يأتى اليهم وبعدهم ولما كان بعد أيام قلائل أقبلت ملوك النصرانيه وجيوشها وطلعت غبا أثرها

المتواتره وأمواج بحارها الزاخره فسدت الجنبات بقساطل القتام المرتفعات وبدلت أنوار النهار بدياجي مظلمات وسترت عيون الشمس عن عيون الناظرات ونادت نقباء النعمان وكسرى في الاعاجم والديالم فصارت على ظهور الصافنات وتدرعت بالدروع السابغات وارتفع الضجيج حتى أنصمت المسامع من اختلاف اللغات وتقدمت الاعلام الكسرويه والازدهارات وخفقت الرايات مع هبوب الرياح العاصفات وهزت القواضب في أيدي الاعاجم وسلت السيوف المرهفات واصطفت المواكب لطلاب الحروب وقد اخلصت للهلاك النيات وانكشف الغبار عن الروم فبقي مثل الجراد المنتشر في رؤس الروابي والفلوات وأقبلت الافرنج بالطوارق والصلبان على رؤس ملوكها والسادات وامتلأت الدنيا بالخيام والسرادقات وأقبل الملك قيس بعزيمته المذكوره وأبهته المشهوره وأعلامه المرتفعه وصلبانه المرصعه ومواكبه المزججه وفرسانه المدججة وكان قدامه طائفه من القسوس والرهبان يقرؤن الانجيل ويعظمون الصلبان وبعدهم طائفة من أولاد الفرسان يخجلون بالوجوه والقدود الاقمار والاغصان وكلهم بالشعور المسبله المرخاه والسيوف المجوهره المجلاه الا انه ما نزل في سرادقه حتى أقبل ملك الافرنج خيلجان كأنه شيطان أو مارد من مردة الجان وكان موكب الخياله مثل الظلام الغاسق من لمعان القنطاريات والبيارق قال وكان خيلجان فارس جبار لا تصطلى له بنار قد غزا ملوك الاقطار وفتح جزائر كثيره في البحار وأعاد جمعا كبيرا الى عبادة الانجيل وشد الزنار وبعد ذلك الامر والشان خرج يطلب الحج الى بيت المقدس وعين سلوان والغزاة الى عبدة النار والاوثان

الاأنه لما أشرف على عساكر كسرى استقبلها وحدثته نفسه
الخبيثة انه وحده يلقاها من عجبه بنفسه فنزل فى سرادقه وأنفذ الى
كسرى رسولا يقول له ارحل من هذه البلاد وان كان قد دخل
فى قلبك من قدومنا فزع والاعدا الى عبادة المسيح بن مريم وكن
لديننا تابع واهدم بيوت النيران وابن بدلها كنائس وصوامع والا
دايت فى غد من قنطاريا تنا طعنا أحد من الاجل وأسرع وضرب
اذا وقع على الصخر انصدع والسلام على من عرف الترتيب وأبصر
الحق فعاد اليه من قريب قال ولما وصل الرسول الى كسرى وأعاد
عليه هذه الرسالة غضب كسرى وحرد من ذلك الكلام وقال لولا
انى عرفت بالانصاف ما كان جواب هذا الرسول الا القتل
والاتلاف لكن هيا اسير وقل له انى أقسمت بالنور والنار انى لا أدع
أحدا يشد على وجه الارض زنارا وفى هذا العام يصح القسم اذا
وصلت العساكر من بلاد العجم ورأيت فوارس تفترس سباع الاكم
وأبطالا لا تبالى بالموت اذا هجم هنالك تندم ولا ينفعك الندم وتذل
اذا ذاب منك القدم والسلام على من اتبع الدين القديم المكرم
وسجد للنور واذا أضرم قال فعندها أعاد الترجمان على الرسول هذا
الخطاب وقد صار اعليه الحجاب فعاد الى صاحبه بالجواب فتبسم
خيلجان عند سماع هذا الخطاب وقال عند الصباح يرى من يكن
المغبون لان كسرى يظن اننا مثل فرسان الروم فوحق المسيح
لا الاقى هذه العساكر عند الصباح الا انا وحدى ولا تركت فى هذه
الديار حديثا يذكر من بعدى ثم بات ينتظر الصباح وباتت العساكر
تموج مثل البحار الزواخر حتى انفجر الفجر ولاح فركبت الفرسان
الجرد القداح وتقدرت جميع الخلائق والامم واصطفت الافرنج

قال الديلم وقابلت الروم العجم وأرادت الطوائف أن تحمل على بعضها بعض وتجول على وجه الارض فاذ بصبر خيلجان بل أقلب القنطاريه وصرخ وحمل فى عاجل الحال وكانت حملته تصدع الرجال هذا وقد أجابت الافرنج صرختهه فى الحال وكذلك فعلت الروم قدام الملك قيصر وحملت كالبحر اذا زخر وانطبقت العساكر انطباق الاسد الضاربة فالتقتها العجم والديلم بالحرب الماضيه والعمد الطوال والرماح والنصال قال وكانت عساكر كسرى مائتى ألف فارس وراكب وراجل ومحارب ومقاتل لانه كان أنفذ يطلب الجيوش فاتى اليه الاصحاب القلاع البرانيه والمراكز الغربيه وكان أكثرهم يرمون بالنبال ويصبرون اذا اشتد الصدام والقتال فجرى لهم ذلك اليوم مع جيوش النصرانيه وقعة تذكر مابقيت الشمس والقمر لان أولى الالباب حارت والاحكام والجبابرة ولت والكرام ذلت والخيل ملت والخطوب جلت والدنيا أظلمت والسيوف تثلمت والزنود كلت والنفوس ملت والطيور حامت والرجال هامت والحروب دامت والسما غابت والشباب شابت والصدور ضاحت والرقاب طاحت والاسود صاحت والدماسات والجبال مالت والنهار أظلم والغبار أغتم والشجاع جهم والجبان انهجم (قال الراوى) وقد بلغنى عن هذه الوقعه أضعاف ماروبته وحكى لى أمثال ماحكيته لانها كانت وقعة عظيمه فى أرض المدائن فرغت فيها النبال من الكنائن ونثرت الفرسان من على ظهور الصوافن وما أمسى المسا الاوعساكر كسرى قد التجوا الى الجدار وعولت على الهرب والفرار ولو كان طال عليهم النهار ما كان بقى منهم ديار ولا نافخ نار ونزلت الطوائف

وبقت

وبقت الشجعان ممتدة من ضرب الحسام وجلس الملك كسرى على سريره وغلبت همومه على سروره وأخذ فى الحديث والشكوى لارباب دولته وأكابر عشيرته وقال ياقوم أيش ترون فى هذه الامور وحق النار والنور اذلم تدركنا النجدة من خراسان والا كسرتنا هذه العساكر وأحلت بنا الهلاك وأزالت دولتنا وملكنا من هذه البلدان والصواب أن نأمر أهل البلد والعوام أن يعبرون أموالهم ورحالهم وعيالهم والنسوان الى الجانب الآخر ولا يبقى عندنا هاهنا الامن يقاتل ويناصل حتى اذا رأينا الغلبة وأطبقت علينا هذه العساكر عبرنا كلنا وقطعنا الجسور بيننا وبينهم وتحصنا بالماالى أن يأتينا من أعواننا من نعول عليه ونجل معتمدنا عليه فقال الحاضرون والله ياملك لقد أشرت بالصواب وأتيت بالامر الذى لا يعاب ولابد أن تشرع فى هذه الامور والاسباب قبل أن يكثر علينا العدد ويزيد علينا المدد وباتوا يدبرون هذه الامور وباتت السندبذة حول بيوت النار والنور يتلون تلاوة المجوس ومعهم كل شيخ منكوس وهم يسجدون لها ويرمون قدامى العود وكل واحد منهم يبخر ويتبود ويسألون النار أن تنصر الملك كسرى وتعينه على الأعدا فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من ملك الافرنج الخيلجان فانه لما رجع من حومة الميدان غضب على خيالته ولامهم ووبخهم على تقصيرهم وقال لهم ياويلكم أنتم ماخرجتم من بلادكم ودياركم الا لتكسبون الثواب وترجون الاجر والعذاب فلم لا تنصحون فى القتال وتجتهدون فى الحرب والنزال فقالوا له ياابن السادات قل للقسوس يصلون علينا صلاة الاموات وكل من رجع عن الحرب والقتال تحرمه الثواب فى يوم الاهوال لاننا وحق الانجيل ومافيه من التحريم

والتحليل مافينامن خرج من الجزائر وكل موضع حتى ودع أهله وداع من لا يرجع وقد فعلنا اليوم في الحرب فعال تشيب منها الاطفال الرضع وانما أنت لاجل فروسيتك أيها السيد الامجد ما تشكر فعال أحد ولا يعجبنك أيها السيد الهمام لانك فريد الزمان وفارس الاوان قال فلما سمع ملك الافرنج ذلك الكلام أعجبته نفسه وقد انشرح صدره وقال في غداة غد افتح باب الحرب والبراز وما يجري من الانجاز وأخرج الى الميدان وأفرحكم على عباد النيران قال وما زالت العاشقتان على مثل ذلك الايضاح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره الوضاح تبادرت الفرسان الوقاح وركبت الجرد القداح بعدما لبست السلاح وعولوا على القتال والحرب والنزال واذا بغبار صاحب الشام من ناحية الكوفة قد أقبلت وعساكرها قد تقسطلت وظهر ذلك العسكر الجرار كأنه البحر الزخار لان الحارث الوهاب صاحب الشام تبع أثر النعمان الى الحيرة وتلك الآكام فرآها قليلة السكان خالية من الفرسان ما فيها الا فقير او عجوز او شيخ كبير فعلم أن النعمان انهزم وأخذ خواص الاعوام وفرسان العرب الاعيان ففرح بذلك الامر والشان وأعطى المقيمين بها الامان وقال نحن ما نطلب الا جناد أصحاب الحرب والجلاد وملوك هذه البلاد وأما العوام فهم رعية لنا ولغيرنا اذا ملكناهم أخذنا منهم الجزية في كل عام الى أن يدخلوا في الطاعة ويعبدوا المسيح عليه السلام ثم انه دخل البلد وجلس على سرير النعمان وحكم فيما كان تبقى من خزائنه والاموال واحتوى على جميع الرجال وقال لارباب دولته لولا خوفي من عتب الملك الرحيم لسرت الى المدائن وحاصرت كسرى والنعمان وقضيت

ذلك الامر والشان الى أن تقدم عساكر الملك الكبير والحنزبرا لحقير
واتبع الصواب أخذ أخباره الى أن يقارب المدائن وأسير الى خدمته
أنا ومن معى ثم انه أنفذ من يأتيه بالاخبار وأقام مدة يسيرة فى هذه
الديار حتى عاد الذى أنفذه لهذا الامر والشان وأخبره ان عساكر
النصرانية وصلت الى الانبار وانهم اليوم الفلانى يكونوا على المدائن
فى أرض كسرى و يملؤا تلك الارض والصحرى فلما سمع ذلك سار الى
الكوفة هو وعساكره الموصوفه وحسب حساب المراحل والوداه
حتى وصل فى الوقت الذى ذكرناه ونزلت عساكره فى جانب
الصحراء فلأت أقطار الفلاه لان منزلتهم كانت فى أرض بابل الى
أرض المداين الآن صاحب دمشق لما وصل أمر عساكره بضرب
الخيام وسار هو الى خدمة ملك الاروام ومعه جماعة من خواص
بنى غسان وترجل لما قارب الاعلام والصلبان وخدم ثم عظم الملك
وأخبره بما فعل فى أرض الحجاز من الاهوال وكم أنفذ الى بلاد الشام
من الهدايا والاموال والاسارى والسبايا والرجال ومن بقى معه من
الابطال والفرسان قال فلما سمع ذلك المقال فرح واستبشر وزال
عن قلبه الخبال وخلع عليه ملابسه وأركبه على بعض جنائبه
وقال ما هذه الاسعاده زائده وكرامه وارده من السيد المسيح
لاننا نحن قد حاصرنا ملك الاعاجم وقد بان لنا من النصر براهين
وعلائم ومابقى غير أسر كسرى أوقتله فى البريه وقد صارت الكلمة
كلها مسيحيه قائله بكلمة المعموديه قال الملك الحارث هذا الذى
ذكرته يكون اليوم أو غدا بسعادتك أيها الملك المسعد ثم عاد الى
عسكره وصاح فى نقباءه أن يأمروا العساكر بالحمله حتى يبين قدام
ملك الروم عزمه هذا وكسرى قد ضاقت عليه المذاهب لما أبصر

كثرة هذه الجيوش والمواكب قال ومن كثرة ماجرى عليه أمر
وزراءه وخدامه أن يظهروا للاعاجم الاموال والخلع واللامات حتى
تطيب قلوبهم للقتال ففعلوا ذلك وقد هانت عليهم النعم والممالك
هذا وقد أرادت خيالة الافرنج أن تبرز الى الميدان وتطلب براز
الفرسان فما صبرت عساكر الروم الكلاب بل حملت وصاح قدامها
ملكهم الحارث الوهاب وطلب أن يبني قدام ملك النصرانية نعاله
ويظهر همته وشجاعة رجاله الاانه لما حمل حملت معه طائفة الافرنج
والروم وركضت الخيل حتى ارتجت الارض من التخوم وانعقد
الغبار مثل الغيوم وعاد نسيم الرياح سموم وبضعت السيوف الجماجم
والجسوم وكان يوم شره معلوم الاأن البلا زاد على كسرى وتكاثرت
عليه جيوش الاعداوانما الديلم غلظت أكبادها وزادت أحقادها
وترجلت عن ظهور جيادها ورمت الزرد عن أجسادها
واستقبلت خيالة الافرنج بحرابها وشككت صدورها مع اجنابها
ودام الحال على ذلك الامر والشان حتى رأى الملك كسرى الهوان
وعوّل على العبور الى جانب الايوان وكذلك أراد يفعل الملك
النعمان بعد ماقاتل ذلك اليوم حتى أشرف على الهلاك وسوء
الارتباك وعوّل على الرجوع والانفكاك واذا بغبرة قد أقبلت
من ناحية أرض الحجاز وحالهم يدل على انهم يريدون الانجاز وتحتها
ضجيج وصياح قد أقلب الارض والبطاح وفي دون ساعه تقاربت
وتدانت الاأنها كانت مقبله على عجل والوحش منها قد جفل وفي
أطرافها بوارق تشعل والبرمن ركض خيلها قد تزلزل قال ولما رأتها
الطائفتين اشتغلت عن الحرب وفترت نار الطعن والضرب ومدت
الابطال اليها الاعين وتحدثت فيها لالسن حتى انجلا غبارها

وبانت فرسانها وسمعوا صياحها وهى تنادى بالكندة ابشر
بالنعمان بالنصر والفرج من هذه الشدة قال وكان فى هذه الخيل
فارس ضيق الاشام تقصر عن وصف شجاعته الاوهام وهو ينادى
أنا ذو الخمار الفارس الذى لا تهوله الاخطار ولا تنكره ملوك
الاقطار ومن خلفه فارسين آخرين يقاربوه فى الشجاعه والزى
والمنظر وكان أحدهما جابر بن عامر الكندى والآخر عمرو بن معدى
كرب ومعهما من الفرسان عشرة آلاف تلتقى بأسنتها اسباب الموت
ولا تخاف قال وكان لهؤلاء الفرسان ووصولهم سبب عجيب وأمر
مطرب غريب وذلك اننا كنا ذكرنا لكم أيها الحضار ماجرى لعمره
مع ذو الخمار وكيف قبح على عنتر وحسده وطلب بعد ذلك هلاكه
فما قدر وكان فى آخر فعاله انه كذب فى الايمان لما أطلقه دريد من
الوثاق والهوان وعاد بعد ذلك غدر وخان وخلص عمره وأبيها من
الاسر والهوان ودبر على قتل عنتر مرارا عديده وأحسن التدبير
وهجر دريد وأطلاله ومابلغ آماله وعاد مع عمره وأبيها وقد زاد طمعه
فيها وأوعده أبوها أن يزوجه بها ويجعل مقامه عنده الا أن ذو الخمار
لما وصل مع القوم الى ديارهم وأراد أن يخطبها وصل اليهم الخبر بقتل
المتعجرف فلما سمعت عمره ذلك الخبر كاد قلبها أن ينفطر وشقت أثوابها
وعلا بكاؤها وانتحابها وفعل أبوها مثل مافعلت وصعب على ذو الخمار
وعلم انه خابت مقاصده فطول روحه وأقام حتى انقضى العزا وقل
النواح والبكا وأرادت عمره تجمع فرسان قومها وتطلب ثار أخيها
فبان عليها الحبل وتغيرت أحوالها واسترخت أوصالها فلما رأت
نفسها على ذلك كتمت أمرها وخافت من الفضيحة وأرادت أن تقتل
نفسها ومازالت على ذلك تقدمه وتؤخره حتى كبرت بطنها وأصفر

لونها واظهرت الكسل والمرض وصار أبوها يتردد اليها وقد أنكر
حالها وألح عليها بالسؤال فأخبرته بما تم عليها من عنتر بن شداد
وكيف غصبها على نفسها وأخذ وجهها فى البر والوداد وأعادت عليه
القصة من أولها الى آخرها فلما سمع أبوها ذلك عذرها وطيب قلبها
وقال لها يا ابنتى هذا امر قد تم على كثير من بنات العرب وأكثرهن
من عشق الرجال وأنت ما فعلتى ذلك الا غصبا والصواب أنك تقيمى
على ذلك الحال حتى انك تضعين هذا المولود وتخلصين منه ونحن
نذبحه تحت الليل وتكتمى امرك وتعودين على ما كنت عليه
ولم يعلم أحد بهذه القضية ويقولون انك كنتى مريضة حتى
لا تنقص منزلتك وتنحط مرتبتك قالت اذا كان الامر على ذلك فاصرف
عنى ذلك الرجل واقطع اياسه منى فانى لا ضاجعت رجلا فى الايام
والليالى ولا اطلعت احدا على حالى لئلا يقال عمره تركت الاقران
واتبعت فعل النسوان فقال لها أبوها يا ابنتى ابعاد هذا الرجل من
اهون الامور وأنا اصرفه هو وأصحابه بجميل ثم خرج من عندها
متفكرا فى قصتها ومن يومه أحضر ذو الخمار بين يديه وزاد فى شكره
وأثنى عليه وقال يا ولدى انت تعلم بما حل بنا من جهة ولدنا وبالله
أقسم اننى متأسف كيف نزلت علينا هذه النازلة ويخرج مثلك من
أيدينا الا أن ابنتى عمره التى كنت عليها معول سافرت من عندى
الى ديار أخوالها تطلب منهم المعونة على أخذ ثار أخيها وكانت عند
مسيرها متشوهة البدن من شدة البكاء والحزن وقد أشرفت على
الهلاك وانت مقيم عندنا وكذلك أصحابك وقد اشتهيت أن أزوج
ك ولهم من بنات سادات العرب وأتخذكم أنصارا على سائر النوب
لانه اذا اتصلت أنسابكم بنا خاف كل واحد منكم وأهابكم وأهابنا

ولك الرأى فى ذلك والخطاب وأنت أهدى الى الرشاد والصواب قال فلما سمع ذو الخمار ذلك حار فى رد الجواب وتغلقت فى وجهه الابواب وقال أيها السيد هذا أمر لا بد لى فيه من المشاوره لاصحابى وبعد ذلك أعلمك بجوابى قال ثم انه عاد الى أصحابه وأطلعهم على هذا الحديث فضاقت صدورهم لاجله وقالوا والله يا ذو الخمار لقد رميت نفسك فى غير مراميها وأرميتنا فى قضية ما نحسن نداريها وهذا قد جلبك عليه حسدك لعنتر بعد القضاء والقدر فقال والله يا بنى عمى لقد صدقتم لانى فرطت فى قول دريد بن الصمه عند العرب وقطعت ما بينى وبينه من النسب ولا بلغت مرادا ولا أرب ولا نجح لى طلب وما بقى الامر الا أن نشد حيلنا فى غداة غد ونركب ونسوق أموال هؤلاء اللئام ونطلب ديار الملك النعمان ومن تبعنا ضربناه بالسيوف واذا وصلنا الى النعمان دخلنا عليه وسألناه أن يصلح بيننا مع دريد ويردنا الى أهلنا قبل أن يشيع بين العرب أمرنا فقال العباس بن مرادس أما مسيرنا الى النعمان ما به باس وأما تعرضنا لهؤلاء القوم وأخذ أموالهم فما هو صواب لاننى أخاف ان تكون عمره قد خفت نفسها زهدا فيك وبغضا وأمرت أبوها أن يدفعك بهذه حجة فان نحن تعرضناهم تبعنا بكل من فى الارض واستمدت علينا بشجعانها ونبقى نحن طعاما السيوف قبيلتها فقال ذو الخمار والله يا عباس لقد قلت قولا صادقا والله انها من الفروسية بمقام عظيم وما مال قلبى اليها الا لاجل شجاعتها ولو علمت انها كما قال أبوها فى حالة العدم كنت سقت كلما فى الحلة بين يدى سوق الغنم لكن أخشى ان كان الحساب الذى حسبته صحيح وتبعنا وتشفى أعداؤنا منا والصواب خروجنا تحت أذيال الدجا والغيهب من هذه الديار ونسبب

في عودتنا الى الاوطان على يد الملك النعمان لانني أعرف أن عنتر بن
شداد قد رحل اليوم الى دريد وعاد الى قومه وبني عمه ولا بد ما اعتربه
في بعض المواضع واترك وحش البر في لحمه راتع ثم أخذوا اهبتهم
تحت غياهب الظلام وقد ندموا غاية الندم وساروا وما زالوا سائرين
يقطعون البر والآكام حتى التقاهم عمرو بن معدي كرب بأربعة
آلاف فارس وهو سائر بهم الى نصرة الملك النعمان ولما رآهم
ذو الخمار أنفذ بعض أصحابه فسار وأتى بالخبر وحدثه في أي سبب
هم سائرون فتعجب من ذلك وقال وحق الملك الديان هذا أمر قد جرى
على الملك النعمان والا ما كان استنجد بالعربان ولو لم يكونوا
هؤلاء سائرين الى خدمته لكنت أخذت أسلابهم وضربت رقابهم
ولكن نحن محتاجين اليه لاجل ما يصلح امرنا ولا سيما اذا لحقنا
وهو في شدة وكشفناها عنه ثم عدل الى ابن معدي كرب وترجل
كل واحد منهم الى صاحبه وسلم عليه وأخذوا أخبار بعضهم بعض
وبعد ذلك قال ذو الخمار يا وجه العرب ما الذي أحدثه الملك النعمان
من الامور حتى أنفذ يطلب أبطال الحلل والعشائر فقال له عمرو
والله ما سمعنا خبر صحيح الا قيل لنا ان عساكر الشام قد ظهرت الى
الحجاز في خلق عظيم وان النعمان سائر الى لقائهم وهذا ما سمعنا من
الصابين وبعد هذا فما ندري ما قد جرى فلما سمع ذو الخمار ذلك قال
اذا كان الامر على هذا الحال فنحن نسير معكم ونحظى بخدمته ونرد
عساكر الشام وننهب أموالها ونكسرها ونقتل رجالها الا اننا دخلنا
في هذه المرة الى أرض في طلب شيء من النوق والجمال فما عاد معنا
منها عقال بل ساروا أهلها كلما سمعوا بذكر ناية صعدوا في الجبال
منا والشعاب والتلال وما كان ذو الخمار قد قال ذلك المقال الا لتسة

احواله

أحواله حتى لا يقال انه قبح على دريد وحسد عنتر على ما أعطى من الفروسية والشجاعة والبراعة قال وساروا الجميع طالبين الحيره وقد فرح عمرو بن معدى كرب بصاحبه ذو الخمار فكان كل من لاقاه يسأله عن الاخبار فيسمعون عن النعمان أخبار مختلفة وأخبار غير مؤتلفه وما زالوا على ذلك حتى أشرفوا على أرض النجف وصحت لهم الاخبار وعاينوا الديار وسألوهم عن النعمان فأخبروهم أهل الحيره انه انكسر عسكره كسرة عظيمة وهرب الى المدائن وطلب حماية كسرى فلما سمعوا هذه الاخبار وقع بهم الحسرة والانبهار وقالوا ما بقى فى الامر الا أخذ الراحة والمسير خلف هذه العسكر والا ملكت عبدة لطلبان سائر الاقطار وبعد علينا الملك كسرى ثم نزلوا هناك وأراحوا الى وقت السحر وعوّلوا على الرحيل وفى ذلك الوقت وصل جابر بن عامر فارس بنى كنده ومعه ستة آلاف بطل يضرب بها المثل فلما رأوه ركبوا الى لقاه وسلموا عليه وقال له ذو الخمار لا تنزل بقومك فان الدولة قد تبدلت والامور عن الراحة قد اشتغلت ثم قص عليه القصه وما جرى من الامر فصارت عيناه مثل لظى الجمر ونادوا وأحرباه كيف ما لحقنا عساكر الشام فى هذه الديار حتى كنا أرويناهم السيف البتار ثم ساروا على حالهم ولم ينزل رجاله لانه كان يحب الملك النعمان وكان فارسا لا يلتقى فى الميدان وله نخوه ولمام وكرم وصدق لسان فركض وركض معه عمرو بن معدى كرب وذو الخمار هو وسبيع بن الحارس البطل المغوار وقد سار فى عشرة آلاف فارس كرار وأرادوا أن يلحقوا عساكر الشام ويرموا أرواحهم عليهم فما لحقوهم الا خارج المدائن وهم فى قتال الملك كسرى وقد ضيقوا عليهم الاقطار وأشرفت عساكره على الهرب والفرار

فحملوا حملة صادقه بعدما ركبوا الخيول السابقه وصاحوا بأصوات
مثل الرعود ونهموا مثل ماتنهم الاسود وطعنوا بأسنة رماحهم
للصدور وضربوا بشفار سيوفهم النحور وعمل كل فارس منهم
كما يعمل الجيش الحافل وفرجوا عن عساكر كسرى بعض البلا
النازل وتصايحت أيضا جيوش الديالم والاعجام وعادت أرواحهم
الى الاجسام وعمل الحسام فى الهمام واختلفت بينهم رسل الحمام
ولمعت نجوم الاسنة من تحت سحائب القتام وقامت عروس
الحرب على الاقدام وانتثرت عليها جماجم الكرام ومازال السيف
يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونارا الحرب تشتعل حتى أقبل
الليل المسبل وانفصلت الطوائف بعدما خفيت مواقع الاقدام
وعادت الفرسان تخوض فى بطون القتلا وتخب فى سيول الدما وقد
تلقاهم الملك النعمان بالخلع والجنائب وفرح بهم فرحة قدوم الغائب
على الحبائب وشكرهم على فعالهم وقال لهم ياوجوه العرب لولا
قدومكم فى هذه الطائفه الحميه كنا هلكنا بالكليه واندرست الدوله
الكسرويه وقد ملكت هذه البلاد عساكر النصرانيه وما كنا نريد
الا نجدة أخرى مثل نجدتكم وسرية مثل سريتكم تأتينا وقد أحيينا
نفوسنا الى أن تقدم عساكر خراسان علينا ثم شرح لهم ما جرى عليهم
من الانكاد وان اخوته فى الاسر مع أهل الزنار فقال له عمرو والله
ياملك ماسمعنا ان صاحب الشام دخل الى أرض الحجاز فى هذه العوده
وما كنا سمعنا بعساكر الافرنج وما كنا نوانينا ولا تركنا أحدا من
الفرسان فى ديارنا الا وقد أتينا به الى ها هنا فأخوتك فى أى وجه
وقعوا فى الاسر وكيف وقعوا بهم عبدة الصلبان فقال الاصل فى ذلك
ان بنى فزاره أتوا فى ساداتهم مع الربيع بن زياد وشكوا الى أمورا

123

جرت لهم مع عنتر بن شداد وظنوا انه التجأ الى دريد بن الصمه وانهما قد اتفقا على قلع مملكتى وأخذ مكانى فقدمت اخوتى على عساكر العراق وسيرتهم اليهم ليجازوهم على فعالهم وما بلغنى من أقوالهم فوافق وصولهم ظهور عساكر الشام وعبدة الصلبان ونافقت بنو فزاره عليهم لاجل ما بينهم وبين بنى عبس وأخذوا الجميع وقتلوا من أصحابى خلق كثير وما عاد منهم الا جمع يسير وكلما جرى علينا من الانكار لمعاداتنا العنتر بن شداد فقال ذو الخمار وحق الرب القديم يا ملك لقد صدقت لان عنتر له حظا وسعاده ما وصل اليها أحد من الفرسان وما عاداه أحد الا وتعثر بأذيال الحرمان والذل والهوان وقد جرى لى معه أمور ما اشرحها الان الا فى وقتها وأما هذه العساكر الذين حملت جمها فقصدنا ديارنا يوما بالقتال ويوما بالبراز حتى تأتينا عساكر خراسان وقبائل الحجاز ثم نزلوا من وقتهم وتشاوروا فى ذلك ونزلت أيضا طوائف النصرانيه وهم متعجبون من قتال ذو الخمار وما فعل جبار وحملات عمرو بن معدى كرب تحت الغبار وقال فجمع ملك الشام خواصه عند نزوله وقال وحق الملك الجبار ان فرسان هذه الارض لم يقع عليها عيار ولو ان معى عشره منهم ينصرون دين المسيح لكنت فتحت بهم سائر الامصار فقال سنان يا ملك اعلم ان أفرس ما فى هذه الجموع ذو الخمار وهو أشجعهم الذى وصل اليوم مع الطائفه التى أتت نجدة للنعمان لان العرب تحسبه بسبعة آلاف فارس من مجمعت العربان وهذان الفارسان الاخران الذين معه يقاربانه فى الشجاعة وأنا أعلم أنهم عند الصباح يخرجون الى البراز والجال ويطلبان الخداع بذلك المقال الى أن تصل عساكر اليمن الى النعمان وتصل الى كسرى عساكر ويكسر العدد ويرجعون

من هذه الديار بلا فائده والرأى عندى انكم تبادون الاعداء
فى غداة غد وتحملون عليهم بهذه الجموع من كل جانب ومكان
لعلكم تملكون هذه الديار واه طلال فقال الحارث وحق الصليب
ياسنان ماذكرت الانعم الرأى وما يعود عنه الاجاهل مغبون لان
ماعندنا نحن من يطلب البراز الاطائفة الافرنج لانه شغلها ونحن اذا
رأيناهم يريدون يفعلون ذلك منعناهم عنه ولا نملكهم ونحمل
بجمعنا على من يبرز من هؤلاء الفرسان ونطلب الانجار والا وقعنا
فى الخسران فقال سنان هذا الذى أريد وان كنتم ما تفعلوا بهذه الرأى
ولا لكم فيه غرض ويعسر عليكم فتح هذا الباب فأنا أشير عليكم بما
قد خطر فى سرى وأدبر لكم تدبيرا خذوا به النعمان وكسرى ولا
أزال حتى أجلس الملك الرجيم قيصر فى هذا الايوان وأملكه بلاد
خراسان ثم باتوا على مثل ذلك وبات الجلجان ملك الافرنج أيضا
متعجب من فرسان العرب وهو يقول لخيالته ان لم نتولى نحن أمر
القتال والاطال بنا المطال لانى أرى الروم عن الجهاد مقصره عن
طاعة المسيح ومريم قال أبو عبيدة ومازالت الطوائف على مثل
ذلك حتى مضى الليل بسواده الحالك وتبادرت الخيول واعتدلت
المواكب عرضا وطولا ولمعت شفار النصول وقلقلت الاشباح
والارواح وخفقت بيارق أسنة الرماح وشرعت الرجال فى أمر
الكفاح وتقدم ذلك اليوم النعمان وقد اشتد ظهره وقويت عزيمته
بشجعان العرب وكان قد ترك فى الميمنه ذوا الخمار وقواه بجمع كثير من
الديلم وترك فى الميسره عمرو بن معدى كرب وبنى زبيد ومعه طائفه
من العجم وأوقف فى القلب جار بن عامر وبنى كنده وخواص الدوله
الكسرويه ولما خفقت الاعلام واشتد الزحام وقل بينهم الكلام

برز

برز ذو الحمار الى الميدان وقارب بيارق الافرنج والصلبان وطلب براز الخيالة والفرسان وكذلك فعل جار بن عامر مع الروم وعمرو بن معدى كرب مع بنى غسان وما فيهم الا من طلب الانصاف والبراز وانفقوا اليهم أعداءهم على المكاثرة والاسراف وسارت تخيل لانفسها وتخرج اليهم من تحت الاعلام والبنود وهم يفترسوهم افتراس الاسود بطعن لا يهتدى اليه الاوهام ولا تعرفه الافرنج ولا عساكر الشام (قال الراوى) وبلغنى فى الاخبار انه ما قارب ذلك اليوم نصف النهار حتى قتل كل واحد منهم ما ينيف على مائة فارس كرار ولكن ذو الحمار كان أوفى عيار وانقل معيار لانه قتل من خيالة مائة فارس تلقى عسكر جرار وابصرملكها هذه الفعال فصارت عيناه مثل لهيب النار وزعقت زعقة أدوت لها الاقطار وهم أن يخرج من تحت الاعلام والصلبان ويحمل على ذى الحمار فغدرت بنو فزارة بعمرو بن معدى كرب الزبيدى وصاح فيهما سنان فحملت من كل جانب وسدت عليهم الطرق والمذاهب ورأوا بنو زبيد ما قد جرى على فارسهم فحملوا يطلبون خلاصه من مخاليب الحمام فحملت أيضا عساكر الشام وتتابعت مثل قطع الغمام وحملت أيضا طوائف الروم على جبار بغير أمر الملك قيصر وعلا لهم صياح يقلق الاحجار وعلم بذلك ذو الحمار فخاف على نفسه من البوار وخافت خيالة الافرنج أن يفوتها بعد قتل أبطالها وساداتها فأقبلت بقنطارياتها مثل ثنايا الجبال على ظهور صافناتها وصاح النعمان أيضا فى طوائف العرب والعجم ونادت الفرس والديلم فتقدم الملك كسرى وعلى رأسه علم كبير على صورة ثعبان وعلى رأسه ازدهار يظله من حر الشمس والنهار وأوقدت بيوت النيران وطلع الغبار

والدخان وركضت الخيل حتى ارتجت سائر الاقطار وتفرقت الجن تحت القرار وارتاعت الشياطين والعمار وندمت الرجال على فوات الاعمار وجرت الدما وسالت مثل الانهار وباحت القلوب وهتكت الاسرار وحامت المنيه على الفارس الكرار وولى الجبان يطلب الفرار وبرقت الابصار واشتد المعيار وما أتى وقت المساء الا وعساكر الفرس ضعفت وتضعضعت وعادت الى وراءها واندفعت لان العدد كثير عليها وزاد عن حد القياس فصدمتها مواكب كتائب مختلفة الاجناس وأسر عمرو بن معدي كرب الزبيدي بغدر بني فزاره لان أصحابه وقت الحمله ما وصلوا اليه الا وحوله بحر فياض وموج من الصوارم والاسنه لا ينسلك ولا يخاض فقاتل أحسن قتال وهو يدافع عن نفسه حتى وقع به التعب والنصب والملل وقد قتل جمع كثير من الابطال وانه لما أخذ أسير أقبل الليل الحالك بسواده وجرح وقتل جواده وأخذ بعد ذلك أسير وشد وثاقه وأما حسان بن عامر فان بني كنده وصلت اليه وهو قد أشرف على التلف من الروح والهلاك فعاونته وقاتلت معه حتى خلص بعد الحرب الشديد والنار التي زادت عن حد اللهيب والوقيد وكذلك ذو الخمار فعل ذلك اليوم في الافرنج والخياله لما الحقته فعل فعالا يبقى ذكرها ما بقي الليل والنهار وقتل من الخياله لا يقع عليها عيار وتخلص بشدته وقوته وشجاعته وسعادته وانفساح مدته ولولا كانت الافرنج افنت عساكر كسرى وبددتها في الاقطار لان الطوائف قد انفصلت عند الظلام ونزلت في الخيام وفي قلب خلجان ملك العجم من ذي الخمار نار لا يخمد لها شرار لانه كان جبار لا تصطلى له نار وما كان على وجه الارض من يقف قدامه ولا يقابله اذا سل

حسامه

حسامه فحلف بالصليب والانجيل انه لا يترك عند الصباح أحدا
يحمل ولا يثير غبارا حتى يبارز ذوالخمار ويأخذ لفرسانه منه بالثار
وبات وهو لا يصدق انه يرى النهار هذا وسنان بن أبي حارثه قد
ارتفعت منزلته عند صاحب دمشق لاجل أخذه لعمرو بن معدى
كرب ولاجل ما ظهر منه من الغدر والنصيحه فأوعده أن يتركه
خليفه على أرض الشام ومقدم جيشه كلما رحل أو أقام ففرح بذلك
سنان وأصرف همته الى الحيل والتدبير وأوعد حصن بن حذيفه أن
يجعله ملكا كبير واصبح الصباح على الخلق وبان الباطل من الحق
وركبت الجموع ولمعت الدروع وترتبت المواكب والفرق ولمع
صارم المنايا وبرق وأرادت العساكر أن تحمل على بعضها البعض
فظهر ذوالخمار في الميمنه وطلب البراز وكذلك فعل جبار في الميسره
والسبب في ذلك ان النعمان كان ضاق صدره لاجل أسر عمرو وفارس
بني زبيد وشكى ذلك الى جبار وذوالخمار من قلة الجماعه والانصار
وقال لهما أنتما تعلما ما قد بلى به الملك العادل كسرى وما قد تم علينا
في هذا العام من الاعدا وما بقى لنا من نعتمد عليه غيركما فان أنتم
حميتم هذه الدوله الكسرويه الى أن تقبل العساكر من أرض
خراسان حكمتكما في سائر القبائل والحلل ويصير أمركما نافذ في سائر
السهل والجبل وتكون خزائني وخزائن كسرى مباحة لكما ما بقى
الزمان والهدايا تأتيكما من فرسان العرب وملوك خراسان ويكون
مثلي خلفكما في كل وقت وأوان وما زال على مثل ذلك حتى هان
على ذي الخمار وجبار المهالك وأوعداه بابذال المجهود ثم انقاذه من
العدم الى الوجود وأخذ ذوالخمار يشرح قصته للنعمان بما جرى له
في بلاد اليمن مع دريد وعنتر فأخبره بذلك وقال له يا ملك أما انت

فسبب اصلاح حالى على يدك فقال له النعمان لك ذلك ثم قال له
والله أنا سمعت فى دريد كلام وانه عتبان على فأنفذت اخوتى اليه
فأخذتهم عبدة الصلبان وكان كلما سمعته عنه زور وبهتان
والى اليوم دريد على عتبان والاماكان قعد عن نصرتى ولابد
ما أنفذ اليه واصلح بينكما أيضا فسرح ذوالخمار بذلك وخرج هو
وأصحابه عند اقبال النهار فطلب البراز هو وجار ولكن ما فيهما من
ابعد عن أصحابه فزعا مما جرى عليه فى اليوم الماضى (قال الراوى)
هذا وسنان قد رأى هذا الحال فنبه بنى فزاره للغد روا القتال وطلب
بذلك انجاز الاشغال فهو على مثل ذلك وعساكر الافرنج انتشرت
حول اصفوف انتشار الليل وردت الفرسان عن الحمله وضربت
وجوه الخيل وأمرتها بالمهله والوقوف حتى يأتى مقدمهم بأخذ
الاذن من ملك الروم فى البراز لما أنه تقدم الخلنجان الملقدم عليهم
ثم أقبل وهو يقول أنا قلبى مشغول على ذى الخمار وكان حوله
جماعه من الفرسان وهو على جواد ضامر من خيول الجزائر وهو
كموج البحر الزاخر وفى يده طارقه خويه ومعه قنطاريه قويه وعلى
صدره زرديه سوداهنديه ولكنها عتيقه سليمانيه باساده وكان
لهذا الجبار اخوان أخران معه فى العسكر وكانا يقاربانه فى الفروسيه
وكلهم يتعانون للبس السواد والزهد ومن أجل ذلك هجروا النسا
والاولاد وخرجوا الى هذه البلاد وكان هذا الشيطان أشدهم بأس
وأقواهم مراس وهو الذى ملك جزائر البحر وتقوى على أصحابها
وأخذها بالسيف قهرا فحمل على ذى الخمار وعيناه تلعب فى أم رأسه
مثل شعل النار اذا علقت فى أقطار الكبريت وهو مثل العفريت
الذى يسكن القفار (قال الراوى) وعلا الصياح من الفارسين

واختلفا

126

واختلفا فى الكلام لاجل اختلاف الجنسين ولعبا بالرماح بعد الصياح وكثر الضرب وازدفر حتى انقلب البصر وازور ولان هذا فارس البحر وهذا فارس البر فحيروا الابصار الى ان عبر نصف النهار وزاد الغيظ بذى الخمار لانه رأى بين يديه فارس جبار ما كان يقول انه يلتقى مثله فى الاقطار فجد فى طلبه حتى أضجره وأتعبه ولما رأى منه التقصير قاربه الا أنه ما رآه على تلك الحالة حتى طارت عوامل الرماح وما بقى فى ايديهما ما ينفع فأرمياها وعادوا الى السيوف فتلاطما بها حتى تضايقت عليهما الصفوف وأبصرت اخوته من أخيهما التقصير والنقصان فخاف عليه من الهلاك وكان اسم الواحد منهما كوبرت والآخر موبرت فتصور فى أنفسهما قتل ذى الخمار برأسه من النار وشرف لدين المسيح وفخار ولما تصور لهم ذلك حملا من اليمين والشمال على خيول أسرع من ريح الشمال الا انهما ما أدركا أخوهما الا وهو مجروح وهو يلعب فوق الارض مطروح لان ذا الخمار رأى منه التقصير ضربه ضربة عظيمة فقطعت الطارقه وجرحته جراح موثقه ووقع الى الارض من خوف الموت والحمام وقد صار النهار فى عينه مثل الظلام وعول ذو الخمار يثنى عليه ويقتله فأدركاه أخوته وقد طعناه طعنتين صائبتين وكانتا أخف من نظر العين فوقعت الواحدة فى جواده والاخرى فى اضلاعه فوقع وانقلب الجواد من تحته وانصرع وأبصر النعمان الى هذه الامور فتعوذ بالنار والنور وعض على راحتيه أسفا وندم وصاح فى طوائف العجم وقال وحق النار من خلص اليوم ذو الخمار بلغته ما يختار فعندها ألقت الرجال أنفسها الى الهلاك والممات وحملت عساكر تلك النصرانيه من سائر الجهات وعملت الرماح

والقنطاريات فى صدور الفرسان والسادات وارتعدت الابدان من
شدة الاهوال الحادثات وندم الجبان على الثبات وأخذ الشجاع
الحيره والانبهات وتطايرت الجماجم بضارب السيوف المرهفات
وانصمت المسامع لما سمعت من اللغات المختلفات فكان النهار قد
ضاق عن مثل هذه الصفات الا أن الليل مادنشر على الارض رايات
الاعتكار حتى ردت الافرنج عساكر كسرى الى الاسوار وأخذوا
ذو الخمار وشدوه وأركبوه على بعض الجنائب وعادت الى الخيام
والمضارب ولما نزلوا أخذوا الراحه من كرب الغبار وشاوروا أصحابهم
فى قتل ذو الخمار فقالوا لا وحق المسيح والزنار ما يستاهل مثل هذا
الفارس يقتل قتل العين ولكن شدوا جراحه وأقرنوه الى أصحابه
حتى تفتح هذه البلد وتدعوا كل من فيها الى طاعة الملك ومن تنصر
قبلناه ومن أبى قتلناه ففرح اخوته بما أمر وفرحوا بسلامته
بعد الضير والخطر (قال الراوى) ومن الغد قاتلت عساكر
كسرى من خلف الاسوار واجتمعت بالجدار وصبرت على طول
الحصار وكان الملك كسرى والنعمان قد عولوا يغيرون الناس الى
الجانب الآخر وبقية طعون الجسور والمعابر ولولا بنى كنده وجابر بن
عامر فانه أصلا نار الحرب بنفسه وصبر على مرارة الطعن والضرب
وظلط المكان عشرين يوما بلياليها ونهارو بعد ذلك تعبت رجال الشام
والبلد نقب واجتمعوا على ذلك النقب وعولوا على الدخول وأخذ
المدائن وأيقن كسرى بالهلاك والبوار ورأى نفسه فى الهوان
وأبطت عليه عساكر خراسان وقال له الملك النعمان ما بقى غير
العبور الى الجانب والصبر على نوائب الزمان الى أن يأتينا الفرج
والا يزداد علينا الضيق والحرج فقال كسرى وحق النار والنور

لاطاوعتكم

لاطاوعتكم على العبور حتى أخرج عند الصباح الى الميدان واطلب البراز من ملك عبدة الصلبان بعدما أشرط عليه وأواعده وأقول له ان أنت أسرتني سلمت اليك كلما أملك من بلاد بعيد وقريب ودخلت في ملتك وعبدت الصليب وان أنا نصرت عليك فارحل بهذه الجيوش في هذا العام وأورد عليك جميع ما أردت من المال والانعام وهذا الامر لا بدّ لي من فعاله فلا يلومني أحد ولا يضع عليه مقاله ثم غلبه البكا فقام من بين وزرائه وأكابر دولته ومشى حافي على قدميه الى المعبد الاكبر ودخل اليه ووقف يومي الى النار بالسجود والموبدان الى جانبه يقرى كلام المجوس ومشايخ النار يبخرون قدامي العود وهم ما بين قيام وقعود والكل يدعون للملك بالنصر حتى لا يغير عليهم المعبود (قال الراوى) وكان النعمان قد وجعه قلبه على كسرى من حين سمع المقال الذى قاله ورأى فعاله وتركه على حاله وتبتل لحفظ البلد وحرص الاسوار وبني كنده وجبار طوائف الاعجام والديلم وما زالوا على مثل ذلك حتى أقبل النهار وتشعشعت الانوار وأنبسطت الشمس في الفلوات والقفار وخرج الملك كسرى من بيت النار وعوّل على الركوب والخروج الى ما قد ذكروه وعوّل عليه واذا بالنعمان قد أتى اليه وخدم وسلم وقال أيها الملك قد أتانا رسول من ملك الروم يطلب الحضور الى بين يديك ويذكر أن معه رسالة توجب الصلح ويريد يقصها عليك فلما سمع كسرى ذلك تعجب غاية العجب وقال من يكون في هذه العسكر الجرار وهو قد أشرف على أخذ هذه البلاد والديار وقد علم اننا قد أشرفنا على الهلاك من ضيق الحصار حتى يطلب هذا الصلح فقال الموبدان شيخ النار اعلم أن الرب القديم قد أراهم آية من الآيات

وشيء من الاسباب وقد القي في قلوبهم خوفا من العذاب لانهم قد
أتوا يمعون ملة قديمة صحيحة الاعتقاد ويظهرون دين باطل كثير
الفساد فقال كسرى ان كان طلبهم الصلح من هذا الباب فيجوز أن
تحضروا الرسول حتى نسمع ما يقول ثم جلس على سريره وكان من
الفضة البيضا ولبس ثياب الرضى ووضع التاج على رأسه والاكليل
على جبهته ودارت به الحجاب والمرازبه بالثياب الديباج والسيوف
الحلاء بالذهب الوهاج وادخل النعمان الرسول الى بين يديه وكان
بطريق عظيم ومعه وزير صاحب دمشق فقبل الارض وخدم وقال
أيها الملك ان قيصر ملك النصرانيه يخدم ملك وحلف بالايمان وما
ركب في أجساد خلقت من الروح والنفس ما سار اليك باختياره
وانما حمله على هذا الاهذه الطائفة الافرنجيه التي خرجت من البحار
ففزع من القسوس والرهبان لا تحرمه الاجر والصواب وسلم سرير
ملكه الى الافرنج والاما كان نقض الايمان ولا غدر ولا خان والآن
قد أشرف الملك الذي معه على الهلاك من الجرح الذي جرحه له ذو
الخمار وقد أنفذني اليك أطيب قلبك وآمنك على بلادك بشرط انك
لا ترجع تطلب منه دمه ولا خراج وهو يرحل عنك بهذه العسكر
والجنود واذا وصلنا الى بلادنا وآمنا في أوطاننا أطلقنا اخوة النعمان
ومن قد أسرنا من الغرائب والفرسان الابني عبس وبني عامر وبني
غطفان فان صاحب الحارث قد حلف انه لا يطلقهم حتى يتركهم
شهرا في الحبوس ويذيقهم مرارة العذاب والبؤس وبعد ذلك
اذا أنفذوا وسألوا فيهم وأهدوا له شيأ من المال حتى يحلهم الا أن
النعمان يعلم ما قد عملوا من القبيح في حقنا وما قتلوا من عباد المسيح
ومعه منهم ها هنا فرسان لو أطلقهم أشعلوا قلوبنا من جهلهم لانهم

يحمون أنذال العربان ويلحقوهم الى أى مكان فلما سمع كسرى ذلك الكلام وقع به الانبهار وتصور هذا فى قلبه انه من صحة دينه ومن بركات النار ورأى أن الصلح أعظم الصواب فأجابه وقد انفرجت عن قلبه الهموم ومن شدة فرحه فتح خزائنه وأخرج أموالا كثيره وهدايا وتحف وسير الجميع صحبة الوزير البزرجمهر وأمره أن يستحلف ملك الروم بعدما حلف لرسول وعاهده على الصلح وما أمسى المسا الا والرسول قد عاد بالخلع الملك قيصر وسهل الامر وتيسر ودقت كاسات النصرانيه بالرحيل والاستعجال وعاد ملك الروم من على شاطىء الغدا كما أتى وكذلك صاحب دمشق طالب أرض الحيره وبريت الحجاز وهى الطريق التى أتى فيها وما أصبح الصباح الا والدنيا قد خلت من تلك الخلائق حتى كأن ما عبر بها عابر ولا ساق بها سائق وركب ذلك اليوم كسرى والنعمان وخرجا فى موكب كبير من خواص الفرسان وقد انفرجت عنهم الهموم والاحزان ولما أبصروا أنا رعساكر النصرانيه قد اختلف فى طريقين وسارت فرقتين فاعجبوا من ذلك ومن كثرة تلك الخلائق فعادوا والنعمان يقول ما صالحونا عبدة الصلبان ورحلوا عنا الا من أمر عظيم وأكثر ظنى ان بلادهم قد جرى عليها محنه والا ما الرحيلهم وجه يا ساده (قال الراوى) وكان لرحيل عساكر النصرانيه عن الملك كسرى سبب وحديث يؤرخ ويكتب بالذهب لما فيه من العجب لانهم ليلة نقبوا سور البلد وقت الصباح وصل الى الملك الحارث الوهاب فى الليل خمس نجابه ودخلوا عليه فى الظلام وبكوا بين يديه بغصة وانتحاب بعدما خرقوا الثياب وأرخوا العمائم فى الرقاب فاندهش الملك وحار وسألهم عن حقيقة الحال فقالوا يا ملك خربت بلاد الشام

وهلك من فيها من الخواص والعوام وفتحت دمشق بالسيف
والحسام وتهدمت ابراجها وابوابها وذبحت قسوسها ورهبانها
وسبوا حريمك وأهلكوا عيالك ونهبت خزائنك وأموالك ونقول
بعدك قد نزل عليها القضا وملكوها شياطين الحجاز فبادر الامر قبل
فوات البدار والعوده من هذه الديار ولا تطمع فى العراق فتخرج
من يدك بلاد الشام وربما يسكنوها عرب الحجاز فلما سمع الحارث
هذا الكلام صار النهار فى عينه ظلام وخيل له انه فى منام فقال
للذى أتوه بهذ الخبر ومن هم هؤلاء الذين فعلوا هذه الفعال ومن أى
العرب هم ومن هو المقدم عليهم من اللئام والانذال فقالوا ما سمعنا
لهم مقدم الا عنتر بن شداد ومعه عشرة آلاف فارس شجع ولكن
كل واحد منهم اذا صاح فى ملك الموت انجزع واذا ضرب بحسامه
الصخرا تصدع فقال هذا هو الصحيح والخطأ منى أنا لانى سرت الى
هذه البلاد وخليت خلفى مثل هذا الشيطان قال والسبى الذى
أنفذته من أرض الحجاز مع نادر بن غياس أيش كان منه قالوا يا ملك
السبى خلص ونادر قتل وما سلم من العشرة آلاف الذين كانوا معه
الا القليل وكذلك بنو فزارة الذين كانوا معهم مع ضعنهم وحريمهم
وساروا والسبب فى ذلك ابن غياث وصل الى الاعناك وأنفذ قدامه
المبشر يبشر أخاك سنان عاقد وصل معه من الملك والانعام ولما وصل
البشير الى أخوك زين الاسوار وضربت بوقات الفرح والاستبشار
وخرج هو ومن كان عنده من الفرسان والاجناد وتبعوه الخواص
والعوام يريدون الفرجه على سبايا الاعدا وكان لهم يوم عظيم
ماجرى قط مثله لان البلد خاليه ومابقى فيها أحد الا ان كان شيخ
كبير أو عجوز منقطعه ومشت الرجال أوفى من فرسخين وأما الخيال

فانه التفت السبي الى حديومين وهنوا بعضهم البعض وعولوا على
العوده واذا قد طلع عليهم مقدار ألف فارس مثل النسور على خيول
أخف من الطيور و ركبوا فى عارض البر حتى حادوهم وأطلقوا
الاعنه وطلبوا أبواب دمشق ولما وصلوا اليها افترقوا عليها وملكوها
وكان أخوك ونادر قد ظنوا انهم من جملتهم وأصحابهم الى أن رأوهم
وقد فعلوا تلك الفعال وسبقوهم الى البلد وسمعوا صياحهم وهم
داخل البلد قد انعقد فافتكروهم وتحاروا خلفهم بجيش يزيد عن
عشرة آلاف فارس من الابطال وكان مسيرهم أحد من القضا والقدر
وركض خيلهم قد أقلب البر الاقفر وهم ينادوا يالعبس يالجشم
أين تمضون يا كلاب النصرانيه بالاموال والحريم ثم انطبقوا عليهم
انطباق الليل وعلا ضوء النهار وأظلم الفسق وطعنوا فيهم طعنات
بقوة وحنق وكانوا أصحابنا أوفى عدد ولكن لهم عليهم تفاوت
عظيم فى الصبر والجلد وافترسوهم افتراس السباع الجياع وسقوا
من دماهم الروابى والبقاع ومانجى منهم الامن كان فى أجله تأخير
وبقى الباقون بين قتيل وجريح وأسير واما الرجال فانهم هلكوا
بالسيف والحسام وبعد ذلك وصلوا الاعدا الى البلد وملكوا خزائن
الاموال وسبوا البنات والصبيان من أولاد النصارى وهدموا
الكنائس وذبحوا القسوس فى الصوامع والقلالى والذى سلم من
الناس طلب أرض حوران وفيهم من تعلق بالجبال وتركوا الاولاد
والنسوان ومضوا وحلوا الحديث والكلام ومافيهم من ذاق منام
أو شبع بطعام (قال الراوى) فزاد بالحارث الكمد واشتد به
الخوف وأما سنان بن أبى حارثه فانه عض كفيه من الغيظ والندم
والتهب فؤاده على أموال بنى فزاره والحريم وزاد به الكمد فشق

ثيابه ولطم على رأسه وصار يصيح مالك يا عبد السوء لا لقاك الله خير ولا سقاك قطر الندى الا انك أبدا تبدل الافراح اتراح والسرور بالقبور وأنا أعلم انه ما بقي من الفرسان الذين سيرناهم مع الاضعان أحد ثم قال للحارث أيش عوات أنت الآن تفعل يا ملك بعد هذه الاخبار قال أيش اعمل أقوم الى الملك الرحيم وأعيد عليه ما جرى وأحوجه الى العوده الى بلاد الشام لعلنا نلتقي هذا العبد هناك ونجازيه على هذه الفعال ونخلص من يديه الاموال والعيال والا بقينا مثلا يضرب به الامثال فقال سنان هذا هو الصواب ولكن لا ترحلوا حتى تصالحون الملك كسرى وتظهرون له انكم ندمتم على فعالكم وان رحلتم وعلم يلحقكم بالعساكر والجنود ويستوفى منكم كلما فعلتموه ولا سيما ان وصلت النجده التي في انتظارها من بلاد خراسان ويفزع الملك النعمان بجميع العربان ويأخذكم في الطريق وأنتم سائرون سير الخائف الفزعان وان التقانا عنتر بن شداد كان الهلاك الاكبر لانه على حالتين من أمره اما ان يأخذ أموالنا وعيالنا ويعود الى طريق الحجاز واما ان يأتي الى الغزاه يطلب خلاص الفرسان وهم بنو عامر وبنو عبس لانهم حلفاه واصدقاه وقد خلص حريمهم وأموالهم وأسراهم وأقل ما يكونوا القوم في عشرين الف فارس أو يزيدون فقال الحارث يا سنان فعلى هذا الحساب نريد عند عودتنا ننقسم قسمين وأعود أنا الى طريق الحجاز كما أتيت وأترك الملك الكبير يسير على شاطىء الفراه حتى لا يفوتنا العبد بن الاما ويوسع بأموالنا وحريمنا في الصحرى فقال سنان بهذا اردت أن أشير عليك فكنت أنت الى الصواب أسبق فقال قم الساعه الى الملك الرحيم وأعلمه بهذا الامر العظيم مادام أن الليل فيه رمق فعندها قام

130

مقدم بنى غسان وفى قلبه من مما قد سمع النيران وهو يحلف بالمسيح والصلبان لانه لا تأنى ولا اقصر عن هلاك عنتر ومازال حتى دخل على الملك قيصر فوجد عنده ملك الافرنج وجماعة من المقدمين الذين للخياله وبطارقة الروم وهم يتشاورون ويدبرون فى الزحف على المدائن عند الصباح فحدثهم بما جرى وقص عليهم ما قدمناه فبقوا عند ذلك حيارى وفزع الملك قيصر على انطاكيته لا يجرى عليها مثل ما جرى على دمشق وهى كرسى مملكته ودار عزه فاشتد به هذا الامر وقال للحارث يا ملك وحق نعمتك ما تأنيت عنه ولا قصرت اول خروجى من الديار الا لبنى عبس وسبيت كل من فيها من الرجال والنسوان وعنتر ما وقع فى يدى لانه من عظم سعادته كان غضبان على قومه وقد سار الى طائفة يقال لها بنى هوازن وسمعت أن ديارهم وعره صعبة المسالك فخفت على ان أقضى فى طلبه الزمان وتجتمع بقيه ورى قبائل العربان فتأتينى من كل جانب ومكان وتحترز لانفسها ولا أنال منها بطائل فبادرت الحلل والقبائل وسرت الى بنى غطفان بعد أسرى لاخوة الملك النعمان وأتونى بأموالهم والرجال ونسائهم والاطفال فأطاعتنى بنى فزاره فى سائر بطونها واشار علىّ شيخها سنان بالمسير الى بنى عامر فوصلت الى كتبك مع النجابة يخبرونى بظهور الافرنج من البحار وطلبهم للجهاد ومسيرك انت معهم الى هذه الديار والبلاد وتأمرنى بطلب الملك النعمان وأنا أكفيكهم بمن معنا من العربان فقوى ظهرى بذلك واشتد عزمى ومضيت الى بنى عامر وقلعت أثارهم وسبيت صغارهم وكبارهم وجمعت السبي كله وسيرته الى بلادنا فى عشرة آلاف فارس وما برحت لهم حافظا وحارس حتى قلت انه قد وصل الى أرض الشام

و بعد ذلك سرت الى الملك النعمان ففرقت الجموع الذين كان جمعها
وهرب من بين يدى وملكت بلاده وأتيت الى خدمتك بعد ان
عفوت عن العوام وآمنتهم على أموالهم وعيالهم وقلت مادام ان
الملك قد جد فى طلب هؤلاء الاقاليم وخرج فى هذا الجيش العظيم
ما بقينا نبالى بشر ولا نخاف من عنتر وما بقى فى أرض الحجاز أحد
يظهر الا أن يطيع دولتنا ويدخل فى شريعتنا وبعد هذا كله
ما أدرى ما جرى من الاحكام ولا كيف وصلت هؤلاء العبيد الى
أرض الشام ولا من أى طريق لحقوا سباياهم وقد سبقوهم بليالى
وأيام فقال ملك الروم الساعه ما بقى يمكننا المقام ولا بد لنا من
الرحيل من هذه البلاد والاستدراك والا نما الشر وزادوخرجوا علينا
أنذال العرب اهل القرى والبلاد وسبوا الذرارى والاولاد فقال
ملك الافرنج ارحلوا أنتم الى بلادكم ودعونى أنا ههنا للجهاد ولا أريد
منكم نصره ولا اسعاد فقال قيصر لا تفعل أيها السيد واعلم ان هذه
الديار ما تبقى هكذا خالية من السكان ولا بد ما تأتيها العساكر
والعربان من كل مكان ونخاف عليك أن تنكسر وتضعف ملة
الصلبان والصواب عودتنا الى هذه العرب الذين قد كسرت عزمها
واذا فرغنا عدنا الى هؤلاء وبلغنا كلنا المنا وما دام عنتر عند بنى
عبس سالم ما يكون لنا عيش هنى ثم أوعده بمثل هذه الاسباب حتى
لان وأجاب ولما قوى عزم القوم على الرحيل أشار عليه ملك بنى
غسان بمصالحة كسرى وأحكى لهم ما أشار به سنان من قسمة
العساكر قسمين ومسيرهما فى طريقين حتى لا تفرت الاعدا وتوسع
بحريهم فى البيدا فقال ملك الروم هذا هو الصواب ففعل ما فعل
وصالح الملك كسرى ورحل وقد أخذ أسارى بنى عامر وعمرو بن

معدی کرب وذو الخمار معه فرعا من عرب الحجاز ان تجتمع علی صاحبه
الحارث ومنه تخاصهم قال وجری من القصه ماجری وعدنا الی
سیاقة الحدیث الاول ومسیر عساکر الافرنجیه وعودتها من اقلیم
العراق ومازالت تسیر السیر الحثیث بلا هدو ولا قرار حتی عبرت
أرض هیت وقاربت أرض القاصریات وهی خلجان وأنهار مثل
الفراه فنزلوا علیها وباتوا فی طلب الراحه وکانوا قد وکلوا علی
الاساری جماعه کثیره من الروم والافرنج وهم الذین کانوا یسیرون
بهم بالنهار فلما جن اللیل والظلام ونامت العیون وتبدل القوم بعد
تحریکهم بالسکون فقال ذو الخمار لعامر بن الطفیل وملاعب
الاسنه وفرسان بنی عامر الی متی تساق هؤلاء الکلاب سوق
النساء ونرضی بالذل صباحا ومساء وهذا کله فزعا من الموت ورغبة
فی الحیاه قوموا بنا حتی نأخذ سیوف هؤلاء اللئام النیام ونأخذها
ونضرب بها رقابهم ونشفی قلوبنا منهم ونطلب بعد ذلک النجا والهرب
ودع یسلم من یسلم ویعطب من یعطب فقال عامر بن الطفیل یاذو
الخمار وأی قرمان یشتهی هذا وهو والله لولا هذا الشداد والوثاق
الذی قطع منا الاوصال والاعناق وکذلک قال عمرو بن معدی کرب
فقال ذو الخمار أما أنا فقد قطعت کتافی من حیث نزلوا الا انه کان
ضعیف وقد همتنی نفسی الف مره ان أقوم آخذ بعض هذه
السیوف وأدافع به لولا هذا الجرح القاتل فأنا أحل الجمیع
وأرجع أقاتل معکم حتی انی أقع طریح ثم صار یدنو من واحد بعد
واحد ویحله ویقول له حل أنت رفیقک وخلص صاحبک وقاتل عن
نفسک فیفعل ویتقدم الی المتوکلین وهم فی السکر غارقین وأخذ له
عدة مما اشتهی وتقدم علی رقاب النائمین وطلب هو ورفقاه العصری

(قال الراوى) وما مضى من الليل الا ساعة حتى خلعوا الجماعه وساروا فى البر على ظهور الخيل ومعهم القنطاريات المداد والسيوف الحداد وكانوا نحو المائتين فارس منهم خمسين من سادات بنى عامر والباقى من أبطال الحلل والعشائر الا انهم لما أوسعوا فى البر أنكرهم الحارس وطلبتهم الخيل ووقع عليهم الصائح وانتبهوا الذين كانوا موكلين بهم وماج العسكر تحت الظلام وخرجت الخياله من المضارب والخيام وسلت المرهفات الصفاح وطلبوا كلهم الصياح وقاتلوا الهاربين قتال الاسود فى البطاح وجاءتهم الفرسان من كل جانب وزاد الليل غبارا وضبائب وانتثرت عن الفرسان الرقاب وانشقت أذيال الدجا وأبصر ذو الخمار الهلاك بعينه فأطلق عنانه نحو أرض العراق ونجى لانه من أهل الغدر والدهى ومنه تعلمت شياطين العرب الخبث والسهى وقاتلوا هؤلاء بعد لحات الضحى لانهم على كل حال أبطال الهيجا وأسود الفلا لاسيما عامر ابن الطفيل وملاعب الاسنة وعمرو بن معدى كرب لانهم اختاروا الهلاك وقاتلوا حتى أشرفوا على العطب والارتباك وفعلوا فعال من لا يخاف من هلكان العرب ولولا خيالة الافرنج ما كان من الروم لحقها وانما المعان الطوارق حيرها وأبهرها وأيقنت بالهلاك وقتل منها ثلاثون فارس ودارت بالباقين المواكب ونهبتهم بالقنطاريات والقواضب وسدت فى وجوههم المذاهب وترجل اليهم كل راكب ونادى ملك الروم يا ويلكم لا تهلكوهم وخذوهم أسارى حتى يشتفى بعذابهم قلوبنا مرة أخرى (قال الراوى) وما زال الملك بذلك الكلام حتى طلع عليهم غبار وقتام وكان من ناحية أرض الشام أشد من سواد الليل فقال الملك أبصروا ما هذا الغبار

فانى وحق المسيح أظنه هو الجيش الذى للعرب وقد سمعنا به انه أخرب بلاد الشام وقد ساقهم المسيح الى هذا المكان لفروغ أعمارهم ثم ان الملك قيصر قال الملك الافرنج صح فى خيالك وقل لهم يسرعون فى أخذ من بقى من هؤلاء بالسيف الغرضاب وأنفذ النقبا الى باقى العسكر ليركب الى لقا هذا الجيش الذى كنا له طالبين (قال الراوى) فعند ذلك ركبت العساكر على الجرد السوابق ورفعت الاعلام والبيارق وضجت من المغارب والمشارق وانصمت المسامع من اختلاف الصياح والزعاق وقلعت الارواح فزعا من أسنة الرماح الخوارق وارتعدت الابدان لما لاح برق السيف البارق يا سادة يا كرام وكان هذا الجيش القادم الامير عنتر بن شداد ودريد بن الصمه واخوة الملك النعمان والعرب الذين كانوا معهم من بنى هوازن وجشم وكان مع القوم طائفة قويه من عسكر العراق الذين أسروا مع اخوة الملك النعمان عمرو بن هند والملك الاسود الذين خلصهم عنتر ودريد من الشام وكان الحاقه للسبى من أعجب الاسباب لانه لما كان التقاه الملك قيس وبكى بين يديه وقبل عذره وكان بواسطة دريد بن الصمه واتفق رأيهم على المسير الى أرض الشام خلف أموالهم وعيالهم وبنى عمهم وأبطالهم فركبوا النجب وطردوا الخيل بين أيديهم فقطعوا القفار وكان تحتهم نجب ومهارى تسبق النجوم والدرارى وجمازات أهون ما عليها قطع الفلوات ويقال انهم ساروا فى سبعة أيام ما لا يسيره غيرهم فى شهر كامل وكان سيرهم ليل ونهار ونومهم على الاقتاب لان فقد الحريم والاولاد منعهم عن الرقاد وأكل الزاد وشيبوب مع هذا المسير يسبقهم ويأخذ اخبار الاحياء والقبائل وما زالوا على مثل ذلك حتى قال لهم فى اليوم

الشامن أبشروا ياموالى بالحاق الطلب وقلة التعب والنصب فالقوم بالامس رحلوا من الاعناك طالبين دمشق فاستريحوا أنتم فى نهاركم هذا وعودوا الى ظهور الخيل واركضوا خلفهم فانكم تدركوهم فى دون البلد فتحكمون فيهم بما تريدون فقال دريد لله درك يا شيبوب فوالله انك نعم المشير فقال الملك قيس بن زهير يا وجوه العرب اسمعوا منى ما أقول ودعونا نقطع من الاعداء الفروع والاصول ونبلغ منهم المنا ونفعل بهم أوشم ما فعلوا بنا فقال عنتر وكيف ذلك فقال يابن العم ان هؤلاء القوم ما رحلوا من الاعناك الا وقد أنفذوا قدامهم بشيرا الى دمشق بوصولهم ويصف لهم ما معهم من النعم والاموال والسبايا والحريم ولابد للبلد ما يرتج لاجل ذلك ويخرج كل من فيه من الخواص والعوام والفارس والراجل ويوسعون فى البر ويلتقون القادمين من مسير يوم والرأى أن نجرد منا ألف فارس تسير فى المقدمه طالبين ولا يظهرون لهم حتى يشرفون على المدينه ويرون هذا الحساب الذى حسبته ويصح لهم عند ذلك ويركضون فى عرض البر ويسبقون الى الابواب ويملكوها ونأتى نحن فنبذل السيف فى أعدائنا ونبدل أفراحهم اتراح ونقيم فى ديارهم النواح وربما ملكنا البلد بهذا السبب وأغنينا فرسان العرب الذين قد تعبت معنا من قلة الفضه والذهب قال فلما سمعوا اجماعته قوله أطاعوه وعلموا انه صواب فقال مقرى الوحش ما لهذه الامور غيرى أنا أسير فى المقدمه وأمسك لكم الابواب لان البلاد بلادى وأنا أعرف بها منكم ثم نزلوا ذلك اليوم للراحه وتلك الليله وعند السحر ركب مقرى الوحش الجنيب وطلب من يسير معه على الترتيب فتواثبوا اليه الفرسان واعتدت معه الاقران وطلبوا المسير الى النهب لان

العرب

العرب فيها الطمع العظيم لاسيما هذه الابطال الذين وقعت فى مثل هذا الاقليم فسار معه من أصحاب دريد خفاف بن ندبه ودنار ابن روق وتمام الخمسمائة فارس وكذلك من بنى عبس مثل عروه ابن الورد ومالك بن قراد ومقرى الوحش وبقى عنتر ودريد بن الصمه مع باقى الجيش واتفق لهم ما أرادوا بهذا التدبير وخلصوا أموالهم ورجالهم ونساءهم وأطفالهم وكان ذلك شيئا كثير وكان الذى خلصوه من الفرسان ثمانية عشر ألف سوى النسوان وملكوا دمشق بعد ما هلكوا خلقا بعدد الرمل وأسروا بسامى بن أبى شمرخ الغسانى أخو الحارث وبقى النهب يعمل فى البلد خمسة أيام والنياق تساق فى الاسواق سوق الاغنام لانهم جاهلية البيدا وقد ظفروا باموال الاعدا (قال الراوى) وبعد النهب عادوا الى الكنائس خربوها والى الصوامع هدموها وذبحوا القسوس والرهبان وأخذوا القناديل والستور والصلبان وقد أسروا جماعة من بنى فزاره وصلبهم أخو النعمان على الاسوار وتركوا نساءهم مع جملة الجوار وخرجوا الى ظاهر البلد وقد تركوها قضائح وخلوا القتلا مطرحه فى الازقه مثل البطائح ولما نزلوا فى الخيام وتباشروا بالانعام واجتمع كل منهم باهلها وتقدمت كبشه أم عامر بن لطفيل الى عنتر ودريد بن الصمه وكان معها جماعه من نسوان بنى عامر وقد بقوا فى أرض العراق أسرى مع الحارث ثم بكين قدام دريد وسألن أن يعاونهن على خلاصهن فطيب قلوبهن وقال نحن لابد لنا من المسير الى أرض العراق فى خدمة أخو النعمان ولاجل معاونة الملك كسرى على من قد سار اليه مع ملك الروم من عباد الصلبا فعندها أنشدت أم عامر بن الطفيل بعد كلام دريد تقول هذه

الابيات لعنتر بن شداد

أبا الفوارس ضاع الصبر والجلد ✽ وانهد حيلي وذاب القلب والكبد
أنت الهمام الذي قد سل صارمه ✽ يوم المعامع تسمى الضيغم الاسد
اخوك عامر أضحى في القيود ولا ✽ يجد له ناصرا يفديه يا سند
فانهض وخلصه يا من سما ورقا ✽ أنت المفرج للكربات والكمد
لازلت في درج العليا مرتقيا ✽ ويمنع الله عنك الهم والنكد

(قال الراوي) فلما فرغت كبشه من شعرها تقدمت الى عنتر هي وجميع النسوان اللاتي كانوا معها وقد بقوا رجالهم أسرى مع لحارث الوهاب فبكين قدام عنتر وسألنه ان يعاونهن على خلاص جالهن فطيب دريد وعنتر قلوبهم وقالوا نحن لابد لنا من المسير الى العراق في خدمة النعمان ولاجل معاونة الملك كسرى على من سار اليه من عبدة الصلبان ونخوض في خلاص رجالكن على أي وجه كان يا سادة ثم ان عنتر قال لكبشة أم عامر على ذلك ووعدها بخلاص ولدها وقال لها أنا أحرص منك على خلاصه لانه أخي وصديقي وما فعلت هذه الفعال الا من أجله ثم بنوا أمرهم على مثل هذا وضموا السبي الذي وقع في أيديهم والاموال والحريم والعيال وسيروا الجميع الى أرض الحجاز مع خمسة آلاف فارس من الابطال وأرادوا أن يدخلوا بنفسهم يطلبون أرض العراق على خيولهم فقط فقال لهم مقرى الوحش قد شبعنا من مسير البر ولاقينا منه ما كفانا والصواب لا تضيقوا طريقكم من هاهنا بل تسيروا معي على بلد قيصر انطاكيه حتى أغنيكم من الفضه والذهب ومن الجوار الروميات تفتخروا بها على سائر العربان وبعد ذلك نقصد أرض بالس وننهب ما هناك من الديور والكنائس ونجعلها سفرة يحدث

بها في المجالس ويقصدوها الشجعان والفوارس فقال الملك الاسود
والله لقد أشرت بالصواب والرأى الذى لا يعاب لاننا نعلم ان ملك
الروم قد أخرب بلاد كسرى ونريد نحن نكافئه على فعاله ثم ثنوا
سيرهم على مثل ذلك وساروا مع مفرج الوحش وكان عدد الجميع
خمسة وعشرين ألف الا ان البلاد بين أيديهم خاليه ما فيها من يدافع
ولا يمانع فنهبوا وخربوا وتركوا الديار بعدهم قفارا وأخذوا من بلاد
انطاكيه غلمان وجوار أحسن من الشموس والاقمار وطلبوا بعد
ذلك طريق الفلاه وقد بلغ كل واحد منهم مناه وقال عنتر بن شداد
والله ان هذه سفره تكفينا خمسين عام فلعن الله من لا يجعل يرجع
يعمل غزواته الا على بلاد الشام فقال شيبوب طب نفسا وقر عينا
يابن الام فما دام انى قد عرفت هذه البلاد سوف أريك ما أفعل
بابطالها قال صاحب الحديث وجدوا فى مسيرهم حتى عبروا وادى
فروه وأرض بالس وساروا من الفراه فالتقوا بعساكر الروم فى أرض
الغادرات فلما أشرفوا عليهم ارتفعت الاصوات وعلت الضجات
وكان عنتر ودريد ومفرج الوحش فى المقدمه ومعهم الابطال الذين
وصفنا والفرسان الذين نعتنا وعباد الصلبان حول عامر بن الطفيل
وأصحابه مشتبكه والخيل حولهم مبادره وهى معتركه فقال دريد
ما حال هؤلاء يدل على خير وما هم الا قد وقع بينهم الخلف لانهم
خلق كثير وانى لاعجب كيف رجعوا عن أرض العراق وهم فى هذا
الجيش الذى لا يحصى ولا يعرف له منتهى فقال عنتر أما رجوعهم
فانى أقول ان أخبارنا قد وصلت اليهم وسمعوا ما قد فعلنا فى بلادهم
فعادوا الينا خوفا على بلادهم منا وأما هذا الصياح المنعقد عليهم
فهو لا شك خلف قد وقع بينهم كما قلنا أو بعض طماعة العرب تبعتهم

تريد أن تنهب أموالهم وقد رجعوا الى قتالهم أو يكون بعض الأسارى قد هرب ولا بد أنا اخرج فى ألف فارس من بنى عمى وأتيك بحقيقة الاخبار فقال دريد ما أنت الا قد هانت عليك الاخطار والا ما قلت أحمل فى ألف فارس على هذا العسكر الجرار فقال عنتر يا أبا النظر لا يهمك كثرة الاعداء من عبدة الصلبان فان العرب أثبت منهم جنان فقال دريد افعل ما تريد فنحن نتبعك ونقتفى من خلفك العجاج فعندها حمل عنتر ومقرى الوحش وعروه ابن الورد وشداد بن قراد وتمام ألف فارس من أبطال بنى عبس الشداد وطلبوا مكان الصياح وقد جردوا الصفاح وقدموا قطع الرماح وكانت جملتهم كما ذكرنا فلما ساروا تحت العجاج ودارت بهم الاعلاج و وقعوا فى بحر عجاج واحمرت نار الهياج وابصر دريد وأصحابه ذلك الخبر المنكر ففزع على عنتر وادعى بدنا دبن روق وخفاق بن ندبه ورتب معهم عشرة آلاف فارس وأمرها بالحمله فى أثر عنتر فحملوا على الخيل الجياد وزعقوا زعقات تفتت الاكباد وطعنوا فيهم بالرماح المداد واشتد الامر وزاد وسالت الدماء على الاجساد وطارت الجماجم بالسيوف الحداد واشتكت البقاع من شدة القراع وافترق الشمل بعد الاجتماع وضاقت الارض بعد الاتساع وكثر الآلام والاوجاع وتقسمت الابدان أثلاث وأرباع ووصلت الاسنة الى الاضلاع وفر الجبان من هيبة الشجاع ونهمت السباع من حولهم والضباع ومازال دريد قائم حتى راى الافرنج قد رفعت البيارق واستترت بالطوارق وأقبلوا الانطاريات وخبت الجياد الصافنات وافترقت قسمين وسارت وحملت الفرقه الواحده مع الروم اللئام والفرقة الاخرى طلبته وقصدت الاعلام ولما تحقق

ذلك صاح فى باقى الجيش وحمل وبان الصواب من الذلل وعليهم العذاب قد نزل وقد بطلت الاسباب والحيل واختلف الطعن بالاسل وانتثرت الجماجم نثر الحرمل وفعل دريد فى ذلك اليوم فعل الجبابره الاول لانه قاسى الاهوال وعرف نوائب الدهر الثقال واما عنتر فانه حمل بألف فارس وخاض المعمعه وصار يقاتل ويطلب الصياح الذى سمعه ومازال يحمل فى صدور الخيل حتى قارب عامر ابن الطفيل وسمع صياحه وعرفه وكان قد بقى من أصحابه أربعون وهلك الباقون والذين بقوا كانوا على الهلاك مشرفين لان خيلهم عطشت وعددهم فنيت وطلب بعضهم من بعض الوداع وقد بقى بينهم وبين الموت باع أو ذراع وفى تلك الساعه قاربهم عنتر وعرف من أصواتهم ما أنكر وكان حولهم خلق كثير العدد مالهم حد ولا مدد فقال والله هلكت سادات بنى عامر وغرقوا فى بحر ماله أول ولا آخر ثم صاح فى رجاله وحمل فى الروم ففرق صفوفهم وأحزابهم وألوفهم وأطال عذابهم وطير قحوفهم وشق أعصابهم وطعن صدورهم وأجنابهم وسكر من ضرب السيوف وطعن الرماح كما يسكر شارب القداح (قال الراوى) وكانت فرسان الجاهليه اذا دام عليها الحرب وكثر عليها الطعن والضرب فانها تسكر وتقاتل وهى غائبه عن الوجود ولاسيما بنى عبس الاسود وفارسها عنتر الذى كأنه الحجر الجلمود وضرباته وصيحاته تشبه الرعود وقد ذكروا أحواله فى مقاله ووصف سكره فى شعره وقتاله ومن بعض ما أنشد وجعل يقول هذه الابيات شعر

اذا طرب الرجال على الاغانى ✱ وغيب رشدهم خمر الدنانى
فرشـــــدى لا يغيبه مدام ✱ ولا يعتالنى صوت المغانى

ولا يعتادني طـــرب ويشفي * فؤادي غير الضرب الهندواني
وأسكر كلما اسكر الاعادي * ونادوا الامفر من الطعان
وأطرب ان رأيت النقع عالي * وذلك شهوتي عند الرهان
أميل الى العجاج بعزم ليث * شديد البأس بالعضب اليماني
واروي من دما الابطال سيفي * ومن لبات خيلهموا سناني
وكم من فارس أضحى جديلا * على الحصاح مخضوب البنان
واقتحم الورى حـــتى تراني * مخضب بالدما كالارجوان
ورمحي شاهد لمقال صـــدقي * ويخبركم اذا طعن الحصان
واسد الغاب تخشى من ضرابي * وترعب خيفة لما تراني
ولي سعـــد ونجم قد تعالى * على متن السها والفرقدان

(قال الراوي) وكذلك على عنتر في ذلك اليوم لما سمع صيحات بني عامر ونداه وهي تان من جوار اعداها فغابت عنه الارض والسما وبذل نفسه لاطراف القنا وما أفاق على روحه حتى ماجت من حوليه الدما وجرت مثل ما يجرى الماء وقد صلبت الروم على وجوهها من هول صفاته وهربت من بين يديه فزعا من ضرباته ووصل الى عامر بن الطفيل واصحابه ونادى يهنيكم السلامه والفرج فتأنوا على أنفسكم من غير حرج ومن قدر منكم على جواد فاليركب ويأخذ الراحه من التعب ويقر قراره ويهدى بعد النصب ونحن ندافع عنكم الاعداء اما ساده وما كان في القوم من كان بقي له جواد سالم الا عمرو بن معدى كرب الزبيدي لانه أحمى نفسه وجواده من العطب ولما أبصر عنتر وحققه عادت روحه ودنا منه واعتنقه وقال لله درك يا فارس العرب ويا مزيل الكرب ولقد أتيتنا في أضيق الاوقات وفرجت عنا الشدائد المفسدات وأحييتنا بعد الممات

وكان

وكان عنتر قد سمع صوته وسمع منه ذلك المقال فعرفه وقال أوصيك يا أبا ثور وأنت من جملة الاسرى ايش الذى أوصلك الى هذا المكان فقال أتيت الى نصرة النعمان وكسرى وجرى علينا هذه الجرى فقال عنتر ابشر بالسلامه وخذ الراحه بعد الندامه فأنا اشفى فؤادك من عباد الانجيل ثم ترك الجميع خلفه وقاتل عنهم الى ان وصلت العشرة آلاف فارس الذين كانت وراءه مع خفاف بن ندبه ودثار بن روق ومقرى الوحش فقوى بهم على أعداه وما فيهم الا من نزل بالسيف حتى كان بداه هذا وشيبوب برعى أبطال بنى عامر ويقوم عليهم الخيول الشارده من أقطار الفلاه حتى صاروا كلهم فرسان وحملوا على طوائف الروم وعبدة الصلبان فقاتلوا قتال من ذاق الاسر والهوان وأما عمرو بن معدى كرب فانه أظهر كل العجب وطعن وضرب حتى ترك الدما حوله يسيل وكذلك عامر بن الطفيل وملاعب الاسنه والسيف يعمل بين الروم والعرب الى أن طار طائر الظلام ونشر أجنحة الغيهب وانفصلت الطوائف وآمن كل قلب خائف وسكنت تلك الرواجف ودريد بن الصمه قد لقى من قتال الافرنج شده شديده وقتل من أصحابه ذلك اليوم جماعة تعز عليه ولولا الملك الاسود أخو النعمان حمل فى ألف فارس عند المسا وأعانه والا ما كانت طوائف الافرنج تخلت عنه (قال الراوى) ولما انفصلوا من بعضهم البعض نزلوا فى جنبات الارض وقد تركوا الدنيا ملآنه من القتلا زائدة عن الحد وعاد عنتر وعمرو بن معدى كرب وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنه وتبادرت بنو عامر وعنتر يذكر الوقعه التى جرت وهو يترنم ويقول

اذا مد الغبار له رواقا * سقاك كأس المنية لى وراقا

فتطربني بروق البيض حتى * أهيم الى مضاربها اشتياقا
وأعشق للعوالي السمر عشقا * وغيري يعشق البيض الرشاقا
أنا كاس المنية لي شراب * ألذ بها صبوحا واغتباقا
وأطراف القنا الخطي نقلي * وتفسح لي اذا الميدان ضاقا
جزى الله الاغر اليوم عني * بما يجزى به الخيل العتاقا
كففت بصدره موج المنايا * فخوضهم خيفة وشكى الفراقا
ولولا صارمي وسنان رمحي * لذاق الموت حقا لا نفاقا
ألا يا عبل لو عاينت طعني * وخيل الروم تنطلق انطلاقا
لزدت مسرة وشكرت فعلي * حقيقة اما احد الحادي وساقا
سلي سيفي ورمحي عن فعالي * هما في الحرب كانا لي رفاقا
سقيتهما دما لو بات يسقى * به جبل اليمامة ما أفاقا
وكم من سيد خليت ملقا * يحرك في الدما قدما وساقا
أنا العبد الذي خبرت عنه * رعيت جمال قومي والنياقا
وبالسيف الصقيل علوت حقا * حسدني البدر واختار المحاقا
ومن هذا علوت وبان عزمي * ومجدي يخرق السبع الطباقا

(قال الراوي) ولما استوفى عنتر هذه الابيات مالت العرب والسادات لها طربا وقال عمرو بن معدي كرب وان عنتر ما ترك لشاعر مقال ولا الفارس قيمه ولا مقدار فقال عنتر يا وجه العرب وحق من أوسع البيدا ما أقول هذا الشعر افتخارا على الفرسان وانما يجي شئ على صدر الانسان فينطق به اللسان ثم قال لعامر بن الطفيل وأصحابه يا وجوه العرب نحن سمعنا في الحجاز عن عرب الشام ومتنصرة بني غسان أسرتكم وسبت حريمكم وتراكم مع الافرنج وما نرى معكم من عرب الشام أحدا ايش المعنى في ذلك لعل هؤلاء

137

سمعوا بفعالى وهم فى بلاد النعمان فقال لا والله يا أبا الفوارس
ما بقى فى أرض العراق من هذه الطوائف لأنهم لما سمعوا بفعالكم
استالوا على كسرى وصالحوه بعد ما كانوا حصروه وأشرفوا على
أخذ المدائن وأرض العراق لان عساكر العراق والعجم أبطت
عليه وبقى مشرف على الهلاك وما بقى يصدق بترحيلهم عنه ولما
اصطلحوا وعولوا على الرحيل وفزع ملك الروم لا يخالفكم فى الطريق
وتسيروا الى أرض الحجاز بأمواله وعياله فساروا على الطريق كما أتى
منها ولكنهم على الخيل جرائد بلا ثقل ولا عائق وسرنا مع هؤلاء
الروم لأجل قرب المسافه وقلة المخافه وكان معنا ذو الخمار مأسور
مجروح فخلص نفسه وخاصنا فى الليل وقاتل معنا حتى اقترب
الصباح وأبصرنا الملكه فهرب وراح ثم أعاد عليه قصته وما جرى له
فى أرض العراق فتعجب عنتر من هذه الامور وحار من حديث
ذو الخمار وقال فى نفسه يا ليت شعرى ما جرى بعدنا فى بلاد اليمن مع
عمره وبأى وجه قد عاد الى هذه البلاد ثم فزع على السبى وكانوا
انفذوها الى أرضهم من بلاد الشام مع حريمهم وبنى عمهم وقال لابد
ما يرجع صاحب دمشق ويخلص سبى بلاده ويشفى من أصحابنا
فؤاده ولقد ضاع تعبنا وساء منقلبنا (قال الراوى) فجرى على
قلب الملك قيس ما لا يجرى على قلب بشر وكذلك على أصحاب
الربيع بن زياد وبنى عبس وما فيهم الا من بكى على أهله وحريمه
ونزلوا الجميع عند أخو النعمان ودريد بن الصمه وعاد عنتر عليه
ما سمع فضاق صدره وقل صبره وقال والله لقد وقعنا مع عباد
الصلبان فى أمور ما لها أواخر وضيعنا الزمان فى شىء يفطر المرائر
وما ظفرنا بطائل وان بنو عامر أضاع حريمهم مع حريمنا وأموالهم مع

أموالنا وما بقى فى الامر الا انتا نحرض فى أسر ملوك النصرانيه وقد خلصنا بهم الجميع ولا يؤخذ منكم عقال ولا يضيع لانا الارض الشام ما بقينا نقدر نرجع وقد أتانا هذا البحر الزاخر وقد قربنا من بلاد العراق ولو رجعنا الاجتمع علينا مثل هؤلاء أضعاف وأشرفنا على التلاف فقالوا الجميع كلما ذكرته يا دريد صواب ولكن كيف يكون التدبير عند الصباح فى هذا الخلق الكثير حتى نعجز امرهم ونظفر بملوكهم فقال عنتر اذا اعتدلت الصفوف يخرج منها خمسون فارس فى رجوعهم يطلبون البراز فان برزوا أفنينا أبطالهم والمقدمين والفرسان وان كان ما يخرجوا الينا طلبناهم فارس لفارس فان أبو اصحابنا فى باقى أصحابنا وطلبنا الاعلام واجتهدنا فى أسر الملوك والخواص فيهان علينا الامر لاننا ان وقع ملك الروم فى أيدينا وسار معنا فى أرض العراق خلصنا به العيال والاموال هذا ان كان الامر صحيح ووقع بهم الحارث والا سلمناه الى الملك العادل كسرى يفعل به ما يشاء فقال عنتر هذا هو الرأى السديد ويجب أن نمتثل ونسمع ثم باتوا وقد بنوا أمرهم على مثل ذلك وفى قلوبهم النار على الاولاد والعيال واصطفت صفوف الروم والافرنج فملأت الارض وقد ضيقت الاقطار وكذلك فعلت طائفة العرب لما ولى النهار والغيهب الا انهم فى مثل مركب فى لجج البحار أو القفل السائر فى واسع القفار قال أبو عبيده وأرادوا عساكر النصرانيه تحمل فى سائر العساكر لاجل ما يأتى فى قلوبهم من خلاص أسارى بنى عامر فخرج دريد الى الميدان وتبعه عنتر مثل الاسد الغضبان وبرزمة سرى الوحش وعروه بن الورد وملاعب الاسنه والاحوص ابن جعفر وخفاف بن ندبه ودثار بن رزق وعمرو بن معدى كرب

والربيع

والربيع بن زياد وشداد بن قراد وتمام الخمسين فارس من فرسان الحجاز الذين مافيهم الا من يلتقى ألف بطل اذا أنصف فى البراز ولما صاروا بين الصفوف وقاربوا العسا كروجالوا عليهم ولعبوا بالرماح السمهريه وأبصروا بطارقة الروم والافرنج فما خفى عليهم أفعالهم فخرج اليهم أمثالهم فى عددهم وقد طمعوا فى أخذ أسلابهم الاان كل واحد منهم لما قارب خصمه ضربه طير رأسه عن جسمه وفيهم من طعن صاحبه أقلبه على جانبه وحملت فرقة أخرى فألحقوها بمن تقدم وفعلوا بهم مثل ماتفعل الذئاب بالغنم والنسور الكواسر بالرخم وتتابعت بعد ذلك اليهم الفرسان وقصدتهم الشجعان من تحت الاعلام والصلبان وماز الوا على مثل ذلك حتى انقضى النهار وأهلكوا خلقا ما لها عيار ولا يقع عليهم آثار لانهم فرسان ماتقاس بالكواعب ولا تتساوى السباع بالثعالب (قال الراوى) وأبصرت طوائف النصرانيه فعالهم فانبهتوا من قتالهم وقال ملك الروم قيصر للخلجان ماساءنا سوى قلة التدبير فنتدارك قضيتنا مع هؤلاء الانذال والاخسرنا وطال علينا المطال وانكسرنا لانى أعرف شجاعة شياطين الحجاز وقد رأيت فعالهم فى المعامع وفى البراز ومن أجلهم كنت أنا أهادى الملك كسرى والنعمان وأكف شرهم عن بلاد عبدة الصلبان لان ما فيهم فارس الا و يلتقى ألف بطل و يفرقهم بين السهل والجبل والرأى اننا ننفذ اليهم ونصالحهم ونتركهم يمضون الى بلادهم ونمضى نحن الى بلادنا والا أفنوا أبطالنا وبطارقتنا وأجنادنا وما نقتل منهم فارس حتى يقتل منا جمع كثير وهذا نقص فى العقل والتدبير (قال الراوى) فلما سمع ملك البحر الخلجان هذا المقال زاد به الغيظ لاجل ما هلك من خيالته والابطال فقال

لملك الروم وحق المسيح ما رأيت كله الا رداه وفسادا ولا نلت ما خرجت
معنا على نية الجهاد ولا تبعتنى الاخوة من عتب القسوس
والرهبان العباد ولاجل هذا رحلت عن ديار كسرى حتى لا نملك
بعضها ونصير جوار فى هذه الديار وانا وحق المسيح ما أطيعك على
هذا المقال أبدا ولا أصالح القوم لكون الدين النصرانيه أعدا فان
شئت أن تصالحهم دعنى أنا أبذل المجهود فى طاعة الوالد والمولود والا
تقاتل أنت يوم وأنا يوم حتى تعلم أمة عيسى على من يقع العتب
واللوم لاننى أنا ما أرضى لنفسى بالذل والاعتراف لمن هو دونى
بالعجز عن الكر والفر ولا أكون قد خرجت عن موطنى وبلادى
وهجرت نسوانى وأولادى وأرجع بهذا الخلق والعدد وما فتحت
قلعة ولا بلد ثم ولى بأعلامه وانعزل بمن معه من المواكب
والفرسان وقال لهم اعلموا اننى قد عولت أحمل بعساكرى على
هؤلاء واجتهد اننى أكسر هؤلاء الرعاه فى أقطار الفلاه وأعود الى
هذا الملك الخامر الذى قد اشتغل عن اخوته بدنياه ولا أزال حتى
أعجل قتال وأملك بعده بلاد المسيح وأظهر فيها العدل الصحيح والدين
المليح وأريد منكم الدعا الصالح وأريد أن تصلوا على صلاة الموت
فقالوا له السمع والطاعه افعل ما بدالك وصف هذه العساكر فنحن
نعينك على هذا الخامر ثم داروا بالخياله وصاروا يصلبون على
على وجوههم ويصلون عليهم ويحرضوهم على القتال وما زالوا على
مثل ذلك حتى ضجوا من شدة شوقهم الى الجهاد يا ساده وكان شوقهم
وزعاقهم يفطر المرائر والاكباد وصلوا من كل شعب وواد بآلة
الحرب والطوارق والقنطاريات وكانت الحسين الذين قدمنا
ذكرها واقفين فى الميدان ينظرون براز الفرسان ولما رأوا عساكر

النصرانيه قد انقسمت قسمين جاروا فى أمورهم قال عنتر بن شداد ما أقول الان أعدانا قد وقع بينهما الخلف وهم يريدون يتقاتلوا أو يقولوا يقاتلونا كل طائفة يوم والصواب اننا نحترز لانفسنا من الجهتين ونقسم أصحابنا فرقتين وان رأيناهم قد اختلفوا دهمناهم بأجمعنا ونثرناهم باطراف القنا كما يريدون ونفعل مثل ما يفعلون ثم عاد قسم أصحابه قسمين وتقدم عنتر بخمسة عشر ألف فارس بازائهم وترك الباقين حول أخو النعمان والملك قيس الا انه ما فرغ من هذا الترتيب حتى حملت الافرنج قبل الثبات ومدت أسنة القنطاريات بعد ما صلت عليهم القسوس والرهبان صلاة الاموات ورأى دريد هذه الفعال فالتقاهم فيمن معه من الابطال واشتد بينهم القتال واصطفت الاقدام وبطل القيل والقال وحست الارواح بالانتقال فمال عليهم حمل الاثقال وهبت عليهم أرياح الصبا والشمال وزادت الحروب اشتعال وعملت فيها عوامل الرماح الطوال وحكمت فيهم السيوف الصقال وقد حسرت فى وسط المجال ونيران حربها زادت اشتعال فى أنابيب الصدور والاوصال وطعان أسنتهم تسابق بفعالها الآجال لا يغنى من جوع ولا يشفى غلال (قال الراوى) لهذا الكلام والمقال انما أجرى ذلك اليوم الناس على هذا المقال وخلا الدما تجرى كالغيث الهطال الا فارس عبس ومحاميها وموقد نارها ومصطليها لانه هتك الالباس والطوارق والاعلام والبيارق وهد الاكتاف والمفارق وترك الجماجم تحت الخيول السوابق والتقى بملك البحر وهو يجول ويحمل على العرب عرضا وطول وله وجه مثل وجه الغول فصاح به صوت مهول وحمل عليه حملة جبار لا تصطلى له نار وطعنه فى صدره خرج

السنان يلمع من ظهره وأبصرت خيالة الافرنج صاحبها قتيل فمالت واضطربت وعلى وجوهها اصلبت وأطلقت على عنتر عواكبها وأفواجها وجاءته كالموت اذا فاجأ وكان معه مقرى الوحش وأخوه شيبوب وعروه بن الورد وجماعة من رجاله فردت الافرنج عن الطعن رغما وهدمت بنيانها بصارم السيف هدما وفرت الروم من بين أيديهم هزما هذا وشيبوب قد قطع رأس المقدم وحطه على سنان العلم ورفعت عبدة الصلبان رأس المقدم خلفان فوقع بهم الخذل وبلغ الخبر الى اخوته فدمدما وبربرا ولطما على وجوههما من شدة الاحزان وحملا يطلبان الثار وقد خففا اللباس والدثار وكان بين أيديهما دريد بن الصمه فى بنى هوازن وبنى جشم وما هم الا ان فاربوه حتى استقبل الكبير منهما وضربه على رأسه وبيضته فأنزل السيف الى قفارته وطعن أخيه خفاف بن ندبه فقتله ونهبت فرسان العرب أرواحها بشفار السيوف وأبصر ملك الروم ذلك اليوم من فرسان الحجاز ما قطع ظهره وحيره فى أمره فلأجل ذلك ما حل بعساكره ولا أعان فرسان البحر بل انعزل عنهم وترك السيف يعمل فيهم الى المسا لانه معول على الاصلاح وترك الحرب والكفاح (قال الراوى) وعند نزوله أحضر جماعة من خيالة الافرنج وقال لهم أتظنون انى اليوم تركت معاونتكم الا غيظا منى على ملككم لانى نهيته عن قتال هؤلاء القوم السباع الجياع فما انتهى لان أجله كان قد حضر وانقضى والآن فهذا أمر قد فات وقد عولت آخذكم معى الى بلادى وأساويكم بعسكرى وأجنادى ومن أراد منكم الرواح الى دياره خلعت عليه وسيرته فى المراكب ثم طيب قلوبهم وخلع عليهم وعلى رهبانهم وقسوسهم

حتى

حتى لا يقومون عليه ويخرجوه من دين النصرانيه وعند الصباح
أرسل الى طائفة العرب يطلب منهم الصلح ويقول الذى كان قد لج
فى قتالكم وأحوجنى الى معاداتكم قد راح وأنا ما رحلت من
أرض العراق حتى صالحت الملك كسرى والملك النعمان وعقدت
معهم عقد العهود والايمان وعفوت عنهم بعد القدرة عليهم وكذلك
أنتم فعلتم بأرض الشام وما عليكم عتب ولا ملام لانى علمت ان هذا
لاجل حروب جرت بينكم وبين بنى غسان والان فقد رأيت من
الرأى انكم تدعون الصلح مقيم وتسيرون الى بلادكم ولا تبغون على
من طلب اصلاح الشان لان عواقب البغى مذمومة ومدة الصلح
بالاصلاح محروسه والسلام (قال الراوى) وكان جيش العرب
قد ركب عند الصباح وغاصت فرسانه فى الحديد والسلاح وعولوا
يعملوا فى الروم مثل ما عملوا بالافرنج فوصل اليهم الرسول وبلغهم
الرساله وشرح لهم القضيه من غير اطاله فقال عنتر هذا الصلح كيف
يكون وصاحب دمشق قد سار الى أرض الحجاز بعساكر بنى غسان
ليلتقى حريمنا وأموالنا ويردها الى بلاد الشام وحق زمزم والمقام
والمشاعر العظام والبيت الحرام لا افترقنا عنكم حتى تسير ملوككم
معنا الى أرض العراق وهم مربوطين فى الوثاق أو اترك الارض
غارقه من دما الافرنج والبطارقه أيظن قيصر اننا ننخدع مثل
ما انخدع الملك كسرى وتصالحه وتطلب منه الامان فزعا من عبدة
الصلبان وهم بين أيدينا مثل الحريم والنسوان وهذا شئ لا نراه
ولا نفرح به الا أن يعطينا خمسة آلاف سيد من سادات الروم
نأخذهم معنا رهائن على أهلنا حتى لا يجرى عليهم أمر من الامور اذا
وقعوا فى يد الحارث ملك بنى غسان مرة أخرى ولا ننفذهم الينا الا

وهم مخدومين ومكرمين مع الاموال والعيال وان لم يفعل ذلك والا
ضربنا رقاب الرجال الرهاين الذين كانوا عندنا فى الاعتقال وبعد
ذلك كله نسير اليه والى بلاده بمن قد عرف من الابطال ونخلص
حريمنا على رغم انفه عنفا بصدور الرماح وضرب البيض الرقاق
الصفاح قال الاصمعى وأبو عبيده رحمهما الله تعالى ولما ان سمع
الرسول من عنتر ذلك الكلام حار وقد وقع به الانبهار وقال يا وجه
العرب هذا ما عندنا منه خبر وسوف أعود الى صاحبي وأعيد عليه
ما قلته لى من المقال وأنظر ماذا يكون منه من الجواب وأدعه يدبر
نفسه فيما يرى فيه الصواب ثم انه عاد من عندهم وسار الى ان أتى
الى عند الملك قيصر وقد قص عليه الخبر فلما ان سمع من الرسول
ذلك الجواب فزاد خوفه وفزعه ولم يدرى ماذا يرده من الجواب
أو يقول من الخطاب وقد علم انه مغلوب وقد ترادفت عليه الكروب
ففزع أن يخرج من ملكه مسكوب فقال وحق المسيح لقد اتعبنا
أنفسنا بأنفسنا وكان ذلك كله منا وبايدينا عما دات هؤلاء العرب
الذين هم لا يخافون من العطب ولا يفزعون من الموت اذا هو منهم
قد دنا واقترب ثم انه جمع أرباب دولته وقد أعاد عليهم ما قد أتى له
من الجواب ثم انه قد شاورهم فيما يفعل فقالوا له ما الذى يحوجك
أيها الملك أن تشاورنا فخذ منا ما شئت واترك منا ما شئت عندهم
الف عام فى أسرهم ولا تبلينا بقتالهم وحربهم ونزالهم وانما ما نقاتل
من قد جعلوا الحرب دأبهم والضرب والطعن طعامهم ونقلهم
وشرابهم وشغلهم فقال لهم الملك لما ان سمع منهم ذلك وأتى على مثل
ذلك معول لانّ هؤلاء القوم ما لهم ذنب وانما الذنب لنا وكان سببه
الحارث الوهاب فهو الذى قد أضرم علينا نار هؤلاء القوم ونارهم

شديدة

شديدة الالتهاب ثم ان الملك قيصر رد الرسول الى عنتر بالاجابه وقال له اجتهد أن تنقذهم من الخمسة آلاف الذين يطلبونهم اشىء وان كان ما يجيبوك الى ذلك فلا تعود الى الا ومعك منهم من يحلف لنا ثم يعطينا الزمام على أصحابنا فقال له السمع والطاعه ثم ان الرسول مضى من عندهم يطلب جيش العرب وكان عروه قد قال لعنتر بعد مضى الرسول من عندهم ويحك يا ابن العم لم أجبت ملك الروم الى الصلح وطلبت الرهاين منهم وقد ذلوا بين أيدينا فدعنا ننهب أموالهم ونفنى أبطالهم ونأخذ الملك بقوائم سيوفنا ولا نفترج عنه الا بكل ما نريد فقال عنتر والله يا عروه ما تطلب نفسى البغى ولا تستحسنه ولا يمكن أن أحارب من يطلب الامن ويكف عن سفك الدما ولا آمن الحوادث التى تنزل من السما واعلم ان الخلق كثير ما نقدر ننجز أمرهم فى يومين أو أكثر واذا كسرناهم ما ندرى ان كان يقع الملك فى أيدينا أم لا والثانى انسا لو قتلنا منا مذ كور كان بعيدة الصلبان قال محمد بن هشام فبينماهم فى الكلام واذا قد وصل الرسول اليهم وقد أجابهم انهم لا يتركون شيئا من تلك الخمسة آلاف فارس الرهاين فقال له عنتر اعلم أن لا بد لنا من ذلك ولا نترك منها شيئا ولا نفعل بل ان كان الملك ما يجيبنا الى ذلك فنحن نقاتله لاننا نحن نعلم ان نائبة الحارث الغسانى يلقى حريمنا وأموالنا ويأخذهم ويرد الجميع الى بلاد الشام وهو حريم ثلاث قبائل بنى عبس وبنى عامر وبنى غطفان ومعهم أموال ورجال وأموالنا ما نأ كلها النيران وان لم نستظهر لانفسنا ما نصالح فقال الرسول اذا كان الامر على مثل ذلك فانفذوا معى من يحلف للملك ويعطينا الزمام على أصحابنا فقال عنتر ان زمامنا نحن أ كل أصحابكم من

طعامنا لانهم اذا أكلوا منا الزاد أمنوا على دماءهم لكن ما نطلقهم من الاعتقال وعند كم من أموالنا عقال (قال الراوى) ثم ان عنتر أنفذ معه جماعة من مشائخ القبائل الكبار ولما ان دخلوا على الملك قيصر أكرمهم وقد ترحب بهم وقد عاهدوا الملك وحلفوه وكان مقرى الوحش معهم ولما تعاهدوا وتحالفوا على ما وقع عليه الشرط فاختار خمسة آلاف من عظماء الروم كلهم أقارب ونسائب وهو من بيت أهل الملك فأخذهم وقد انصلح الحال وعادت مشائخ العرب بالرجال وكان الملك قد أنفذ معهم هدايا لاجل الامراء والمقدمين من الفرسان وقد سألوهم فى اطلاق من معهم من القسوس والرهبان وغيرهم من الفرسان فأطلقوهم وبعد يومين رحلوا وقد ساروا وهم طالبون العراق وقد سارت عساكر النصرانيه تطلب بلادها الا ان جيش العرب ما زال سائرا الى ان أشرف على مدائن الملك كسرى وكان الملك النعمان مقيم عنده ينظر ما يتجدد من العرضيات وقد وصلت اليه بعض قبائل العرب ووصلت الى الملك كسرى من خراسان قويه لكن وصولهم كان بعد فوات الامر ورحيل الافرنج وعساكر الروم فانفذ الملك النعمان من يكشف الخبر فسارت على الاثر الكشافه وعادت بأخبار دريد وعنتر وقد أخبرت الملك النعمان بخلاص اخوته وأهله وعشيرته فاستبشر بالخير لما ان سمع ذلك ثم انه قام من وقته وساعته وأخذ معه موكبا كبيرا من العرب والعجم والفرس والديلم وسار الى لقاء عنتر ودريد ومن معهم من الفرسان وما زال سائرا الى ان التقى القوم أحسن ملتقى وسلم عليهم وقد هناهم بالنصر والظفر على الاعداء الانذال وقد استعجب الملك النعمان كيف انهم ظهروا من

هذه

142

هذه الطريق فسألهم عن حالهم وعن عساكر الروم ان كانت التقت بهم ام لا فحدثه دريد بالحال وقد شرح له ما جرى من الفعال وقد أعاد عليه ما فعلوه في أرض الشام وما تم لهم من حيث ساروا من أرض الحجاز الى ان أخذوا الرهائن من عبدة الصلبان بعد ان هلكوا الافرنج وقتلوا ملكهم واخوته فان نجد ولما ان سمع النعمان ذلك غاب عن الوجود وبقي من وقت سماع هذا الحديث كانه مفقود ومن شدة ما جرى عليه من الفرح والسرور استعاده مرة ثانيه وثالثه الى ان عرف حقيقة الامر فقال وحق النار والنور لقد فرجتم عني بهذه الفعال كروب وأي كروب ولكن ما صالحنا لكلب الروم لما وصلت اليه أخباركم ثم انه بعد ذلك قد هنا اخوته بالسلامه وقد عادوهم الى جانبه سائرون وهم يحدثاه بالاهوال التي جرت من عنتر في بلاد الشام وقتال الافرنج وهو يصدقهم في ذلك ويقول ما تحت السما أفرس منه ولا أكثر منه سعاده ولا مروءة ولكن نحن ما نعرف قدره قال الاصمعي وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى المدائن وقد خرج الملك كسرى في سائر مواكبه والتقى بهم وسلم عليهم وقد فرح بهم وبعد ذلك نزل القوم في الخيام ونقل اليهم الملوفات والطعام والمدام وقد أكرمهم الملك كسرى وهو فرحان بما سمع عن عبدة الصلبان وركب الملك النعمان وركبت العرب من حواليه وساروا الى ملتقى الملك كسرى وسلموا عليه وتقدم الملك النعمان وقال له يا ملك الزمان لا زلت منصورا على عبدة الصلبان ثم انه حدثه بفعال عنتر ودريد شيخ مشايخ العرب ففرح بذلك وأزال عن قلبه الغمه وقد خلع في عاجل الحال على عنتر خلعة الرضى وكذلك فعل في حق دريد ومقري الوحش وعروه بن

الورد ومقدمين العربان وقد أدركهم الجنائب الحسان وساريهم
يطلب الفرجه على البساتين وهم من حواليه يحدثونه بما جرى لهم
مع الملك قيصر وعساكر الافرنج والروم وكيف قتل ملك البحر
خيلجان وكيف تركه ملقا في القيعان وكلما سمعه الملك كسرى
يطرب من ذلك الشان وكيف دار دلك الدولاب كله على الملك
قيصر وذلك كله بعد الذل والهوان قال محمد بن هشام ومازالوا
سائرين وهم في هرج ومرج الى ان وصلوا الى البستان وقد كان
بستان من البساتين المعدوده للملوك الاكاسره وهو كأنه روضة
من رياض الجنان وفيه من الاشجار والرياحين ألوان وهي كأنها
العرائس المجليه بأنواع الازهار مكسيه وقد تريح به ريحان وفاحت
فاكهته والبان والرياحين قد ابتهجت جنباتها وتنقشت فلواتها
واكتمات حلل ايفاعها وقد اشرقت شقائقها وفاحت أزهارها
واينعت أثمارها واسلبت بنور فجاجها وترنحت غصونها
كأمواجها وأصول النسرين من جنباتها وروائح البنفسج من
أبراجها ومقل النرجس قد فتحت عيون انزعاجها والربيع قد خلع
على أغصان البان حللا قد جرت فواضلها على الكثبان وهام
الغصون قد اكتست التيجان ونحت خدود الرياض من شقائق
النعمان وبسط الرياض قد تصبغت كما يشاء الرحيم الرحمن وظهرت
أزهارها بمختلفات الالوان فأبيضها يفوق أحمرها شقيق يميل به
النسيم كأنه مثل نشان وكانت تلاقي الاغصان بالاغصان كأنها
جوق رواقص وفي أرجلهن قيود من سلاسل الريحان والشمس
تنظر من بين خلال الاشجار الى ذلك المكان وتظروا الى نحو
الحدائق كما تنظر القيران (قال الراوى) وان أعجب ما في ذلك

المكان أن الارض ضاحكه بغير نطق لسان والسحاب لضحكها باكى حتى اذا ابتسمت ثغور الزهر كمنظوم الجنان وبكى الجو لابتسامها بدمع هتان وطفح السرور من بعد الاحزان فمن عظم المسرة جرت الدموع من الاجفان والماء يسرع فى تدفقه والجريان وكلما مرت عليه الرياح تارة شمال وتارة يمين وتارة كأنه الثعبان وتارة كأنه كوارع الغزلان فهو كما قال فيه أديب ذلك الزمان الذى حاز فضائل الاوائل ومر عليهم فى المعانى ثم أنشد يقول هذه الابيات

خلع الربيع على غصون البانى * حللا فواضلها على الكثبانى
وزكت فروع الدوح حتى صافحت
مقـــل اللبيب ذوائب الاغصانى
وتوجت هام الغصون وضرجت * حلل الرياض شقائق النعمانى
وتنوعت بسط الرياض فزهرها * متباين الاشكال والالوانى
من أبيض ضوء وأصفر فاقع * وأزرق صافى وأحمر قانى
والفل يشرق فى الخمائل نظرة * والغصن يخطر خطرة النشوانى
وكأنما الاغصان سوق رواقص * قد قيدت بسلاسل الريحانى
والشمس تنظر من خلال فروعها * نحو الحدائق نظرة الغيرانى
والعطلخ فى حلل السكان كأنه * حلل تفتق فى نحور غوانى
والارض تعجب حين تضحك والربا * تبكى بدمع زائد الهملانى
حتى اذا افترت مباسم ثغرها * وبكى السحاب بدمع هتانى
ظلت حدائقه تعاتب جوده * فأجاب معتذرا بغير لسانى
طفح السرور على حتى انني * من عظم ما قد سرنى أبكانى
والماء يسرح فى التدافق كلما * عجلت عليه يدى النسيم الوانى
تورا كأنسمة الفلاه وتارة * متململا ككارع الغزلانى

فاصرف همومك بالربيع وزهره * ان الربيع هو الشباب الثانى
وختمت أقوالى بمدح محمد * خير الورى سيد ولد عدنانى
(قال الراوى) ومازالوا فى ذلك البستان على أكل وشرب وعنا ولعب وضحك الى آخر النهار فركبوا وعادوا من ذلك المكان الى الايوان وعنتر راكب بجانب الملك كسرى أنوشروان وقد نصبت لهم الكراسى الذهب لاجل عنتر ودريد والملك النعمان ومن معهم من مقدمين العربان الكرام ولما ان دخلوا من الايوان نزلوا عن الخيول التى كان الملك كسرى قد أوهبها لهم وقد جلس الملك كسرى وأمر بالجلوس لسائر العربان وأما عنتر فانه قد أجلسه بجانبه على السرير كأنه الاسد الشريد وقد سارت جميع الملوك جلوس من ورائه وقد أحبه الملك كسرى وصافاه وجعله نديمه من دون رفقاه وقد قدم من بعد ذلك الطعام والشراب وحضرت الندما والخواص من الاصحاب ودارت عليهم عند ذلك الكاسات من المدام وقد أخذ الملك كسرى قدحا من الساقى وناوله لعنتر فأخذه منه وقربه واستبشر وانبش فى وجهه فعند ذلك قام عنتر ناهض على قدميه وقبل يديه وشربه والسرور قد طفح عليه وناوله الى الساقى والملوك ناظرة اليه ثم ان عنتر اشار بمدح الملك كسرى ومجالسه بهذه الابيات يقول

قم يانديم وزر مجالسة الكرى * بالهجر يصفو النور المجلسى
اذ ما رأيت النور يشرق بالندا
والفجر نصل من خضاب الجندسى
والثوب فى حلل الحديقة مدثرا
والغصن من حلل الازاهر مكتسى

والروض

١٤٤

والروض يبرز فى غلائل لؤلؤ ✽ والارض ترفل فى غلائل سندسى
لاتعدم اللحظات كيف تصرفت ✽ وجنات ورد أولواحظ نرجسى
والجو بين مكوفر ومصندل ✽ وممسك وموردومورسى
فكأنما وسع الاباطح والربا ✽ بنوال كسرى لاثم المتفنسى
وكأنما نفحت حدائق زهرها ✽ عن ذكرة المتعطر المتقدسى
ان الذين بجودهم وسماحهم ✽ جبروا الكثير وسدوا فقر المفلسى
الضاربين بكل أبيض مخدم ✽ والطاعنين بكل أسمر مدعسى
من كل أزهر فى الغلاظة أفلج ✽ أوكل أحور فى العريكة أشرسى
سلبت أكفهم المقايا والمنا ✽ سكن الصواعق فى الغيوم الدحمسى
لله مجلسك المنيف قبابه ✽ بمواطر فوق السماك مؤسسى
بمواقف جبل المجرة تلتقى ✽ فيه الجوارى بالجوارى الكنسى
تتقابل الانوار من جنباته ✽ فالليل منهم كالنهار المشمسى
عطفت جناياه وبرد سمائه ✽ عطف الاهلة والحواجب والقسى
واستنبرت عمل الرخام وزهره ✽ بأجل من زهر الربيع وأنفسى
فهوائه من كل جانب أهيف ✽ وشراؤه من كل خد أملسى
فلذ يحير فيه كل مضجم ✽ وأقر بالتقصير كل مدنسى
فبد اللحظ العين أحسن منظرا ✽ وغدا الطيب العيش خير مفرسى
وطلع به قمرا اذاما أطلعت ✽ شمس الحدود عليك ثم الاكوسى
فالناس أجمع دون قدرك رتبة ✽ والارض أجمع دون هذا المجلسى
ملكت عطاياك الملوك باسرها ✽ أيضا وعم الكل ليث أشرسى
فاسلم ودم فى نعمة ورياضة ✽ ومناصب من عظم باسك تحرسى
خذ من عبيدك عنترا بكرا أتت ✽ تجلى بها أنوار ضوء المجلسى
وختمت أقوالى بمدح محمد ✽ من جاءنا بالدين مثل الاشمسى

(قال الراوى) وكان عنتر كلما أنشد وأعرب يتمايل الملك كسرى من شدة الطرب ويأخذ الكاس من ساقيه ويشرب لانه كان فى لغة العرب له معرفه وفصاحة فى معرفة الادب ولما ان فرغ من انشاده له بهذه الابيات فتعجب من فصاحته سائر من حضر من السادات فعندها قد نهض الملك كسرى قائما على قدميه وقد خلع كلما كان عليه وأرماها عليه ثم انه أمر له بمال جزيل غير قليل وقد قال له يا عنتر وحق بيوت النيران وما فيهما من البرهان انك أنت فريد العصر والاوان فى نظم الشعر وكل الفصاحة وملتقى الاقران فى حومة الميدان وقد أتوا الحجاب للملك كسرى ببقجة ثياب فلبسها وترك التاج والاكليل على رأسه وقد طابت له الاوقات بين جلاسه وقد دارت الكاسات وأردفوها بالطاسات الى ان عمل فيهم المدام وساروا كأنهم نيام قال محمد بن هشام يا سادة يا كرام يا مستمعين الكلام صلوا على البدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام صلاتا وسلاما الى يوم الزحام سلام كلما غرد قمرى وناح الحمام ولما ان انقضى ذلك النهار قاموا وخرجوا من ذلك المجلس وقد ساروا للخيام الجميع وما فى الحاضرين الا من خرج من المجلس وهو يميل فرحا وابتهاج وهو يجر أذيال الحرير والديباج عليه وقد قدم لعنتر جواده الابجر وكان واقف عنده من يخدمه من الخدام فركب وعادوا الجميع الى الخيام وقد كان عليهم ذلك اليوم لا يعد من الاعمار قال المؤلف وكان ذو الخمار فى تلك الايام عند الملك النعمان لانه لما ان خلص من الاسر عاد اليه الا انه لما ابصر فعل الملك كسرى مع عنتر زاد به الحسد والكمد وقد جرى على قلبه ما لا يجرى على قلب بشر وقال

فى نفسه

فى نفسه وحق الرب الاكبر لأ دبرفى هلاك هذا العبد الاغبر الافشر ولد الزنا ولو تعلق بالسما ثم انه سار ينظره لما ان ركب جانب الملك كسرى ويحضر معه فى الميدان ويحكم بين الرجال والفرسان وقت الطعان ويعود معه الى الايوان ولا يخرج الا بالخلع الحسان والغلمان فلأجل ذلك قد زادت عليه الهموم والاحزان وقد اشتد به الفيجان ومن عظم ماجرى عليه دخل على الملك النعمان وخدمه وقال له يامولاى أما أنت قد أوعدتنى بالصلح مع صهرى دريد لانى فى كل وقت رأيته أستحى منه فقال له الملك النعمان حبا وكرامه اركب معى اذا ركب الملك العادل الى الميدان حتى أصلح بينك وبينه وأدعه يهب لك خطاك ويسامحك فى جناك واذا شئت أن تصالح بعده عنتر فافعل ولا تتكبر ولا تعادى أهل السعاده فتخسر فقال ذوالخمار والله يامولاى لقد كنت غرور بهذه الاشيا والآن فقد عرفتها وأولتنى الغر به ولولا ذلك ماقصدت اليك وجعلت معتمدى عليك من دون عبيدك (قال الراوى) ثم انه ركب فى اليوم الثانى فى موكب الملك النعمان وقد حضر معه فى الميدان وقد ركب الملك كسرى ومن حوله سادات خراسان وسائر الفرسان وقد سار الى الميدان وقد اصطفت المواكب لطلب الفرجه على الطعان فعندها ادعى الملك النعمان بدريد بن الصمه وعنتر وقد حدثهما بقصة ذوالخمار وسألهما الاجله أن يهباه خطاه وأن يسامحاه مما جناه وقد عرفهما كيف انه قاتل بين يدى الملك كسرى حتى انه أسر مع جملة الاسرى ثم انه قال لدريد ياأبا النظر انت تعرف ان هذا الفارس الذى مثل ذلك البطل يجب أن يدارى ويحتمل ولا يؤاخذ أبدا اذا بدا منه ذنب لان وقت الحاجه اليه تمحو فعاله من ذنوبه

ويعلى أعماله خطاه وعيوبه لاسيما مثل هذا الرجل ذو الخمار
الذى قد شاع ذكره فى سائر الاقطار وقربنا اليك بمصاهرته المجد
والافتخار ولا له فى هذا العصر مقاوم ولا مماثل الا أن يكون هذا
البطل الحلاحل الذى تهابه القبائل كلها وقد ذكر لى انه قد لج
فى براز عنتر وأنت تمانعه بالقضا والقدر وقد كنت يا أبا النظر تمنعه
وتعدله وهو لا يتعدل وما فعل ذلك كله الا حسداله وكان جاهلا
بفروسيته والشجاعه وقد رضى من ذلك اليوم أن يكون له صاحب
وصديق فى الشدة والضيق ومازال الملك النعمان يتكلم بمثل ذلك
الكلام الى ان استقى دريد من الملك النعمان وعفى عنه وأما عنتر
فانه قال والله يا ملك اننى أنا أقل فارسا يكون للعرب أتخذه لى مولى
وأتمنى له حاجة أقضيها له وانما هم يركبون فى طريق اللجاج
ويتمنون لى أن أعود الى رعى الجمال فى البيدا وهذا شئ لا يكون ولا
يجرى ولا بقيت أفعله أبدا وعلى ان فعال ذو الخمار ما كانت عندى
خطأ لانه طلب البراز حتى ينال به الرتبة العليا فمنعه من ذلك مولاى
دريد على سبيل الاشفاق على ماجرى منه وهذا أمر هين متى أراده
منى أطعته عليه حتى يرضى لان لى فى برازه الحظ الاوفر لانه سيد
ومقدم وأنا عبد راعى جمال وغنم فعندها تعجب الملك النعمان من
مروءته . وقد قال لله درك يا فارس القبائل وجميع العربان ثم انه
ادعى بذو الخمار فأتى وهو راجل وتقدم اليه ولما ان حضر قال له
هاهو صهرك دريد اقبل عليه وقبل عليه فعندها تقدم ذو الخمار
اليه وقبل قدم دريد فى الركاب وأظهر له الاعتذار والاكتئاب ثم
انه بعد ذلك تقدم الى عنتر وأراد أن يفعل معه كذلك فما طاوعه
عنتر بل ترجل له واعتنقه وتصالح هو واياه وقد عاد بعد ذلك مع

دريد

146

دريد الى الميدان ووقف بين الصفوف فراى الامير عمرو بن معدى
كرب يجول بين الفرسان وهو يطاعن الاقران ويركض فى الميدان
والملك كسرى كان قد خلع عليه خلعة سنيه تصلح لامثاله وهو يتفرج
على قتاله قدامه ولما ان رأى ذوا الخمار الى فعاله هاج بلباله وقد زاد
اشتعاله فبرز بخيله ومجاله فجال معه ساعة من النهار وسطى عليه
سطوة جبار وما تركه حتى انه أوهنه بطعنه تدهش الخواطر فعاد
عمرو من قدامه وفى أضلاعه منه علائم وآثار فبرز اليه عامر بن
الطفيل فجال معه ساعه وقد علا عليه فعاد وبرز من بعده ملاعب
الاسنه وتجاول هو واياه وعاد من بين يديه من بعد ما غيبه ذوا الخمار
عن رشده وقد تراسلت اليه فرسان بنى عامر فما منهم من عاد من
قدامه الا خاسر فرأى الملك كسرى فعاله فأعجبه قتاله فسأل عنه
الملك النعمان فقال يا ملك الزمان ان هذا هو ذوا الخمار الذى كان قاتل
بين يديك الروم والافرنج واسر بكثرة الجموع ثم انه أعاد عليه جميع
ما جرى له مع قومه وحوه دريد وقد أصلح بينهم فقال له الملك كسرى
نعم ما فعلت فى حقهما يا شاهنتا زمان لان مثل هذا الفارس لا يفرط
فيه ولا يهمل أمره ولو فعل مهما فعل ثم انه قربه وأدناه وبفرسان
العرب بالخلع ساواه وقد أركبه جنيب من خاص جنبه بمركب من
الذهب وقلده بسيف مشطب وحمائله مثل شعاع الشمس يتلهب
وقد تركه فى ذلك اليوم عنده وجعله من بعض ندماه وقد أقام عنده
ذلك اليوم بطوله ولما ان عاد من الميدان وما خرج من عنده الا وقد
أعطاه وأغناه (قال الراوى) ولما ان كان من الغد عادوا الى
الميدان عاد الى العاده التى جرت للملك كسرى فى موكب الفرس
السادة ووقف تحت الاعلام والازدهارات وقد ترتبت الصفوف

فى سائر الجنبات وخرج الى البراز من له بها عادات فبرز ذو الخمار على الجواد الذى أوهبه له الملك كسرى بمركب الذهب وجال بين صفوف العرب والعجم وكان قد برز فى ذلك اليوم برمحين طعن بهما وتقلب على ظهر الجواد وقد أظهر ما أمكنه من فروسيته وشجاعته العجب وكانت الرماح بلا أسنه فنقلها من يديه وعلقها فى الهوى وتلقاها وهى مثل الافاعى تتلوى ولما ان أبهتت بفعله النواظر تقدم الى بين يدى الملك كسرى وخدم وعاد الى قدام الملك النعمان وعنتر واقف بجانبه وهو على جواده الابجر وبيده الرمح الواحد وأومأ به الى عنتر وقال له يا فارس الزمان ويا بطل تبطل عنده خيل الشجعان تقدم اليوم وفرج هذا الملك العادل بين هذه الصفوف والجحافل لان ما هنا من يشفى القلب بالطعان سواك يا فارس الزمان واعلم اننى اليوم قد عولت أن أفتخر ببرازك ولقاك لانك أنت غاية الشرف لمن لك اعترف ومنتهى المراد اذا بلغ الانسان ووصف وسنانك يسبق الوصف ويأتى بالوهم وحسامك فى أرواح الابطال سهم وبفهمك ستعرف كل فهم ومجدك علا فى السهى وخصالك ما لها انتها (قال الراوى) ومازال على مثل ذلك الى ان استحى عنتر من الملك النعمان ومن حضر من الفرسان فأخذ الرمح من يده وأجاب لانه كان يتمنى ذلك ويشتهيه لاجل ما بات فى قلبه من فرسان العربان الذين فعل بهم قدام عنتر ذو الخمار من جهة عامر وعمرو وملاعب الاسنه ومن يليهم من فرسان بنى عامر الذين خجلهم بين القبائل والعشائر فأتاه الامر كما أراد بلا ملاججه ولا عناد الا انه أظهر حلمه وخضوعه وقد كتم ما اشتملت عليه ضلوعه وقال له والله يا ذو الخمار لقد وصفتنى بأوصاف أنت أحق بها منى وأولى لانى أنا

عبدوأنت المولى ولولا انك طلبتنى وقد قصدت الفرجه ما امتثلت لك قولا ولكن ياوجه العرب من يكون قصده الطعن والضرب بلا اسنه ايش يحتاج الى لبس الحديد والصواب اننا نخفف عنا الزرديات والدنار ليكون قتالنا أفرح لعيون النظار وكان عنتر قد أراد بذلك أن يوهن مقاتله بالطعن و يعرفه قدره حتى يكف عنه شره لاننا قد ذكرنا كم لج ذوالخمار فى براز عنتر والاسباب تمنعه فى القضا والقدر ولما ان كان فى ذلك اليوم غلب على رأيه وقد استحى من الملك النعمان وعلم ان ذوالخمار يعود بحه الى خسران لان ذا الخمار قال لعنتر والله لا خرجت اليك الاعريان الجسد على جواد أجرد فقال له عنتر هذا هو الصواب والانصاف الذى يعرف بين الملوك والناس من الرجال الاشراف والابطال المعروفين بين قبائل العربان قال فجد ثم انهم بعد ذلك الكلام كشف كل واحد منهما رأسه وقد خفف حديده ولباسه ثم ان عنتر سار فى ثوب خام قصير الاكمام وقد أخذ فرس مجهول لكن من الخيل الجياد وأرمى من عليه السرج والحزام وقلع من رجليه المهاميز ووثب بعد ذلك وصار على ظهره كأنه أسد من الاسود وذوالخمار لا يصدق بذلك لان فى قلبه من حسد عنتر حرارات ثم انهما برزا الى الميدان الاثنان ولما تقاربا جال عنتر وسار وأنشد وقال

تروم اليوم فى البيدا قتالى ✻ لقد منتك نفسك بالمحالى
فعد يا ذا الخمار ودع كفاحى ✻ فانى قد نصحتك فى مقالى
وارجع لا تريد لنقص حظى ✻ كنقص البدر فى وقت الكمالى
الم تسمع مقارعتى وحربى ✻ وشدة ساعدى ثم اغتيالى
فكم أرديت من بطل همام ✻ بطعن الرمح فى يوم النزالى

وكم جرعت كاسات المنايا * بحد البتر والسمر العوالى
فلى قلب على الاهوال جلد * وفى حمل الشدائد ذو احتمالى
فلو أتت الجيوش الى زحفا * وأطلقت الاعنة لا أبالى
فياعبل اسمعى بفعال عبد * يذل لسيفه نعم الموالى
فانك ان ذكرتى يوم حربى * وضربى باليمين وبالشمالى
فشخصك ثابت فى نور عينى * ثباتا ليس يمحى بالزوالى
وانك لو ترين اليوم فعلى * لكنتى تعجبى مما جرى لى
وموقف ذو الخمار يريد حربى * ويرجو أن يحط بى النكالى
ففى جرع الطواف غداة أضحى * يريد الحرب بالبيض العوالى
وقد خليته فى الارض ملقى * وأيقن انه ماهو من رجالى
فعاد يهز عطفيه افتخارا * وقال ابرزسر يعا للمعالى
قلت التق السلاح فان شرطى * أكون من السلاح اليوم خالى
وأرجو النصر من رب كريم * مدى الايام ماعشت اتكالى
بهمة مالك الاقطار كسرى * ومن فى الفخر ليس له مثالى
مليك عادل قد حاز فخرا * بما قد حاز من رتب المعالى
أنا ملك جبرت اليوم كسرى * وأسرعت العطا من غير مطالى
وقد أتحفتنى بجزيل مال * وأصناف الجواهر واللآ لى
ونعمان الجليل القدر فينا * لقد حاز المكارم بالتوالى
وقد شاعت مكارمه جهارا * وسرا فى الانام بلا سؤالى

(قال الراوى وهو الاصمعى) ثم انهما بعد ذلك الشعر والنظام وماقد زاد بينهما من الكلام صرخا صرختان عظيمتان صرت لهما الخيل آذانها وارتعدت من الفرسان أبدانها وبعدها انفسحا عن بعضهما كما تنفسح الكباش الى النطاح ثم انهم عادوا وقد جردوا

السيوف

السيوف الصفاح وقد جرواعوامل الرماح وتكافحا أشد كفاح
الى ان أذهلوا العقول الصحاح فكان لهم ساعة تقشعر لها الجلود
وتذوب من شدتها الكبود ويلين من حرارتها الحجر الجلمود ويعرف
الانسان منها حرارة العدم من حلاوة الوجود ثم انهما التصقا
التصاق جبال وادى زرود وقد تطاعنا طعنا أحر من الجمر المرقود
وقد ظن الحاضر ون ان كلا منهما مفقود ثم انهما افترقا بعد ذلك
افتراق جبال وادى الاخدود وقد تقلبا على ظهور الخيل وهم بلا
سروج الى ان تعلمت الابطال منهما حقيقة الدخول والخروج فلله
درهما من فارسين ودرما كان تحتهما من جوادين لانهما قد أظهرا
بواطن الخداع فى مقام القراع وقد خيل للناظرين ان فرسيهما من
أملاك الافلاك أو كأنهما من شياطين الجان الذين لا يفزعون
من الهلاك فى مقام الارتباك قال المؤلف وبعد ساعه من النهار
قد نفذت من بينهما طعنتان وقد سمع لهما صيحتان عجيبتان فأما طعنة
ذو الخمار فانها كانت بحنق وعجله فسبقها عنتر وقد سيرها باطله وأما
طعنة عنتر فانها كانت بمعرفه وفروسية وخبره وصناعه فما احس
بها ذو الخمار الا وعنتر يقول له خذها يا سبيع من كف فارس
لا يخشى ملل ولا ريع وقد وقعت تلك الطعنه فى أضلاعه فتغيرت
أحواله وأدهشت طباعه الا انه أظهر الصبر والجلد وأخفى الوجد
والكمد واستحى أن يطلب الانفصال والاقاله وقد طاب له الموت
ولا ينفصل أمرهما على تلك الحاله ومن عظم ما أصابه وجرى عليه
رمى الرمح من يده وقد جذب الحسام وطلب به عنتر وتقدم اليه وكان
عنتر أيضا قد اغتاظ واشتد به الغضب وخجل كيف طعن ذو الخمار
وما انقلب فعاد اليه عودة الاسد الحردان وأراد أن يطعنه ثانى مره

يرميه فى الميدان فضرب ذو الخمار رمحه أبراه وزعق فيه وفاجاه فسل عنتر حسامه وحمل عليه وصاح وقد عاد الامر بينهما جدا بعدما كان مزاح وخديعة وانشراح ثم انهما تضاربا بالصفاح فى بواطن الارواح والملك كسرى يتفرج عليهما والملك النعمان ومن حوله من الفرسان يتعجبان منهما وقد تقدمت الشجعان من كل جانب ومكان لايفوتهم النظر الى مثل هذه العجائب وقد اشتهوا أن ينظروا المغلوب من الغالب والملك كسرى قد أهاله ماجرى وخاف على تلك الفارسين لانهم جبابرة الصحرى قال المؤلف فالتفت الى الملك النعمان وقال له ياملك افصل بين هؤلاء الاسدين لان لايحل بهم العطب ويشمت بهم العدو والحسود وتحدث بينهما الحقود فما مثلهما من نفرط فيه حتى تصل الاذيه اليه وكل من فقد منهما تأسفنا عليه لان هؤلاء أساس الدوله ومامنهما الامن له على الاعداء حرمه وصوله ونحن أحوج مايكون اليهما ونعول فى الامور عليهما وان داما على مثل هذا الحال فما يتخلص أحدهما من صاحبه الا وقد حل به الوبال فبادر وافرق بينهما قبل أن تصل الاذيه اليهما (قال الراوى) فعند ذلك حرك الملك النعمان جواده وركض وقد طلبهما وقد تحركت من حوله المقدمين من الفرسان وقد ركضوا من خلفه الا انهما ماخرجا من تحت الاعلام حتى خرج عنتر من الميدان فلاقاه دريد فرآه وهو يهمهم ويدمدم ويزمجر ويبربر ويزنقر وفى كفه الحسام فقال له ياأبا الفوارس أين خصمك ذو الخمار فقال انظره هاهو ممدد تحت الغبار فقال له دريد لاتعقل ياأبا الفوارس لاتقول ذلك المقال ولاتفعل هذه الفعال لانك والله مالك فى هذا الزمان مقايس ولا مماثل فقال له عنتر والله يامولاى أنا ماطلبت ان هذا

يكون

يكون ولا أشتهي ذلك في الاول ولا تعرضت به ولا كنت عليه معوّل وانما هو الذي أتى الي وأبلاني بروحه وكان لي مشاقق وأنت تعلم انه تقدم بين يدي وناولني الرمح بين تلك الخلائق وكان ذلك بحضرة الملك العادل كسرى والملك النعمان وقد أقسم علي بالرب القديم خالق الزمان فعند ذلك استحيت من العربان وخرجت اليه وما كان في ظني انه يفعل هذه الفعال وانه يريد أن يفرج الملك العادل كسرى والملك النعمان ومن هاهنا من الابطال على ما يجري بيننا من الضراب والطعان ويرتفع بذلك قدره بين الفرسان وما علمت انه يريد هلاكي واذلالي ويبذل المجهود في حربي وقتالي ولما صح عندي حقيقته طعنته تلك الطعنه وجاءت هي باطله فقلت انه يرتد عما هو عليه ويطلب الاقاله ويكف شره عني فما فعل الا انه جرد سيفه من غمده وعلي قد حمل وزاد حقده وعناده وقد ضرب رمحي بسيفه أبراه وقد طلب قتلي كما رأيت بين هذه المواكب ولما ان علمت أحواله وانه يريد هلاكي أنزلت به المصائب وقد ضربته بالحسام صفحا على رقبته فوقع الى الارض فابسط لي العذر يا أبا النظر واحمد الرب القديم الذي ما عجلت قتله وأنت تعلم اني بليت من هذا الرجل ببلاء ما قدرت على دفعه الا بركوب الخطر والتغرير بين يدي هذا الملك العادل على هذه الامور المنكره فقال له دريد وحق البيت الحرام يا أبا الفوارس ان عذرك واضح ولكن لعلو قدرك أنت مسامح وأجل مكافح وأما هذا الرجل ما كنت أشتهي الا انه يمسي طعاما للسائر الوحوش أو الجراد في عرصات الفلا لا نوله الله ما يؤمله وما يشتهيه قال المجد ثم ان دريد بعد ذلك الكلام دنى من ذو الخمار وقرب منه فرآه قد قام من على الارض وهو ينفض

من على رأسه الغبار وهو لا يبصر ما بين يديه من شدة ما قد جرى
عليه فقال له دريد ويلك يا ابن العم أنا قلت لك ألف مره لا تعارض
القضاء والقدر ولا تعادى رجلا مسعودا فقد افتضحنا وقد انفضحت بين
هذه الامم وقد صرت مثلا بين العرب والعجم فقال له ذو الخمار لا تلمنى
يا دريد على هذه الفعال المنكره فان الذى جرى على جرى من قبلى
على فرسان العرب مثله وأكثر وان الفارسين اذا التقيا فى الميدان
كانا على غاية الخطر ولا بد لاحدهما أن يرجح على صاحبه والآخر
يخسر فقال له الملك النعمان يا سبيع ان بينكما تفاوت كثير لانه
قدر وعفى وقد داوى من القلوب أمراضها وشفى وما أتلفى قال
ثم انهم بعد ذلك أخذوه وأتوا به الى الملك كسرى فأمر الملك النعمان
أن يصلح بينهما ففعل ذلك وأصلح بينهما ثم ان الملك كسرى أخلع
على الاثنين وقد سألهما هو والملك النعمان أن يزيلا ما فى قلوبهما من
الحقد والغيظ كله وقد قال الملك كسرى اعلموا ان حلاوة صلحكما
على تكون فى بعض الثرى فى غداة غد ثم انهم قد رجعوا من
الميدان ونزلوا فى الخيام والناس ليس لهم كلام الا فى عنتر وذو الخمار
الفارس الكرار قال ولما ان كان من الغد ركب الملك النعمان
وسار الى الملك كسرى لينظر حاله ثم يحضرهما الى بين يديه ليكون
تمام الصلح عنده كما أمر فى البستان فرآه قد اشتغل فى تلك الساعه
بكتاب قد وصل اليه من خراسان وقد تقدم الوزير البزرجمهر قرأه
عليه حتى يثبت تلك الامور كلها فتقدم الملك النعمان ووقف يسمع
ما فى الكتاب ليزول ما فى قلبه من الارتياب واذا بالخيل قد أقبلت
من ناحية الحجاز تركض وهى متتابعه وغبارها متزايد وهى
مرتفعة والجنوط العه ولما ان أبصرتها العرب ركبوا وقد أطلقوا

150

نحوها الاعنه وقوموا الاسنه ثم تلقتها عندما قربتها وكشفت عن أمورها وتبينتها واذا هي من جملة الخمسة آلاف فارس الذين مع السبي قد أرسلها عنتر فلما حضروا بين يديه قال لهم عنتر وقد عرف انهم انهزموا وأتوا نحوه شاردين واليه طالبين ياويلكم التقى بكم الحارث صاحب دمشق وأخذ ما كان معكم من السبي والمال وخلص منكم الحريم والعيال فقالوا له اى والله يا أبا الفوارس التقانا وما كان لنا به طاقه ولا قدرنا له نقايس فسلمنا ما كان معنا وقد هربنا منه وعدنا الى نحوكم طالبين فقال لهم عنتر أفقتل منكم أحد لما ان التقاكم وأنزل بكم الردى فقالوا والله ما قتل منا الا نفر قليل لان عساكر الشام قد التقتنا عند الماء وقدموا الناعلى النزول وما كان لنا على لقاهم من سبيل ولما أن لاحت لنا طلبانهم وعلمنا أن عددهم زائد فاستشورنا فيما نفعل فما رأينا لنا أصوب من النجاه فنجونا وقد تركنا كل ما كان معنا من المال والحريم والعيال وما ظفر وامنا الا من قصر جواده وكان قد دنا أجله فعدم رشاده وما بقى قد غاصوا فى البر وطلبوا أحياء العرب وكانت النجاة له غاية الارب وما فينا من سأل عن صاحبه ولا الى نواحى قد طلب وانما نحن كانت خيلنا جياد فرمتنا بعد ما نجت بنا الى هذه البلاد وقد وصلنا ونحن فى هذا الحال وقد ساءت بنا مما قاسيناه الاحوال لاننا قد حسبنا حسابك لما أن تشتتنا فى الآفاق وقلنا ما التقانا صاحب دمشق الا وعساكر الروم قد رحلت من العراق وهناك نلتقى أصحابنا ونشتكى اليهم ما قد حل بنا وما قد أصابنا فقال عنتر وقد عظم عليه هذا الخطاب والله لا تركت دياره بعد ذلك الا خراب يعوى فيها البوم والغراب ولا قودنه الى أرض الحجاز قود الكلاب

ثم انه طيب قلوبهم وقد حدثهم بحديث الرهائن التى هى معهم
وكيف انه ظفر بعساكر النصرانيه فى الطريق وكيف انهم خلصوا
بنى عامر من الهلاك والضيق والقصة التى جرت لهم من أولها الى
آخرها وقد شرحوا لهم باطنها وظاهرها وكان أكثرهم من فرسان بنى
عبس والباقين من بنى غطفان فطابت قلوبهم وانشرحت منهم
النفس وقد نزل الجميع فى الخيام ودارت بينهم المشوره والكلام
وقال عنتر اعلم ان الملك ما يغدر بنا ولا يحنث فى الايمان التى
حلفتها له الرهبان وان الرهبان الذين عندنا هم كلهم خواص دولته
ولكن قد بقى فى القصه شئ آخر وهو اننا ما ندرى على أى طريق
يسير ونحن كنا نقتفى منهم الآثار فقال اذا كنت حائر فى هذا
الامر فأقم أنت ها هنا من يومك ويكون معك نفر قليل من قومك
وخلى باقى العربان تسير الى أرضها وتلتقى بأهاليها واذا وصلوا اليهم
واجتمعوا بهم يرسلوا اليك ويعلموك بالامور وما فيها وتعلم أهل دمشق
برهائن دمشق حتى لا يصل الى الاسارى بحال من الاحوال واذا
اطلقوهم أطلق أنت الآخر الرهائن من الاعتقال وذلك بعد
ما يسيروا اليك قومك ويعلموك عن يقين فأنت تطلقهم وترسلهم
الى أهلهم سالمين فقال الملك قيس ما بعد هذا الكلام الا الفعال
ونحن مطيعين لك فى كل ما تأمر به من الاحوال فقال عنتر لدريد
الصواب عندى يا مولاى ان تسير من ها هنا الى أهلك لان قصتنا
طويله وما تنتهى أكثر من هذا التعب الذى تعبته معنا بحكمك
لانك قد تعبت معنا تعبا شديد فى هذا العام وسرت معنا الى بلاد
الشام وان لنا فى عودتك الحظ الاوفر والرأى الاكبر لانك تخلينا
حريمنا عندك وهم مختلطين فى جبال بنى غزيه مع أهلك وجندك

والى الآن ماسمعنالهم خبر ولا أتانا منهم أحد ولا ظهر لهم أثر والصواب رجوعك اليهم فى جميع الامور ويكون نظرك عليهم وهو على كل حال أصوب والرواح الى هناك من قعادك هنا أوجب فقال دريد والله يا أبا الفوارس ولو اننى أقضى باقى عمرى فى حوائجك أنا وبنى جشم فلم نجد لذلك تعب ولا ألم ولكن أنت بالاحوال اعلم وأنا على المسير كنت قد عولت قبل ماتشير به وتتكلم لانى قد رأيت فى ذلك الصواب من وجوه عديده أحدها اننى أفرج عن قلبك هذه الشدة والثانى اننى أتحمل عن قلب الملك لاننا فى جمع كثير يريد كلنا الزاد والعليق والثالث فزعا على الاموال والعيال الذين تركناهم فى الجبال والرابع لاجل ماجرى بينك وبين ذو الخمار من القتال وأنا خائف من شره ولجاجه ونكاده وغدره وان يفعل شيأ يبقى فيه العار لانى أعلم أن الشر والغدر من بعض مساويه فحمده عنتر على ذلك وعلم انه قد نظر موضع النظر وشكره مع جملة من شكر وقال يا مولاى اذا كان الامر كذلك فخذ معك أخى مقرى الوحش فى مائة فارس من قومنا حتى يسير بابنة عمى وزوجته مسيكه وبقية الحريم الى أرضنا فقال دريد افعل ما تريد وتختار ثم أخذوا اهبتهم فى ذلك اليوم ومن الغد أصبحوا معولين على الرحيل الى الديار وكذلك عساكر الفرس والديلم وأيضا عساكر الترك والعجم لان الملك كسرى كان قد وصل اليه كتاب بأخبار عن بلاد خراسان وان كانت الترك قد أفسدت من البلدان فقال للوزير البزرجمهر والوزير الموبذان افتحوا الخزائن واخلعوا على الولاه والاجناد وردوهما الى أماكنها لتحفظ ماتحت يدها من البلاد ففعلوا ذلك الامر وأبرم وأصبحت تلك الارض ترتج برحيل العرب والعجم ودقت عند ذلك

الطبول وقد صهلت الخيول ونعرت البوقات وارتجت الجنبات من سائر الجهات (قال الراوى) وكان فى ذلك اليوم دريد والملك قيس وعمرو بن معدى كرب وفرسان بنى عامر وسادات بنى غطفان قد اجتمعوا ودخلوا عند الصباح على الملك النعمان وطلبوا منه الاذن فى الانصراف لانهم قد اشتاقوا الى ديارهم والاوطان فقال لهم اصبروا حتى آخذ لكم الاذن من الملك العادل كسرى أنوشروان ثم انه قام من عندهم ودخل عليه وأعلمه بأن العالم قد قلقت من المقام فى هذه الديار وقد أرادوا الرجوع الى بلادهم وهم فى قلق عظيم فقال له الملك كسرى ان خزائن الاموال صحبت مقدمه فافعل فيها ما تريد ولا تترك أحدا من العربان غضبى الا وهوشا كرلنا لانهم هم الذين دفعوا عنا عساكر النصرانيه ولا تدع أحدا منهم فقيرا ولا غنيا الا وترضيه بالمال والنوال فدعا له الملك النعمان وخرج من عنده وأتى الى قبائل العربان فخلع واعطى وأوهب وفرق عليهم ثياب الديباج والفضة والذهب الا عنتر فان الملك كسرى قد قال له لا تدعه يرحل مع قومه ولا تأذن له فى الرحيل ولا تخلع عليه حتى تفرغ الحرب او تقضا منا الاسرار ونشبع منه ومن منادمته وبعد ذلك نرسله كما يحب ويختار ونعاهده انه يكون مقيم على عهدنا بقية الاعمار ففعل تلك الامور التى قد وصفناها وقد رحلت تلك العساكر التى ذكرناها وما فيهم الامن رحل وهوشا كر وداعى له وللملك كسرى ولدولته بالدوام وكذلك عساكر الفرس ومرازبة الاعجام وملوكها وساداتها أخذ الكل على التمام قال محمد بن هشام وقد رحلت العساكر يتلو بعضها بعض وساروا وقد ارتجت من سائر جنباتها من شدة الركض وهم فرحين بما أولاهم الملك كسرى

على الملك النعمان وماصنع معهم من الجميل والاحسان الكامل
وما أمسى المسا الاوتلك الارض ساكنه بعد ذلك الزلزال
وخزائن الملك كسرى أصبحت خاليه مما أصرف من المال وكان
جبار قد اعاقه أيضا الملك النعمان لانه قد رأى ما أعجبه منه مع
الفرسان وكان أيضا حسن الشباب مليح المنادمه فصيح الخطاب
شجاع فى الحرب اذا اشتد المصاب وكان فيه عقل وأدب وقيل
ان الملك النعمان قد اصطفاه لنفسه وجعله صاحب الحجاب وقد
أوعده أن يزوجه بابنته الرباب ولما ان خلا بال الملك كسرى وحلت
عنده الافراح واطب الاكل والشرب مساء وصباح وقد صار عنتر
عنده رأس ندماه الخاص ومايجد له عن مفارقته بدا ولا مناص وكان
من جملتهم الملك النعمان وجبار والمقدمين من الاعاجم والاكابر
وكانت كل مجالستهم تنقضى تارة بتصحيح الاغانى وتارة يتحدثون مع
الملك كسرى ومن حضر حكايات فرسان الاقطار ومايجرى لهم
من الاحاديث والاخبار ومازالوا على مثل ذلك الى يوم من بعض
الايام وهم جلوس يتحدثون فى أمر الفرسان فأطنب جبار فى وصف
ذو الخمار وقد فضله على سائر الفرسان الكبار فاغتاظ الملك كسرى
من نقله لتلك الاخبار وقد زعق فى حجابه والتفت الى الملك النعمان
هو ومن حضر فى ذلك المجلس من الشجعان وقال يجوز أن يمدح
فارس أو يذكر اذا حضر هذا أبو الفوارس عنتر فقال الملك النعمان
أيها الملك الرفيع الشان وحق مكون الاكوان وخالق الانس
والجان مافى زماننا اليوم أخبر منه بأمور الحرب ولا يوجد مثله
فارس ثانى لا فى الشرق ولا فى الغرب ولو كان له نسب صحيح وكرم
لكان قد ساد على العرب والعجم فقال عنتر لما ان سمع ذلك الكلام

بعد ما اغتاظ وامتلأ قلبه حقدوفاض يا ابن المنذر أما نسبي فقد صح عند كل العرب ولا ينكره الا كل جاهل لا يعرف له أدب وأما ذكرك بالبخل فما أنا بخيل فكيف انك تنسبني الى شيء ما هو جميل فقال الملك النعمان لا تحرد يا أبا الفوارس ولا تخرج خلقك فوالله ما قلت هذا القول مذمة لك ولا انحطاط القدرك وأنت أكرم من غيرك ولكن في العرب من تفرد بعلو النسب والكرم كما أنت قد تفردت بالفروسيه على سائر الامم فلما سمع ذلك الكلام سكن ما به من الغيظ والغضب وقد اشتهى أن يعرف من هو أكرم العرب ومن هو ذلك الذي قد تفرد من بينهم بالنسب وسار يتفكر في معرفته لذلك السبب فقال الملك كسرى يا نعمان اعلم ان شجاعة هذا الرجل الذي هو أبو الفوارس عنتر فقد عرفناها وأبصرناها بأعيننا وقد شاهدناها مرارا ونحن نشهد له بها وانه قد بلغ من كل الفروسيه حد المنتهى ولكن أخبرنا أنت من هو الذي أكرم العرب ومن هو الذي بعلو القدر والنسب على ان النسب عندنا ما يحط قدر الرجل في أعماله ولا يرفع قدر الرجل الا شجاعته وقتاله ومقاتلته لاقرانه ومن يروم حربه ونزاله وعناده قال المؤلف فعند ذلك الخبر قبل عنتر كلام الملك كسرى وقد انشرح فقال الملك النعمان اعلم أيها الملك انك أنت الملك الهمام ان في زماننا هذا ثلاث رجال قد بلغوا المنتهى بين العرب في الشجاعه والكرم وعلو النسب فأما من كان صاحب الحسب والنسب فهو عبد المطلب قاضي العرب وهو الذي يفتخر باجداده وحاكم العرب يعجز عن فصاحته كل من مشى على قدم وأما الثاني الشجاع القرم المناع الذي ليس له مثال فهو هذا الرجل أبو الفوارس عنتر بن شداد لانه قد علا بشجاعته على سائر

153

الفرسان والاجناد وقد حاز طرفا من الفخار على كل من افتخر وما ترك لفارس فى هذا الزمان ذكر يذكر وأما الثالث فهو رجل قد نشأ فى العرب وهو ذو حسب ونسب يقال له حاتم طيى وقد حاز الجود والكرم ولا يوجد مثله فى سائر الامم لانه يأسر بقوته ويعيش يومه وليلته على العدم ولم يجد لذلك مشقه ولا ألم وقد بلغنى انه فى البذل والقناعه مثل هذا أبو الفوارس عنتر فى الفروسيه والشجاعه لانه يحب بذل المال كما يحب عنتر الطعن بالسمر العوال والضرب بالبيض الصقال فقال الملك كسرى وقد تعجب من ذلك المقال وقال أما نسب عبد المطلب ثم فصاحته وشرفه فقد ثبت عند كل الخلق وقد شاع ذلك فى أقصى الغرب والشرق وأما شجاعة عنتر فقد عرفت بما فعله فى تلك الوقائع واشتهرت وأما كرم حاتم طيى فما بلغنا من فعله شئ وانت قد فضلته بما نسبته له على سائر الرجال فحدثنا أى شئ هو الذى قد رأيته من كرمه حتى استحق عندك هذا المدح وهذا المقال فقال الملك النعمان أنا أحدثك أيها الملك بحديثه من حيث نشأ ثم أقيم الدلائل والبراهين على انه أكرم أهل زمانه ممن على الارض مشى لان خالق الارض والسما يدبر ملكه كيف يشا ثم انه قال اعلم أيها الملك ان هذا الرجل قد ورث الكرم من أمه وقد علمته اياه مهد الرضاع وقد خالف أباه فى الفعال والطباع لان أباه كان ابخل من الكلب واحقر وأمه كانت فى قومها أكرم من كل أنثى وذكر وقد كان زواجها به من أعجب العجب لان الجمع بين الاضداد لا بد له من سبب والسبب فى ذلك كان أمر الطيفا لان أم حاتم كان اسمها عفيفه بنت عفيف وكان أبيها قد مات وخلف لها مال جزيل وكان ذلك من الجمال

والباقى غير قليل وكان كل من قصدها أعطته وكل من استوهب منها شيأ أوهبته فلما ان رأتها اخواتها ببذل المال على الطارق فنعوها من ذلك وقد حرجوا عليها وضيقوا أمرها الى ان ضاقت عليها المساءة وذاقت مرارت الجوع والفاقه وسوء الحال وقالوا ربما أن يكون بعد ذلك الحال قد عرفت قدر المال وتأذبت عما كانت تفعله من الفعال فأعطوها قطعة من النوق والجمال لعلها ان تعيش فيها وفى ألبانها وتأكل مما يأتى منها ويطعمها الله من فصلانها ولما أن صار المال بحكمها وترى فيه برأيها وقد علمت انه تحت أمرها ونهيها طاب بذلك قلبها وهدى لبها وسرها وقرّ قرارها ولما كان فى يوم من بعض الايام فقالت الى متى يكون ذلك الامساك على المال والبخل على الضيفان لكن ما هذا شيم الكرام قال المؤلف فبينما هى فى هذه الامور وهى الى أموالها تحسب وعلى اخراجها للاضياف توازن اذ أتتها امرأة فقيره من بنى هوازن وكان لها عليها رسم فى كل عام تدفعه لها وكانت تقصدها وما تعود من عندها الا وهى غنيه من عطاها ولما ان أتتها فى هذه المرة قالت لها اعذرينى فى هذا العام يا حرة العرب فان اخوتى قد عادونى وحرجوا على وعلى مالى من الاموال وما بقيت أقدر الا على ما ترى من النوق والجمال فخذيها واستعينى بها فى بقية زمانك فقد علمت بالحال فان احتجت شيأ فاستقرضى على لعل اخوتى أن يزوجونى ببعض الرجال ويملكونى ما بقى لى من الاموال فشكرتها تلك المرأة شكرا زائدا على تلك الاحوال وقد ساقت بين يديها ما قد أعطتها من النوق والجمال وعادت الى حيها وهى فرحانه بما ساقت من الاموال فبلغ ذلك الى اخواتها بما فعلت من الفعال فأتوها وسبوها وقد قالوا لها يا ويلك يا بنة القوم الانذال

قدبدرت على أوباش العرب مالك من الاموال وقد ضيعت مالك ونوقك وجمالك ولا تركت لك جمل ولا ناقه أما علمت أن عاقبة الاسراف تؤل الى الوبال ثم التلاف و يكون عاقبته الفقر والفاقه أما أذلك الجوع الذى ما يجد الانسان لدفعه من طاقه فقالت لهم وقد بكت أى والله يا اخوتى لقد ذقت مرارة الفقر والتعتير ولهذا قد سار قلبى يرحم من يقول أنا جائع أو فقير فأعطيت على قدر ما أملك قليلا كان أو كثير ثم انها قد زاد بها البكا فأنت أنين التعلل والاشتكا وقد أنشدت وجعلت تقول هذه الابيات

لعمرى ما قد غصنى الدهر غصة ✻ وعلى لا أمنع الدهر جائعا
وماذا عسا كم أن تقولوا الاختكم ✻ سواعيها والعيب ما زال ضائعا
وأنتم ترون البخل طبعا واننى ✻ أرى كرمى للقاصدين طبائعا
وان كان ذا عيبا فالعيب عندكم ✻ وكل امرئ ما فيه للخلق شائعا
فان سخا الانسان يعلو اقدره ✻ والبخل شين صار للخير مانعا

(قال الراوى) فلما سمع اخواتها منها هذه الابيات أخذتهم الحيرة والانبهات وقد خافوا ان تسمع عنهم هذه الامور القبيحات فخرجوا من عندها وقد تركوها على حالها وصاروا يتشاورا فيما يدبروا من شئ يكون سببا لحفظ أموالها فقال الكبير فيهم اعلموا أشير عليكم برأى ان فعلتموه يكون مليح افقالوا له وما هو فقال لهم وما ذلك الا ان تزوجوها برجل يكون بخيل ليحفظ عليها مالها وما تملكه والا ان دامت على مثل هذا الحال فهى تضيعه وتهلكه ولا تبقيه ولو كان من كان من الرجال قال ثم انهم أيها الملك جمعوا رأيهم على رجل يقال له سعد وكان هذا الرجل انجل أهل زمانه وأزراهم حال من حين نشأ ما أوقد نار ولا عزم على جار ولا ضحك ولا تبسم ولا عبر

على أحد اوسلم ثم انهم أيها الملك ساروا اليه وطلبوه لاختهم فتعجب
من ذلك القسم وقد قال فى نفسه واعجباه والله ان هذه الجاريه قد
خطبوها سائر ملوك بنى طى وقبائل معن وزبيد وما أنعموا بها
اخواتها الى أحد ويأتوا الى أنا ثم يخطبونى لها ان هذا العجب ولكن
السعادة اذا اقبلت للانسان لابدّ أن يكون لها سبب فعندها أجابهم
الى ذلك فزوّجوه بها لشدّة خيفتهم عليها فلما دخل عليها أبصر
منها درة الغواص وظبية القناص فتملا بها ومن ليلة دخل بها
علقت منه وقد قاست فى مدّة الحمل من بخله ومن خلقه مالا يسأل
عنه الى أن كملت أشهرها وساعتها فاشتهت الموت ولا تكون تعد
بين النساء وقد قعدت على يد القابلة التى قد أتتها وهى تدعى على
اخوتها وعلى نفسها بانقضاء مدّتها ولكن ارادة الله تعالى أغلب
من ارادتها فوضعت غلام ذكر بلا صيحة ولا زعقة ولا ألم ولا مشقه
فسمته حاتما وذلك بزعمها وتعنى بذلك ان الله حكم عليها من مقاسات
ذلك الزوج بهمها وغمها ثم انها لما ان وضعته حنت عليه وقد صارت
تربيه الى أن كبر وخرج عن حدّ الرضاع وقد بانت فيه علائم أخلاق
الطباع فكان ولد ضحك لعوب بشوش بوجه كأنه الدينار المنقوش
يتكرّم بزاده على أقرانه وكل ما وقع فى يده شئ من البيت يساوى به
خيراته ويضحك لكل من يناديه باسمه ويجمع الصبيان حوله
ويعطى لكل واحد منهم قسمه ويوهبهم ما يكون عليه من الثياب
ويوادهم ويأنسهم بنفسه ويحسن لهم الخطاب وكانت أمه كلما
رأته يفعل تلك الفعال الملاح ما تسعها الدنيا من كثرة الافراح وقد
صار ابوه يدعو عليه وعلى أحواله ويندم كيف انه أجابهم الى الزواج
ويصبح ويمسى فى هم وانزعاج وكانت أم حاتم كلما أبصرت أباه من

ذلك سغاظ وشكمد علمت ابنها انما يزيده حسرة وكمد وقيل ان أباه أتى يوما من بعض الايام فرأى حاتما قد نقل كلما فى البيت من الزاد والطعام وقد جمع جماعة من صبيان الحى وصفهم من حواله ومد لهم سماط فجعلوا يأكلون ويمرحون ويثنوا عليه قال فلما رأى أبوه الى زاده يوكل اسود فى عينيه السهل والجبل ومن شدة ماجرى عليه أنه صار لا يدرى ما يفعل الا انه طلع على رابية عاليه وكشف رأسه وصاح ونادى وقد جعل يلوح بعمامته ويستغيث بأهله وأناسه وينادى يا أهل جهله البدار البدار انجدونى على ما نزل بى من المصائب كلها والاضرار والحقونى فقد ذهب مالى كله وقد ساءت بينكم أحوالى قال فلما سمع أهل الحى صياحه وقد عرفوا مقاله ورأوه وهو يلوح بعمامته لبسوا السلاح وركبوا الجرد القداح ثم انهم بعد ذلك قد طلبوه من كل جانب ومكان وركضوا بالخيل حتى انهم قاربوه فلم يروا حوله الا الصبيان لكن لما ان قاربوه فقالوا له يا سعد ما حالك وأيش هو الذى جرى عليك ونالك أين الخيل الغائرة التى جاءت لاموالك فقال لهم ما هنا خيل ولكن ما هنا الا البلا والكرب والويل وما هنا الا أولادكم وقد أخذوا زادى ثم انهم قد أكلوه وانظروهم قد داروا حول ولدى ونهبوه ولم يخافوا الله فى حالى ولم يراقبوه وان لم تنهوهم عن هذه الفعال والا رحلت عنكم ونزلت فى أعلى قرون الجبال حتى لا أبصر أحدا يبلغ من أكل زادى الامال فلما سمعوا منه ذلك المقال ضحكوا عليه وقد عادوا فى ساعة الحال عنه لانهم كانوا يصدقوا أحواله وطباعه فلم يلتفتوا اليه ولم يعبؤا بقوله ولم يعتبروا بسماعه بل قالوا له أذلك الله بين العرب من بعد منها ومن اقترب اذا كانت هذه الفعال فعالك

ولما سمعت أم حاتم بذلك تألم قلبها وهطلت دموعها وسارت تدعى على بعلها وعلى اخوتها وتقول يا اخواتى لا نجا كم الله من المصائب ولا تعدتكم النوائب كما انكم زوجتمونى بهذا اللئيم البخيل الخائب ثم انها صارت تغايظ بعلها وتلقن ولدها أسباب الكرم وتقول له ياولدى اذا خرجت بالزاد ولا رأيت أحدا يأكله ألقيه على رؤس الروابى والاكم حتى تأكله الجوارح والعقبان والرخم (قال الراوى) ومازال كذلك كل يوم يخرج بزاده لجانب الطريق واذا مارأى أحدا يطعمه له يرميه للوحوش والطيور ولم يزل على تلك الفعال حتى انه كبر واشتد فصار كل يوم يضارب قومه على الضيوف حتى يأتى بهم الى عند أمه وهى تروج لهم الطعام وصار ينحر ماقدر عليه من الاغنام ويجمع عليه الارامل والايتام وأبوه يرى ذلك حسرة وكمدو يخاف من الفقر ويقول ليس على ذلك من صبر ولا جلد ولما ان أعياه الامر فى حاتم أحسن معه التدبير وقد أظهر له الوداد والمحبه ومشى معه مشى الرجل الخبير ثم انه وهب له جاريه جميله وأعطاه حجرة سابقه نبيله وقطعه من النوق قطعه وافره جزيله وقال له ياولدى اعلم أن أموالنا قد قل عليها المرعى وقد ضعفت عن السير والمسعى وأنا قد عجزت عن مرعاتها وانى أريد منك المعونه عليها وعلى مرعاتها الان ياولدى من اليوم المال مالك والجمال جمالك ثم انه سلم اليه ذلك كله وقد وصف له مرعى بعيده وهى منقطعة عن الطريق والمسالك وأمره بالمرعى هنالك وقد أراد بذلك ابعاده عن الناس حتى لا يلتقى أحدا يكرمه ولا يطعمه وينقطع من ضيافة الضيوف الاياس ثم ان حاتما أيها الملك فعل ما أمره به أبوه وأخذ النوق والجمال والجاريه وركب الحجرة وسار الى ذلك المكان المشار

اليه

اليه وأقام فيه أياما وهو منتظر أحدا من جائزى الطريق أو أحدا
فى ذلك المكان يقصده أو يأتى اليه أحد من الذى كان يأكل معه
الزاد أو يعرفه بحال من الاحوال ان كان من حلته أو من غيرها
حتى انه يطعمهم ويهبهم شيأ مما عليه ولو كانوا أقوام جله فلم يجد
فى ذلك المكان أحد الا من المسافرين ولا من الطراق فصعب عليه
ذلك الحال وماهان عليه ماوقع له من هذا الاتفاق وقد ضاقت عليه
انفاسه من الوحده وقاسى ذلك الام وشدته وسار فى كل يوم يركب
على ظهر جرته ويبعد فى البر ويود لو سار الى سائر الآفاق ولم يلتفت
الى جمال ولا نياق ولم يزل كذلك على ذلك الحال الى يوم من بعض
الايام واذا قد أقبل عليه من صدر البريه ثلاث رجال وكان ذلك من
أعجب مايكون من الاحوال وهم قد أقبلوا من صدر البريه على عجل
منهم وكل واحد منهم راكب على مطيه وكان من الاتفاق العجيب
والامر المطرب الغريب ان هؤلاء الثلاث رجال القادمين الذين هم
على تلك النوق سائرين ومسافرين كان ثلاثا شعراء سائرين على
نصيبهم وهم يطلبون رجل كريم يقصدوه أو مورد عذب يوردوه
وكان أول واحد منهم يقال له عبيده بن الابرص الاسدى والثانى
بشر بن حازم السلمى والثالث النابغه الذبيانى ولما رآهم حاتم اسرع
اليهم وسلم فى عاجل الحال عليهم فردوا فى الحال سلامه وقد زادوا
فى تحيته واكرامه ثم انهم قالوا له يافتى هل عندك شئ من القرى لمن
أضربهم الجوع والسرى وطول الدرب وكرب الحر والصحراء
فقال لهم حاتم ياوجوه العرب ما أمركم الا عجب تسألوا عن القرى
وهذه النياق بين أيديكم تسعى وتساق ثم انه ترحب بهم وقد أنزلهم
فى ظل الظليل وقد نحر لهم فى ذلك الحال ثلاث نياق مطاويل

وقدح الزناد وعجل لهم بالزاد فحار هؤلاء الشعراء من فعاله وما
فيهم الا من أبصر ما أهاله فقال عبيده بن الابرص يافتى ماهذا الافراط
فى هذه المعنى ونحن ما قصدنا اليك الا فى طلب الزاد وشرب اللبن
وما نريد اتلاف مالك على غير وجه حسن على ان ناقة واحدة كانت
تكفينا حيث انك أردت أن تكرمنا وتعيننا وكنا نمضى عنك ونحن
شاكرين ولاياديك ذاكرين ولكن يافتى فات الامر فشكر الله
خيرك لانك قد فعلت مالا فعله أحد غيرك فقال حاتم ياوجوه العرب
الافاضل اعلموا انى نظرت الى زيكم فرأيته مختلف فعلمت انكم من
ثلاث قبائل فنحرت لكل قبيلة ناقة لتأ كلوا منها وتسيروا من غير
عاقه ثم انهم قال لهم كلوا يا اخوانى مما تريدون من هذا الخير واذا
سرتم خلوا الباقى للوحش والطير لان الذين سبقوا من الاوائل قد
قالوا كلام لطيف وهو على ان ضيف الكرام يضيف واعلموا ان
الطبع غلب التطبع والتكليف قال المؤلف فتعجبوا من حاتم
وكلامه وقد شكروه على فعله وأ كلوا طعامه وقالوا له يافتى من أى
العرب أنت وما اسمك وتنسب الى أى حى فقال لهم حاتم أما اسمى
فحاتم بن سعد الجهمى وقبيلتى بنى طى فقال له أكرمت وزدت من
الخير والانعام ولكن أنت ما تعرفنا ياغلام فقال لهم لا والله يابنى
الكرام فقالوا اعلم اننا نحن شعراء العرب أهل الفضل والادب
وطول أعمارنا ندور قبائل العرب ونقصد الرجال الافاضل الكرام
أهل الرتب فما رأينا أكرم منك ياغلام على مالك من قلة الاعوام
وحق من أرسى الجبال كالاعلام وأنزل القطر من الغمام
لاضيعنا حرمة الطعام ولابد ما نذكرك فى دواوين السعادة
والاكرام ونقول فيك ما يرى ويبقى على ممر الدهور والاعوام

ثم ان النابغة اشار يقول

أنت تسرى بك المعانى * ومن نداكفك الربيع
فانت من طي فى صريم * كالقلب تحبابه الضلوع
فى كل يوم تزيد شكرا * يشيعه عنك من يشيع
وأنت أهل لكل فخر * وان قولك هو المطيع

(قال الراوى) ولما ان فرغ النابغة من مدحه تقدم اليه من بعده بشر بن حازم السلمى بمدحه ويقول

يجود على كفك بالعطايا * وبالنفس الكريمة لا تزال
فنزلت بالعطاء بكل خير * كمنزلة اليمين على الشمال
وانك ذو كمال مع فخار * وجودك سامى بين الرجال
وانك كامل من غير نقص * وصاحب عقل زائد بالكمال

(قال الراوى) ولما فرغ بشر بن حازم السلمى من مدحه فتقدم من بعده عبيده بن الابرص وقد أشار يمدح حاتما بهذه الابيات

الا قل لسارى الليل لا تخش ظلمه * فحاتم طي حوى كل بلاد
نشا سيدا قد فاق عن كل سيد * جوادا جرى من قبل كل جواد
يطول على الرمح الرديني قوامه * ويقصر عنه باع كل نجاد
كريم كريم الاصل والفرع دائما * يعطى ولا هو يمنع القصاد

(قال الراوى) ولما ان سمع منهم حاتم ذلك النظام دمعت فى ذلك الحال عيناه ثم انه نادا واحرباه انى أردت أن أتفضل عليكم فصار لكم على الافضال ولا بقيت أقدر أكافئكم على ما قد قلتموه لا بمال ولا بنوال وانى والله ما تملك يدى فى هذا الوقت غير هذه النوق والجمال نخذوها واقسموها بينكم بالسويه واعذروا واعلموا ما عرف حق سعيكم عذر سامح لان العذر عند كرام الناس واضح فقال له

بشر بن حازم لا وعهد الله يا غلام اننا ما نستحق على ما قلناه من ذلك الكلام بعض هذه الانعام ولا نرى من المروءة اننا نفقرك ونحن نستغني وما أنت بقيت عندنا الا كواحد منا فقال حاتم وحق ذمة العرب وشهر رجب ان لم تأخذوها عقرتها بالحسام وتركتها جزرا للوحوش والهوام ثم انه قد سل حسامه لما فرغ من قوله لهم ذلك القول وقصد الى النوق والجمال قال ولما رأوا هؤلاء الشعراء فعاله وسمعوا ما أبداه لهم من مقاله شكروه وفي الحال أخذوها واقتسموا نوقه وجماله وقد ساروا في عرض البر وتلك الفلاة بعامة ما من العبيد والرعاة كلها وقد ذكر الناقل لهذا الحديث انها كانت ثلاثة آلاف ناقة سود الحدق حمر الوبر وفي الرواة من قال انها كانت من ذلك أكثر ولما انهم ودعوه وولوا على الانصراف أعطاهم أيضا الثلاثة أصناف وهم الجارية والجمال والجمال وقد عاد الى الحي راجل كأنه ما أبدأ شيأ من الفعال وهو يقلب كفيه ويهز عطفيه ولما قارب المضارب لقيه أبوه فأنكره لانه قد رآه على خلاف التي بها أبوه أمره فقال له يا حاتم اني أراك قد أتيت راجل فأين الجمال قال وهبتها قال والجاريه قال لمن يستحقها أعطيتها فقال له وأين النوق والجمال فقال له اعلم أني قد اشتريت بها ما تشكرني عليه مدا الايام والليال لانك تموت ويبقى ذكرك على طول الزمان الطويل وأحاديثك باقيه ما بقي الجديدان فقال له ويلك يا حاتم ايش الذي هو اشتريته بأموالي أخبرني فقد انقطع قلبي وتحللت أوصالي فقال له يا أباه قد اشتريت بها شعرا لا يفنى ولا يزال على مدا الدهر يروى على طول المدا وقد أخبرتك بذلك حتى تقيم عذري وتعرف فيما فعلته قدري ثم انه اشار الى أبيه

158

يقول هذه الابيات

سأمنح مالى كلما جاء طالبا * واجعله وقفا على القرض والعرض
أصون به عرض الكرام واتقى * لائما اذا ظننته ساء فى عرضى
وهذه فعال الجيد فى كل محضر * تسير به الاخبار فى سائر الارض
فأرض بها حسلك تكون ممنعا * فيبقى عليك اللوم للحشر والعرض

(قال الراوى) فلما ان سمع أبوه منه ذلك المقال انفصلت مفاصله وساءت منه الاحوال وقال له يا ويلك اشتريت بمالى شعرا ماله رجوع لا يروى الظمآن ولا يشبع من جوع وحق البيت الحرام لا بقيت تتبعنى من اليوم أبدا ولا بقيت أرافقك على طول المدا الا انك ولد الردا (قال الراوى) ثم انه فى عاجل الحال جمع جميع أمواله وقد عجل فى ذلك الوقت ارتحاله ورحل من الحى فأتوا الى حاتم أقرانه واعمامه بعدما عتبوا عليه بما فعل أبوه وقد عرفوه ان أباه قد أخذ أمواله ورحل فضحك حاتم وقد تبسم لهم وقال يا بنى عمى والله لقد زال بعده عنى همى وغمى ثم انه تمثل اليهم بهذه الابيات يقول

اذا صار عنى مغضبا برحاله * وأمواله فالمال غادى ورائح
ومن يشترى حسن الثناء بماله * يقولون هذا خاسر وهو رابح
لحا الله من أمسى يقلب زاده * ومن حوله قلب الى الجوع جائع
دعوا والدى يمضى يعيش ببخله * فما أنا ممن يرتضى بالقبائح
فلا شكله شكلى ولا أنا مثله * ولا الرزق يعدونى اذا كان نازح
لان الذى أعطاه باق وخيره * الينا مع الايام ماس وصابح
فلا خير فى رجل يكون بماله * بخيلا شحيحا أسود الوجه كالح
وما الفخر الا بالسماح وبالعطا * ولا خير فيمن كان للبخل جانح

قال الراوى) رحمه الله وسامحه وغفر له وللمسلمين ثم انه دخل على

أمه وأعلمها بما كان من أباه ففرحت برحيله وبعده عنها وقد نزل
على قلبها الفرح والمنا وقالت عيش الانسان فى الفقر وذكره جميل
أحسن من معيشته وهو فى غنا وبخيل ثم انها سلمت باقى مالها
لولدها وقالت له يا بنى هذا الاموال مسلمة لك بعد دهانا كسب فيها
ثناء ولا تكسب ذما فيها وقصا ثم انهم أيها الملك أقاموا على ضيافة
الضيوف واغاثة الملهوف الى أن افتقر وانفذ ما كان معهم ولا
بقى لا ناقة ولا جمل ولا عبد ولا أمة تخدمهم وذلك من كثرة تفريطه
وتكرمه على سائر الاعراب وقد صبر هو وأمه على قلة الطعام من
الزاد والشراب واذا أتاهم ضيف لم تطعمهم أنفسهم انهم يحتجوا
عليه باحتجاج حتى نفذ ما كان عندهم من المصاغ والثياب والديباج
وبعد ذلك بالتواليالى وأيام طاويين من الجوع وقد حل بهم بعد
العز غاية الذل والخضوع (قال الراوى) ثم ان الملك النعمان قال
قد بلغنى أيها الملك ان فى بعض الايام قد أتاهم ضيوف ففرحوا بهم
وقد التقوهم بأحسن التحية والاكرام وأظهروا لانفسهم الصبر
والجلد حتى لا تشمت بهم عدو ولا حاسد يحسدهم على فعل الجميل
وان مالكا أقبل على أمه وقد زاد به من ذلك الامر همه وغمه ثم قال لها
ايش نطعم هؤلاء الضيوف النازلين عندنا وهم معتادين بالاطعام
منا ورفدنا فقالت له أمه والله يا ولدى انى فى ذلك متحيره ولا أدرى
ما أفعل وفى هذه الامور أنا متفكره وأنت تعلم يا ولدى كيف كان
مبيتنا البارحة وان بدنا ما بقيت تملك غادية ولا سارحه ولا مروحه
ولكن شد عزمك ولا تشمت بنا الاعدا ولا تفعل فى حقنا فعلا غير
صالح ولا تخل أحدا من ضيوفنا يمضى وهو يذمنا وتفعل معهم فعلا
غير الذى اعتادوا عليه منا أبدا وقم من وقتك هذا وخذ بيدى

وتخرج

159

واخرج بى الى هؤلاء القوم الذين ما يعرفونا وأنت لا تعيد ولا تبدئ
ثم نادى على أين من يشترى هذه الامة البازله وتبعنى لهم بهما سهل
وتيسر من تلك النياق التى معهم حاصله وانحر منهم لاضيافك
ما يعمهم واقتات أنت وأختك بما يتبقى وبعد ذلك اذا تيسر وسهل
الله عليك بشئ اشترينى بما يصل من الخير اليك (قال الراوى)
فلما سمع حاتم من أمه ذلك المقال قال والله لا فعلت ذلك ابدا لانى
أنا أعلم اذا فعلت ذلك أبقى أعايره على طول المدا ولكن ان كان
ولا بد فبيعينى أنت فهو أولى وأتقى لان الرجل على كل حال اصبر
من المرأه على الخدمة والشقا وأنا أقسم بمن كسى الليل سوادا
وغسقا وجعل الشمس نورا مغربا ومشرقا ان لم تطيعينى وتقومى
وتفعلى ذلك والا قتلت روحى وأسقيتها كأس المهالك فى هذا
الوقت والساعه ونفسى على ذلك مطاعه (قال الراوى) فلما
سمعت أمه منه ذلك القول خافت عليه ان لا تصل الاذية اليه ثم انها
وضعت منديلا فى عنقه وسارت به وهى تنادى عليه وتقول من
يشترى هذا الغلام النجيب المولد المطبع للبعيد والقريب يحطب
الحطب ويحلب اللبن ويصنع ما يحتاج الامر اليه من اخراج الزبد
والسمن ثم انها دارت به على تلك الظعن الذين على حيهم نازل
وكانوا كما ذكرنا انهم لم يعرفوهم لانهم من غير تلك القبائل
وتلك البلاد وكان نزولهم فى تلك الارض لا لشئ الا غير أن
يستضيفوا واذا ارتحلوا يرحلوا كلهم أجمع عن القوم فتقدم اليها
منهم رجل وقال لها بكم تبيعى يا حرة العرب هذا الغلام فقالت له
يا سيدى بما أعطيتنى من الحطام فأخذه منها وأعطاها ناقتين
فأخذتهم منه وقد رجعت بهم وهى على فراق ولدها ما تدرى أين

تضع أقدامها وقد نحرت الواحدة وروجتها وقد أضافت القوم بها وتركت الاخرى وقد أقامت حزينه على ولدها ومن الغد رحل القوم فى عاجل الحال وحاتم معهم سائر وهو يسوق النوق والجمال ويفعل كما تفعل العبيد مع الموال الى أن وصلوا الى حللهم والاطلال وكان مولى حاتم قد تركه فى المرعى يرعى النوق والجمال ويمخض باللبن اذا مضت عليه أيام وليال الى أن كمل عليه ثلاثة شهور وذلك من قدرة الله تعالى أن يحدث من بعد الامور أمور وأحكام (قال الراوى) فبينما مولى حاتم مقيم على تلك الامور الحادثه واذا قد أتى اليه صديق له يسمى لاثم بن أبى حارثه ولما ان قدم ذلك الرجل على مولى حاتم أمر باحضار الطعام فاحضره العبيد وهو قائم فأكل ذلك الرجل ورفع رأسه فرأى حاتما واقفا مع جملة العبيد وهو يخدمهم معهم ولا يبدئ ولا يعيد فعرفه ذلك الرجل وقد علم بحاله لما أن رأى خدمته وفعاله فقال لمولاه من أين لك ذلك العبد النجيب يا وجه العرب ثم تبسم وقد أظهر العجب فقال له سيده اعلم ان هذا قد اشتريته شاقتين وقد مال قلبى اليه لما انى رأيت منه من الفعل والحياء التى سا كبة عليه واليوم وذمة العرب لو جاءنى فيه الفين ناقه ما بعته لانه قد زاد عندى محبة ورغبة لاجل أمانته وثقته وشطارته ونداوة عينيه وهدو كلامه (قال الراوى) فلما سمع ذلك الكلام زاد ضحكه وقد علم ان أهل ذلك الحى ما يعرفون أحدا من بنى طى فقال له والله يا وجه العرب لقد اشتريت عبدا ماله قيمه ولا قدر ولقد وقعت فى البر بدرة البحر اليتيمه ولو انك عرفت قدر هذا العبد ما كنت استخدمته بل كنت أنت خدمته وأكرمته الاكرام الزائد (قال الراوى) فلما سمع سيد حاتم هذا الكلام رفع عند

ذلك

ذلك بده من الطعام وقال له بالله عليك يا وجه العرب الكرام أخبرني
ما معنى هذا الامر والمرام ان كنت قبل هذا اليوم تعرفه لانني اراك
بفعال المعروف تمدحه وتصفه فقال له لا ثم ما هذا والله عبد وما هو
الا سيد من سادات العرب أصحاب المفاخر والرتب الذي تأوي اليه
سائر العرب وبجوده تفتخر أصحاب المفاخر وتبلغ منهم الارب وهو حاتم
الذي بلغ هو وأمه ما لا بلغه أحد من المكارم لا من العرب ولا من
العجم والله ما باع نفسه الا وله سبب عجيب وهو أعجب من كل
عجب وله حديث وطرب قال نجدان ذلك الرجل الذي هو سيد حاتم
كان رجلا كريما مذكورا بين العرب في تلك الاقاليم ولما ان علم
ان حاتما عبده طاش عقله وحار في أمره وقال وافضيحتاه ثم انه قام
من وقته وساعته اليه واعتنقه وقبله واخذه بيده وأجلسه بجانبه
وأكرمه وفضله وقد صار عنده أعز من أهله وأقاربه كلهم وقد أمر
عبده باحضار أفخر ثيابه والبسه تلك الثياب وزاد في اكرامه وقد
اعتذر اليه من استخدامه له ثم انه بعد ذلك سأله عن سبب بيعه
لنفسه بتلك القيمه وقد استحلفه على ذلك بالايمان العظيمه فحدثه بما
جرى له ولامه من الفقر والفاقه وانه لما نزلوا عليه ما كان شيء في ذلك
اليوم لا جمل ولا ناقه ففعلت به أمه تلك الفعال وقد باع نفسه بما
تيسر من ذلك النوال حتى لا يقال عنه من جملة الاقوال ان أتاه
زائر عاد عنه غير شاكر فتعجب سيده هو ومن كان حاضرا من قصته
وقد لحقهم الحياء من عظم مروءته وقد باتوا تلك الليلة في حديثه ولما
ان كان عند الصباح فأراد ذلك الضيف أن يرحل فقام سيد حاتم الى
ماله واقتطع منه لحاتم ثلاثة آلاف ناقه وجمل ولم يتكدر لذلك وقد
اظهر الفرح والسرور ثم انه قال له يا حاتم خذ هؤلاء لك واعلم انهم

حتى خدمتك اباوهم ثلاثة شهور ولكن لا تخبر احدا عنا بهذا الحال ولا تقول لاحد انى قد استخدمتك فى رعى النوق والجمال حتى لا يذمنى أحد من الرجال ثم انه أعطاه جارية مليحة الوجه وهى تطيعه وكانت تسمى ظريفه وكانت ظريفه عند اسمها وقال له يا حاتم خذ هذه الجارية أعطها الامك حق دلالتها حتى لا تتغير عن فعل المكارم ولا عن عادتها الا انها قد باعت بيع السماح فاستحقت بذلك الفائده والارباح فشكره حاتم على ما أولاه من الافضال والمكارم وعاد من عنده عودة المسافر الغانم وقد سارت العبيد تسوق قدامه الاموال وهو طالب ديار بنى طى والاوطان وقد زاد شوقه الى أمه واخته ومن فراقهم قد حرقوا فؤاده ولم يتغير لبعده عنهما هذه الايام وداده وقد كانت أمه لاجل بعده تبيت وتصبح متألمة لفقده لانها قد بليت بالفقر ومن الحبائب بالابعاد وقد جفوها اخواتها الاجل فعالها تلك الفعال وشمتوا بها الحساد ولما أن أعياها الامر وساء حالها فما كان يسليها ويعينها على حزنها الا ابنتها وكانت طريدة حاتم صغيرة السن فأيقة الذهن رائقة المعالى وكان اسمها اسماء وكانت أحسن بنات ذلك الحى وكانت اذا رات أمها تلح فى البكا تساعدها على الانين والاشتكا وتعدد كما جرت به عادة النسا ولها صبر عظيم على الضر وتقول يا حاتم ما خلفت بعدك للارامل والايتام أترى يا أخى يكون لنا بعد هذه الفرقة تلاق والتئام يا أخى لو رايت كلاب الحى وهم يترددون على أبوابك بالملا وهى تطلب عوائدك وفضلات ضيوفك التى كانت ترد اليك وكان اتكالها بعد الله عليك (قال الراوى) ولما ان كانت أمها تسمع منها ذلك بلذلها التعداد وقد دام عليها ذلك الامر الى ان كادت أن تشرف على العمى وكاد تتفطر

منها

١٦٨

منها الفؤاد ومما قد ذكرته الرواه انها كانت تخرج فى كل يوم من الحى الى الصحراء وتجمع من حشائش البر ما تقتات به هى وبنتها ولا تكسر نفسها لاحدا وتطلب منه شيأ تقتات منه فلما كان فى يوم من بعض الايام خرجت أم حاتم على عادتها لتجمع من حشائش البر فأتت اليها جماعة من الخبا وقد بشروها بقدوم ولدها حاتم وانه قد عاد من غيبته سالم ومعه أموال كثيرة وغنائم لانها كانت فى حال غيابه كل من كان يسألها عنه تقول له مضى بطلب المعاش والمكسب كما تفعل صعاليك العرب ولما انها بشرت فى ذلك الوقت بوصوله اليها كادت أن تخرج من عقلها ويغشى عليها ولما ان رأت رجال الحى متبادرين الى لقاه شكرت الله على رجوعه واجتماعها هى واياه ثم ادت الى بنتها اسما وقد بشرتها بقدوم أخيها ووصوله الى الحى وانه قد عاد سالم ومعه أموال وغنائم فوقف الاثنان على باب الخبا متشوقين الى رؤيته وكان انتظارهما اليه فى تلك الساعة أشد عليهم من جميع غيبته قال ولما ان حاتما صار يفرق على شباب الحلة النوق والعبيد حتى شكروه على تلك الفعال منهم القريب والبعيد الى ان وصل الى أبياته وقد فرق ألف ناقة وبقى معه ألفين وأهل الحى يشكروه على أفعاله ويقولوا هذه فعال من لا ذاق عمره لا فقرا ولا فاقه وبعد ذلك التقى بامه وأخته ودخل معهما الى المضرب وقد قضى من حق الزمان ما وجب يحدث أمه بما جرى له مع مولاه الذى كان قد اشتراه وقد صار يبث وصار لهم فى مكارمه وسخاه وأمه تقول سبحان من لا يقطع الرجال ولا يخيب من عليه اتكل وعلى كرمه انضا ولما كان من الغد خرج حاتم الى الصحراء والتلال وقد نحر اربعمائة ناقة وجعلها نهبا لكل

النساء والرجال وبعضها للوحوش والطيور وبعضها للاصحاب وبعضها للرفاق وقد ترك الباقي وقفا على المسافرين والطراق الذين يأتوا على اسمه من سائر الآفاق والوديان وما أمسى المساء الا وسائر أحياء بني طي تصيح له بالدعاء وتثني عليه بأحسن الثناء الى ان شاع ذلك في جميع الحي ومن كان هناك من العربان (قال الراوي) ان الملك النعمان كان يحدث الملك كسرى بهذا الحديث وهو يسمع ويطرب ويتناول الكاس من ساقيه ويشرب ويقول وحق الجمر اذا أضرم ان هذا الرجل أوسع منا نفسا وأكرم ولو كنا نحن أظهرنا العدل والجود بين الامم واما عنتر فقد أسكره حديث حاتم وذكر الكرم وأكثر ما أطربه أقداح المدام ثم انه قال ان وقعت بهذا الرجل لأقبلن يديه ورجليه وآخذ منه الذي أقدر عليه وقد طربت لذلك سائر الحاضرين والندماء من أبطال العرب وملوك العجم والمشايخ القدماء وأهل الادب الكرماء وأهل الرتب قال المؤلف وقد قال أيضا بعض الرجال الحاضرين للملك كسرى وأنا الآخر أيها الملك سمعت عن هذا الرجل حكاية أخرى وذلك انه قد عبر بحي من أحياء العرب فرأى فيه أسيرا مربوطا في قيد وغل وهو يقاسي الكرب فوقف عنده وقد توجع له بما هو فيه من الجور والاعتدا فقال له يا فتى ألا تفدي نفسك بما أنت فيه من الضر والاذا فقال له الاسير والله يا مولاي ان الذي أنا أسيره ردي الخلق وليس لي به من طاقة وقد قطع على فدا نفسي مائة ناقة وأنا قادر عليها ولكن مالي ها هنا من يضمني الى أن أسير الى قومي وآتي بها فقال له حاتم أنا أضمنك وأقعد مكانك الى أن تذهب وتأتي بالنياق ثم تقضي شأنك وان كنت ما تعود ولا لك بهذا الفداء من

طاقه

ناقه فأنا أسوق الى صاحبك المائة ناقه وأفدى بها نفسى ولا يلحقنى فى ذلك تقصير ولا عاقه ولا تعسير وأنا قادر عليها (قال الراوى) ثم ان حاتما أتى الى الرجل الذى هو عنده وفى أسره وقال له يا وجه العرب اعلم ان هذا الرجل الذى هو فى أسرك هو ابن عمى وبينى وبينه قرابة ونسب وانه قد سألنى أن أضمنه وأن أعتقل مكانه الى أن يمضى ويأتى لك بالفداء فاربطنى مكانه وأطلقه هو الى أن يسير الى قومه ويصلح شأنه ويأتيك بما طلبت ويخلص نفسه من أسباب الردا فقبل الرجل قوله وقد أتى الاسير ومعه جمع من أهل ذلك الحى ثم انه أشهد على حاتم بذلك وقد ربطه مكان الاسير بين ذلك الملا وقد أطلقه مما كان فيه من البلا (قال محمد) ومازال حاتم فى القيد الى ان عاد ذلك الرجل بالمال وأطلق حاتم وسار الاثنان وذهبا ولم يعرف منهم أحد ولم يطلع لهم على حال الى ان شاع ذلك الخبر بعد أيام بين القبائل وسائر العربان ولما سمع الملك كسرى ذلك الكلام زاد به الى رؤية حاتم الهيام وقال وحق ذمة العرب الكرام لقد اشتهيت أن أجرب هذا الرجل فى أمر من الامور ولو مرة واحدة لان الاخبار ما تغنى عن المشاهدة ثم انه أمر بحاجب من الحجاب وقال له سر من وقتك وساعتك بهذا الكتاب الى قبيلة بنى طى واسأل عن حاتم فاذا قد اجتمعت به سلم عليه وحيه وحى لاجله كل من فى الحى ثم قل له ان صاحبى الملك كسرى قد أنفذنى اليك وهو يطلب منك حمل الزاد ليعود نفع ذلك عليك ثم أنفذ له من النوق والجمال ما تقدر عليه ويكون ذلك عاجلا لانه محتاج الى ذلك لان نائبه الملك النعمان بلغه ان فى تلك السنة تدهمه عبدة الصلبان فيريد أن يلقاهم فاعتاز النوق والجمال فاجتهد له فى ذلك

ليكون لك عليه المنة والافضال فقال له الحاجب السمع والطاعه
ثم انه قد تجهز فى عاجل الحال فى ذلك الوقت والساعه وسار معه
مائة فارس من أبطال العجم وقد أخذ معه من العرب دليلا عارفا
من عند الملك النعمان يدل بهم بين الروابى والآكام وقد انقضى
ذلك اليوم مجلس الملك كسرى بحديث حاتم وقد تفرق الندماء
وهم يحدثون بما سمعوا عنه من المكارم وأما عنتر فانه صار
يقول لمن معه وهو عروة وأبوه شداد وحق الركن والبيت الحرام
وزمزم والمقام والمشاعر العظام لولا هؤلاء الرهائن التى هى عندنا
وانتظارى الى خلاص السبايا ووصول حريمنا لما كان سار لحاتم
رسول الا أنا لان حديثه قد أهالنى وكرمه قد أطربنى وهيمنى (قال
الراوى) فهذا ما كان من عنتر وما دام بينهم من الكلام وأما
الرسول فانه لما ان سار من عند الملك كسرى طالب بنى طى فما زال
سائرا الى ان وصل الى أرض بنى جلهمه وتلك المعالم وهى فرقة من
بنى طى ومنها كان حاتم ولما ان قرب الرسول من الخيام سأل عن
حاتم وعن أبياته فأرشدوه اليه الخدام وكانت أبياته منفردة عن
الحى وهى منعزلة الى جانب فدنى الحاجب اليها وقد دخل بين
مضاربه فوجده قد صف القدور وأضرم النيران وهو جالس يصنع
الطعام لمن يأتى اليه من الضيفان ويطبخ بيده حتى لا يطبخه أحد
من الخدمه الذين عنده فربما يكون غير صالح فتنفر قلوب الضيوف
منه ولم يأكلوه بقبول فيحصل له بذلك أمر مهول فتعجب الحاجب من
حرصه على من يأتيه ومحبته لاطعام الطعام وفعل المعروف وملتقاه
للقصاد والضيوف ولما ان نظرت كلاب الحى الى الرسول ومن معه
من فرسان العجم ما أنكرتهم ولا نبحت عليهم ولا منهم شئ هجم ولا

163

لهم باذى قرب بل تقدمت اليهم بهدو وصارت تحرك لهم الاذناب
وتمرغ خدودها على الارض والتراب بخلاف غيرهم من الكلاب
وسارت تمشى قدامهم وتدلهم على المضارب والقباب وهذه كانت
صفات كلاب حاتم من دون سائر الكلاب (قال الراوى) وما
زال الرسول سائرا الى أن قرب من المضارب والخيام فرآه حاتم فقام
اليه وقد تلقاه وترحب به وسلم عليه وزاد فى اكرامه بعد ما فرغ مما
قد وجب عليه من سلامه وقد أبصر فما خفى عليه انه رسول من
عند رجل كبير جليل القدر والجاه ففرح به وقد أنزله فى خباه هو
وأصحابه ومن معه من رفقاه وقد أمر العبيد بتسيير خيلهم فى البر
والآكام وقد بسط لهم البسط والوسايد وأكرمهم غاية الاكرام
وفى عاجل الحال قدم لهم ما راج من الطعام ووقف يخدم فى جملة
العبيد والخدام القيام وكانت هذه عادته على ممر الشهور والسنين
والايام ولما ان نظر الرسول الى ما صنع معهم من الاكرام فقال له
اجلس يافتى وكل معنا الطعام واعلم اننا قوم أعجام لا نفرق بين
القعود والقيام فقال له حاتم بالله عليك ياسيدى دعنى حتى ألتذ
بخدمتكم وآكل ما تدعوه من فضلتكم ولا تغير يامولاى على عادتى
وأبطل رسمى وما قدرنى عليه جسمى لاننى فى أكثر الاوقات
أبقى اليوم واليومين والثلاثه لا أتهنى بطعام ولا ألتذ بمقام حتى
يأتينى ضيف ألتذ بخدمته وآكل من فضلته فأجابه الرسول الى ذلك
ولا أطال عليه فى الكلام ولا غير عليه ما هو فيه من الوداد وقد
أكل هو وأصحابه الزاد الى ان اكتفوا ولما ان فرغوا من أكل
الطعام وقدم لهم شيأ من المدام وبالغ لهم فى الاكرام وطابت
لهم الاوقات التفت الوزير وقال له والله يافتى لقد زادت فعالك على

السباع وأنا ما أتيتك ضيفا بل أنا رسول من الملك كسرى فقال حاتم بماذا أتيت من عند ذلك السيد المحتشم الذى هو مالك رقاب الامم ثم ان حاتما قام وخدم فبلغه الحاجب الرسالة بعد ما تقدم وقال له ان الملك كسرى يتذلل لك بالسؤال ويقول لك انفذ اليه شيئا مما قدرت عليه من النوق والجمال ليقضى عليها بعض الاشغال فقال حاتم سمعا وطاعة لمولاك الملك الهمام ولكن يكون هذا بعد ثلاثة أيام الطعام فقال الحاجب مالى سبيل الى المقام لان الملك أنفذنى وأجل لى أياما فقال حاتم اذا كان الامر على ماذكرت اشرب وخل بالك فقد انقضت أشغالك (قال الراوى) وقد بلغنى ممن أثق اليه واعتمد فى كلام المدقق عليه ان حاتما فى ذلك اليوم لا يملك من النوق والفصلان غير ناقة واحدة ينقل أمه وأخته عليها من مكان الى مكان اذا سار وافى جملة الاظعان فقضى تلك الليلة مع الحاجب بأكل الطعام وشرب المدام ولما أصبح الله بالصباح طلع على رابية عالية تشرف على كل مكان فى الحى ونادى بأعلى صوته يا آل طى فتبادرت اليه الفرسان من كل جانب ومكان وهم يقولون له لبيك يا حاتم اليك قل ما شئت فها نحن بين يديك فقال يا بنى عمى الملك العادل كسرى قد أنفذ يطلب منى جمال ليقضى عليها بعض الاشغال وأريد منكم أن تقرضونى كل واحد منكم على قدر ما يملك من النياق المليحة الخطا الى أن يسهل الله على الرزق وأنا ضامن لكم فى العطا وكان أهل الحى يحبونه ولا يخالفون الا بحيانه لاجل ما شيد لهم من المجد بخيراته وذكر الجميل بمراعاته فلما سمعوا مقاله مشى كل واحد منهم الى نوقه وجماله وقاد كل منهم على قدر حاله وفى دون ساعة من العمل اجتمع عنده خمسة آلاف

ناقه

ناقه وجمل فسلم الجميع الى الحاجب واعتذر اليه وقال له يا مولاى اذا وصلت الى الملك العادل قبل الارض بين يديه واخدمه عنى وأقم لى العذر عنده لانى ما كنت تأهبت لخدمته فشكره الرسول على ذلك وخرج وسار يطلب المداين ولم يزل يجد السير أياما وليالى هو ومن معه الى أن وصلوا ودخلوا على الملك كسرى وحدثه الحاجب بما جرى وقص عليه جلية الحال وما صار من كلاب حاتم وتحريك أذنابها بين يديه هو ومن معه من الرجال وحدثه بحديث فقره ولم يزل لذلك همه وكيف انه اقترض النوق الامن بنى عمه فزاد محبة فيه كسرى وتعجب من كرمه وكان ذلك اليوم الذى هو فيه عنده ندماه الذين ينبسط بهم فى حضرته وقال هذا الرجل قد تخلق بهذه الخصال الجميلة ولو طلب غيره أن يتبع أخلاقه منعه التقصير عن ذلك وعاقه والصواب انا نعينه على حمل الاثقال الكرام حتى لا تخلى عليه لومة لائم فقال النعمان وقد فرح بصدقه وقال يا مولاى ما الذى عولت أن تفعل فى حقه فقال احمل هذه النوق والجمال وأوثقها من خيرات هذه البلاد وأعيدها الى عنده الى مثمرها وذلك حتى لا يهمنا وبعلمنا جود حاتم على قلة ما فى يده من الدنانير والدراهم ثم التفت وقال له أريد لا يمضى تمام هذا اليوم الا وهذه النوق والجمال كلها محملة تمرا ودقيقا وزبيبا وفى ذلك الوقت خرج ذلك الحاجب واهتم لما أمره به وأوقرها له ثم قال له زده من عندنا خمسة آلاف ناقه وجملة من ثياب ملونات وعمائم مذهبات ومضارب وخيام الا ناقة حاتم فانها حملها دنانير ودراهم وفى ذلك الوقت قضى كما أمره الملك كسرى من الاشغال وفعل ما قال وتم الملك كسرى فى أكله وشربه هو ومن عنده من الرجال ومن

الغدركب واعرض عليه العشرة آلاف ناقه وهى محملة كما ذكرنا موقورة وناقة حاتم فى المقدمه وعليها فردين دنانير كسرويه فى أكياس خز كوفيه فسر بذلك الحال ثم استدعى بذلك الحاجب المقدم ذكره ومن كان معه من الرجال وقال له أوصل ذلك النوق والجمال الى عند حاتم ولا تعد الا بخطه وشهادة كل من كان فى الحى فقال الرسول السمع والطاعه وهو بالمسير من تلك الساعه فأعطاه الملك النعمان ثوبين ديباج من عمل القسطنطونيه وعمامة خز كوفيه وقال له خذ هذه الخلعه واذا وصلت الى حاتم سلمها اليه وسلم لى عليه وكان عنتر حاضرا وهو مما شاهد حائر فقال للحاجب قل لحاتم طى انه فى ذمامى ما عاش وعاش فى طول أيامى وان كان له عدو تركت دياره خراب يأوى فيها البوم والغراب فعلم الحاضرون انه يعول على مايقول وانه أهل لذلك الامر المهول وسار الحاجب بهذه الاموال ولم يزل سائرا حتى وصل الى حى بنى طى وقال له الملك كسرى يسلم عليك ويعتذر لك فى السؤال ويقول لك قد استغنى عن النوق والجمال فتسلمها واعطنى خطك بما وصل اليك من المال فقال حاتم حفظ الله الملك العادل وأدام عليه السعادة وظلها لكن امهل على يامولاى حتى أرد النوق الى أهلها ثم انه طلع على الرابية المقدم ذكرها ثم نادى كما نادى فى الاول يا آل طى فأجابوه وأقبل عليه أهل الحى ثم انهم اجتمعوا حواليه فقال لهم يابنى عمى كل من كان له نوق أو جمال فيعرفها ويسوقها الى بيته بما عليها من أمتعتها قال فعند ذلك دخلت بنو طى بين الجمال وكل من كان له شئ عرفه وساقه بما عليه من الاحمال والرسول واقف وقد تحير من هذه الفعال وهو يقول والله ما مثل هذا الرجل لا فى العرب ولا فى العجم

لان

165

لان هذا عطاء من لا يخاف لا فقر ولا عدم وقد حاز حد البذل والكرم ثم أقبل عليه وقال له يافتى هذا الذى فعلته خطأ واسراف فى البذل والعطى فقال حاتم وقد تبسم من هذا الخطاب والله يامولاى ما فعلت الا عين الصواب لان فقر واحد ما يعلو لجميع الناس والمال المكنون ما يرد الموت وعلم ان الرجل ما يرده عن طباعه لا عدل ولا ملام (قال الراوى) ولم يبق الا ناقة حاتم فساقها الى بيته وأنزل الحاجب فى ضيافته وقد اجتمعت فقراء الحى وصعاليك بنى طى وأتوا الى حاتم وقالوا ياصاحب الافضال والمكارم لقد انكسرت قلوبنا لاجل فقرنا وقلة مالنا وما كان لنا نياق نقرضك اياها حتى كانت تعود لنا محملة مثل نياق أهل الحى الذى رأسا ها فضاق صدر حاتم لذلك وطاف بعد هذا كله من ملامة زيد وعمر وقال لهم يابنى عمى لا تضيقوا صدوركم لما سلف فعلى عوض ما مضى لكم من الخلف ثم انه فتح الفردين الذين أتيا على ناقته ولم يخف فاقته وسار يكبش ويفرق عن يمينه وعن شماله هذا كله والرسول يتعجب من فعاله ومازال يفرق على الصعاليك والارامل والايتام حتى فرغ الفردين ثم نفضهما فنزل منهما دينارين فانتهى الى جاريته ظريفه وقال لها خذى هذه الاشيا الخفيفة فانها من سهملك وهى من دون الورى فعملت فهامة الجارية من كلامه وشكرته على انعامه وقالت له يامولاى ما أمرنا الا عجب من دون قبائل العرب لان الدراهم ما تحبنا ولا يألفنا الذهب فلما سمع حاتم منها هذا الكلام أنشد وجعل يقول

قالت ظريفة ماتبقى دراهمنا * ولالنا عند دهاعهد به تثق
ان يفنى ما عندنا فالله يرزقنا * ممن سوانا لا انا نحن نرتزق

ما بالف الدرهم المنقوش راحتنا * الا يمر عليها ثم ينطلق
أما اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تستبق
(قال الراوى) فتعجب الحاجب من فعله وشعره وعلم ان عزله
ما رده عن طبعه ثم انه أخذ منه خطه وقرى وعاد الى صاحبه
الملك كسرى وحدثه بما جرى فقال كسرى والله ان افعال هذا
الرجل قد كفرت مللى والذى يرى هذه الفعال يهون عليه الامر
حتى لا يبقى بعيد ولا يبدى وانى قد هانت على الدنيا حتى ما بقيت
افكر فى فقرو لا فى غنا هذا وعثر لما سمع ذلك الكلام قال واحرباه
اذا أدركنى الاجل وما انى اجتمعت بهذا الرجل لانه والله كعبة
الوجود وما فى الحاضرين الا من تعجب غاية العجب من هذا الحديث
الذى يجب أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب لما فيه من العجب (قال
الاصمعى) وأبو عبيدة وجهينة بن غيلم اليمنى وهم المصنفون لهذا
الكلام فهذا ما جرى لهؤلاء وما دار بينهم من الكلام وأما ما كان
من حاتم وما وقع له من ذلك المرام فانه أنكر بعض مضى الرسول من
عنده الى الملك كسرى وقد حار فى عقله وفكره فيما جرى وقال
فى نفسه ما ترى ايش المعنى فى هذا الامر والحال حتى ان مثل
كسرى أرسل يطلب منى نوق وجمال و يردها على هذا النوال
وما قضى منها أشغال وما هذا الامر عجب فلا بد لى من المسير الى
الكوفه عن قريب واجتمع بالملك النعمان وأستخبره عن هذا الامر
والشان ثم انه تأهب بعد يومين وسار على ذلك الوصف قاصدا الى
مدينة الحيره وهو مع ذلك كثير الافتكار وصار لا يهدى له هدو ولا
قرار فبينما هو سائر قاصدا بلاد العجم فنزل فى طريقه على قوم يقال
لهم بنو فهم فأضافوه وأكرموه غاية الاكرام وأقام عندهم لامر الله

166

تعالى ثلاثة أيام وكان فى تلك القبيلة جارية يقال لها مارية بنت الضحاك قد خدمتها عند ولادتها كواكب الافلاك وكانت زائدة الملاحة والفصاحة والرجاحة (قال الراوى) وكانت قد تعلمت الخط والعلم وعرفت أحاديث العرب والعجم وقد خلف لها أبوها أموالا كثيرة ونعم فلما مات أبوها وصار فى العدم فبادروا اليها الخطاب وجدوا فى زواجها الطلاب فردت الجميع على طلبتهم بلطافة خطابها وحسن معرفتها واذا بها حلفت على نفسها انها لا تملك روحها الا لمن تجربه فى فعاله وتعاين بعينها خصاله حتى انها لا تقع مع رجل صعب الاخلاق قليل المعرفة والاشتقاق يطمع عليها أموالها ويبدد ما منحته من أحوالها ومن حسن تدبيرها وكرم نفسها تركت حول مضاربها وخيلها منزلا لقدوم الضيوف وما بين العرب بالخيرات موصوف وأقامت له الجراية والرواتب فسارت تقصدها الاضياف من كل جانب وسار كل ضيف نزل عندها تختبره فى كلامه وخطابه وتجربه فى فعاله وآدابه وتستكبر عليه نفسها أن تسلمها الى غير جنسها وانها ما زالت على تلك الحال ملازمة حتى طرق ديارها حاتم ونزل فى مضربها واستضاف بها وبالاتفاق كان سبقه فى ذلك اليوم ثلاثة أضياف ونزلوا عليها قبل نزوله لما بلغهم عنها من الاوصاف فكان منهم النابغة الذبيانى وزهير بن أبى سلمى وعبيدة بن الابرص القحطانى والثلاثة كانوا شعراء العرب فقدم عليهم حاتم ودخل المضرب فقاموا له وسلموا عليه وشكروه وأثنوا عليه بكلامهم فشكرهم أيضا وسألهم عن أحوالهم وقال لهم لاى شئ طرقتم هذا المكان ولم أنتم مادحين وقاصدين من العربان فقالوا والله يا حاتم ما أتينا نمدح أحدا ولا نقصده ولكن أتينا فى أمر نرجوا

أن نرشده ونعلمك به انا ما جئنا الا نخطب هذه الجارية الفصيحة
اللسان الكاملة الحسن والاحسان وقد بلغنا انها محبوبة الدهر
وفريدة العصر وانهم ما زالوا به فوثله كرمها حتى اشتاق الى نظرها
والى سماع خطابها السامع عن خبرها وقد ينتظر ما قد تجدد من
انعامها وما تبديه لهم من اكرامها الا انهم ما استقر لهم المكان حتى
أتت لهم الجارية التى لها وأبدت لهم السلام وقالت لهم ستى ماريه
تبدى اليكم السلام والتحية والاكرام وتقول لكم من فيكم له حاجة
أو مسأله نرد له جوابها ونبين له خطابها فقال لها زهير بن أبى سلمى
يا مولدة العرب قد بلغنا عن ستك انها صاحبة الحسب والنسب
ونحن ثلاثة شعراء قد نزلنا على هذا الحى ومعنا حاتم طى وكنا قد
أتينا وعزمنا أن نخطبها من نفسها وكل منا يريد أن يكون صاحب
عرسها من اشتهيته لها بعلا قام ومن أبعدته رحل عنها بسلام
فلما سمعت الجارية هذا الكلام عادت بسرعة وغابت قليلا
وعادت وأسرعت لهم فى الخطاب وقالت يا موالى ستى تقول لكم
اذا كان فى غداة غد احضروا فى لمس خطبتها حتى تتكلم من
خلف حجابها وتختار منكم من يكون من رزقها فأجابوها الى ما بدت
من المقال وأقاموا ينتظروا تمام الوعد وان مارية أرادت تختبرهم
لتعلم أيهم أكرم وأحسن أدب ففرقت بينهم وضربت لكل واحد
منهم مضرب وأنفذت لكل واحد منهم جزورا وقدرا يطبخ فيه ثم
قالت للجارية قولى لكل واحد منهم يصلح لنفسه الطعام الذى
يشتهيه ففعلت الجارية ما أمرتها سيدتها وأتت كل واحد منهم بما
عليه الكلام قد انتهى فوثب كل واحد الى جزوره فنحره وسلخ
جلده وأضرم النار وأصلح ما يأكل فى قدره وعلمت مارية بذلك

فعلمت

167

فخلعت ما كان عليها ولبست خليقات مقطعات ولبست على وجهها برقع خلق وعلى رأسها وقاية سابلة ثم انها أتت اليهم فى زى سائلة فأول ما وقفت على مضرب النابغة واستعطت وأبدأت سؤالها اليه فأعطاها من زور الجمل الذى يبرك عليه فأخذته ودعت له وقد سارت بين يديه ثم انها تركته وأتت الى مضرب زهير بن أبى سلمى واستعطت فأعطاها مبرك المصرين وهذه الاشيا لا تجدها النار ولا يلينها الماء فأخذتها منه ودعت له وأتت بعد الى مضرب عبيدة بن الابرص وقدمت عليه فاستعطت منه فأعطاها وقطع لها مبرك يدى الجمل فأخذتها ودعت له وأتت بعد الى مضرب حاتم طى فوقفت واستعطت منه ساعة فقال لها اجلسى يا أختى بالسمع والطاعه ولكن امهلى على قليل من النهار فان القدر كما ترى على النار فلما استوى الطعام نزل القدر وقلب ما فيه فى الجفنه وتركه حتى برد وأعطاها اللحام وجنبى الحالك وقطعة كبيرة من السنام وهو ما يكون ألذ فى لحم الجمل ولاسيما اذا كان سمين وقال لها يا حرة العرب ترددى الينا مادمنا ههنا مقيمين فدعت له وأخذت ما أعطاها من طعامه وعادت وقلبها مسلوب بطيب كلامه ولما ان حصلت فى مضربها أعطت كلما جاء معها للجارية وكان اسمها منى وقالت لها اذا حضر وغداة الى مجلسنا وقلت لك احضرى ما يأكل ضيوفنا من الطعام فحضرى لهم كل واحد فى طبق وحطيه قدامه فقالت منى سمعا وطاعه فصبرت مارية بعد ذلك القول وقد جاءت همتها الى شئ تفعله معهم فأخذت شيئا من الطيب وقسمته على أعدادهم وأعطت القسم الواحد لجاريتها وقالت لها أودى هذا الى النابغة الذبيانى وقولى له

مولاتي تسلم عليك وقد افتردتك من أصحابك بهذه المعاني وتقول
لك تطيب بهذا الطيب ولا تعلم به أحدا من رفقائك لانها قد
استخصتك به من دونهم لاجل مكانك من قلبها الا انها تريدك اذا
حضرت غدا عندنا تكون معايبا ففعلت الجارية ما امرتها مولاتها
فلما عادت أرسلت معها الى الجميع وفعلت بهم مثل ذلك وقالت لهم
كلهم كذلك فصار كل من أتاه شئ من الطيب يفرح به ويقول
في نفسه انها ما خصتني بهذا الطيب الا وقد اتخذتني لها حبيب ثم
يخبيه ويكتم حاله عن رفقائه الا حاتم فانه قال هذا والله الجمل بعينه
كيف أحضر أنا غدا أميز الاثواب دون أصحابي والله ما فعلت أنا
ذلك أبدا وصار يمشي من مضرب الى مضرب بعد ما قسمه أربعة
أقسام ويعطي من قسمه على التمام ويقول تطيب بهذا يا أخا
العرب حتى لا تخضعن الا وأنت متطيب ومازال على مثل ذلك حتى
ساوى الجميع بنفسه وجعل يفعل كذلك وأبصرت الجارية كيف
أخذوا أقسامهم وبصرته هو كيف يأتي اليهم وصنع ما صنع فعادت
الى مولاتها وقد أعلمتها بما قد جرى ثم قالت في نفسها هذا والله الذي
كنت انتظر واري لمثلك يا حاتم كنت أطلب وله رايد وفي انتظارك
كنت قاعده ومن شدة فرحتها اطربت حتى أتى الليل باقباله
وأحضرت أربع صواني وملأتهم تمر وقالت لجاريتها اذهبي بهذه
الصنيه الى النابغة الذبياني وبلغيه السلام وقولي له مولاتي
أرسلت هذا التمر تزيل به زفرة الطعام وتقضي به بعض الظلام
ولكن اذا أكلته ادفن النوى حتى لا أحد من أصحابك يراه يقولوا
ان مارية ما أرسلت له التمر من دوننا الا لكونها متعلقة بهواه
واقعدي عنده ابصري ما يعمل من دون الجماعه وعودي خبريني

فقالت سمعا وطاعه ثم انها حملت الصنيه وتوجهت الى النابغه الذبيانى ووضعتها وقدمتها عليه فحمدها على ذلك ثم تقدم الى ذلك التمر وصار يأكل ويجمع النوى الى ان أتى بالاستوى فقام حفر له ودفنه والجاريه تعاينه بنظرها ثم عادت الى مولاتها واخبرتها فتبسمت وقالت هذا كان قصدى اذهبى الآن الى الباقى بالصوانى وافعلى كما فعلتى فى الاول من غير تعدى فجعلت تقصد واحدا بعد واحد وتقول له مثل ذلك وهو يأكل ويدفن النوى حتى ما بقى الا حاتم فأتت له بالتمر ووضعته بين يديه بعدما أعلمته ان ستها تسلم عليه وانها تقول لك يا مولاى كل من هذا التمر لتزيل زفرة الطعام الذى قد أصابك فانها قد خصتك به من دون أصحابك ولكن اذا فرغت من أكله أخفى النوى ولا تظهر أحدا عليه من أصحابك ولا تخليه يراه فلما سمع حاتم مقالها تغير منه لونه وانخطف كونه وقال لها ايش اسمك يا مولدة العرب فان قلبى من قولك هذا قد تعب فقالت له اسمى منى فقال مالى حاجة بتمرك على مثل هذا الكلام أتنسب مولاتك الى البخل مثل ما تنسب أولاد اللئام وتريد منى أن أبقى على طبائع وطباع كسبتها جوارحى بين الانام ثم أشار اليها يقول

أتحسبنى مارية خير انثى * بخيل وكفى للندا غير راجح
يامنى أكل التمر بالزبد طيب * من الجود قد كنت عليها جوارح
وتطلب منى أن أخلى طبائعا * ودفن النوى يا منى أكبر فضائح
أنا ان شبعت بطنى وجاعت رفاقتى
دعيت على بطنى بضرب الصفائح
خذى ما حملتى سوى طعامك واذهبى * ولا تفضحينى بين غاد ورائح

الآن أكل التمر من دون رفقتي * ودفن النوى يا مني أقوى الفضائح
فلا خير في عبد يكون بماله * بخيلا ويضحى أسود الوجه كالح

(قال الراوي) فلما سمعت الجاريه كلامه وما أبداه من نظامه وافعها الحيا والخجل وصارت مما سمعته منه تتململ وقالت يا وجه العرب لا تحرد من مقالي ولا تؤاخذني فيما أبديه لك من فعالي فان الرسول اذا بلغ ما حمل من الكلام لا يكون عليه في مقاله ملام على ان مولاتي الساعه غائبه فافعل أنت بما تريد من الامور الصائبه ثم انها وقفت حتى قسم بينه وبين أصحابه التمر بالسويه وعادت الى مولاتها بعد ما أخذت من عنده الصفيه وأخبرتها بما جرى لها مع حاتم وما قال لها من الكلام وما أنشدها من الشعر والنظام فتعجبت من ذلك واندهلت من فعاله وهامت عند سماع ذلك القول الى قربه ووصاله وصبرت الى ان أصبح الصباح ثم انها أحضرت الجميع الى مجلس منادمتها ومحل مرتبتها وقعدت من وراء الحجاب وحيتهم وسلمت عليهم وحدثتهم حتى انبسطوا وردوا عليها الجواب فقالت يا سادة العرب ان أيام الضيافة قد انقضت وليس بقي لكم احتياج وأنتم ذكرتم انكم أتيتم تطلبون القرب مني وامرأة ما يكون لها قدر أربعة أزواج والصواب أن يذكر لي كل واحد منكم عربه ونسبته ويخبرني عن ذلك حتى انني أدبر بعقلي وأختار منكم واحد الانني امرأة قد رماني الزمان بقلة الرجال وقد صار حكمي في يدي وأنا ما أريد أحدا منكم تشهد لي أحواله الا في شعره ومقاله لان فصحاء العرب عليها ازدواج الكلام وانما أحب الى أهل الفصاحة من دون الأنام اذا كان الرجل يتخلق بأخلاق الكرام فلما سمعوا منها هذا المقال أجابوها الى ما طلبت من تلك الاحوال وكان أول

ما وصف نفسه النابغة الذبيانى وأشار اليها بقول

هل لا سألتى بنى ذبيان ما اتصلت
عند الطعان اذا ما احمرت الحدق

وجاءت الخيل مبتلا زخائمها ✽ بالماء يقطر من لباتها العرق
ويطعن الفارس الحامى طعينته ✽ بعالى الرمح و الهيجاء تحترق
والخيل تعلم انى لا أقاس بها ✽ حتى يقاس بثوب الجيد الخلق
ولى لسان اذا ردت الملوك به ✽ أميل على سحاب الماء يندفق

(قال الراوى) فلما فرغ من ذلك الخطاب فلم ترد عليه جواب ثم انه سكت فتكلم من بعده عبيدة بن الابرص الثعلبي وأنشد يقول

أمارية لم يخطبك حى مدحج ✽ عويس بن سلمى أو يزيد وحاتم
وان تطلبي زيدا ففارس قومه ✽ اذا الحرب يوما أقعدت كل قائم
وان تطلبي يا مارية الخير حاتما ✽ فما مثله فينا ولا فى الاعاجم
فتى لا يزال الدهر أكثر همه ✽ اغاثة ملهوف وفرحة قادم
وان تطلبي تظفرى بسؤدد ✽ مكارمه تحكى جميع المكارم
ونحن جميعا من اناس أطايب ✽ لهم شرف فوق السها والنعائم

(قال الراوى) فلما فرغ عبيدة من شعره لم ترد عليه جواب ولا أبدت خطاب ولم يبق الا يزيد بن سلمى فتكلم الآخر بكلام نثرا ونظما فلم ترد عليه جواب كما فعلت بمن قبله من الاصحاب هذا كله يجرى وحاتم ساكت لم يتكلم فقالوا له لم لا تتكلم فقال انه لموافقه فتبسم وقال يا وجوه العرب ان هذه الامور والاسباب ما كانت لنا فى حساب و نحن ما كنت الا طالبا أرض العراق فاتفق لى معكم هذا الاتفاق وقد صح عندى ان الخلائق بساقون الى الآجال والارزاق واننا كنا فى هذا اليوم وقعنا بكنز ما يعرف قدره والواجب علينا فى مثل

تلك الحضرة ان نجد في طريق الاجتهاد ولا نعرض أنفسنا في سوق الكساد ولعل منادي السعادة ينادي بعلو حظنا وتكون هذه السيدة من بعض رزقنا ثم انه أنشد وقال

أمارية طال التنا عدو الهجر * وقد بان فيما قد أمله القدر
أمارية بالروح ما أنت غالية * فكيف تباع الشمس او يشترى البدر
أمارية فالمال غادي ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أمارية انا لا نقول لسائل * اذا جاء في ليس في مالنا نذر
الا ان مال الارض ما ينفع الفتى * اذا نفسه حانت وضاق به الصدر
وكل يقيني أنني بعد مدة * أصير الى قبر جوانبه جفر
ويرجع من خلفي الذين أحبهم * يقولون قد اذا أنا ملنا الحفر
واصبح وحدي ساكنا وسط حفرة * من الارض لا مال لدي ولا أمر
الا انني قد عشت أوحد أمه * فقيرا فلا يبيع علي ولا أشر
ولو علم الاقوام لو ان حاتما * أراد جزيل المال كان له وفر
ولكنني أحظى بمالي ضيعة * فأولها زاد وأخرها ذخر
أفك أسيرا ثم آكل طيبا * واحفظ عرضي منه هذا هو الذكر
ولم أظلم ابن العم ان كان اخوتي * شهودا ولو أردى بحالته الدهر
وما أضر جاري بالبنة العم واعلي * مجاورة ولا أريد له شر
نعيني على جيران بيتي عيبة * وفي أذني عن ذكرهو وقر
قطعنا زمانا بالتعلل والغنا * وكل سقى منا الكاسات الدهر
فما زادنا بغيا على أهل فاقة * غنانا ولا أزرى بساحتنا الفقر

(قال الراوي) وكان حاتم ينشد و يترنم بهذه الابيات ومارية تتأمل من تحت الستار من كثرة ما اطربت من نظامه وقالت له والله يا حاتم ما يسمع بمثل هذه الاشعار أحد من الناس ويبكي على اموال

ومع

ومع ذلك قد ذكرت انك كنت سائر على بلاد العراق وانك ما عبرت علينا الا باتفاق فاى شئ كنت الى هناك طالب وهذا مقال من هو زاهد فينا غير راغب فقال حاتم لا والله يا سيدة العرب ماذكرت ذلك الا لاجل هذا السبب وانما الملك كسرى أرسل يطلب منى نوقا وجمال يقضى عليها بعض الاشغال وما كنت أملك فى هذا اليوم غير ناقه فاقترضت له من بنى عمى خمسة آلاف ناقه وبعير فردها كلها موقورة بالاحمال وأرسل يقول انه استغنى عن النوق والجمال فرد بتها الى أصحابها بما عليها من أحمالها وانى سائر بعد ذلك الى الملك النعمان حتى استخبره عن هذا الامر والشان ثم انه حدثها بما اتى على ناقته من الذهب والدنانير وكيف فرق الجميع فى ساعة واحدة على كل فقير (قال الراوى) فلما سمعت مارية هذا الكلام وتلك الفعال أزدادبها التعجب والاذهال وقالت يا حاتم ان هذا اسراف فى العطا والبذل ولمثلك يصلح اللوم والعذل ثم انها التفتت الى أضيافها وقالت لهم يا وجوه العرب لا يخفى انكم أصحاب حسب ونسب وأنتم أخبرتم انكم شعراء هذا الزمان وطول أعماركم تدورون المناهل والغدران وتقصدون الكرام من العربان فهل رأيتم طول أعماركم من بالغ فى العطا مثل هذه المبالغه فكان الجواب لها من دون الجماعه الشاعر النابغه وقال لها لا وحق الكعبة الحرام وما عليها من الالهه والاصنام بل اننا نأتى الممدوح ونجعل راحته أوسع من البحر وأنامله أهل وأجرى من تيار النهر حتى يعطينا ناقه أو بكرة وهذا الرجل قد حاز جميع المدائح وقد افتخر بهذا العطا على كل غادى ورائح فقال لهم حاتم لا تقولوا هذا المقال ولا تكثروا على ما فعلت من الفعال لان الارض ولاده واسعة والخلق

فيها مثل العيون النابعه وأنا اعلم فى هذه الايام من يبذل فى يوم واحد
ما أبذل أنا فى عام تمام وقد رأيت بعينى ورافقت من هو متفضل عنى
بالكرم والجود وبقيت مثل العدم عند الوجود فقالت له مارية وقد
التذها حديثه واعترافه وتعجبت من حسن انصافه يا حاتم حدثنا
بحديث هذا الرجل الذى قلت عنه انه أفضل منك وقص على شيأ
قد رأيته منه لعلنا ان نتعلم بعض أخلاق الكرم ونبقى نتذكر
حضورنا معك فى هذا اليوم ما بقيت الليالى والايام فقال حاتم السمع
والطاعه أنا أقص عليك وعلى من فى حضرتك ما جرى لى من هذا
السبب وذلك انى خطرت خطرة من بعض الخطرات وانتهى بى
المسير الى بعض الطرقات فنظرت الى مرج واسع وماء نابع وقد آلمنى
العطش والظما فعولت ان أنزل على ذلك الماء فرأيت عليه رجل
اعرابى مضيق الاثام معتدل القوام متقلد بحسام وأعطافه تدل على
انه بطل همام فحييته بالسلام ونزلت عنده وقد دار بيننا الكلام
فوجدته قد خرج من عند أهله بطلب المكسب وأنا الآخر
طالب ما اليه طلب فترافقت أنا واياه وقد تصاحبت معه فى المسير
فى طلب الغنيمه والمكسب أوشيأ نكتسبه ان كان قليلا أو كثيرا ثم
اننا تزودنا من الماء وسرنا حتى جن الليل فنزلنا وأردت ان اقدم
الزاد الذى معى وكان قد انبسط علينا ضوء القمر فقال لى يا فتى خلى
هذا الوقت آخر ثم انه أخرج من زاده الذى كان معه وبسطه قدامنا
وكان شيأ كثيرا فما أكلت أنا واياه الا شيأ يسيرا ثم انه كب باقى
الزاد على الارض مدده طولا وعرض وقال لى يا وجه العرب اركب
بنا النصر ما نحن عليه معوّلين فقلت وما الذى أردت بتبديد الزاد
فى هذا المكان المنقطع ونحن محتاجين اليه وقدامنا هذا البر الواسع

وما كل ساعه ما ينال الانسان ما يؤمله من المطامع فقال لى يا رفيقى لا تيأس وتضيق خلقك فان الله يبعث لك رزقك فلما انى سمعت منه ذلك الكلام أزددت فيه محبة وقلت فى نفسى هذا والله سيم الكرام ثم اننا ركبنا وسرنا وعلى الله توكلنا وقد سمعته وهو ينشد ويقول هذه الابيات

رحلنا وخلينا على الارض زادنا * وللطير فى زاد الكرام نصيب
ورزق غدا يأتى غدا ويسوقه * الى العبد جبار عليم رقيب
فيا نفس لا تبقى على قوت ليلة * فان مزاد الموت منك قريب

(قال الراوى) فوالله ما سمعت منه آخر هذه الابيات حتى غبت عن الارض والسموات وقلت والله ما يحق لاحد أن يفتخر على أبناء جنسه ولا يعظم على غيره بنفسه لان الارض ولاده والخلق بين نقصان وزياده ثم اننا سرنا حتى تضاحى النهار وقطعنا جملة برارى وكثبان فانتهى بنا المسير الى بعض الغدران فنزلنا عن خيولنا الى تلك المكان فلما جلسنا عمد الى الزاد الذى كان معى وبسطه قدامنا وصار يحدثنى وهو يأكل ومازلنا حتى اكتفينا واقمنا على جانب الغدير وشربنا ورونا فلما عولنا على المسير عمد الى باقى الزاد ونفضه على الغدير فبينما نحن كذلك واذا بكلب من عرض البر قد أقبل طالب الماء واليه وصل فشرب وتقدم الى الزاد فأكل وأبصرنا وقد ركبنا خيلنا فهرول معنا طالب أثرنا فقال لى رفيقى يا أخا العرب الا ترى هذا الزاد كيف كان من رزق هذا الكلب فكيف كنا نحمله وهاه وخلى بقيته كما اننا خليناه ولا بدّ أن يكون هذا الكلب أقوى منا يقين فقلت له والله ما فعلت يا فتى الا غاية ما يكون من المبين ثم اننا سرنا حتى تبطنا فى تلك القفار وكان قد

مضى أكثر النهار وقد بدا الجوع يعمل معنا فقلت فى نفسى أين
يكون الليلة عشانا فوالله ما خطر ببالى هذا الخاطر حتى رأيت
الكلب قد انطلق وخلانا وقد غاص فى عرض البر والفلا فظننت
انه قارب قومه واليهم نفر فجعلت بالى معه واذا به قد توارى الى اعانة
من الوحش وصار يعارضها ويردها الينا حتى خيل لنا انه يقول
قوموا الى هذا الرزق فان الله تعالى قد من به عليكم فبادروا اليها
فعندها تقدمنا اليها وأخذنا منها ما يكفينا مدة ثلاثة أيام ثم اننا نزلنا
وصنعنا لنا طعام وأكلنا حتى اكتفينا وسرنا والكلب معنا
ما يفارقنا ورفيقى يقول والله ما خاب فيك أملنا ولا بد اذا أسعدتنا
الايام نكافئك ونجازيك بالاكرام ثم اننا سرنا الى أن مضى على
ثلاثة أيام ونحن سائرون فى البرارى والآكام وقد أشرفنا فى اليوم
الرابع على بعض أحياء العرب فتقربنا فرأينا أموالا سائبة دمعها
ليس عيان فعندها حملنا فى حوانها وسقنا الابل من أماكنها وعدنا
على أعقابنا راجعين وللنجاة طالبين الا اننا ما أبعدنا حتى ثار
العبيد من خلفنا بالخيل وهم مقبلين مثل السيل والغبار من ورائنا
مثل سواد الليل فعندها عدنا وهززنا فى أيدينا طعع الرماح ورجعنا
نطلب الحرب والكفاح فتبسم رفيقى فى وجهى فقال لى يا فتى
ما هنا يوجب لقتالك ولا شيأ من حربك وكفاحك قف أنت
مع المال مكانك حتى أعود أنا الى هؤلاء الاندال ولا يصعب عليك
من هذا المقال لاننى اذا علمت ان مثلك خلفى يقتفى أثرى فينشرح
فى القتال صدرى فلما سمعت كلامه استحييت منه ووقفت مع
الغنيمة وبلغته مراده وقلت فى نفسى أريد أن أنظر هذا الرجل
فى قتاله مع هؤلاء الفرسان فان وافق حربه فيكون أوحد هذا الزمان

فى اطعام الطعام والضرب بالحسام ثم انى جعلت أنظر الى الغبار وأحققه بالعيان واذا قد تنافرت نحونا الفرسان كأنهما فرذكر النعام هذا وقد ترك الغلام أكثر الرجال مطروحة على الارض مثل النيام ولم يزل معهم فى عراك ولزام وصدام حتى أو راهم الانتقام فرأوا منه ما حير الابصار ودهش النظار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وعادوه وينشدو يقول

باسنان الرمح لاتشكى الظما ✻ ان فى هذا اليوم أرويك الدما
واترك وحش البر خلفى واقعا ✻ فى رجال خالفوا أهل الحما
ياصحيبى سربنا فى دعة ✻ فحسامى قاطع لايثلما
وعنانى لو بدا الموت له ✻ ورأى صورته انهزما

(قال الراوى) ثم قال حاتم والله يابنى الاعمام اقدهالنى من ذلك الرجل ما رأيت وتعجبت منه ولكم أحكيت وقد قلت عزيمتى وانكسرت همتى ورجعت أسوق ما أخذناه قدامى وسار بركض على أثرى وهو لى ولهما محامى كل هذا والكلب معنا لايفارقنا ولم نزل سائرين الى أن وصلنا الى المكان الذى فيه انبطحنا فنزلنا فيه حتى أخذنا الراحه هذا والجمال سارت ترعى فى تلك الساعة ولما عزمنا على المفارقه من ذلك المكان فقام ودخل فى المال وقسمه ثلاثة أقسام وقال نحن ثلاثة وهذه الغنيمه ثلاثة اقسام فخذ قسمك واطلب أهلك فقلت له يا أخى اذا رجعنا الى الحق والتدبير فانا لا استحق منها الا قليلا ولا كثير ولا ناقه ولا بعير لانى ما باشرت قتال ولا طعنا ولا نزال وانك أنت ما فعلت هذه الفعال الا تجملا منك وافضال ومع ذلك أراك تقول هذه الغنيمه ثلاثة أقسام فمن هو ثالثنا ونحن ها هنا منفردين بأنفسنا فى هذا المكان فقال لى هذا الكلب

الذى قد صار له علينا حرمة الطعام فقلت له يا مولاى هذا الكلب
ايش يعمل بالنوق والجمال فقال يفعل فيها ما يريد لانه قد صار
مصاحبنا وأكل من زادنا وعلى هذه الحاله ما نخليه بلا قسم ما تأخذ
أنت قسمك واطلب الى ناحية أهلك وأنا الآخر آخذ قسمى وافعل
كفعلك وكل من تبعه هذا الكلب أخذ معه قسمه فلما سمعت أنا
هذا الكلام تعجبت غاية العجب وزادنى من كلامه طرب وقد لحقنى
التعجب من مروته وحسن الشيم وقلت له يا وجه العرب لقد كملت
الشجاعة والكرم فافعل بمعرفتك ما تريد واحكم بما تراه فى حكم
الموالى فى العبيد ثم انى تقدمت اليه وشكرته على فضله وكرمه
وودعته وسقت تلك الغنيمه وانصرفت الى عربى واذا بالكلب
قد تبعنى فعدت الى قسمه وأضفته الى قسمى وسقت الجميع وطلبت
أهلى الا انى ما أبعدت عن رفيقى وغبت عنه وأنا على ما أنا عليه
من فعلى حتى انى رأيته وقد أطلق عنان جواده وترك قسمه مكانه
وتبعنى فقلت فى نفسى يا ترى ايش مراده وما أظن انه ما رجع
الا ليأخذ منى ما أعطاه لى من الغنيمه وما هى الا قد حلت فى عينه
وصار لها فى قلبه قدر وقيمه فما هو الا نظر موضع النظر فانه قد قاتل
عنها وما ساعده عليها الا القضاء والقدر وأنا ما طعنت برمح ولا
ضربت بحسام وقد أخذت الثلثين وحفت عليه كل الحيف وهذا
والله ظلم بين وهو بالارواح هين ثم انى أنفذت عن المال ووقفت
بعيدا عنه الى أن وصل اليه فناديته يا فتى الذى خطر ببالك خطر
ببالى فدونك والغنيمه بارك الله لك فيها لانك أحق بها منى كون
انك تعبت عليها فقال لى يا فتى لا تنسبنى الى البخل وقلة الادب
فانى ما رجعت اليك لاجل هذا السبب ولكن قد اصطحبنا فى هذه

الايام

173

الايام وافترقنا من بعد ما تصالحنا وانى رافقتك هذه المدة ما سألتك عن اسمك ولا عن حسبك ونسبك ولا عن قومك وعربك وكذلك أنت الآخر ما سألتنى عن حسبي ولا عن نفسى لاجل عزة نفسك وأنا اشتهيت أن اتخذك لى صاحبا ورفيق وخلا وصديق وتكون لى عدة عند كل ضيق فبالله عليك من يقال لك بين العرب بالله عليك الا ما أخبرتنى عن هذه الامور وكل دم بينى وبينك فى هذا اليوم مهدور فان كنت ما تعرفنى فأنا أعرفك بنفسى وأخبرك بخبرى اعلم أن اسمى عطاف بن قابض النظرى وقومى بنو النظر وهذا ما عندى من الخبر فأنت يا وجه العرب من يقال لك ومن هم قومك فقلت له أنا حاتم طي بن سعدى وعشيرتى بنو طي فوالله ما فرغت من كلامى حتى انه ترجل عن جواده وسعى الى أقدامى وسار يقبلها فى الركاب ويمرغ بخديه التراب وقال يا حاتم اعذرنى فى التقصير فانى ما عرفتك معرفة الخبير لان لى سبع سنين وأنا أسمع عن أخبارك وما قد ثبت عند جميع العرب من جميل أفعالك وقد أردت اننى اتبع أخلاقك والتمس بعض طبائعك فى الكرم فما قدرت ولا قسم لى من القدم ثم انه عاد الى قسمه وقد أخلطه بقسمى وقال أنت اسمك كبير وهو أعلى اسمى والطارق عليك كثير واشتهى منك أن تمن على بقبول هذا الشئ اليسير وان أردت أن تعود معى الى عشيرتى حتى أتشرف بخدمتك أنا ومن يلوذ بى بين عشيرتى وأسوق اليك ألفين ناقه تستعين بها على كثرة الضيفان فافعل ورافقنى فى هذا المكان ثم قال حاتم فوالله يا وجوه العرب ولما سمعت مقاله تعجبت من فعاله وصرت منعجم اللسان عن شكره حائر من مروءته وسعت صدره وقلت فى نفسى ما هذا وقت مجازاته

على انعامه ومابقى الامر الا انى أجيبه الى ما أرادوا هم فى وقت آخر الى اكرامه ثم اننى نزلت اليه وقبلت رأسه و بين عينيه وقلت له ياوجه العرب لقد كنت فى غنى عن مسألتك وسؤالك عن اسمى لانى قد أفقرتك واستقيت مما نالنى من قسمى وقد عجزت عن مكافئتك وأنا مطلع الى مراعاتك وأنا أسئل الاله السميع أن يحسن لك الجزاء وان يقدرنى على مجازاتك فى الايام الآتيه وان يجعل ايامك كلها اغنا ولا يصل عليك فيها بؤس ولا عنا لانك وحق البيت الحرام وما عليه من الالهة والاصنام قد تركت قلبى لذكرك خافق ولسانى لشكرك ناطق ثم انى ودعته ورجعت أطلب قومى وأنا أقطع البر والفلا واننى الى الآن ما استطعمت بطعام ولا تهنيت بمنام وأنا من أجل ذلك فى هيام (قال الراوى) فلما انتهى حاتم من حديثه تعجب كل من حضر وقالت ماوية ان هذا حديث يجب أن يؤرخ ويسطر لانه يذعج الاعضا والمفاصل ويتمنى كل انسان أن يكون اليه واصل ثم انها قالت للشعراء الذين أتوا يخطبوها هذه ياوجوه العرب أمور غير أمور كم التى أنتم تريدوها وانه بخلاف مافعلتم وماهو مثل مابين أيديكم قدمتم لانه أمر ما يقدر أحد منكم يدركه وطريق لا يستطيع أحد منكم يسلكه وماهو بأكلكم التمر وفتكم النوى فان أعمال الناس ماهى كلها سواء وفعلكم بالطبيب الذى أرسلته اليكم وفرقته الجارية عليكم فقال لها الشاعر النابغة الذبيانى فأنت دبرت لنا هذه المعانى وأمرتنا بذلك وفتحت لنا هذه المسالك فقالت لهم نعم لانى لما أمرتكم فما أنا الا استمتحنتكم حتى بانت لى عيوبكم وصحت عندى ذنوبكم لان طباع الانسان تتغير عند الامتحان كما قيل فى الاقوال عند الامتحان يكرم المرء

174

أويهان وقد رأيتم حالتي لما استعنت في ذلك الامر وكيف نفر
طبعه منه ورد جاريتي بالتمر ولولا جاريتي وقعت عليه ما كان قبله
منها وقد فرقه عليكم مثل ما وصل اليه وكذلك الطيب لما وصل
اليكم خفيتموه حتى كأنكم ما رأيتموه ولا عرفتموه الا هو لما وصل
اليه الطيب لم يقتله حتى فرقه عليكم مثل ما يفعل الحبيب مع
الحبيب فكان الجاوب لها من الجماعة النابغة الذبياني وقال لها
نحن ما علمنا أنت ما عملت هذا العمل واقتنيتي هذه المعاني الا لاجل
محبتك له وأقبالك عليه حتى انك تريدي افتضاحنا فتقربي اليه
فقالت مارية لا وحرمة شهر رجب والرب الذي اذا طلب كل العباد
غلب ان لكم عندي ذنبا أعظم من هذا العمل ثم انها أمرت جاريتها
أن تقدم لهم الذي تصدقوا به عليها فقدمت لهم ذلك ولا فيهم من دنا
من طعامه ولا أكل منه الا حاتم فانه تقدم له ذلك الطعام الطيب
الذي كان أعطاه لها في اليوم الماضي فأكل منه ثم انه دعاهم الى
الاكل معه فأبوه وقد علموا انهم قد تعبوا فعند ذلك قالوا والله يا حاتم
ما الصيد لمن تعب فيه وتعنا وانما هو لمن حمل اليه وأكله وتهنا
(قال الراوي) ثم انهم خرجوا من الحي وهم يجروا أذيال الحيا وهم
متأسفين ومن وقتهم ركبوا خيولهم وساروا الى حيهم طالبين وهم
مما أملوا خائبين قال الاصمعي ثم ان الجارية هتكت ستر الاحتشام
بينها وبين حاتم وخرجت اليه وقبلت يديه وقالت له يا حاتم ما بقي
منك به فان شئت تقبل وان شئت تصد فقد رضيت لنفسي أن
تضيع مالي وتحظى بجمالي حتى تقول العرب في كل قبيلة وحي هذه
مارية زوجت نفسها بحاتم طي واذ كنت تتكلم في بذل نعمتي
اليك واعراض نفسي عليك فها أنا أكشف صورتي لك وأريك

وجهى حتى تعرف ماذا تقدم عليه وانى ما أفعل هذه الفعال الا من أجل محبتى فيك ورغبتى بك ثم انها خلعت البرقع عن وجهها وأعرضت عليه صورتها فبان من تحته عجب لم يكشف وجمال باهرا لم يوصف وردجورى لم يقطف وطرف أحور يرشق بسهام التلف وشفتان عقيقتان يحيى بها قلب العليل اذ لها رشف وجوز خدود يحسر المعاند والحسود وأمور تغيب الانسان عن الوجود (قال الراوى) فلما رأى حاتم هذه الاسباب فقال والله ان هذا شئ ما كان لنا فى حساب ثم انه عزم على الزواج واستعان بالله رب الارباب وقال لها ياماريه ردى البرقع على هذا الخد الناعم فانك قد أبهرت عقل حاتم ونبهتيه بعدما كان نائم فعجلى باصلاح الحال ولا تخافى من لوم لائم فانى لما تريده من كل الامور قائم (قال الراوى) فتبسمت ماريه لما علمت انها نالت من حاتم ما أملته من المرام وفرحت كيف أعجبه جمالها وأبهره ما نظره من جمالها ودلالها وبعد ذلك أحضرت جماعة من أكابر الحى وأخبرتهم بأنها زوجت نفسها لحاتم طى ففرح قومها بما سمعوا منها من الكلام ثم انها أظهرت ما كان لها من المال والانعام ونحرت النوق والاغنام وأمرت بترويج الطعام وقد رتعوا أهل الحى فى ولائمها سبعة أيام وفى الليلة الثامنه أقبلت وهى تخطر الى حاتم فى حللها الملونات وعقودها المثمنات وحلوها عليه جماعة من النسوان والبنات وهى أبهى من البدر والنجوم الزاهرات فتلقاها حاتم كما تتلقا الارض العطشانه أوائل المطر واعتنق الاثنان فكانا أحسن من الشمس والقمر ووجدها درة ما ثقبت ومطية ما ركبت فافتضها وابتكرها وقد حبته حبا شديدا ما عليه من مزيد وأقاما فى أرغد

عيش

عيش واهناه وقد نال كل منهما مناه وأقام عندها شهرا من الزمان ونسى حديث الملك كسرى والنعمان وقد طاب له عندها المقام ولم تفكر فى يوم من الايام وبعدها أفاق من سكر الهوى وكان طفى بالوصل نيران الجوا وتذكر أرضه التى فيها قد نشأ فتهلفت جوارحه والحشا وخاف أن يهدم مجده الذى شاه وتنقطع به الاسباب وتتبدا فعندها شكا حاله الى ماوية وقال لها ومنية الصبا على انى رجل كثير الطارق والزوار وأبيات مباحة لكل مسافر ليلا كان أو نهار ولا خافت من يخلفنى من بعدى ويحفظ ودى ويقيم عهدى وقد عولت على الرحيل ان وافقتينى والا تقيمى مكانك ولا تتبعينى فقالت له ماويه والله ما قطعتك عن ما أنت عازم عليه ولا تركت العرب تقول انى أشغلتك عن فعل المكارم وقولك امتثل اليه بل لو أردت أن أسعى على عينى وأسير بين يديك ما صعب ذلك على فتى عزمت على الرحيل والمسير فأعلمنى حتى أسارع اليه وأوافقك على ما أنت عازم عليه فقال لها يا ماويه فى غداة غد نعزم على الرحيل والجد والتشمير فقالت سمعا وطاعه ثم انها أمرت أمواتها برفع رحالها وجلست ذلك اليوم لوداع أترابها ومن الغد رحلت مع حاتم مع أصحابها ومعها جميع ما تملك من حالها ومالها وأخذت جميع الذخائر والاموال والنوق والجمال ورحلت رحيل من ليس له عودة الى الديار والاطلال وصار معها جماعة لاجل خدمتها وسيرها فى الاودية الحوال فما تركهم حاتم بل انه حلف عليهم وردهم الى الاوطان وذلك شفقة بمراعاة العرب له فى كل مكان وبعد ذلك سار يقطع البر والفدافد حتى انه غاب عنهم وأبعد واذا قد طلع عليهم غبار أسود وعلا وانعقد ساعة من النهار

وانكشف عن سبعين فارس كرار من كل ليث مغوار وأسد هدار وفي مقدمتهم رجل طويل في تقاطيع الفيل وعليه درع مذهب وجوشن مقصب وتحته جواد أشهب (قال الراوى) ولما وقعت عينه على ماريه وحاتم زاد به الفرح والطرب والسرور ونيل الارب والتفت الى ماريه وقال لها يا لخنا الى أين أنت سائره مع هذا الجاهل القليل الادب أبشرى فاليوم تزعق حولكم الغربان وتنهب لحومكم العقبان (قال الراوى) وكان السبب في هذا العربان الثلاث شعراء الذين طردتهم ماريه بالذل والهوان فانهم لما عادوا من عندها صارت في قلوبهم النيران فساروا يقطعون البرارى والقيعان حتى وصلوا الى عند عابس واحكوا لهم على حاتم عليهم وان مارية ابت عنهم واخذت حاتم من دوننا وانا قد أتينا اليك قبل أوان لزياره ثم انهم حدثوه بجميع ما جرى لهم مع مارية وحاتم من الامر الذى وقع لهم من أوله الى آخره وكيف انها تزوجت بحاتم وردتهم خائبين وقالوا احنا قد أتينا اليك وجعلنا معولنا عليك (قال الراوى) فلما سمع هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وقال والله يا وجوه العرب قد أتيتم الى بحديث تستاهلوا عليه الخلع والذهب لانى أنا الآخر جرى لى معها مثل ما جرى لكم ومضيت اليها خاطب فردتنى خائب وأنا الى الآن في قلبى منها بلاء ومصائب ولكن ما دامت انها قد تزوجت بحاتم لا بد لها ان تسير معه لبنى طي لانه ما يخلى وطنه ويقيم عندها في الحى وأنا وحق اللات والعزى لاكمن لها في البر المنقطع وآخذها مسبيه من بين السيوف والرماح السمهريه وأعرفها قدرها في تلك البريه فقال النابغه وأصحابه فاذا عزمت على ذلك فنحن نسير معك وتشفى قلوبنا من هذه الغنابنت العواهر

ونظر

176

وتنظر لها الشمـاته وتتقرمنا النواظر فقال عابس اذا أردتم ذلك اغنيتكم من أموالها وأفضلكم عن أصحابي وأصحابها في قسمة نوقها وجمالها واقنع أنا بحسنها وجمالها ثم انه أخذ أهبة في ثلاثة أيام ورحل من يومه بطلب مارية وصحبته سبعين فارس من قومه وتبعه النابغه الذبياني ورفقته طمعا في نهب المال لان العرب قد نشؤا على الطمع وأخذ الاموال من الرجال ولاسيما الشعراء الذين يأكلون اموال الرجال بالمحال (قال الراوي) ومازالوا سائرين وفي سيرهم مجدين حتى وقعوا بحاتم في ذلك البر كما وصفنا وسار حاتم يصيح بمارية كما ذكرنا وهو يقول لها الى أين يا لخنا تسيري مع هذا الاحمق الذي يفعل نما الا ما وافقته عليها عاقل من الرجال ثم انه طلب هودجها وطلب رفقاه نوقها وجمالها ودوابها من كل جانب وفي أيديهم القنا والقواضب (قال الراوي) ولما أبصرهم حاتم وقد فعلوا تلك الامور عرف المقصود وعلم انه ما يخلو من عدو وحسود فأوصى العبيد بمارية وتأهب لدفع تلك الرزيه الا انه ما أوسع في البريه حتى ضجت مارية بالبكا وخافت عليه أن يقتل و يشرب شراب الردا وشمت به العدا فأرمت روحها من الهودج الى الارض وصاحت وقد أعلنت بالبكا ونادت واحرباه من شر هذا اليوم الذي قد أتى واذلاه بعد العز وافقراه بعد الغنا أنا أنشدكم بالله تعالى لا تمدوا الينا اكف الظلم والاعتدا وخذوا ما معنا من الاموال والعبيد ولا تنا قد رضينا أن نعيش بين الناس فقرا ولا تقتلون حاتما فتقطعون شجرة الكرم من الدنيا (قال الراوي) وما فرغت مارية من هذا النداء الا وقد قاربت حاتم رماح العدا حتى أقبلت من الطريق التي أتوا منها عشرة فوارس وهم مثل النسور على خيول أخف من الطيور وهم مقبلين

وفى أوائلهم رجل طويل فى تقاطيع الفيل وهو غائص فى الحديد والزرد النضيد هو يصيح أبشر يا حاتم فقد أتاك من يكشف عنك الامور العظام ويقتل أعداءك اللئام (قال الراوى) وكان هذا الفارس عطاف بن فايض النظرى الذى حدثت لما ربه بحسن شيمه وكيف انه قد تفضل عليه بكرمه وكان السبب لمجيئه الى هذا المكان فيمن معه من الفرسان لان خبر حاتم وصل اليه وزواجه بماريه فقال فى نفسه لابد أن أسير الى زيارة حاتم وأهنيه بزوجته فأخذ معه من بنى عمه هذه العشرة فوارس الى أن وصل بنى فهم وسأل عنهم وكان قد وصل اليهم بعد سفر حاتم بيوم وليلة فأخبروه انه سار الى أهله عن قريب فقال والله لا اضيع ما ريقى ولا بدما أسير فى طلبه ولو انه وصل الى أهله ثم انه ركض على جواده وبنو عمه صحبته حتى أدركه وهو فى تلك الحالة التى ذكرنا ولما أبصر الصوارم لامعة والصحاب مرتفعة نادى واحرباه وقع والله بحاتم من لا يرعاه ثم انه نادى بذلك الندا وهز سنانه الى صدور العدا وحمل عليهم حملة الاسد المدرع وطعن فيهم طعنة الفارس الصميدع فردهم الى المتسع وقد زال من رؤسهم الطمع ولما أن أبعدوا واتسع عليه البطاح ووقع الحرب والكفاح ناداهم ويلكم يا كلاب أما تستحوا أن تقاتلوا حاتما وتبذلون فيه الرماح وتفعلون معه هذه الامور القباح فوالله قد خابت منكم الآمال وأتتكم الاتراح أبشروا بالويل وقلة النجاح يا كلاب البطاح وها قد عاد عليكم شؤمكم وانقلبت نيتكم عليكم ثم انه بذل فيهم سيفه الفصال وطعن فيهم طعنا يقصر الاعمار الطوال (قال الراوى) فلما سمع بنو أسد مقاله ورأوا حسن قتاله انتخت منهم الابطال وردوا اليه وطلبوا قتاله فردهم عابس

وقال

وقال لهم اصبروا على حتى اختبر لكم أمر هذا الشيطان الذى قد
لحقنا فى هذا المكان وأهلك من معه من الفرسان لانه لا يخفى أن
يكون من أهل الشجاعة والطعان ثم انه قفز بجواده حتى صار مع
عطاف وزعق فيه زعقة من غير مخاف وقال له ويلك ان رواحك
سالم أحسن من نصرتك لحاتم وسوف تقام فى أهلك المآتم اذا
التقيت بعابس بن حازم ثم انهما اصطدما اصطدام البحر اذا كان
متلاطم وتطاعنا بأسنة الرماح اللهاذم وجرى بينهما حرب تتحدث به
الفرسان فى المواسم ويعجز كل قاعد وقائم وما كانا أكثر من ساعة
من النهار وجا تحت الغبار وقد صاح به عطاف وانقض عليه مثل
الغزال وطعنه طعنة جبار أخرج الرمح منه سبعة أشبار وحمل على
أصحابه حملة الليث القسور وتبعته الرجال الذين كانوا معه وكانوا
أبطالا قد تعودوا ركوب الاقطار وهان عليهم ركوب الاخطار
والاهوال وقاتلوا قتالا يسكر من يسكر من المدام وأوراهم العبر
وأرميت الجماجم مثل الاكر هذا وحاتم قد لاح له لائح النصر والظفر
وذهب عنه الخوف والحذر فعاد الى زوجته مارية وسكتها من
البكا والانتحاب وقال لها يا سيدة العرب أدخلى فى هودجك والحجاب
فقد فرج عنك رب الارباب ومعتق الرقاب فأجابته الى ذلك ثم ان
حاتما تقدم الى معاونة عطاف فرآه قد ابلاهم بأليم العذاب وهو
يطعن فيهم طعن من لا يخاف الهلاك ولا يرتاب فقال له لله درك
من فارس مكين ماله فى الشجاعة والكرم قرين ولا يحتاج عند
النوائب الى معين ثم انه هجم على العدا هجوم الفحل اذا حل من
العقال وقتل الفرسان والابطال ودام على تلك الحال حتى تغير لون
النهار واستحال وضعفت رجال بنى أسد وعادت على أعقابها

والطعن يعمل فى ظهورها واجنابها وقد أيقنت بالهلاك والوبال والهيا بالطعن عطاف الاسد الرئبال وأما النابغة الذبيانى فانه قال لاصحابه والله لقد تعبنا وشقينا وخيرما لقينا والصواب اننا نطلب النجاة والا متنا موت الفجاه لاننا نأكل أموال الناس بالمحال ونصنع زخاريف المقال وايش بيننا نحن وبين القتال ثم انهم ولوا تحت الظلام الاسود وأطلقوا الاعنة مع بنى أسد هذا وقد عاد عطاف وأصحابه وما فقد منهم أحد فتلقاه حاتم وشكره على ما فعل وقال له والله يامولاى قد حملتنى مننا ما يحملها جبل وأغمرتنى باحسانك آخر وأول فقال له عطاف ياحاتم ما خدمتك عندى الا كما تخدم العبيد ساداتها الكرام ولا زيارتك الا مثل الحج الى بيت الله الحرام فشكره حاتم على هذا المقال وعاد الى زوجته فى الحال وقال لها ياماوية هذا الذى وصفت لك صفته وقلت لك انه قد تفضل على بكرمه وحسن شيمه فصار عندها من هذا الكلام طرف من محبته وتلقته عند عودته وقبلت يديه وشكرته وعقرت له ولمن معه ثلاث جمال من أموالها وأقاموا فى تلك المنزل باقى ذلك اليوم وتلك الليلة لاجل الراحة من أجل القتال وعطاف يهنيهم بالفرح والاتصال ولما كان من الغد ساروا يطلبون ديار بنى طى والعبيد تسوق بين أيديهم الجمال والاموال وما زالوا سائرين الى ضحى النهار وقد عولوا أن ينزلوا على بعض الغدران واذا قد طلع عليهم فارس مثل الاسد وخلفه عبد أسود وهو راكب على ناقه مشقوقة الآذان حمرات الوبر مليحة العينان (قال الراوى) وكانت عادة العرب تسمى النوق والجمال بالاسماء المعهودات وقد سميت ناقة النبى صلى الله عليه وسلم بالعضباء لاجل سعة خطوتها وحسن حركتها

178

لان ما كان فى نوق العرب ناقة تسبقها (قال الراوى) الا أن العبد الذى لاح لحاتم وعطاف على الناقة كان يحمل عدة مولاه ويتبعه وكان هذا الفارس يقال له عتبة بن شهاب اليربوعى وكان يلتقى ألف فارس ولا يفزع من الموت اذا كان كابس وكان قد خرج وحده للبس الحلل والمكسب من أحياء العرب ويريد نهب الاموال وقتل الرجال وهذه كانت عادة أباه شهاب وكان يعد بألف فارس ولا يغزو الا وحده ولا يعود الا ببلوغ المقصود ومن أعجب الاتفاق ان عتبة وقع بهذه السرية التى فيها عطاف وحاتم وأبصر ما معهم من الاموال والغنائم والهوادج سائره ومعهم هودج عالى وهو سائر وما معه غير فرسان قلائل فعطف بالرمح عليهم وطلبهم كما يطلب الاسد صيده وزعق الى اين يا أنذال العرب تسيرون بهذا الهودج السائب ولا تفكرون فى عواقب المصايب خلوا ما فى أيديكم واطلبوا النجاة لارواحكم قال ولما أبصر عطاف صورته وسمع صرخته انخطف لونه وتغير كونه وقال والله هذا عتبة بن شهاب فارس بنى يربوع الذى لا يخاف من لمعان الدروع ثم انه قال لحاتم قف أنت مكانك واحفظ زوجتك وأنا أفديك بمهجتى دون مهجتك لاننى أعلم ان ما فينا من يلقاه ولا يقدر أن يقاومه ثم انه ثبت جنانه وحمل هو وفرسانه وتلقى عتبة وهو يقول عود على أثرك وتكلم على قدرك كل هذا وعتبة لا يلتفت اليه وتم فى حملته وهو يتبسم ولما قارب عطاف طعنه بعقب الرمح فى فؤاده أقلبه عن جواده وقتل منهم أربعة وأسر الباقى وكان لما يأسر فارسا يسلمه الى عبده ويأمره بكتافه هذا وحاتم أهاله ما رأى وأيقن بالهلاك وسوء الارتباك وقال أما السلامة فما بقيت أقدر

عليها وما فى المروءه أن أهرب وأترك هؤلاء القوم الذين يبذلوا دون حرمتى الارواح وما يكون الا أبذل المجهود كما بذلوا وأفعل كما فعلوا ثم انه حمل على عتبه وقاتله ساعة من النهار وأخذه أسيرا وشده مع أصحابه على جواده وتقدم الى مارية وأخذ زمام ناقتها وحاز حسنها وجمالها وصاح فى عبيده فساقوا أموالها وصارت مارية تنادى ولم تجد لها نصير وهى تلتفت فى أقطار الفلا وتقول هل من نصير وصارت تلطم على خدودها وتخضب بالدم نحورها وعتبة يصيح عليها كما يصيح على الامة ويهددها بالقتل والاسى وهى لا تعلم أحسن الدهر عليها أم أساء قال فما أبعدت فى البيدا حتى رأت بين يديها غبار وقد علا وسد الاقطار والفلا فلما أبصرته صارت تنادى وتقول يارب الارض والسما ويامن يرى حركات أرجل النمل فى جنح الليلة الظلما سهل لنا من عندك ناصرا ويكون على يديه فرجا انك ملجا لمن لا ملجا له هذا وعتبة قد أبصر الغبارة ووقف وسمع كلام مارية فاغتاظ وقال لها من يقدر على خلاصك من يد قناصك والله لو أتوكى أهل لارض والسموات لم يقدروا أن يخلصوكى من يدى فى هذه الفلوات (قال الراوى) الا انه ماتم الكلام حتى انكشف ذلك الغبار والقتام وظهر مائة فارس وبين أيديهم عبد أسود كأنه حجر جلمد تشهد له معاطفه بالشجاعه وقدامه رجل أخف من الظبا وأسرع من ريح الصبا وكان ذلك الرجل شيبوب والفارس الامير عنتر بن شداد والمائة فارس الكل من بنى عمه وهم الذين كانوا معه عند الملك كسرى وكان وصل اليه النجاب من بنى عبس وقال له يا أبا الفوارس الملك قيس يسلم عليك ويقول لك اطلق رهاين القوم لان السبى جميعا من أرض الشام وصل اليه وماضاع لاحد عقال وما

179

فى بنى عبس وغطفان الامن هو داعى لكم وشاكر الاحسان فلما سمع عنتر فرح فرحا زائدا ماعليه من مزيد وقال للنجاب يا ابن العم ايش عندك خبر من بنت عمى عبله فقال له اعلم يا ابا الفوارس ان عبلة وصلت قبل وصول السبي لان مقرى الوحش سيرها من عند دريد بن الصمه وزوجته مسيكه ونساء اعمامك فى غاية الاكرام والانعام وهى اليك شديدة الاشتياق والغرام ثم ان عنتر قال للنجاب مابقى لنا قعاد بعد بلوغ المراد ثم انهم اطلقوا الرهاين التى للروم واحسن اليهم ورد اليهم خيلهم وعددهم عليهم وقال لهم سيروا واشكروا مسيحكم لانى اقسمت ان بقى لقومى عندكم عقال صلبتكم كلكم على صور المدائن بالحبال قال وصلبوا القوم على وجوههم وركبوا خيولهم وساروا فى الفلاه وما فيهم من يصدق بالنجاه قال ولما ان وصلت السبايا للملك قيس فرح فرحا عظيما وارسل الى عنتر نجابا يعلمه بما جرى والتقى عنتر بالنجاب واحكى له على ماجرى وامره باطلاق الرهاين التى للروم فاطلقهم عنتر وساروا على اثره ومازال سائرا حتى التقى بحاتم وماريه وعطاف وعتبة بن شهاب اليربوعى قال فلما نظر اليهم هو والفرسان وقف وقال لعروة ابن الورد تقدم وانظر لنا من هى هذه الباكية النائحة الصائحه لانى ارى هودجا عالى وصراخا منعقد نامى ومامع الجميع الا فارس واحد منفرد فى البر واقول انه من شياطين العرب وقد وقع بقوم ضعاف وقد قوى عليهم ونهب اموالهم وساق نوقهم وجمالهم فاطلق العنان واكشف لنا اخبار ذلك الشيطان فقال له عروة السمع والطاعه ثم انه اطلق عنان جواده وفى عاجل الحال قاربهم واراد ان يسألهم عن هذه الاحوال فرأى عتبة قد برز يطلب القتال وقد قفز الى

الميدان مثل الاسد الرئبال فعندها ناداه عروه من تكون من الفرسان والابطال وما يكون هذا المال فقال له عتبه ويلك يا ابن الانذال فى مثل هذا المكان يكون السؤال فدونك والقتال ودع عنك مقالة الجهال وان كنت ما تقاتل الا تعرفه فى الجبال فأنا عتبة بن شهاب اليربوعى ثم انه زعق عليه زعقة الاسد الوثاب وانحط عليه انحطاط السحاب وأراد أن ينجز أمره قبل أن تدركه الاصحاب فعندذلك عاد عروه على عقبه هارب فأنكر أمره عنتر وقال له ويلك يا أبا الابيض ما حالك وما الذى رأيت حتى وليت وألويت عنانك ونجيت بحصانك فقال له عروه اعلم يا أبا الفوارس ان ما كل فارس أن يقدر الانسان يقاومه فى الميدان ولا كل صيد أن يظفر به الانسان وأنا والله رأيته أسدا مهول وفارسا لا يختشى الفحول ولا يخاف الموت والحلول فقال له عنتر وقد صعب عليه هذا المقال ويلك يا ابن العم كنت أشغلته حتى ألحقك ولا تفضحنا بهزيمتك فقال له يا حامية عبس خفت انك ما تلحقنى لانه لما صاح على أقلقنى وخفت اذا حمل على يخنقنى فزاد بعنتر الغيظ فقال له فما عرفت من هو من فرسان العرب فقال له انى سمعته يقول أنا عتبه فارس بنى يربوع ومخرب الاطلال والربوع فقال له عنتر صدقت وما قصرت عنه فى الرجوع لان هذا وأباه حماة الحضرموت ولا فيهم من يخاف ولا يفزع من الموت ولكن أنا متفكر فى هذا السبب وما أقول الا ان طريقته خابت وفى هذا اليوم يا أبا الابيض أوريك فى قتاله العجب ثم انه أطلق عنان مهره كوكب وطالب عتبة كأنه شاهب وكان عتبة قد وقف لما رأى عروة قد انهزم من قدامه لان فرسان العرب الانجاب ما كانت تتبع الهارب من مقام الحرب

والضراب

والضراب ثم انه صبر حتى ينظر ايش يكون من باقى الخيل التى اشرفت عليه ومازال كذلك حتى انه رأى عنتر قد وصل اليه فعند ذلك قد حمل عليه وهو ينشد ويقول

ما كان صاحبكم ولى وقد أظهرت * عيناه سيفى لشخص الموت قد ولى
فلو قام تركت الوحش زائره * تحت العجاج ويقسم لحمه سربا
وتدفدا نفسه منى بصاحبه * حتى يعيش ويلق غيره العطبا
حتى أتى وارتجع من صورتى فزعا * وقام ولى فرارا يطلب الهربا

(قال الراوى) فلما سمع عنتر منه ذلك الشعر والنظام فأجابه يقول

ان كان صاحبنا قد مال للهرب * اصبر قليلا ترى للفارس العجبا
فالخيل من شأنها تكبو بلا عجب * اذا الجواد جرى فى مهمه العطبا
وقد ترى الليث عباسا اذا أبدا * ودمه بدما الابطال مختضبا
ليس فخر أسود الغاب ساجدة * لسيفه وهو من عبس اذا انتسبا

(قال الراوى) ثم انهما تدانيا وافترقا وصاحا وزعقا وتطاعنا بسيف الحدود ونواظر الرمق وطلع عليهم الغبار واحتجبا عن الابصار وتقاربا والتصقا وما كان ذلك أكثر من ساعة من النهار حتى صار البر فى وجه عتبة أسود وعرف ان منتهى أمره يؤل الى التلف والنكد فعندها اعن رأس الجواد ووقف وقال لعنتر بحق من أمر الغيث فعكف وخالف بين النبات فاختلف من تكون من جبابرة العرب وأى عرب لك تنتسب لانى أرى لك طعنا لم يرتد وحربك ماعليه حد فقال له ويلك أنا عنتر بن شداد حامية عبس يوم الجلاد قال فلما سمع عتبة بن شهاب ذلك المقال رمى الرمح من يده وقال له يا أبا الفوارس لا تعتب على جهلى وما وقع من قلة عقلى فانى لو عرفتك عند اقبالك ما تعرضت لقتالك لان أبى شهاب من

حين ماتولعت بالغارات وصرت مع السادات قال لي ياولدي قاتل من أردت من الرجال وجميع الابطال الا فارس عبس الادهم وشجاعها المعلم وأسدها الضيغم ولما حاربتك وجربتك وسألتك عن حسبك ونسبك تأسفت وندمت على نفسي واعلم يافارس عبس ان ماوقع في يدي من هذه الغنيمه فخذها مني واعف عني (قال الراوي) فلما سمع عنتر هذا المقال وأبصره نقي الخد وما لحق بالرجال تعجب من فروسيته على صغر سنه غاية العجب وقال ياوجه العرب ان دمك على حرام وأما قولك خذ هذه الغنيمة والمال فوالله لا فعلت ذلك ولا أخذت منها عقال لاني سمعت هذه الجاريه تدعو الى رب الارض والسما أن يرزقها بمن يخلصها من السبي أو يكون لها حامي وأقول ان الله سبحانه وتعالى قد استجاب دعاها وسمع نداها وساقني اليك حتى أفرج كربها او بلاها وان غنمتها أنا بعد هذا الامان فما آمن عواقب الزمان لان الله تعالى بلغها المقصود ولا اشمت بها عدو ولا حسود (قال الراوي) فلما سمع عتبة بن شهاب اليربوعي مخاطبته تعجب من مروته وقال والله لقد وصف لي أبي شيئا لا يعد ولا يحصى من فعالك الجيده وخصالك المفيده (قال الناقل) فهذا ما كان لهم من المشاجره والكلام أما ما كان من عروة ورجاله فانهم مضوا الى السبي والى صاحبة الهودج يسألوها عن حالها ويطيبوا قلبها ويزيلوا أعوالها وأبصروا حاتما وعطاف والرجال المقدم ذكرهم وهم مشدود بن كتاف فقال عروة ياوجوه العرب اني أرى أمركم عجيب وحالكم غريب لاني أرى عليكم دلائل الشجاعة والبراعة فكيف أسركم شاب لانبات بعارضيه أما خشيتم من العار والفضيحة في جميع الاقطار فقال له عطاف

ياوجه

ياوجه العرب أمارايت أنت ماجرى لك من هذا الغلام حتى انك تلومنا بالملام والكلام والمثل يقول رافق الاسود ولو أكلوك ولا ترافق القرود ولو حملوك وأما سؤالك عن انسابنا فما نحن من قبيلة واحدة بل أنا اسمى عطاف وقومى بنو النظر وهذا حاتم طى ثم انه أعاد عليه حديثهم من أوله الى آخره فلما سمع عروة مقاله تعجب وأتى الى عنتر وأعلمه بذلك الخبر فقال له عنتر سر الى حاتم وأتنى به وحله من وثاقه ففعل عروة ذلك وحله وأقبل به بين يديه فقال له عنتر يا حاتم ما أنصفك الزمان حتى جرى لك هذا الشان فقبل حاتم يديه وشكره وأثنى عليه فقال عنتر والله يا حاتم ما كانت طريقى هذه الا اليك فالحمد لله الذى اتفق لى انى وقعت بك فى الطريق والا كنت بليت بالتعويق ثم ان عنتر التفت الى عتبة ولامه على تعرضه بهم فقال عتبه والله يا أبا الفوارس ما علمت بهم ولا عرفونى بحالهم فالحمد لله الذى ما فعلت معهم سوء ثم انهم حطوا رحالهم فى ذلك المكان وقد عقر لهم عنتر بن شداد وروج لهم الطعام وأقاموا فى ذلك المنزل الى الصباح وساروا وهم يقطعون الروابى والبطاح فعندها ودع عتبة بن شهاب عنتر بن شداد وهم بالمسير الى أرضه فأعطاه عنتر أربع خيول من جنائب كسرى وسروجها بالذهب الاحمر مرصعه بالدر والجوهر وقال له يا عتبة خذ هذه الخيول حتى تعبك حتى لا يضيق صدرك فدعى له عتبه وشكره وأثنى عليه وقد سار عنهم بعد الوداع وتمادوا هؤلاء فى سيرهم وعنتر سائر معهم وهو يحادثهم فى أحاديث الكرام وقد شغف بحاتم وحاتم يتعجب من حلاوة كلامه وقد تمكن من قلبه وزاد به غرامه وصار يحدث عنتر بحديث عطاف واحسانه اليه فى الاول وفى الآخر وهم

سائرون ثم ان حاتم قال لعنتر يا أبا الفوارس اعلم انني أشتهي من
فضلك وتمام احسانك أن تخطب عطاف لاختي لانه والله معدوم
النظير بين العرب فقال له عنتر حبا وكرامة يا صاحب الحسب ثم ان
عنتر أراد أن يتكلم مع عطاف بمثل هذا الكلام واذا بعطاف
أقبل على عنتر وناداه يا ابن الكرام سألتك بالله الملك العلام أن
تتفضل علي واخطب لي أخت حاتم لانه رجل كريم من دون العباد
فقال له عنتر ان شاء الله أفعل ذلك وحق الملك العلام ثم انهم نزلوا
في بعض الاماكن وقدموا الطعام وأكل منه الخاص والعام
وبعد ذلك التفت عنتر الى عطاف وقال له ها قد تحدثت مع حاتم بما
قد ذكرته فأجاب ولم أبدا اختلاف ففرح عطاف بذلك غاية الفرح
واتسع صدره وانشرح وقد جمع عنتر بينهم وزوج عطاف بأخت
حاتم وأقاموا الى الصباح ثم انهم ساروا يقطعون الروابي والبطاح الى
ان قاربوا بني طي فنزلوا في منزل يقال له ذات العيون وفيه من الانهار
وأصناف الفنون فخلع عليهم عنتر وقد أعطى لكل واحد منهم جنيب
من جنائب الملك كسرى بمركب من الذهب مزركش وودعهم عنتر
وأراد أن يسير الى ديار بني عبس فترجل حاتم ومسك بعنان جواده
وقال له يا أبا الفوارس وحق من رفع السما وأبسط الارض على
تيار الماء ما أدعك تعود الى ارضك حتى تحضر عرس أختي أسما
لانك أنت الخاطب وعلى يديك تنجح المطالب وما عادة الخطاب
الا الحضور والولائم فقال عنتر يا حاتم والله ان خدمتك شرف
ومعرفتك ضرار وتلف ولكن يا وجه العرب أنت تعرف ما لقومك
علي من الدما وما جرى لي مع فرسانهم من الحروب وأخاف انني اذا
حضرت معك أتعب قلبك وأكدر عليك عيشك ولولا ذلك

ما كنت الا صحبتك ولكن أنا أكون معك حتى أوصلك الى قومك وحلتك فقال حاتم واعجباه يا أبا الفوارس كيف يفعل ذلك والغربا من القبائل يكرموني ويجيروا زمامي فكيف يقصوني أهلي وبنو أعمامي وقد غمرتهم باكرامي ثم انه أقسم عليه فأجابه عنتر الى ما طلب وسار بأصحابه ورجاله الى ان وصل الى بني طي وعلمت العشيرة بقدوم حاتم فخرجوا لاستقباله وقد فرح به الرجال منهم والنساء ولما نزلوا في أبياتهم ضرب حاتم لعنتر خيام ومضارب منفرده عن الحي وتولت خدمتهم أم حاتم ثم انه شرع في أمر الزواج والعرس والزفاف بعد ما أكرم عطاف وخدمه الخدمة الزائدة الاوصاف قال وكانت قبائل العرب من بني طي متقاربة من بعضها بعض فشاعت الاخبار بوصول حاتم وزوجته مارية ووصفوا ما قد أتى معه من الاموال والنعم وأيضا سمعوا انه زوج أخته لعطاف سيد بني النظر وان عنتر بن شداد قد أتى معه في سبعين فارسا من بني عبس للحضر والعروس فثارت الاحقاد الكامنه وتذكرت أصحاب الدما دماهم القديمه وكان أكثر الناس حقدا وأعظمهم قلقا بني معن لان عنتر قتل فرسانهم وأباد أبطالهم فلما قتل ناقد بن الجلاح فاجتمع منهم مائتين فارس وتشاوروا كيف يدبرون أحوالهم ويقضون أشغالهم لانهم خافوا جانب حاتم فقال رجل منهم وكان أكثرهم شرا وأقلهم خيرا يا بني عمي نصبر ليلة العرس ونسير من هاهنا أول الليل ونصل الى عنتر وأصحابه وقت السحر لانهم يكونوا قد عادوا من الوليمه وانطرحوا في الخيام وهم سكارى من شرب المدام فننزل عليهم في مائة فارس منهم سبعين لمن مع عنتر والثلاثين يهجموا على عنتر وتهجم عليهم وقت السحر ويضرب كل واحد منا

صاحبه وتكون المائة فارس قيام على ظهور الخيل حتى اذا سلم
منهم أحد يضربوه الذين على الخيل بالرماح وشفار الصفاح فقالوا له
وقد استصوبوا رأيه يا رابح نحن ما قصدنا الا عنتر بن شداد الذى
رمل النسا ويتم الاولاد وما بقى أصحابه اذا قتلناه يقوا نهبا للسيوف
الحداد ولكن يا ابن العم كل واحد منا يقدر يبلغ المراد من عنتر بن
شداد فقال معاذ الله نحن ما نهجم عليه الا ثلاثين من الابطال والا
خابت منا الآمال وان كان وقع فى قلوبكم الخوف فدعونى أنا أهجم
عليه وآخذ روحه من بين جنبيه ولا يدنوا أحد منكم الى خصمه حتى
أخرج ورأسه فى يدى تقطر دما وان لم أذبحه وأشفى فؤادي والا
سبونى على لسان كل غادى وبادى ولا ترجعوا اسمو فى ذابح والعنوا
أبائى وأجدادى ثم انهم بنوا أمرهم على مثل ذلك وأرسلوا بعض
عبيدهم لينظر متى يكون الزفاف وابن عنتر نازل من الحى ويعرفوا
منزله ومضربه الذى هو فيه (قال الراوى) وقضى حاتم ضيافته
لبنى عبس وأولم وليمة الزفاف وجمع سادات الحى بعد ما عقر ونحر
ما كفى سادات بنى طى وأهل الحى وأشبع العبيد والاماء وغنت
المولدات ودارت الكاسات وطابت لهم الاوقات وما بقى أحد من
بنى طى الا وشرب عند عنتر المدام وتعلموا منه سمة الكرام قال ولما
انقضى النهار وأقبل الظلام ومازج العقول المدام وزفت أسما على
عطاف وما بقى خلاف وركب عنتر وأبوه وعروه ورجاله وعادوا
طالبين الخيام التى أعدت لهم وكان شيبوب فى ركاب أخيه فقال له
عند ما قاربوا الخيام هذه والله ليلة انتهى العروس والعد الكم
فى الانتظار لقضوا منكم الاوطار لانكم الليلة قد امتلئتم من العقار
وما بقى فيكم من يعرف الليل من النهار وأنا خائف عليكم من العدا

واسباب

183

وأسباب الردا وان لم نحترز على أنفسنا والا اشتفت العدا منا ولا ينفعنا حاتم ولا عطاف ولا يردوا عنا كاس التلاف ثم ان عنتر زالت من راسه أقداح المدام وخاف انه يفضح تلك الليلة للمام وحلف بخالق الضيا والظلام انه لا يغفل ولا ينام بل انه قال كل واحد منا يحرس نفسه لما يحب ويختار حتى يطلع علينا النهار ثم انه بعد ذلك قال أنا أكفيكم أمر هذا ان أجبتمونى الى ما أريد فقالوا والله قل ما بدا لك فما فينا من يخالف مقالك فقال لهم اعدلوا معى الى هذه الروابى التى عن أيماننا ونترجل عن الخيل ونكمن عندها ونخلى مضاربنا خاليه وشيبوب يكون فيها واذا كبس أحد على الخيام يأتى الينا ويعلمنا قال فلما سمع بنو عبس هذا الخطاب رأوه صواب ثم انهم قصدوا الى الروابى والهضاب وأكمنوا فيها وقد خطر لهم هذا الامر وهم فى نشئة الخمر وكانت فيه سلامة نفوسهم الا انهم ما زالوا كذلك حتى أقبلت العدا وقاربت الخيام فى جنح الظلام واقتسموا قسمين وترجلوا وفعلوا ما كانوا عليه عولوا وسلت المائة فارس السيوف والقواضب ودخلوا عليه بين الخيام والمضارب ووقفت المائة فارس الاخرى على ظهور الخيل وقد لمعت رماحهم مثل نجوم الليل فعلم شيبوب بجميع أحوالهم فعندها صاح فى أخيه ورجاله فخرجوا من خلف التلال وعنتر يقول يا بنى عمى اقلعوا أسنة الرماح وتجنبوا سفك الدما وهلاك الارواح حتى لا يكون علينا لوم ولا ثم ما دمنا ضيوفا عند حاتم واقصدوا الخياله قبل الرجاله لانكم بذلك تبلغوا الارب ولم أجد منكم يعول على الهرب لان ما فى خيامنا من يفتقروا به قال فاستصوبوا رأيه ومقاله وفعلوا ما قد خطر بباله وطلبوا أصحاب الخيل فى ظلام الليل وصاحوا عليهم لما قاربوهم

وقالوا لهم يا أنذال بني طي لقد خابت آمالكم وساءت أحوالكم ثم انهم طعنوهم بعوامل الرماح الذوابل ودحرجوهم من على ظهور الصوافن (قال الراوى) وكانت فرسان بني طي قد انذهلت لما ان سمعت الصياح وحارت في أمورها وتخبلت وانقطعت ظهورها لانهم أبصروا بني عبس قد نزلت عليهم نزول القضا والقدر والذين تكلفوا بقتالهم ما ظهر لهم خبر فأيقنوا بالهلاك والذهاب وسمعوا صيحات عنتر فرجعوا على الاعقاب وما نجى منهم الا القليل وأكثرهم ساروا مطروحين في جنبات الفلا وهم مثل القتلا فنزل اليهم عروة ورجاله وشدوهم كتاف وقووا منهم الاطراف وكشفوا منهم الرؤس وأنزلوا بهم الهم والبؤس هذا وشيبوب جرح منهم جماعة بنباله وبلغ منهم آماله وقتل منهم مقدمهم ذابح الذى ضمن لقومه قتل عنتر لان شيبوب ضربه بنبلة فوقعت في نحره خرجت تلمع من حلقه والباقون لما سمعوا الصياح صاروا يرجون في أقطار البطاح وشيبوب يزعق في جوانبهم ويشغلهم حتى عاد بنو عبس اليهم وداروا بهم وأخذوا منهم جماعة والباقي هرب الى عند حي حاتم وأرموا أرواحهم الى داخل البيوت واستجاروا بأهلها وما أصبح الصباح الا والدنيا منقلبه لاجل هذه الفتنه وكل واحد يسأل صاحبه عن ما جرى وكان مقدم الحلة يقال له زامل بن الصباح فركب ومعه حاتم وجماعة من بني طي وسألوا عن حقيقة الحال فركب عنتر ورجاله اليهم وحدثوهم بالقصة وما جرى وأما شيبوب فانه ساق الاسارى الى بين أيديهم فلما نظروهم أطرق حاتم برأسه الى الارض من شدة الحيا وقال الزامل وحق من أوجد الاشيا ان لم تقابل هؤلاء الانذال على ما أبدوا من الفعال لارحلن من هذا الحى ولا أهدمن

ماشيد ته لبنى طى لانهم فضحوا ذمامى واتوا يريدون قتل من أحسن
الى وصان حريمى وأكل طعامى قال وكان زامل يحب حاتما محبة
صادقة فسل سيفه وعول على ضرب رقاب الاسارى فتقدم عنتر
وسأله فيهم وقد اجتهد فى اطلاقهم فقال زامل يا امير عنتر قد وهبتك
دماهم ولكن لابدلى من تأديبهم على مافعلوا ثم انه أمر عبيده فنصبوا
لهم خشبا على رؤس الروابى وعلقوهم عليها طول ذلك اليوم الى
وقت المسا واطلقوهم وعند الصباح استأذن عنتر حاتما فى المسير الى
أهله وشكى اليه شدة شوقه الى عبلة فقال وذمة العرب يا حامى
عبس ان فراقك عندى مثل فراق الروح من البدن لمالك على
فى الفضل والمنن ثم انه سار معه لوداعه يوما كامل وعاد حاتم الى
قومه وسار عنتر وجد فى المسير يطلب أرض الشربة والعلم
السعدى وقد خلا قلبه لذكر عبلة ولا بقى له حديث مع أصحابه
الا فيها الان العرب من ديار الاحباب يزيد نيران الالتهاب ثم انه تلقا
من ناصية ديار عبلة هبوب الرياح وصار يعاتب البرق كلما هتف
ولاح ثم انه هاجت به الاشجان والاشواق فأنشد وجعل يقول

اذا رشقت قلبي سهام من الصد
وبدل دهرى حادث القرب بالعبد
لبست لها درعا من الصبر مانعا
ولو بات غيرى فى الظلام على وجد
وكيف يزور الطيف من كان ساهرا
يبيت بأجفان شهود على صد
علالة قلبى لاتصح فانها * اذا مرض المشتاق علل بالوعد
فبالله يا ريح الحجاز تنفسى * على كبد حرا تذوب من الوجد

ويابرق ان جاوزت من جانب الحما
فحي بني عبس على العلم السعد
واذ خمدت نيران عبلة موهنا * فكن أنت في أطلالها نير الوقد
وخل الندا ينهل فوق خيامها * بذكر ما دمعي اذا انكرت عهدي
عدمت اللقا ان كنت يوم فراقها * أرى صورة في مثل صورتها عندي
ألا قاتل الله الهوى كم بسيفه * قتيل غرام لا يوسد في اللحد
واسأل لسيفي كم أقل بحده * صروف الرزايا وهو يقلق في الغمد
أجرده في كل يوم كريهة * فيفرق ما بين المشائخ والمرد
ويلمع من تحت الغمام بروقه * وفوق أعالي البيض يسمع كالرعد
ومازال كلب الروم الاوقدلاق
رجالا ترى للموت أحلى من الشهد
والخر الينا يلتقي الطعن دائما * كما يلتقي العطشان من صافي الورد
حملت على الفرسان فرقت جمعها
فنالت بنى عبس بها الفخر من عندي
لقينا الجيش في الفلاة وفوقه * غمام فقال حالك اللون مسود
ينادون عبس والصليب ومريم * ونحن بعون الله بالشكر والحمد
فبادرتهم بالطعن حتى تساقطوا
الى الارض من فوق المضمر الجردي
أنا عنتر العبسي فارس قومه * أموت ويبقى لي أحاديث من بعدي
(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من شعره مالت الفرسان لهذه الابيات لما رأوا من عنتر وفصاحته وتعجبوا ثم انهم ساروا يقطعون تلك البراري والقفار وهم يتذاكرون ما كان لهم من الاخبار حتى انهم وصلوا الى الديار فعندها أمر عنتر أخاه شيبوب أن يسبقهم

ويبشر أهل الحلة بقدومهم ففعل ما أمره به أخاه وكان وصوله نصف النهار وأخبر أهل الحى بما كان لهم من الاخبار (قال الراوى) ولما قارب عنتر وأصحابه الى الديار فالتقى به مقرى الوحش وخلفه جماعة من بنى عبس الاخيار وبين يديه ولده سبيع اليمن وهو فى دون المائتين فارس ولكنهم من فرسان بنى عبس الاشاوس وكانوا التقوا به على بعد من الديار وسلموا على بعضهم البعض وهم فى فرح واستبشار ورجعوا يتحادثون بما كان لهم من الاخبار وعنتر يحدثهم بحديث حاتم طى وكيف التقاه أسيرا وخلصه وسار معه الى حلته وكيف أضافه حتى عمل عرس أخته وكيف زوجها العطاف بن فائز النظرى وأعلمهم بما جرى له فى بنى طى وكيف غدر به رجال الحى وبعد ذلك سأل عنتر من مقرى الوحش عن الملك قيس واخوانه وفرسانه وعشيرته وهو يتعجب كيف ما خرج أحد منهم اليه وقال مالى أراكم فى نفر قليل أما كان لى فى بنى عبس محب غيركم فعلت معه جميل فقال مقرى الوحش والله يا أبا الفوارس ما فى الحى حاضر من تعتب عليه بل ان الجميع غياب مع الملك قيس فى بلاد اليمن فتعجب عنتر من ذلك وخاف عليهم لا يكون قد اعتراهم أمر من أمور الزمن وصار من ذلك فى فكر فلما رآه مقرى الوحش فى اشتغال وهو فى فكر من هذه الاحوال قال له يا أبا الفوارس ليس الامر كما خطر ببالك وانما بعض السلاطين قد اتى الى الملك قيس يخبره بأنه قد ظهر فى بلاد اليمن ولد لاخيه مالك وانه هو وأمه فى حلة من حلل بنى كلاب بن وبره وهم فى ضنك عظيم من الشقاء والمضره وقد صار اليهم يريد يخلصهم من ماهم فيه من ذلك البلا المقيم وتركنى أنا ومن ترى هنا لحفظ الاموال

والحريم (قال الراوى) فلما سمع عنتر ذلك الكلام تعجب من تصاريف الايام وما يبدو منها من الامور والاحكام وتذكر مالك ما كان يفعل معه فى أيام الصبا وأفضاله عليه دون اباقراد تأسف عليه وتناثرت الدموع من أماقى عينيه وقال لمقرى الوحش والله لقد هيجت أشجانى وجددت على أحزانى وقد ذكرتنى برجل كان عندى أعز من روحى التى فى جسمى وانك يا أخى ما تعرف ما كان فيه الادراك لانه قتل قبل ما أتعارف أنا وأياك وذمة العرب ما كان فى أولاد الملك زهيراً كبر منه مروءة ولا محبه ولولاه ما كنت الى الآن خلصت من رق العبوديه وأنا أقسم بالبيت الحرام وزمزم والمقام لو كنت سمعت أنا قبل حضورى أنه ظهر له ولد ما كنت أتيت اليكم بل كنت سرت من تلك الناحيه ولا كنت احتجت الى رفيق ولكن ان أحيانى الزمان لأفعلن فى ولده فى حال مماته كما كان يفعل بى فى حياته وانى ما أقيم هنا الا مقدار ما آخذ الراحه وأتزود من بنت عمى عبله بالنظر وأعود أطلب بلاد اليمن على الأثر كل هذا يجرى وهم سائرون حتى وصلوا الى الابيات فتلقتهم النساء والبنات وهم قد أرخين الشعور وأرمين البراقع عن الوجوه البدور وعبله بينهم تتباهى بما كساها الله به من الجمال والقد والاعتدال والجميع يتمايلن كأنهن الاغصان اليوانع وعليهن الملابس الفاخره على ذلك الجمال البارع قال وكل هذا فرحى بعنتر وعودته الى الحى سالم ولما رأوا ما معه من الاموال والغنائم هذا وعنتر لما أن رأهن أثنى رجله وترجل وصار الى خيامه ولم يصدق أن يرى عليه قد امه (قال الراوى) وكان السبب فى سفر الملك قيس وذلك الاتفاق فانه بعد مفارقته لعنتر وهو عند الملك كسرى

والنعمان

والنعمان وعودته من بلاد العراق وسار الى حلته وجمع شمله بأهله ورفقته وأقام حتى وصل السبي اليه من أرض الشام ولم يتخلف منه عقال وكل ذلك لاجل حاميتهم عنتر البطل الهمام وبعد ذلك أقام مواطب الولائم والدعوات واغتنمت بنو عبس أوقات المسرات فاتفق انهم خرجوا فى بعض الايام الى غدير ذات الارصاد وقعدوا يتهادنون فيما جرى لهم من الانكاد حتى أزال الله ما كانوا فيه من الضنك والعناد كل ذلك يتذكروه وهم يشربون المدام واذا هم بنجاب قد أشرف عليهم من البرارى والآكام وقد بدأهم بالسلام وقال لهم ياسادات العرب الكرام أريد منكم من يرشدنى الى طريق الخير ويدلنى على طريق أسلك منها الى الملك قيس بن زهير (قال الراوى) فعندها قدموه اليه واوقفوه بين يديه فقال له ياوجه العرب أنا الملك قيس الذى تسأل عنى فقل ما حاجتك يا همام فقال الاعرابى يامولاى فان كنت أنت الملك قيس المذكور فأعلمك بشئ يسرك وبعد ذلك ما يضرك ولكن ما أبشرك بتلك البشاره حتى آخذ حق بشارتى منك فلما سمع الملك قيس من الاعرابى ذلك الكلام اشتاق الى سماعه وأمره فى عاجل الحال بالنزول عن ناقته فنزل وأمر الملك قيس باحضار الطعام فأكل ولما اكتفى أعطاه قدحا من المدام فامتنع من ذلك وقال يامولاى ان صاحب هذه الرساله عاهدنى عهد الا أضيعه وان عرض شئ قبل التبليغ أمنعه حتى انى أبلغ رسالته وأدى ما حملت من أمانته ومقالته فقال الملك قيس له هات ما عندك بلغك الله مناك وقصدك فعندها ابتدأ الاعرابى يحكى لهم حكايته ويشرح لهم قصته وقال له اعلم أيها الملك اننى رجل سلال وصنعتى حرامى لص محتال

وادو رقبائل العرب بكل حيلة وسبب حتى أسل الخيل وأدعس
عليها نهار وليل ولو كان الفرس فى وسط قلب صاحبه توصلت اليه
وانتزعته منه وأنزلت به مصائبه واننى ياملك سمعت بخبر جواد
كلب بن وبره فسرت قاصدا اليه لعلى أسرقه وأحرق قلب صاحبه
وأحسره عليه فسرت الى أن وصلت الى الحى الذى هو فيه فدخلت
اليه وتأملت معانيه وقحمت عليه الى داخل المضرب ولى قلب
أقوى من السهل ثم قطعت شكال الجواد من رجليه ويديه
وقدته على يدى الى ظاهر البيوت وقد ستر على الحى الذى لا يموت
ولما أن بقيت على ظهره وكان حصان مثل العقاب فلما ان حس بى
نفضنى أرمانى على التراب وعاد يطلب معلفه وهو يمر كمر السحاب
ولما وصل مكانه صهل وصار يضرب بحافره الحصى والجندل حتى
كادت الارض أن تتزلزل فأتبه صاحبه على حسن صهيله لانه كان
يعرف صهيله من دون الخيول فأبصره وهو محلول فصاح فى فرسان
القبيله فأتوا اليه وهم راكبين الخيول وكل فارس منهم كأنه بهلول
فسار يقول لهم يابنى عمى قد طرق الليلة أبياتنا سلال وقد غدا
هارب نخذوا عليه الطرقات والمذاهب وبادروه قبل وفات أنجاذه
وفوات المآرب ومازال ينادى بمثل ذلك الندى حتى ملكوا على
سائر أقطار البيدا فلما علمت أن مابقى لى مخلص من كيد هؤلاء
الائام فسرت أعدوا وأنا مهرول بين الخيام وأيقنت باتلاف مهجتى
بين الانام ومازلت مهرولا والعبيد تصيح على وتضربنى بالحدفات
حتى وصلت الى بيت منفرد عن الابيات فقلت فى نفسى التجى الى
هذا البيت لعل أن يكون لاحد من السادات أو يكون صاحبه
فى هذه القبيله موصوف وباجازة الرماح معروف فوجدت فيه

امرأة

187

امراة عجوز جالسه تغزل صوف فدخلت عليها وارميت روحي بين
يديها ومسكت بذيلها وقد استجرت بها فأجارتني وآمنتني على نفسي
بعد ماكان انقطع حسي وقامت الى الرجال الذين لحقوني وقد
صاحت عليهم فوقفوا عني وقد هابوني فأخبرتهم انها أجارتني
وبذمامها اشملتني فعادوا عن مضربها ومقامها وهم يقولوا هذه امراة
من أكابرقومنا ما انفسخ ذمامها وبعدها رجعت العجوز وهنتني
بالسلامه وأمرتني عندها بالاقامه وقدمت لى الزاد فأكلت وقعب
لبن شربت ثم أقمت عندها الى الصباح واطمأن قلبي واستراح فقالت
لى ياهذا اعلم أنك يضيق صدرك ان أقمت عندي في البيت فأخرج
وتفسح بين الروابى والقيعان ولا تبعد فى البر بعيد يتعب قلبي عليك
و يصير بيني وبين قومي الشر والعداوه لان بعلى وأولادي فى هذه
الايام غائبين ولابد أن يأتوا فى هذا الحى وأنا أراعيك وآخذ حسك
لعلهم أن يأتوا و يسيروا معك الى موضع تأمن فيه على نفسك
(قال الراوى) فلما ان سمعت منها ذلك الكلام صرت كل يوم
أخرج الى الغدير وقد آمنت على نفسي من الصغير والكبير وصرت
كل يوم أفعل ذلك وأعود الى البيت التى للعجوزه وأهل الحى يروني
وينظروا الى اما أنى عليهم أجوز فلما كان فى بعض الايام وأنا
جالس تحت هذه الشجرة التى ألفتها وكان وقت الضحا والشمس
على الارض قد أرخت جرمها وان الجاريه قد أقبلت من البر وقد
اشتد عليها الحر وعلى وجهها برقع خلق وعلى يدها نهاجبه من صوف
الا أنها فى ذلك اللباس عليها آثار النعمة ووجهها بالخير معروف
وبين يديها صبي ووجهه أحسن من الهلال لكن قد غيرت محاسنه
ومحاسن أمه تقلبات الايام والليالي وله من العمر ما يقارب عشر

سنين ولبسه مثل لبسها وحسنه مثل حسنها الا انهم فى الهم مشتركين وقدامهم أغنام يسوقوها الى تلك المرعى وعليهم حالة الذل والهوان وهم بذلك الشقا والزفير والجاريه تقول لولدها يا مجيد ردّ الغنم الى ناحية ذلك الغدير لانى قتلنى الحر والهجير فقفز الصبى حتى يعين أمه على ذلك الشقا والتعب فعثر فى حجر فوقع على وجهه وتكبكب وقد أدمت قدماه وجبهته فأحرقنى قلبى عليه وعلى ما صار من قصته وصار يبكى ولا يقدر يقوم على قدميه فلما أبصرت أمه حالته عادت وعدلت اليه وضمته الى صدرها وقبلته بين عينيه وشقت رداءها وعصبت به جبهته وصارت تقول له يا ابن الثكلا وابن المفقود ليلة الجلا يا ابنى وافقت أمك على صغر سنك فى الشقاء والتعذيب وربيت فى اليتم وخدمت من هو ليس منا بقريب يا ولدى ليت أمك ماتت ولا رأتك فى هذه الحالة تخدم العدا أوليت أبيك بقى ولا كان شرب كأس الردا ثم انها ازداد بها النحيب والبكا فانشدت تقول

وافقتنى فى الشقا والحزن يا ولدى * على أبيك الذى ولى ولم يعد
وقد بكيت بدمع بعد فرقته * وكم أبيت ونار الشوق فى كبد
يا ليتنى كنت فارقت الحياة ولا * بليت بالذل والتعتير والنكد
وليت أمى رمتنى للسباع ولا * رأيت ذا الهول والاحزان والكمد
أوليتها دفنتنى فوق رابية * بين التلال وشلت ساعدى ويد
بنو فزارة لازالت ديار كموا * دشكوا لى سا كنيها قلة العدد
كما فجعتم فؤادى يوم فرقته * بفارس كالهمام الضيغم الاسد

(قال الراوى) ثم ان السلال قال بعد ذلك للملك قيس واننى يا مولاى لما رأيت الجاريه وحرقتها وقد سمعت نداءها وأبصرت صورتها

عرفت انها من هذه الديار غريبه وان الزمان تعدى عليها وجار فعدلت اليها وسلمت عليها ثم انى قلت لها يا جاريه لقد أحرقت قلبي وزدتني كربا على كربي فان كنت غريبه من هذه الديار فأخبريني أنت من أى العرب الأخيار وكيف السبب لفراقك لأهلك والاوطان لانى أراك شديدة الاحزان زائدة الوجد والاشواق عظيمة التلهف والاشتياق فقالت لى يا هذا اننى غريبه كما ذكرت ووحيدة أنا وولدى فى هذه الديار كما اخبرت ولكن يا هذا من يكشف عنى ما أنا فيه وايش تنفع الشكوى لمن يضيعها وايش النفع للذى يشكى بلوة تكون فيه لمن لا يزيلها عن صاحبها فقلت لها من هم عربك وعرب هذا الغلام فقالت أنا ما أقدر أخبرك من أنا ولا أقدر أشرح لك قصتى خوفا على ولدى من العناد ولولا اننى أعرف انك غريب من هذه الديار ما كنت أطلعتك على شئ من هذه الاحوال فقلت لها أنا أحلف لك بمن كسى الليل حلة السواد وأغسقه وجعل الفجر نورا مشرقا وتفرد بوحدانيته بالدوام والبقا اننى ما أكشف سرك لاحد من البشر ولا أبيح به لانى ولا ذكرالى حين أموت وأقبر وما قصدى بهذا الاخلاص واظهار أمرك لعلى ان أصل الى قومك وأكشف لهم عن خبرك لان قلبى قد رحم بكاك ولعل الله أن يفرج ما بكى ويجعلنى من السوء فداك وييسر على يدى فكاكك وفكاك وكل هذا الاجل هذا الطفل الصغير الذى كأنه ولد كبير وهو على صغر سنه يقاسى الشقا والتعتير كل هذا يا ملك الزمان وهى لم تجبنى بسؤال وبعد ذلك مال قلبها الى وأخرجت سرها على وقالت يا فتى اعلم ان هذا الصبى أميرا بن أمير كبير وأنا أخبرك بقصته وأشرح لك عن حكايته ظاهرا وباطنا

واخبرك بما جرى علينا أولا وآخرا اعلم ان هذا الصبى أبوه مالك بن الملك
زهير معدن الكرم والجود والخير الذى أفخر العرب نسبا وأهلا
وأعلاها حسبا وفضلا وأما وأبا وأهلا وكان قد تزوج بى لما وقعت
الفتنه بين بنى عبس وعدنان وفزاره وذبيان من أجل سباق الخيل
وانا كنت فقيره فأغنانى وأعطانى من المهر ما أكفانى وقد زففت
عليه بالجلا والمغانى ولما ان خلونا ببعضنا كدر الدهر علينا صفو
عيشنا ثم انها أخبرته بالقصه من أولها الى آخرها (قال الراوى)
وأخبرته كيف أتى عوف أخو حذيفه وشن عليهم الغاره
هو ومن معه من بنى فزاره وقتل منا السادات وسبى من قدر
عليه من البنات فهربت أنا مع جملة من هرب وهمت على وجهى
فى الفلوات من شدة الخوف والممات وقد عولت أن التجى الى بعض
الغدران والقبائل الذين يحمون من استجارهم فالتقونا عرب هذه
الديار وأنا ومن معى من البنات والاحرار فساقونا كبار وصغار
وقد وقعت أنا من شؤم بختى مع هؤلاء القوم وكنت علقت من
بعلى بهذا الصبى على دم الزفاف ولما تكاملت أشهره وضعته
فى هذه الديار وقد ربيته فى ثياب الذل والاضرار وكتمت نسبه
خوفا عليه من الهلاك والبوار وكل من سألنى عنه أقول هذا
الولد رزقته من ابن عمى وقد حلت به الآفات ومات مع من مات
وهذه قصتى قد شرحتها عليك كأنك قد رأيتها بعينك وأريد
منك اذا حضرت الى بنى عبس فى بعض أسفارك فاقصد ملكهم
قيس بن زهير وقل له أما تخشى أن تكون ملكا مطاع وابن أخيك
يرعى الجمال والاغنام فى تلك البقاع فما ترضى بهذا من هو بطل
شجاع ثم قال السلال ولما فرغت من كلامها ياأبا ولاى بكت على

بعلها بوجد وزفرات ومازالت على ذلك حتى أسالت من أجفانى العبرات وكاد فؤادى ان ينفطر بما بها من الحسرات وبعد ذلك قالت يا وجه العرب سألتك بحرمة شهر رجب انك توصل خبرى الى قومى وتحمل هذه المشقه وذلك التعب فقلت لها يا حرة العرب وحق من فى علم غيبه قد احتجب ان سرت من ههنا الى قومك لاعلمهم بقصتك وشؤمك وما تقاسيه من همومك وغمومك وأعلمهم بحديثك الذى ذكرتيه لى فى نومك ثم انى يا ملك طيبت قلبها وفارقتنى وفارقتها وسرت الى بيت العجوز واقمت عندها حتى قدموا أولادها وبعلها وأخبرتهم انها قد أجارت ذمامى وأحمتنى من بنى عمها فرحبوا بى وأعطونى الناقة هذه لتعيننى على قطع الربا والاكام وساروا معى الى مكان الامن والسلامه وتودعت منهم وأمرتهم بالرجوع الى اطلالهم والربوع وأنا أتشكر من أفعالهم وما فعلوا معى من الجميل لانه غير قليل وبعد ذلك يا مولاى صرت قاصدا اليكم وأعدت حديث ابن أخيكم عليكم فهى والله أمه على وجهها الخير والرجا وولدها أحسن من بدر الدجا الا أن الهم والبلا قد غير أحوالهم وأمور الدنيا قد أزرت أحوالهم (قال الراوى) والله ما سمع الملك قيس هذا الكلام من السلال حتى بكى الملك قيس وكل من كان قدامه من أهله وبنى أعمامه هذا وقد شاع ذلك الحديث فى الحله وقد تسامعت به الرجال والنساء جمله وأما الملك قيس فانه غاب عن الدنيا من شدة ما جرى عليه وفاضت مدامعه على وجنتيه ثم انه ناول الكاس لساقيه وحلف انه ما عاد يشرب باقيه حتى انه يخلص ابن أخيه وأمه مما هم فيه ثم انه فى عاجل الحال خلع على السلال وأركبه على جواد من ارقى الخيول الجياد ونادى فى فرسان

الحى بالرحيل وسرعت الجد والتحويل وركب وسار فى بنى عبس
الاخيار وكانوا ثلاثة آلاف فارس ومن خوفه على الاحياء وهذه
الديار من كيد الاعدا الاشرار ترك مقرى الوحش حامية لها وترك
عنده خمسمائة فارس ريبال وذلك لاجل حفظ الحريم والاموال
لعلمه انه يعادل عنتر فى الفروسيه والشجاعه والبراعه وسار الملك
قيس وهو يقول للربيع بن زياد أتى علينا عنتر بن شداد حتى يعلم
ان قد ظهر لصديقه ولد من الاولاد لانه كان فى زمانه من أكثر
متعصبيه وكان أمثاله وصديق وكان دائما يتعصب له فى كل شدة
وضيق ولو كنت أعلم أن يقدم قوام من أرض العراق كنت أنفذت
اليه وأقت الى أن يأتى الينا وآخذه معى فى هذه الكره ولكن أخاف
أن النعمان يعيقه ولا يتركه يأتى الينا اذا أرسلت اليه نجاب لاننا
خليناه عند كسرى فى مجلس الشراب ونحن الذى ضيعنا الحذم
الذى ما أرسلنا اليه ولكن الغائب حجته معه ولا ندرى ما يكون من
طول غيبته لانه فى أشقما يكون من اللهو والطرب وأخاف أن
تتكاسل عن هذا السبب يشيع عنا فى قبائل العرب ان ابن أخى
عند الاعدا مقهور مأسور وأعا برأنا بطول الازمان والدهور وربما
يسمعوا أهل الحلة الذى هو فيها أن نسبه متصل الينا فيقتلوه لاجل
الدماء الذى علينا (قال الراوى) فعند ذلك قال الربيع بن زياد أيها
الملك المهاب فما رأيت الاغاية الصواب حتى لا يصير له علينا كلام
بعد خلاص حريمنا من أرض الشام ويقول ما قدروا يخلصوا سيدا
من ساداتهم حتى أتيت وخلصته لهم والرأى عندى أننا نسير نحن
اليهم ونخلصه منهم ونلقى كل من فى بلاد اليمن بمن معنا من الابطال
ثم انهم سلكوا البرارى والقفار وطلبوا بلاد اليمن وهاتيك الديار

(قال

190

(قال الراوى) وكان بالامر المقدر ان الامير عنتر وصل الحله بعد ان ساروا بثلاثة أيام وحدثه مقرى الوحش بما جرى لهم من الكلام فعند ذلك دخل على عبله و بل شوقه منها و بعد ذلك اشتاق الى ابن مالك وتذكر أبيه وما كان يفعل معه من الجميل ومكافئه وقد علم ان بنى عبس لابدّ أن تجتمع عليهم قبائل اليمن ولا يكون عندها من يحميها من تصاريف الزمن بجدّ عزمه على أتباعهم ويعينهم على أعاديهم وقد خاف على بنى عبس لا يقعوا فى التعس والنكس وأيضا خاف على بقاياهم من بنى فزاره وسنان بن أبى حارسه أن يبلغه ما هم فيه من المرام وربما ركب عليهم بملوك الشام من أجل ما جرى بينهم من الحرب والصدام لان بنى غسان أقوام لئام وقد علم ما جرى بينهم من الحرب والصدام وما وقع حتى تبدد شمل العشيره ورجع اجتمع وقد تعبوا حتى رجعوا الى الديار وقربهم القرار ثم انه قال لهم يا بنى الاعمام الرأى عندى انكم تقيموا فى الاوطان مع أخى عروه ومن له من الفرسان وأيضا يكون معكم الرجال الذين كانت معى بأرض العراق وأسير أنا ومعى أخى مقرى الوحش فارس النياق ونأخذ معنا أخى شيبوب ونسير خلف العشيره لعلنا أن نلحقهم من قبل أن تجتمع عليهم الجموع ونقضى حوائجنا ونعود وشملنا مجموع وان طالت يا بنى عمى غيبتنا وسمعتم عن بنى فزاره أو بنى غسان لانى أعلم انهم طائفة غداره خيان فلا تطيلوا بينكم الكلام بل ارحلوا الى منازل شيخ العرب دريد بن الصمه أو الى بنى عامر وكونوا غدا احدّ الجهتين حتى نرجع بسلام فقال شداد والله يا ولدى لقد نظرت موضع النظر افعل ما بدا لك واعلم اننا مستيقظين على أنفسنا من مقالك فطيب قلبك من جهتنا فنحن ما نتهاون على أنفسنا ولا نتغافل عن أخبار

أعدائنا بل تقيم لنا عيوننا وأرصادا تاتينا بالاخبار من سائر الجهات
ونبذل مجهودنا ونهجر المنام الى ان تقضى حاجتك وتعود الى الديار
وأنت فى خير وسلام (قال الراوى) فعندها طاب قلب عنتر على
قومه وتجهز للسفر من يومه ولم يأخذ معه سوى مقرى الوحش
وأخيه شيبوب وقطعوا من الارض العلائق وساروا بلا عائق
يعيقهم ولا سابق ولم يأخذوا معهم لا ناقه ولا جمل بل طلبوا الوحدة
والانفراد وبلوغ الامل وسلكوا البرارى واقتحموا الفلوات وسلك
بهم شيبوب تلك التلال المقفرات وقطع بهم تلك الهضاب الموحشات
ومازالوا على ذلك الحال ستة أيام متواليات وفى اليوم السابع فرغ
منهم الماء وألهبهم العطش والظما وقد عرض لجواد مقرى الوحش
عارض فهلك وارتما فسار مقرى الوحش راجلا وصار يقطع على
قدميه الفلا فنزل عنتر عن جواده موافقة لصاحبه وترك العدة
فوق جواده الابجر وساروا يجدوا المسير فى ذلك البر الاقفر فقال
عنتر لاخيه شيبوب لم لا أعلمتنا ياولد الزنا ان هذه الارض مهلكه
كثيرة العناحتى كنا اعتد نالها بالخيل الاصال ولا كانت جرت
علينا هذه الاهوال فقال شيبوب والله ما كنت أعلم أن هذه
الارض كثيرة الماء والمناهل ولكن الانسان ما يعلم ما خبى له
فى الغيب من القضاء النازل ولم أعلم أن جواد مقرى الوحش يموت
فى هذا المكان ولم أعلم فروغ آجال الخيل وما يقع لها من الهوان وما
يجرى عليها من الحدثان فقال له مقرى الوحش ولم تعرف لنا منهل
ندركه على عجل قبل أن يأتى المساء الان ما يأتى آخر النهار وفينا من
يعرف أحسن الدهر اليه أم أساء فقال نعم انى أعرف قدامنا منهل
قديم لعرب يقال لها بنى باعث وهو غدير واسع وله منافس ومنابع

وما

191

ومابقى قدامنا الاهو ولا اتكالنا الاعليه وان كنا لم نجد فيه ماء اذا وصلنا اليه وحق الرب القديم ما يرجع منا من يخبر بخبر لان بعده مغاوز صعبه واسعة الفضا لا يقطعها الا تساع أرضها وصعوبة مسالكها الا أنا فقال مقرى الوحش ما أنت الا قطعت ظهرى يا شيبوب فلعن الله أب سبالك ومن المصائب لا قالك وحق الرب القديم اذا وصلنا الى هذا الغدير ووجدناه ناشف لا تركناك تنتقل عنا بشبر قصير ولا بدلى ما أشدّ يديك ورجليك وأدعك تموت معنا على جانبه ويقضى عليك لان الدليل أحق من غيره بالعذاب الطويل قال وكان شيبوب يعلم انه يلقى الماء الا انه أراد ان يوهم مقرى الوحش ويروعه لما ان رآه قد عاد رجلا وصار يمازح معه ويهون عليه المصائب الا انه ما زال سائرا بهم حتى أوصلهم الى الغدير وقد تعبوا تعبا شديدا كثير ولما ان وصلوا الى الغدير نزلوا لاجل الراحه وقربهم القرار فى تلك الساعه فشربوا من الماء حتى ارتووا وبعد ذلك أضرموا النار وكان معهم شئ من لحم فشووه وأكلوه وقليل من الخمر فشربوه وبعدها قال عنتر لاخيه شيبوب يا بن الام كيف نعمل فى مقرى الوحش نسير به راجلا معنا الى بلاد اليمن فوالله ما فيه قوه الى هذا العطش فقال شيبوب اصبر على قليلا حتى استريح وأغدوا وأجد له فى الطلب وأدبر نفسى على جواد وأجيبه له يركب وأقيموا أنتم هاهنا على الغدير وأنا أسير وأحمل عنكم التعب والتعثير وآتيكم بما تأكلون لانى أعرف ان هنا بالقرب منا عرب يقال لهم بنو اصابح وهم عنا نصف يوم للمجد الناصح ولا بدلى ما أسير اليهم وأتوكل على رب العباد وأتجسس أخبارهم وأجمعهم فى خيلهم الجياد فقال له عنتر ما تريد أسيره معك وأعزم على الرواح فقال له

لا يا أخي أنا ما أسير الا وحدى وأنا رجل خالى من السلاح مما سكرنى أحد من عرب البطاح وأما أنت ما تسير الا فارس مشدود وان رأوك وأنت على هذه الحاله نفرت عليك أهل الحله خياله ورجاله ويسير بينك وبينهم الحرب والقتال والطعن والنزال وتضيع الفوائد والفائده ويطول الامر وتكثر المعانده فقال مقرى الوحش والله لو رأيته سائر امعك ما أخليه يخطى خطوه واحده ولا من هنا يتبعك ولا كان يطيب على قلبى ان أبقى فى هذا البر وحيدا فريدا وأكون مستوحشا فى هذا القفر والبيدا فقال له شيبوب صدقت وأنا من أجل ذلك ما أطاوعه على مراده لان رفقته معى لاشك تورثنى الهم والتنكيد ثم انه أقام عندهم الى وقت السحر وقد قرب الصباح وخف ما به من التعب واستراح فسار يطلب العرب الذى ذكرناهم وهو خالى من السلاح وهو مثل العبد البزال وباطنه باطن الاسد الرئبال حتى تضاحى النهار وقد قارب الارض الذى هو طالبها وتلك الديار واذا هو يرى عن يمينه واديا كثير الماء والمنابيع وفيه مراعى كثيره ومنافع وفى وسطه قبه من الاديم تسع جماعه كثيره من بنى آدم ومن حولها عشرين رأس من الخيل الجياد وهم مختلفين الالوان وهى تموج فى مقاودها مثل الغزلان فقال شيبوب هذا الذى كنت طالبه من المأمول لكن الصواب انى أدبر فى أخذ هذه الخيول وأعود الى أخى عن قريب واغتنم السلامه لان الدهر يومان يوم يصاب ويوم يصيب ثم انه عرج الى الوادى وسار فيه ومازال الى أن وصل الى تلك القبة المضروبة وقد دار من حولها فلم ير أحدا من البشر ولا من يسأله عن ذلك الخبر فقال شيبوب هذا من تمام السعادات التى تأتى على مراد الانسان ثم انه دار من حول تلك

192

القبة وجعل ينظر الى ذلك المضرب ويتعجب غاية العجب ويقول يا ترى من أتى بهذه القبه الى هذا الوادى ثم انه ألقا اذنيه اليها وتسنط فما سمع من داخلها حس ولا نفس ولا أبصر أحدا قام ولا جلس فزاد بذلك تعجبه ورفع ذيل القبة وبقى من داخلها مثل الثعلب ونظر فيها يمينا وشمالا فرآى فيها رجل هرم وهو نائم فى ركن من أركانها وقد أبصر أعدالا ملآنه معباة بعضها فوق بعض وفيها تمر ودقيق والى جانبها ظروف ملآنه سمن وعسل (قال الراوى) فلما رأى شيبوب الى ذلك قال فى نفسه ان الاقبال اذا أتى للشخص فيكون سعده قد حصل وما بقى الا أن أحمل بعض هذا الخيل الاصائل من هذا الخير الحاصل وأسوق الباقى وأقطع بهم البر الاقفر لانى أعلم ان صاحب هذا الخبا ما يأتى الا عند المسا والساعه أكون عند أخى عنتر ثم انه عوّل أن يخرج ما يكفيه الى خارج الخبا واذا هو بجيد ناقه مقبلة من صدر البر صياحها قد أقلب الفلا وعلى ظهرها هودج عالى محلى بالحرير والاطلس ومن حولها خمس عبيد بالقنا والنبال والسيوف الصقال وفى أيديهم الحجف الغوال (قال الراوى) فلما رأى شيبوب هذا الحال عاد الى الخبا وخنس بين الاعدال وهو يقول هكذا الدهر ما يبقى على حال ولا بد ما يخيب الآمال ويكدر ما صفا بعد الاقبال ثم جعل باله من الناقه حتى وصلت الى باب الخبا فأبركوها العبيد ونزلت من الهودج امرأة عجوز تقارب الشيخ النائم فى العمر والسنين الا انها أنهض منه ولها حيل شديد عنه ولما دخلت الخبا صاحت به وجلست بجانبه وقالت له اقعد يا نائم يا من غفل عن نوائب الدهر ومعاطبه فعند ذلك جلس الشيخ لما سمع كلامها وقال غبتى فأوحشتى وقدمتى يا ابنة العم فآنستى فاخبرينى

ما كان من غرماه ولدك هل تركوا دم أخيهم وأهدوه اياه أو يردوا من أجل ذلك انهم يقاتلوه فقالت والله يا ابن العم انصلح له حال ولابد ما يقع بينه وبينهم القتال وأنا والله خائفة عليه من الاعداء الانذال لانني لما سرت من عندك البارحة عند المساء فوصلت الى الاحياء نصف الليل وأنا أقول لعل وعسى ثم دخلت على جارتنا سلمى بنت حازم وسألتها عما جرى من مبتدا تلك الامور العظام فقالت والله يا ابنة العم لقد شق علينا رحيلكم من الحلة وقد صعب على جميل مقدمنا وقد صار وراه رافع أخو القتيل وقد سأله أن يهب لولدك دم أخيه ويأخذ فداه من المال ما يرضيه فما رضي أن يفعل بل قال أنا لا بد لي من أخذ ثار أخي ممن قتله ولا بد ما أتوصل اليه واقتله كما قتل أخي وجندله واني ما قعدت عن طلبه الا حتى يأتي باقي اخوتي ونسير اليه كلنا ونأخذ منه بثارنا ونبلغ منه مرادنا ولما أتى الرسول يا ابنة العم الى مقدم عشيرتنا بهذا الخبر زاد غضبه وغيظه وتقطعت به الاسباب وقد خاف على شمل العشيرة ان يتفرق ويحل بهم الذهاب

تم الجزء الرابع عشر من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بني عبس عنتر بن شداد في منتصف شهر ذي الحجة سنة ثلاثة وثمانين ومائتين بعد الالف